تاريخ الطائفة المارونية

لقُطب دهره وواحد عصره حجّة المؤرخين وإمام المدققين

ابينا وسيدنا المطوَّب

مار اسطفان الدويهي بطريرك انطاكية وسائر المشرق

تغمده الله برضوانه ونفعنا بدعائه

عُني بطبعه وعلّق حواشيه

رشيد الخوري الشرتوني

محرّر جريدة البشير ومدرّس البيان في كلية القديس يوسف

ومصحح مطبوعات بالمطبعة الكاثوليكية

بيروت

المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

١٨٩٠

تقديم الكتاب

لغبطة مولانا وسيدنا المؤيَّد بروح الله

مار يوحنا بطرس الحاج

بطريرك انطاكية وسائر المشرق على الطائفة المارونية

ايها السيد المطوَّب الفائق السموّ

مذ طلعتَ في فلك البطريركية وتولَّيتَ رئاسة الشعب الماروني مابرحتَ صارفًا عنايتك الابوية وموجّهًا مقاصد حكمتك الباهرة الى إسعاد احوال الطائفة وإعلاء شأنها وتوفير اسباب كرامتها ولم يصدّك فرط اهتمامك بما تقتضيهِ مشروعاتك الكبيرة من النفقات واشتغالك بصوالح رعيتك المتعدّدة عن توجيه الحاظ عنايتك الى تجديد مدرستنا الرومانية قاصدًا بذلك ان تذخر لنا في عاصمة العالم الكاثوليكي مقامًا يأوي اليهِ شبَّاننا طلبًا للعلوم الصحيحة والتماسًا للتهذيب الراهن لكي يحيا لنا بهم ذكر اسلافهم الاماجد الذين نبغوا في تلك المدرسة وتركوا من الآثار والتآليف ما ينطق بفضلهم في عالم الدين والدنيا

ولما كان هذا المقصد المقدَّس ممَّا يتوقَّف على نجاحهِ نجاح مستقبل الطائفة ماديًّا وادبيًّا انتدبتَ لتحقيق آمالك فيهِ حبرًا عرفتَ غيرتهُ

وشهامتهُ وسبرتَ نهضتهُ وعزّتهُ اعني بهِ نائبكَ الموفَّر المطران الياس الحويّك الفائق الشرف فسار في مرضاتكَ سيرًا يكافئ ظنَّكَ فيهِ واعتقادكَ بهِ

ومن حيث ان ابانا وسيدنا الطيّب الذكر البطريرك اسطفان الدويهي الاهدني احد الذين نشأوا في المدرسة المشار اليها وارتشفوا منها زلال العلوم قبل ان اخنى عليها الدهر قد خلَّف للطائفة من آثار علمهِ وتحقيقاتهِ مصنَّفاتٍ عديدة لم تزل حتى اليوم محجوبةً في دنيا الخفاء آثرت ان اخدم مقامك السامي وسدّتكَ البطريركية العالية باظهار تآليفهِ النفيسة مبتدئاً من هذا المصنَّف الجليل . وها اناذا افتخر ان افتتحهُ باسمك المعظَّم الشريف وانشرهُ تحت ظلّكَ الوارف المنيف فأُجدّد بذلك عاطفة تعلقي بذات رئيس الطائفة المبجَّل وحرزها الامثل انا الولد المتواضع والابن الخاشع

رشيد الخوري

الشرتوني



خطبة

طابع الكتاب ومحشّيه

السبب الداعي الى نشر الكتاب

لما كان علم المرء بانباء قومه وشؤون اهل بلاده من اقوى ما يبعث على احياء مآثرهم ونشر مفاخرهم وكان الخاصة والعامة من ابناء طائفتنا المارونيـة في حاجة شديدة الى تاريخ يجمع اخبار السلف وينبئ بتقلبات الايام عليهم وتصاريف الدهر بهم اخذت أُطالع ما كُتب في هذا الصدد من التصانيف الشرقية والغربية وأُدوّن كل ما اراه فيها الى ان اجتمع عندي تأليف مطوَّل من نحو اربعمائة صفحـة كبيرة وقد كنت عوّلت على طبعهِ ونشرهِ ثم يسَّر لي المولى الوقوف على كتاب الحبر العلاَّمة ابينا وسيدنا الطيّب الذكر والاثر البطريرك اسطفان الدويهي فبعد ان طالعته وامعنت النظر فيه استصغرت حينئذٍ ما كنت قد نصبت في جمعهِ وآثرت عليـهِ تأليف هذا الرجل العظيم للاسباب الآتية:

الاول انهُ مؤرخ وطنيّ جاب البلاد وخالط اهلها وعرف عوائدها فـكان ادرى باحوالها

الثاني انهُ كان رئيس الامة وبطريركها وعلى هذا فهو اوفر اطلاعاً على شؤونها من سائر افرادها

الثالث انهُ اورد كثيرًا من الحوادث التي رآها رأي العين او سمع اخبارها ممن شاهدوها ولا يخفى ان كلام الشاهد العياني حجّة في التاريخ لا تدفع

الرابع انهُ لم يخـبر عن امر الا معتمدًا على شهادة مؤرخ ثقة او مستندًا الى انباء الكتب الصحيحة القديمة المخطوطة التي كانت محفوظة في خزانة البطريركية المارونية

الخامس انهُ لم يتعمَّد في كل ما كتبهُ الّا بيان الحقيقة لا غير وعلى هذا فلا

ترى لهُ في المسائل الخلافيَّة حَيدًا عن الصدق او ميلاً مع الهوى

السادس انهُ كان ممن لا يقبلون القول الَّا بالدليل ولا يردُّونهُ الَّا بهِ كما يتبيَّن ذلك من مؤلفاته المتعددة

السابع انه كان رجل تُقىً وورع ولا يُتصور في من كانت هذه مزيتهُ ان يخرج عن خطَّة الصدق والحق. وسترى في عرض سيرته ما يزيد عندك الامر تحققاً

فهو والحقّ يقال المؤرخ الاول الذي كشف الغطاء عن تاريخ الموارنة وردَّ شُبَه جميع الذين عزوا اليهم بدعة المشيئة الواحدة من كتبة المشرق والمغرب. ومتى قرأت الفصول التي ابطل فيها دعاويهم رأيتَ منه فيلسوفاً قديرًا وعالمًا واسع الاطلاع شديد التنقيب. واذا طالعت تآليف كتَّاب الموارنة الذين جاؤوا بعده وجدتهم في هذه المسئلة عيالًا عليهِ حتى ان العلَّامة السيد يوسف السمعاني صاحب المكتبة الشرقية الشهير على بسطة علمهِ وسعة اطلاعهِ وتوفُّر وسائله سار على هداية علَّامتنا هذا واستضاء بانوار معارفه في كثير مما يتعلق بالشأن المشار اليه

النسخ التي اعتمدتُ عليها

اوَّلُ نسخة ظفرت بها من هذا الكتاب نسخة خُطَّت حديثًا بالحرف العربي في سنة ١٨٨٦ وجدتها في المكتبة الشرقية بكليَّة القديس يوسف في بيروت لمرسلي اليسوعية الفضلاء. الَّا انها نسخة كثيرة الخطإ مشحونة بالتحريف وقد ذُكر في اولها انها منقولة عن احدى النسخ القديمة ولكن الناقل لم يصف تلك النسخة التي نقل عنها ولا بيَّن من اين اخذها وكيف اهتدى اليها كما انه لم يذكر أهي مكتوبة بالخط السرياني ام العربي بل اقتصر على ما تقدَّم. وفضلاً عما تضمَّنته من الخطإ والتقديم والتأخير فقد خلت من جزء مهمّ في المقدّمة وهو الصفحة السادسة برمتها مع ما يتبعها من الصفحة السابعة ما خلا سطورًا اربعة من الاولى. كما انه نقص منها الفصل التاسع عشر من الجزء الثاني مع انهُ فصل مهمّ. اما ما فيها من الزيادات القليلة

المفقودة من النسختين الآتي الكلام عليهما فقد اشرتُ اليهِ في محله

ولما كانت النسخة المذكورة مما لا يصحُّ الاعتماد عليهِ ولا يُستند في الرواية اليه سألت حضرة الاب العالم الفاضل القس يوسف دريان كاتب اسرار البطريركية المارونية ان يهديني الى نسخة ثانيـة فاتحفني بنسخةٍ من مكتبة دير اللويزة العامر للرهبان الحلبيين الموارنة قد خُطّت بالحرف السرياني وكتب في اولها هكذا :

« اصل الطائفة المارونية ودوام اتحادها بالكنيسة الرومانيَّة . تأليف الاب المكرَّم والسيد المحترم مار اسطفان بطرس البطريرك علاَّمة دهرهِ ونتيجـة عصرهِ حاوي القداسة والعلوم الالهيَّة ومالك الفضائل والصفات الروحانية حفظنا الله بدعائهِ واطال ايام بقائهِ »

وفي آخرها ما يلي :

« انا نعمة الله البكفاوي الراهب اللبنـاني محرّر هذه الاسطر بالعربي بما اني وجدت هذا الكتاب عند أُناس وقد غيروا فيهِ نصّ هذه الصفحة اقتضى الامر ان ترعتها وكتبتها طبق اصلها الحقيقي بالعربي لاني لا احسن كتابة السرياني »

وهذه النسخة لم يذكر ناسخها تاريخ نقلها ولكن العبارة التي أُدرجت في اولهـا تُشعر انها خطت في عهد المؤلف رحمه الله . وقد كتبت فيها رؤوس الفصول ومقاطع الجمل بالحرف الاحمر والباقي بالاسود . اما خطها فجميل سهل القراءة وورقها متين من جنس ورق الكتب الطقسيـة التي توضع في الكنائس وهي تشتمل على ٣١٩ صفحة وكل صفحة يبلغ طولها ٢١ سنتيمترًا وعرضها ١٤ من ضمن ذلك هامش يبلغ ٤ سنتيمترات اودعه الناسخ في بعض المحال ترجمة القطع السريانية التي ذكرتها في هذه الطبعة بالحرف الرفيع . واما جلدها فهو من الجلد المتين ايضًا وثخانته نحو نصف سنتيمتر

النسخة الثالثة اتحفني بها احد كهنة بلاد جبيل وهي متفقة مع نسخة دير اللويزة ولا تختلف عنها الّا في امور جزئية لا يُعتدّ بها . وهي مكتوبة بالحرف السرياني ايضًا

وليس فيها ما يدلّ على زمن كتابتها ولكن هيئتها تبين انها اذا لم تكن كتبت في عهد المؤلف فبعد عهده بقليل

فعلى هذه النسخة ونسخة دير اللويزة جعلتُ اعتمادي ولم اتعرَّض لتغيير العبارة وتبديلها مطلقًا الّا في ما اقتضتهُ القوانين الاعرابية او اضطرتني اليه حاجة اظهار المعنى كل ذلك حرصًا على قَدامة الكتاب وحبًّا بابرازهِ للمطالعين بنفس الاسلوب الذي استعملهُ المؤلف . وقد عاب عليَّ بعضهم هذه الطريقة وزعموا ان المؤلف لم يكن متمكنًا من اللغة وليست له عبارة بليغة ولهذا كان الاليق بطابع كتابه في هذا العصر الزاهر ان يتصرف في كلامه بما ينطبق على الاذواق الحالية ويبقي المعنى . ولكنه يكفيني من ردّ هذا الاعتراض ان اقول بان عبارة الكتب التاريخية تقتضي ان تكون ساذجة الانشاء لان قرَّاءها مختلفو الطبقات . وليست الحال معها مثل حال التآليف البيانية وما شاكلها مما هو موضوع لطبقة خاصة من الناس بل يُقتصر فيها على الجلاء وابراز المعنى بصورة تصل الى القلب بايسر سبيل كما هو الامر في كتابنا هذا

والحاصل ان اقوى ما حداني الى عدم التصدي لتبديل عبارة الكتاب امران الاول اطلاع القرَّاء على حال العربية عند اهل ذلك الزمان الذين كانوا حديثي عهد في كسبها عقيب تركهم للسريانية (١) . والثاني ايقافهم بهذه الطريقة على افكار المؤلف كما صدرت عن قلمهِ لان تعمُّد التغيير قد يُفضي بصاحبه مهما اشتدَّ حرصهُ على بقاء المعنى الى الاجحاف بمراد المؤلف بل ربما اخطأَ

---

(١) اننا نحن ابناء هذا الزمان لا نبالي بتدوين تاريخ يفصح عن سير الانشاء وتقلّب احوال الكتابة والاطوار التي مرّت على اللغة ولذلك صرنا نعيب نشر الكتب القديمة مع تركها على ضعيف عبارتها . ولو اننا عقلنا لوجب ان نترك كل ما ننشرهُ من مثل هذه التصانيف على حرفهِ وحينئذٍ لا يمضي علينا مدة الا يجتمع عندنا من تآليف قومنا ما نقتدر معه بعد المقابلة والبحث على انشاء تاريخ نبين فيهِ ما طرأ على دولة الانشاء عندهم من الاحوال المختلفة

ما الحقتهُ بهذا الكتاب

ان المؤلف رحمهُ الله قسم كتابه الى جزئين سمّى الاوّل « نسبة الموارنة ». والثاني « دفع الشُبَه وردّ التُهم » وقد انتهى في القسم الاوّل الى قيام ابينا الطاهر المطوَّب القديس يوحنا مارون بطريركاً على مدينة انطاكية. غير اني لما رأيت الناس يحبون الوقوف على الاحوال التي عرضت بعد هذا الزمن ضممت الى الجزء المذكور قسماً زائداً اخذت جلَّه عن كتاب آخر للمؤلف (١) سمّاهُ « تاريخ المسلمين » او « تاريخ الازمنة » وبدأهُ من ظهور الاسلام وانتهى بهِ الى سنة ١٧٠٣ للمسيح اي قبل وفاتهِ بسنة واحدة. وقد انتقيت منهُ اهم الحوادث التي تتعلَّق بالموارنة او التي جرت ببلادهم وربما سقت منها خبرًا طويلًا لعلاقةٍ لهُ بالغرض المشار اليهِ. وقد اضفت ايضاً الى هذا الملحق عدَّة زيادات تهمُّ معرفتها اخذتها عن تواريخ ابن سباط وابن الحريري وصاحب الغرر الحسان ومختصر تاريخ لبنان للشمَّاس انطونيوس العينطوريني وكل هذه كتب مخطوطة لم تُطبع بعد (٢) كما اني اخذت شيئاً كثيرًا

---

(١) قد جاد عليَّ بهذا الكتاب حضرة الاب المفضال القس سابا دريان الرئيس العام على الرهبانية الحلبية المارونية. وهو يشتمل على ٣٧٢ صفحة كبيرة ومنسوخ حديثاً سنة ١٨٨١ بقلم انطون الخوري مارون الاشقر الشبابي عن نسخة قديمة لم يبين الناسخ امرها. وقد رأيت نسخة اخرى لهذا الكتاب عند حضرة الاب الخوري اسطفان شديد من قرية بشعلة وفي صدرها مقدّمة مطولة مفقودة من النسخة التي تكرَّم بها حضرة الرئيس المشار اليهِ

(٢) بيدي جزء من تاريخ ابن سباط يشتمل على اخبار ولاية الامراء المعنيين وهو سقيم الخطّ كثير الخطإِ وقد نُقل فيما علمت عن نسخة في جزين ولا اعرف شيئاً من اوصاف تلك النسخة. وقد تفضَّل عليَّ بالجزء المذكور جناب الهمام عزتلو الشيخ رشيد الخازن قائمقام المتن. اما تاريخ ابن الحريري فالذي بيدي منهُ جزء يسير ايضاً وهو من رداءة الخطّ وشناعتهِ بمنزلة كبرى

اما كتاب الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان فقد اخذتهُ من مكتبة المرحوم الامير عبَّاس كنج الشهابي وهو ثلاث مجلدات كبيرة مكتوبة بالخط النسخي الجميل واظن انهُ من تأليف الامير حيدر الشهابي الشملاني. والمجلد الاخير منهُ مقصور على تاريخ الامير

ممَّا هو محفوظ عند اصحاب البيوتات اللبنانية من براآت السلاطين العثمانيين ورسائل البابوات وملوك المغرب الى غير ذلك ممَّا لا يتيسر الوقوف عليهِ لكل احد . وقد عُنيت بمقابلة ما نقلتهُ عن « تاريخ الازمنة » المشار اليهِ بما لديَّ من التواريخ المخطوطة وعلَّقت في الحاشية وجوه اختلافهِ عن تلك التواريخ او اتفاقهِ معها

ولما كان ظهور الرهبانية المارونية في ايام المؤلف رحمه الله وكان هو الذي نشَّط الداخلين فيها وزيَّن لهم سلوكها ضممتُ ما تيسر لي جمعه من تاريخ الرهبانية المذكورة معتبرًا انها أثر من آثاره (١)

سمة هذا التاريخ

من طالع كتابنا هذا وانعم النظر فيهِ تحقق امورًا اربعة

الاول ان الطائفة المارونيَّة منذ اوَّل نشأَتها قد لجأَت الى جبل لبنان المبارك عادلةً عن السهول المخصبة والمياه الغزيرة والمدن العامرة لثلاثة اغراض هي الحرص على دينها والضنّ بعرضها وشرفها وحقن دمائها . وقد قاست الاهوال واقتحمت الاخطار وتجشمت الحروب الطويلة وعانت العناء الشديد في تحصيل المعاش حتى انها والحال شاهد قد استمرعت الصخور واستسهلت الوعور واضحى لبنان من حاجتها ارضًا اريضةً وجنَّة غنَّاء

بشير الكبير والمجلد الثاني على تاريخ بيت شهاب وكيفية خروجهم من وادي التيم وتوليهم على لبنان وغير ذلك من الاخبار التي يهتم لمعرفتها اهل البلاد . اما مختصر تاريخ لبنان فهو مكتوب بالحرف السرياني وقد ذكر مؤلفهُ الشمَّاس انطونيوس انهُ قضى في تأليفهِ ١٥ سنة وادرج فيه مختصر تاريخ ابن القلاعي ورسالة الخوري مارون الدويهي وتاريخ الرهبانية اللبنانية الخ

(١) ان حضرة الاب الجليل القس نعمة الله الكفري الراهب اللبناني المشهور بالعلم والفضل والتقوى هو الذي تكرّم عليَّ بالتاريخ المذكور . وانا على يقين من كمال صحته في عامة الوجوه نظرًا الى ما اعلمه ويعلمه غيري من دقة الاب المشار اليه في مباحث تاريخ الرهبانية المارونية

غير انها لم تأمن على هذه الاغراض الثلاثة الّا في عهد دولتنا العلية العثمانيّة ايدها الله · ومنذ ادركت هذه الغاية القصوى تحت ظلّ ملوكها آل عثمان العظام واستراحت بعنايتهم ممَّا كانت تقاسي من الخوف والنَصَب وتنعمت بالعيش الصافي وطابت لها الدنيا في ايامهم لم تكن لتنفك عن عبوديتها واطاعتها لهم وقد تعلَّقت باذيال العرش العثماني تعلُّقًا تشهد لهُ آثارها واعمالها · فماذا عليها من الدنيا وهم يدرأون عنها جميع المصائب ويكفونها شرَّ الدهر · وماذا تشتهي ودينها مرعي في جميع احكامهِ وهي حرَّة في قضاء كل ما يقتضيهِ منها من اقامة المعابد وانشاء الاديار والمدارس · وماذا تتمنّى وعرضها بحول الله وافر وشرفها باذخ · خفقت في ديارها اعلام الامان وساد السلام في جميع الممالك المحروسة وأُحكمت عُرى الوئام بين الأُمم المختلفة فجمعتهم الصبغة العثمانية فهم بنعمة سلطاننا الاعظم راتعون وبظل شوكتهِ آمنون

ولهذا فاننا نحن الموارنة نحمد الله على هذه المنّة الكبرى التي نلناها ونسألهُ جل ثناؤهُ ان يعزّز اركان دولتنا العلية ويوطدنا على صدق العبوديّة · ولسنا نخشى ان يوهن اخلاصنا كلام المرجفين ولنا من الشواهد الساطعة والحجج الراهنة على صدق عبوديتنا الوف · والى هذا تشير الانعامات السنية والامتيازات العالية التي نلناها من تعطفات آل عثمان العظام نخص منها بالذكر مراسيم السلطان سليمان الثاني الغازي الصادرة في حلب في اوائل ربيع الاول سنة ٩٥٧ للهجرة للبطريرك موسى العكّاري وفيها انعم على الموارنة ان يكونوا احرارًا في دينهم وعوائدهم متهدّدًا كل من عارضهم بذلك بالنقمة والتنكيل · واضرب عن سوى هذا ممَّا نالوهُ الى الآن حبًّا بالاختصار

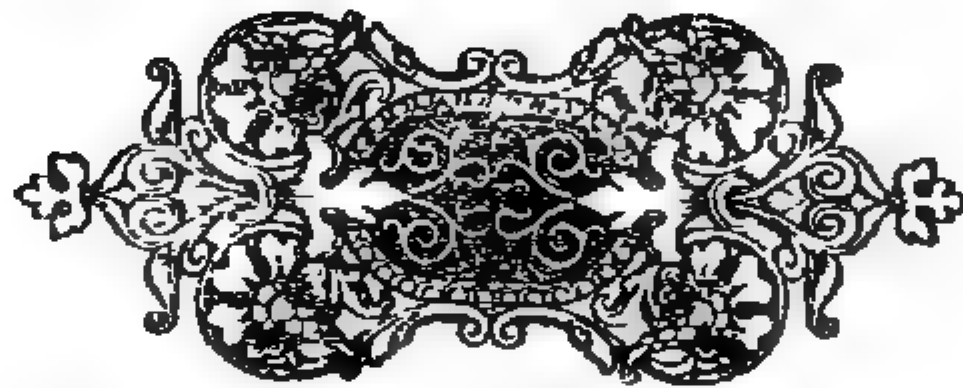
الثاني ان الطائفة المارونية قد تعلّقت بالكرسي الرسولي الروماني تعلقًا ما عليهِ من مزيد وقد ثبتت على هذا التعلّق منذ نشأتها الى الآن غير متزعزعة عنهُ فمدحها الباباوات على هذه المزيّة التي انفردت بها من بين سائر طوائف الشرق

واكثروا من تقريظها والثناء عليها وسمّوها وردةً بين الاشواك وصخرةً ثابتةً وجبلًا منيعاً الى غير ذلك من التسميات الدالة على فرط تمسكها بجوهرة الايمان المستقيم التي لم يقع لها حيدٌ عنها في زمنٍ من الازمان

نعم قد شنّع عليها قومٌ وعزوا اليها البدعة والضلالة الّا ان مؤرخي الموارنة ردُّوا دعاويهم بالبرهان . وكفى ان تمعن النظر في الجزء الثاني من هذا الكتاب فترى كيف مُزّقت مزاعم اولئك المؤرخين بسيف الحجّة القاطعة الذي لا يترك مجالًا للمكابرة والمماحكة

الثالث ان اكليروس الطائفة المارونية من بطاركتها واساقفتها وكهنتها يربّون الشعب على الخضوع للدولة والانقياد للشريعة حتى صار ذلك مشربًا نشأ عليهِ صغارهم وهرم كبارهم . وقد عرفت لهم الدولة العليّة ايّدها الله هذه الخلّة فجادت عليهم بالمنح والامتيازات السنية

الرابع ان رجال ديننا والقائمين بسياستنا الروحية قد تفردوا في كل عصر بمعارفهم واكبابهم على التبحر في علم العقائد مع اشباع العقل من اصول الفلسفة الصحيحة حتى كانت لهم على الاذهان سطوة العلم فضلًا عن سطوة الصلاح . وقد تركوا بتآليفهم ومصنفاتهم التي انتشرت في دنيا العلم ذكرًا طيبًا لهذه الطائفة لا يمحى ولا تدرس آثارهُ



ملاحظة

ذكر المؤلف رحمه الله في الصفحة السادسة من المقدمة انه قسم كتابه الى ثلاثة اجزاء وجعل مدار الجزء الثالث تبرئة الموارنة مما قذفهم به المرسلون الذين ادعوا انهم وقفوا على مضمون صحفهم. ولكنني لم اعثر على الجزء المذكور وقد بحثت عنه وسألت العارفين فلم يكن من يهديني اليه. ولا اخال ان المؤلف قد ادمجه في الجزء الثاني اذ ليس ما يضمن لي صحة ذلك

وانا اسأل الله في الختام ان يكون هذا الكتاب نافعاً لابناء طائفتي العزيزة مشدّداً لهم على متابعة آبائهم في الحرص على دينهم ومشربهم القويم

بيروت في غرة حزيران سنة ١٨٩٠

رشيد الخوري
الشرتوني



ترجمة ابينا وسيدنا المغبوط

مار اسطفان الدويهي البطريرك الانطاكي

القسم الاول

في

ما عرض لابينا المطوَّب من صباه الى حين وفاته

يقول السيد المكرَّم والحبر المعظم والفيلسوف المحقق واللاهوتي المدقق ابونا وسيدنا مار سمعان عواد البطريرك الانطاكي المحترم لما كانت اخبار الابرار تنفع سامعيها وتفيد قارئيها اخذت في تدوين سيرة السيد المغبوط الطيب الذكر والأثر مار اسطفان الدويهي بطريرك انطاكية معتمدًا في ذلك على ما رأيت ايام معاشرتي لهُ وعلى ما ذكره لي مخالطوه من مطارنة واساقفة وكهنة ورهبان وشمامسة ووجهاء واعيان. وقد جمعت من اعماله كل ما ثبت عندي بعد المبالغة في التحقيق ودوَّنتهُ في هذه الرسالة بيانًا لشرف هذا الطوباوي الجليل القدر وها انا ذا اشرع في الكلام فاقول:

نشأ هذا البار في قرية اهدن من جبَّة بشرّاي احدى مقاطعات جبل لبنان المبارك وهو ابن ابوَين صالحَين خيِّرَين وهما ميخائيل الدويهي ومريم امرأته وهي من آل الدويهي ايضًا وقد أُرسل من الصغر الى المدارس ليكتسب العلم ويتعوَّد الآداب والتقى فادرك ما أُريد بهِ من العلم والتحلي بالآداب حتى عُرف بثقابة العقل وحسن السيرة. ثم ارسلهُ الى رومية عمه المطران الياس الدويهي على يد السيد المغبوط جرجس عميرة الاهدني البطريرك الانطاكي ورافقهُ في سفره القس سمعان التولاوي ويوسف فتيان الحصروني فوصلها في شهر حزيران سنة ١٦٤١ فادخلهُ الاب تريلابنسنسوس اليسوعي مدير مدرستنا الرومانية وقيَّدهُ في سلك الطلبة وما

لبث ان احرز قصب السبق على جميع رفقـائهِ وتسامى عليهم كما يتسامي النسر على الطير فعلَت منزلتهُ عند معلمه وجميع من في تلك المدرسة لبعـد شأوهِ في التحصيل وفضــل مسلكه وكفى بك شاهدًا على ما قلت ما كان يلاقيه من الاكرام عند الاب مورس اليسوعي المشهور بطول الباع في الفلسفـة واللاهوت . وقد اصابهُ من الاكباب على المطالعة والبحث مرض استمرَّ عليهِ زمنًا غير يسير ولما ان برئ عاد الى طريقتهِ السابقة

وقد ذكر لنا عن نفسه انهُ كان يقضي اوقات التنزُّه صلاةً ودَرْسًا وكثيرًا ما كان يقوم في الليل من فراشه فيصلي ثم يدرس على نور المصباح الساعتين والثلاث ولم يزل ذلك شأنه حتى أُصيب ببصره وتعذَّر عليهِ القراءة والكتابة فالجأَهُ ذلك ان يلتمس من رفقـائه في الطلب ان يقرأُوا عليهِ الدروس اليومية وكان يشرح لهم ما اشكل عليهم فهمه . ولما رأى رئيس المدرسة ان العلاج لم ينجع في عينيهِ عمد ان يرجعهُ الى المشرق فساءهُ ذلك ومن ساعتهِ ذهب الى الكنيسة وبكى امام هيكل سيدتنا مريم العذراء وتوسل اليها ان تستمدَّ لهُ الشفاء ونذر لها نذرًا وفي الحال ابرأَهُ الله مما بهِ

ولمـا ان فرغ من تعلّم الفلسفة وخاض في ميادين الجـدَل اظهر من البراعة والحذاقة ما احوج العلماء ان يقولوا ان ايطاليـة لم ترَ في ذلك العصر من وصل الى درجته في سعة العلم . قلت ولهذا كانت مدرستنا الرومانيـة مكرَّمة ومعروفة في البلاد الغربية احترامًا لاسطفـان . وعندما شرع في العلوم اللاهوتية كان استـاذهُ الاب سبرسا اليسوعي يقول مرارًا اني قد علَّمت في بلدان كثيرة ولم ارَ تلميـذًا مثل اسطفان علمًا وعملًا . وكان متى وقع الجدال بين الطلبة على مسألة من المسائل اللاهوتية يقيمهُ حكمًا في بتّ الخلاف وقطع النزاع لانهُ كان قادرًا ان يردّ كل اعتراض وكان يكلفهُ في حفلات المناظرة ان يجاوب العلماء ويردّ شُبه المعترضين حتى لم يكن من احد يقوى عليهِ في الجدال . وكان اذا عيَّنهُ رئيس المدرسة للمناظرة في مسألة يتوارد اهل رومية في الوقت المسمَّى ليسمعوا حججهُ البـالغة . وقد ذكر لنا

الثقات ان رؤساء الرهبانيات في رومية كانوا يتنازعون فيه كل منهم يريد ان يجتذبهُ الى رهبانيتهِ. ومما يدلنا على فضلهِ وعلمهِ ان مجمع انتشار الايمان طلب اليهِ ان يكون معلماً للفلسفة واللاهوت وان احد كبار رومية عيَّن لهُ اربعين ديناراً رومانيًّا كل شهر ليقيم في داره. امَّا هو فلم يلتفت الى كل هذا وانما كان يوجه كل اهتمامه لنفع بني المشرق عموماً وبني طائفتهِ خصوصاً. ومع جميع ما كان يصادف من الاكرام كان متواضعاً يحسب نفسه احقر الناس وادناهم كما يتبين ذلك مما سيأتي من سيرته

وكان يبذل منتهى الجهد في اتباع الفضائل الالهية والاعمال الصالحة ومجانبة كل سبب يوقعهُ في الخطيئة حتى ان معرّفيهِ شهدوا جميعاً انهم لم يكونوا يجدون فيهِ خطيئة توجب الحلّ كما قد اثبتوا ذلك في حياته وبعد مماته. اما القناعة فانهُ كان منها بمكان مكين حتى لم يكن يأكل فاكهة جديدة مطلقاً ويترك كل ما كان يشتهيهِ من المآكل وقال مرَّات انهُ لم ينهض عن الأكل شبعان مطلقاً وفي عمره كله لم يذق لحماً الَّا في اوقات مرضه بعد اشارة مرشده والزامه. ولما فرغ من دروسه في رومية ألَّف كتاباً ضخماً باللاتينية في الفردوس الارضي و[illegible] جرى ايضاً وفي ايام الاحاد والاعياد كان يتفرَّغ لزيارة الكنائس والمكاتب و[illegible] عثر على شيء يتعلَّق بطائفتنا المارونية استنسخهُ وذكر لرفقائهِ انهُ كان يفكر دائماً في امر طقوس كنيستنا المارونية القديمة والردّ على كل من قال ان الموارنة سقطوا في بدعة او ضلال وذلك يتبيَّن من الكتب التي ألَّفها في رومية وفي الشرق

ولبث في رومية بعد الفراغ من الطلب نحواً من نصف سنة الى ان وجد لهُ رفيقاً فخرج منها في الثالث من نيسان سنة اربع وخمسين وستمائة والف وبعد وصوله جُعل كاهناً وانشأ مدرسةً في قرية اهدن واخذ يعلم الاولاد ويعظ الشعب ويقيم لهم الرياضات الروحية. ولما علم السيد المغبوط مار جرجس السبعلي بطريرك انطاكية منزلتهُ من العلم والقداسة بعثهُ الى حلب واعظاً ومرسلاً فاقام هناك خمس سنين يرشد ويعلم حتى اهتدى على يده كثير من الملكية والنسطورية واليعقوبية وصنف

في تلك الاثناء كتاباً في الوعظ والارشاد في مجلدين . وفي سنة ١٦٦٨ استقدمهُ السيد البطريرك اليهِ وسقّفهُ على مدينة قبرس . ولما انتقل السيد البطريرك الى راحة الصالحين في دير مار شليطا بكسروان في اليوم الثاني عشر من حزيران سنة ١٦٧٠ اتفق مطارنة الطائفة واعيانها وانتخبوا المطران اسطفان المشار اليهِ بطريركاً فامتنع فالزموهُ . وكان ذلك في دير قنوبين . وغاظ ذلك الانتخاب الشيخ ابا نوفل الخازن من وجه انهُ جرى بغير مشورته فاتى البطريرك الجديد دار الشيخ ابي نوفل في كسروان فأجلّ الشيخ قدره وعرف علوّ مقامه واستغفرهُ عمّا فرط منهُ . وبعد هذا وجّه البطريرك اسطفان بعد استشارة جمهور المطارنة القس يوسف شمعون الحصروني الى رومية وحمّلهُ رسالة الخضوع وطلب التثبيت فوصل رومية في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٦٧٠ واقام فيها طويلاً ولم يحصل على براءة التثبيت وذلك بسبب ما حدث من ان بعض روساء الطائفة واعيانها كانوا قد كتبوا الى رومية في عدم رضاهم بهِ بطريركاً فحينئذٍ كتب اليهِ البطريرك اسطفان ان يعود بغير درع التثبيت ولما همّ بان يطبع الكتابة بختمه لم يلصق الحبر بالورق وفعل ذلك ثلاث مرّات فعدّ الامر آية على ان انتخابه من الله . وبعد قليل ثبّتهُ البابا اقليميس العاشر على كرسي انطاكية وسائر المشرق وارسل اليهِ درع كمال الرئاسة

ومن حين ما وقع عليهِ الانتخاب اخذ يطوف في جميع الابرشيات ويختار كهنة ذوي علم وتقوى ويفحص الكتب البيعيّة المخطوطة ويصلح ما اوقعهُ النسّاخ او أصحاب الاغراض من الغلط وردّ جميع العوائد القديمة ورتبها اجمل ترتيب وطالع كتب البيعة وغربل مصاحف المؤرخين ومصنفات الآباء القديسين من شرقيين وغربيين وألف كتباً عديدة منها كتاب تواريخ الازمنة وكتاباً في القداس الالهي وهو في مجلدين ودعاهُ المنائر العشر وثلاثة كتب في الامة المارونية وكتاباً في الشرطونية وكتاباً في الالحان البيعية وكتابين في الوعظ وكتاباً في الفردوس الارضي ولهُ ايضاً غير ذلك من التآليف وكلها موجودة في مدرسة الطائفة برومية . ومن طالع تآليفه

بملك شمرون ومارون ܡܠܟܐ ܕܫܡܪܘܢ ܘܕܡܪܘܢ . هكذا مذكور في الفصل الثاني عشر من سفر يشوع هذا . وكذلك قريتان في بلاد الشقيف من نواحي صيدا سُميتا بهذا الاسم . فالواحدة منهما تسمَّى مارون الراس لكونها مبنية على قمة جبل شاهق يسمَّى جبل عاملة . والثانية تسمَّى مارون الركين لكثرة مائها وغضاضة ارضها لكونها مبنية على حد النهر الليطاني . ومن آثار رسومهما المنهدمة يُستدل على انهما كانتا مدينتين حصينتين . ويُستدل على الثانية ايضاً مما هو ظاهر كلام يشوع بن نون في الفصل الحادي عشر من كتابهِ اذ يتبين منهُ انها مدينة جليلة . وكان المسلَّط عليها في زمان يشوع يوباب الملك الذي كان ينقاد اليهِ الكنعانيون والاموريون والحثيون والفرزيون واليابوسيون مع ملوكهم واجنادهم الذين في الجبال والسواحل . وكانوا يلتئمون على مياه مارون في خلق كثير ككثبان الرمال . ولما تعرَّضوا لمحاربة يشوع ابن نون وخرجوا للقائهِ ظفر بهم يشوع وقتل ملوكهم وحطَّ مضاربهم وخيامهم وحطم دوابهم ومزَّق لفيفهم ولم يزل السيف يأخذهم يمنةً ويسرةً حتَّى ولج مدينة مارون واستفتح مدينة صيداء الكبيرة . وايضاً مدينة اخرى اشتهرت باسم مارون في نواحي انطاكية منها القديس ملكوس وتحمَّل كرسيها برئاسة ديماس ودوشيماس اللذين حضر احدهما مجمع افسس والآخر مجمع خلقيدونية وقد كان رئيساً عليها قبلهما تيوتاوس صديق القديس يوحنا فم الذهب . وايضاً مارون قرية كانت في ارض حاجل من بلاد كسروان . وايضاً اخرى على نهر ابراهيم من بلاد جبيل . وايضاً في بلاد الاتراكي مدينة اشتهرت بهذا الاسم وقد مدحها القدماء باشعارهم واثبتوا تقريظها في دواوينهم لطيبة خمرها . وكذلك مدينة اخرى في الاندلس تدعى مورون من سواحل اسبانية . وهذا القدر كافٍ في ما ذكرناهُ من اسماء المدن والقرى

واما ما جاء من العلَم الشخصي فانهُ قد تسمَّى باسم مارون مونيفوس ملك مصر في دولة الكفَّار . وكذلك ويرجيليوس اللاتيني المشهور بالنظم والقريض . وايضاً بعد انتشار

الايمان المسيحي فانهُ قلَّ ان توجد طائفة لم تُسمِّ بهذا الاسم الشريف . منهم القديس مارون الشماس الذي نال اكليل الشهادة مع غيرهِ من القديسين سنة مائة واثنتي عشرة للتجسد الالهي . والكنيسة الرومانية تعظم تذكارهُ في الخامس عشر من نيسان . وايضاً مورون القسّ الذي وجد في دولة داكيوس الملك وقبض عليهِ انتيطرس والي اخائية سنة مائتين وثلاث وخمسين لربنا . وذلك يوم عيد الميلاد واخرجهُ من الكنيسة وجرد لحمهُ باظفار حديدية ثم زجَّهُ في اتون مضطرم فظهر منهُ صحيحاً سالماً حتى اثوابهُ . ثم سلخوا من جلدهِ سيوراً واطلقوا عليهِ الوحوش الضارية فحفظهُ ملاك الله من اذاها . وعند مشاهدة الوالي ذلك قتل نفسهُ غيظاً وحنقاً . ثم اشخصوهُ الى مدينة كيريقوس وتم بها اكليلهُ بالسيف . وهنا تعظم تذكاره الروم في السادس عشر من آب . وايضاً مورون اسقف قريطش الذي كان معاصراً داكيوس الملك وصنع معجزات رائعة وطرد تنيناً افسد البلاد وحبس جريَ النهر المندفق بكلمتهِ ثم اطلقهُ بايماء عكَّازه . واخيراً انصرف الى الرب وهو في عمر مائة سنة . وهذا تعيِّد لهُ الروم ايضاً في الثامن من آب . وكذلك الارمن تعيد لهُ في الشهر المذكور ويسمّونهُ مارون

وقد جاء في الكتب السريانية عن اخوين فاضلين بالسيرة الحميدة وهما ابراهيم ومارون أنهما نشأا من قرية تدعى قلش من بلاد آمد المشهورة في ايامنا بديار بكر . اما ابرهيم فانهُ آثر السيرة النسكية في قمة جبل كثير الثلج في دير من اديار الجبل في الارض الكبيرة واقام في ذلك الجهاد عشرين سنة . ثم ارتقى اخيراً على عمود ثبت فوقهُ ثلاثين عاماً متوالية ونال بعدها موهبة الشفاء وزجر الشياطين عمَّن كان يقصدهُ . واما مارون فانهُ اتخذ العيشة القشفة في جوف شجرة نخرة وكان يلزم الوقوف على قدميهِ ليلاً ونهاراً ويقهر نفسهُ ويقسرها على المثول تحت انحدار الثلج وهبوب الرياح الزعازع حافياً مُجيلاً بعقلهِ تلك العقوبات الجهنمية المعدَّة للاثمة . ولمَّا رقد اخوهُ بسلام احدرهُ الشعب المؤمن من على العمود وارتقى مارون الى

حروب كثيرة ومظالم متعددة من جانب الوزراء ومشايخ المتاولة وقلقت البلاد واضطربت مما كان يحدث فيها وقتاً من قبل المتاولة او من قبل الحكام او فيما بين الكسروانيين واحياناً فيما بين امراء الدروز والباشاوات . ولهذا كان يعاني انواع الاضطهاد وكثيرًا ما هرب من بلادٍ الى اخرى او اختفى في المغاور والوديان حتى في ايام شيخوختهِ وكثيرًا ما كان يلبث اليومين والثلاثة من غير اكل ولا شرب وتعقَّبهُ المضطهدون مرّة فاختبأ في مغارة تحت قرية الحدث في جبّة بشرّاي وادركهُ الخوف من الاعداء فانحدر مع كاتبه نصف الليل في زمهرير الشتاء الى دير قنوبين ومرَّ في طريقه على كنيسة تُعرف بسيدة الكرم فوقف وصلى ثم عبر النهر متوجهاً الى الدير فلما وصل الى ما فوق الطاحون عجز عن المشي ووقع على قارعة الطريق وكانت الليلة باردة والقمر مضيئاً فنصحهُ كاتبهُ ان يبرح ذلك المحلّ خوفاً من ان يبصر بهِ الاعداء فأطاعهُ وجلس في ظلّ الجبل وكان متوكئاً على عصاهُ وجسمهُ يرتعش من البرد . وقد ذكر لنا الخوري الياس شمعون كاتبهُ انهُ توجع من اجله كثيرًا وظنهُ انهُ يموت بلا شك لعجزه وشيخوختهِ وما مضى نحو ساعة من وقوفهِ هناك حتى قدم المكارون الذين كان ينتظرهم فحملوه الى دير سيدة حوقة فما بلغهُ الّا بعد شقّ النفس وكان اذ ذاك في سنّ السبعين وكان الليل باردًا جدًّا والذي زاد عذابه انهُ مكث ينتظر امام باب الدير وقتاً غير قليل الى ان اتوهُ بالمفاتيح من دير قنوبين . ولما دخل الدير تمكن البرد من كاتبه المذكور فرقّ البطريرك لحاله فقام مع ما بهِ واضرم لهُ النار وسقاهُ شيئاً من الخمر ولم يزل يعتني به عناية الام الرؤوف الى ان شفي

وفرّ مرّة اخرى من شرّ الذين كانوا يطلبون قتله في ليالي كانون الاول وسار من دير قنوبين الى العاقورة في ليلة باردة جدًّا ولما رأى رفقاءهُ ان قد ألمّهم البرد نزل عن ظهر فرسهِ واخذ يمشي في الثلج ليشجعهم ويقويهم على الصبر مع انهُ كان شيخاً كبيرًا وهم شبّان

ولو اننا تعمَّدنا ايراد جميع ما حلَّ بهِ من النكبات لطال بنا الكلام كثيراً ولذلك اكتفينا منه بما تقدم

وقد تهيَّج بعض المطارنة عليهِ في ذلك الزمان وارادوا خلعه عن كرسيه لانهُ لم يكن يُبيح لهم ان يطلقوا ايديهم في الطائفة كيفما شاؤوا فارسل اليهم حينئذٍ كتابةً يهددهم فيها فخجلوا مماَّ فعلوا وذهبوا اليهِ جميعاً يستغفرونهُ عما بدا منهم. ومع كل ما كان مجملاً بهِ من الصفات الفريدة همَّ ان يكتب مرارًا الى المجمع المقدس لكي يسمح لهُ بالتنزُّل عن درجة البطريركية فصدتهُ الطائفة عن عزمه

ومن بديع مزاياهُ انهُ كان لا يجبن ولا يحزن عند نزول المصائب بل يقول ان جميع اوجاع هذا العالم لن توازي المجد الذي سيظهر فينا

ولما كان قد قضى اكثر حياته في الاضطهاد صنَّف اكثر كتبه في المغاور والاودية حيث كان ينقطع لها بعد الفراغ من صلواته الطويلة وتأملاته المديدة

اما عدله في احكامه وشفقته على رعيته فحدث عنها مهما شئت ولهذا كانوا يفدون اليهِ من كل جهة يعرضون لهُ شؤونهم ولم يكن يعاملهم كالراعي الصالح فقط بل كالأم الرؤوف ايضاً فيعين المحتاجين ويهدي الضالين ويقضي بالقسط للمساكين ويدافع عن المظلومين. ولم يكن يستخفّ باحد على الاطلاق وقد بلغ من اتضاعه انهُ كان اذا جاءهُ احد الفلاحين لاقاهُ الى الباب واجلسه على كرسي وسقاه الخمر بيده واسرع في قضاء حاجته

رُفعت اليهِ مرَّة خصومة بين رجلين من حلب احدهما موسر والاخر فقير فبعد ان نظر في الدعوى حكم للفقير. فظنَّ الآخر انهُ ممن تفعل فيهم الرشوة فتقدَّم اليهِ بالمال الكثير ظانًّا انهُ يُستمال بالفضة فزجرهُ ذلك السيد المغبوط قائلاً: لو اعطيتني زنة الارض ذهباً ما حكمت الَّا بالحق

ومن مزاياهُ انهُ كان حريصاً على حفظ طقوس كنيسة الله انطاكية وتقاليدها المتخذة من عهد الرسل وقد قاسى بذلك اتعاباً شديدة من قِبل بعض المرسلين

اللاتين الموجودين في المشرق لانهم كانوا يعملون على خرق العوائد القديمة وتبديل الطقوس الشرقية بالطقوس الغربية. اما الكهنة النشيطون الذين يرعون قطيعهم على مثال الراعي الصالح فكان يكرمهم اشد الاكرام واذا توفي احدهم يحضر بنفسه جنازه ويقيم لاجله الصلوات بخلاف الكهنة المتوانين فانهُ كان يوبخهم ويعاقبهم على ما يزلُّون فيهِ من مقتضيات درجتهم. وكان يهتم اهتماماً خاصاً بتلامذة مدرستنا الرومانية ويعاملهم معاملة الاب الشفيق وقد رقى بعضهم الى مقام الاسقفية منهم المطران بطرس مخلوف الغسطاوي والمطران يوسف شمعون الحصروني والمطران جرجس عبيد الهدناني والمطران يعقوب عوّاد الحصروني وكثيرون غيرهم قد عرض عليهم الدرجة الاسقفية فأبوا. وهذه صورة كتابين ارسلها لتلامذة المدرسة الرومانية تعلم منها قدر غيرته على بني الطائفة

ايها الابناء الاحباء البركة والسلام

يعلم الله الآب جزيل شوقنا لاستماع اخباركم السارّة مع حسن سعيكم في اكتساب العلوم وحفظ شريعة الله المقدسة وبعد فتعرفون انكم تغرَّبتم عن الاوطان وتركتم الاهل رغبةً في تحصيل العلوم الالهية وتحملتم لهذه البغية مشقة الاسفار ومرارة الاغتراب فاذأبوا اذاً في طلب العلم لتكون النهاية كالبداية والنتيجة الناجحة ضمن المقدمات الفالحة. فاذا كنتم منذ نعومة اظفاركم فضلتم اكتساب العلوم على الاهل والآباء وجب عليكم ان تبذلوا نفوسكم في تحصيلها وتسهروا هجعات الليالي بمسامرتها. ومثلكم كالشجرة المغروسة على مجرى الماء تخجل ان تبخل باثمارها. وكالارض الجيدة ايضاً التي تمطرها السماء طويلاً ليس ممكناً ان تشحّ في اعطاء الغلال. فهكذا انتم المقيمون على مجاري العلوم وتستقون من مياه الدروس صباحاً ومساء نتأمل واملنا وطيد انكم تزدادون عملاً وعلماً وفضلاً وفضيلةً. ونحن نتعهد لكم اننا نكافئكم على اتعابكم باجلّ المراتب وذلك بعد عودتكم الينا موقرين بالعلوم والفضائل. واما التلميذ الكسلان فبأي عينٍ يقابلنا واي مكافأة نعدُّها لهُ سوى قوله

تعالى « من لهُ يُعطى ويزاد ومن ليس لهُ يؤخذ منهُ » فنرغب اليكم ايها الابناء الاعزاء ان لا تتوانوا في النعمة التي أُعطيتموها ولا تستخفوا بما دعيتم اليهِ لان الرب انتخبكم من بين الوف ورقاكم الى درجة العلماء وكفاكم كل الحاجات لتزينوا نفوسكم بالفضائل والصالحات املاً بان تفيدوا قريبكم بعلمكم وعملكم. ونحن نعلم ان الطريق لا تخلو من مشقة وشقاء كما ان حياة الانسان على وجه الارض كلها نصب وعناء فمن تحمَّل هذه الصعاب بالصبر الجميل وجاهد على ما في السنة فربحت وزناتهُ وفاز بالاكاليل . ونحرّضكم بالاكثر على حفظ المحبة بعضكم لبعض والطاعة لرؤسائكم ونعمة ربنا يسوع المسيح تكون معكم وتعطيكم فهماً ثاقباً وعلماً وعملاً امين

اما الرسالة الثانية فهذه صورتها

ايها الابناء الاكرمون لا يخفى على حذقكم ان الحصاد كثير والفعلة قليلون واننا ما ابعدناكم عن اهلكم وبلادكم ولا ارسلناكم الى بلدانٍ بعيدة براً وبحراً الّا لتتلقوا العلوم الالهية من مظانّها وتعودوا فتفيدوا غيركم وتتاجروا بالوزنات لتنالوا ضعف ارباحها لان الشرق مفتقر الى من يعلّم ويهذّب ويعزّي على مضض الاضطهاد . وعليهِ فكل منكم ملتزم بان يجدّ ويجهد عملاً بنيّات الكرسي الرسولي مؤسس المدارس ومجري الاوقاف لفائدة القريب. فمن تهامل فيما دُعي اليهِ يُلقى في الظلمة البرَّانية. ولهذا ننصحكم يا اولادنا ان لا تضيعوا الزمان بالكسل والّا تردروا بالدرجة المدعوين اليها لانها تضاهي درجة الرسل الاطهار الذين انتخبهم السيد المسيح لينذروا العالم باسرهِ. وانتم فان الله انتخبكم على يدنا حتى ترجعوا وتتلمذوا القريب وتهذبوا الشعوب بمواعظكم وخدمتكم الاسرار الالهية حتى اذا جاء ربّ البيت ورأى اعمالكم اعطاكم ما وعدكم بهِ على مثال الانصار الاطهار الذين وعدهم ان يجلسوا على اثني عشر كرسياً. واما من كان كسلان واهمل وزنة سيده ولها باباطيل الدنيا بدل مهمات الروح فيكون من نصيبه نار الجحيم حيث البكاء والكلب

الجهنمي اعاذنا الله منهُ. فنناشدكم الله ان تتيقظوا واياكم وتبديد الزمان بالباطل لان الزمان غالٍ . فلازموا الطاعة والخضوع لمدرسيكم ومدبريكم والمحبة بعضكم لبعض وا كثروا من الاعتراف والتناول وجدُّوا في تحصيل الفضائل وطلب العلوم لتستفيدوا وتفيدوا فمن عمل بكلامنا فالرب يزيدهُ نعمةً وخيرًا ولهُ عندنا اجلّ الكرامة والذي دعاكم الى ما انتم فيهِ هو يتولى منحكم النعمة الضرورية لتفهموا ذلك ونخصكم بسلام الرب والدعاء . اه

اثبتنا هاتين الرسالتين هنا بياناً لمقدار التفاته الى مدرسة رومية ولو اردنا ان نستوفي هنا الكلام على سائر فضائله وما طُبع عليهِ من محبة النفع العام وجزيل اتضاعهِ وما كان مزدانًا بهِ من المعارف والعلوم لطال بنا الكلام . وعلى هذا نقتصر من القول انهُ كان في مكان رفيع من الوداعة والاتضاع وحب العدل والسلام وكان يؤانس صغار التلامذة ويحرّضهم على مواظبة العلم ومخافة الله ويأتيهم بالحلوى والمآكل بنفسهِ ويأكل معهم وانا الحقير سمعان عوّاد قد شرّفني بمؤاكلته جملة مرّات وكان يحبني اكراماً لعمّي المطران يعقوب . وقد دخلت عليهِ مرةً وكان مشتغلًا بالتأليف والتصنيف فلاطفني وقال لي متى تأخذ في مثل هذا فليبلغكهُ الله فانا اذكر هذا وافتخر باني من الذين قد عرفوه وتكلموا معهُ

امَّا شظف المعيشة فقد بلغ منهُ مبلغاً سامياً لانهُ لم يأكل اللحم حياته كلها الَّا عند اعتلاله فقط وذلك بالزام معرّفهِ ولم يكن يتأنق في ملبسه مطلقاً وانما كان يحبّ النظافة . واهدى اليهِ احد وجهاء حلب مرّة قطعة من النسيج فاهداها الى احد مطارنتهِ واخذ منهُ ثوبًا ازرق عتيقًا فلبسهُ

اما الكرامات التي كانت تجري على يديه فكثيرة منها انه لما كان بمجدل المعوش جاء لزيارتهِ والتماس بركتهِ بعض القوم وقدموا لهُ هدية وكان احد رفقائهم يريد الحضور معهم للفوز ببركته . فلما جاؤوا الى زيارته كان غائباً فاغتاظ من ذلك جدًّا غير انهُ اخذ كيلًا من القمح وجاء بمفرده وكان هذا الرجل فقيرًا فقبلهُ البطريرك بكل حنوّ واشفاق

فلما عاد الرجل الى بيتهِ رأى وعاء قمحهِ مملوءًا قمحًا فاخذهُ العجب من هذا فذهب واخبر مولاه وكان رجلًا درزيًّا فاخبر هذا امير الدروز فقال لهُ الامير لا تتعجب فان البطريرك اسطفان قد صنع آياتٍ كثيرة تفوق هـذه الآية . ومرَّة ذهب الى قرية ايطو في اطراف الجبـة ليصلح بين حكَّام البلاد فلما ابوا ذلك طعنهم بنبـال الحرم وكان ذلك تحت شجرة تين فيبست التينة للحال وتناثرت اوراقها . وقد انحبس المطر في احدى السنين في قرية بكفيا وقد قاربت الزروع والاشجار التلف فتقدم اليهِ الجمهور وطلبوا ان يقيم الذبيحة الالهية ويزيّح القربان المقـدس خارج الكنيسة لكي يرحمهم الله ويأتيهم بالمطر فعند تمام الزياح تغيَّر الجوّ وعصفت الرياح وانحدر المطر بغزارة زائدة وكان حاضرًا في ذلك الوقت رجل غير مسيحي وكان يقـول اذا امطرت السماء اصير نصرانيًا فعنـدما رأى المطر توارى عن القوم خوفًا ان يلزموه بالنصرانية وبعد ذلك بقليل قتله احد الدروز

وقد كان مرَّة في هذه القرية نفسهـا وكان احد الاولاد مريضًا وقد اشرف على التلف فمضى والدهُ الى الكنيسة حيث كان البطريرك يقيم الذبيحة الالهية فأَخذ قليلًا من التراب من تحت قدميهِ وذهب فذوَّبهُ بالماء وسقى ابنهُ منهُ فلما شرب الماء عوفي حالاً وقام يلعب كجاري عادتهِ مع الاولاد . واخبرنا كثيرون انهُ لما كان في قرية ساحل علما بكسروان في زيارة الرعية انحدر بردٌ شديد اضرَّ بالاشجار وكان اذ ذاك نائمًا فدخل عليهِ احد الكهنة وايقظه من نومهِ وقال لهُ يا سيدنا لقـد عطلت ارزاقنا وتلفت غلالنا فاشفع بنا بصلواتك . فنهض وقال لا تخافوا ثم كشف عن رأسه ووقف بالبـاب واخذ يصلي لله ويطلب منهُ ان يلطف بعباده ويرفع غضبه فوقف انحـدار المطر حالاً

وهذه الآية قد اخبرني عنها الخوري الياس شمعون وقد تحققها وشاهدها بنفسه ثم ان الشماس يوحنا وهبة قد ذكر في كتابٍ لهُ عن ماجريات سنة ١٦٩٥ الى سنة ١٧٠٤ خبر آيتين أُخريين قال : الاولى ان النار اشتعلت ذات يوم في وادي قنوبين

المعروف بالوادي المقدس فلعبت بغابات الاشجار واحرقتها واوقعت الصخور على الطريق فسدتها واستمرَّت على تلك الحال سبعة ايام. وفي تلك الآونة هبطت صخرة عظيمة من اكناف الجبل مقابل الدير في جهة بريتان وانحدرت بقوة عظيمة وكان البطريرك في حال هبوطها واقفاً على سطح الدير ومعهُ ناس كثير في جملتهم انا الفقير يوحنا وهبة فصرخ الجميع متأسفين على جزيرة التوت التي لو سقطت الصخرة عليها لاتلفتها بكاملها فرفع البطريرك يده ورسم اشارة الصليب المقدس وقال لها: قفي في مكانكِ ايتها الصخرة بكلمة الرب ولا تتلفي شيئاً فوقفت حالاً وهي الى الآن على قارعة الطريق المبلغ الى بريتان

الثانية انهُ لما كان البار اسطفان يتفقد الرعية في قرية الباروك بناحية الشوف توسل اليهِ جماعة من الدروز ان يمرّ على مصبغة لهم ويباركها واخبروهُ انهم قد تعبوا ونصبوا كثيرًا في امرها وخسروا مبلغًا ولم يحصلوا فائدة فاستجاب طلبهم ودخل الى المصبغة وباركها فاصطلحت الوانها في الحال وهاتان الآيتان يشهد الله انهما صحيحتان لان الاولى شاهدتها ولمست الصخرة بيدي . والثانية اخبرني عنها اخي الشماس المذكور وحكاها لي ايضاً الخوري الياس الغزيري الذي ذهب بنا الى رومية



القسم الثاني

في انتقال هذا الطوباوي

اعلم اولاً انهُ لما رجع المشايخ الحمادية المتاولة الى ولاية جبة بشرّاي جاؤوا الى دير قنوبين بمعية كبيرهم الشيخ عيسى وقابلوا البطريرك وطلبوا منهُ مبلغاً من المال فلم يجبهم الى طلبهم فغضب عيسى المذكور ولطمهُ على وجهه فرمى عمامته من على رأسه والقاهُ على الارض واوسعهُ شتمًا وضربًا واهانهُ. فاحتمل غبطته ذلك بكل صبر ولم

يتفوَّه بكلمة تهين الشيخ المذكور بل كتب الى الشيخ حصن الخازن واخبرهُ بما جرى لهُ فلما انتهى الكتاب الى الشيخ حصن المرقوم غضب جدًّا وجهز حالاً عسكرًا من كسروان وبعث اخاهُ الشيخ ضرغام (هو البطرك يوسف ضرغام) ورافقهُ اثنان من اولاد عمه وهما الشيخ موسى طربيه والشيخ نادر بن خاطر وتوجهوا بالعسكر الى دير قنوبين وفي نيتهم ان يأتوا بالبطريرك الى كسروان واذ علم عيسى بذلك جاء اليهم ووقع على الارض قدام غبطته بحضرة الجميع وطلب منهُ السماح قائلًا: اولستم تقولون في صلاتكم اغفر لنا كما نحن نغفر لمن اخطأ الينا وانا قد اخطأتُ اليك فاغفر لي. فقال لهُ البطريرك: انا اسامحك عن اهانتك لي متشبهًا بالبطاركة اسلافي. فطلب اليهِ عيسى ان يعدل عن التوجه الى كسروان لئلَّا يجرّ الخراب على البلاد فلم يقبل وحينئذٍ همَّ المشايخ الخوازنة ان يبطشوا بالشيخ فنهاهم غبطته عن ذلك. ولما كان اليوم ٢٤ من كانون الثاني سنة ١٧٠٤ تجهزوا للسفر لكنهم خافوا من المطر اذ رأوا البروق والرعود والرياح المبشرة بقرب انحدار الغيث فعدلوا عمّا نووا وقالوا نمكث في الدير الى ان يستقيم الجوّ. فقال لهم البار: قوموا نتوجَّه وحيٌّ هو اسم الرب الذي انا خادمهُ انهُ لا ينحدر مطر حتى نصل الى كسروان فلا تخافوا قوّوا امانتكم بالله. وهكذا صار لانهم في الحال خرجوا من الدير واستمرُّوا على السفر ثلاثة ايام حتى وصلوا الى قرية غزير في كسروان مع ان الرياح كانت ثائرة والجوّ عابسًا والغيوم متلبدة وكل شيء ينذر بالمطر. ولما دنوا بهِ من غزير خرج المشايخ بنو حبيش لاستقباله واخذوا يتنازعون وكل منهم يريد ان ينزلهُ في داره. فقال لهم المغبوط: اسرعوا بنا قبل ان يدركنا المطر فما بلغوا البيوت حتى وقع المطر بغزارة عظيمة ثم الثلج حتى بلغ النجر وقد عاين هذه الآية جميع من كان معهُ وشاعت اخبارها في كل مكان وحتى الى الآن لم يزل الناس يذكرونها

ولما كان هذا الجزيل قدسه خارجًا من دير قنوبين كرسيهِ وبلغ مغارة القديسة مارينة حيث مدفن البطاركة جثا هناك على ركبتيهِ باكيًا مصليًا وطالبًا الى الله قائلًا

اللهمَّ ربي والهي اسألك انا عبدك الخاطئ. الَّا تميتني خارجاً عن كرسيَّ لأُدفن هنا بين البطاركة اسلافي. وعند استقراره في كسروان تلقاهُ المطارنة والمشايخ والشعب باجلّ قبول وجعل موطنه دير مار شليطا مقبس في الموضع الذي هو ابتناهُ لاجل احتياج البطاركة وهناك وردت اليهِ هدايا وخدم من كل مكان وجاءت اليه رعيته تزوره وتأخذ بركته ومكث في كسروان نحو اربعة اشهر. اخيرًا وردت اليهِ المكاتيب من والي طرابلس من ضمنها الامان وان يرجع الى كرسيه على يد الخواجا طربيه الماروني ترجمان سلطان فرنسة. فبهمة المشايخ الخوازنة رجع الى كرسيه في اليوم التاسع عشر من نيسان سنة ١٧٠٤ وكان دخوله الى قنوبين يوم السبت فرحاً مسرورًا جدًّا لان الله تعالى استجاب طلبته واعاده الى كرسيه ليُضاف الى اسلافه. وفي صباح الاحد اقام قداساً احتفاليًّا ومنح غفرانًا كاملًا لجميع الحاضرين. وفي غد الاثنين ودَّعهُ الجماعات الذين رافقوهُ من كسروان فشيَّعهم الى باب الدير ليودعهم ولما توجهوا اراد ان يرجع الى قلّايته فما قدر ان يمشي خطوةً فحمله شماسه الى فراشه ولما اضطجع على سريره اخذ يمجد الله شاكرًا احسانه قائلًا: اللهمَّ اني اشكرك لانك سمعت طلبتي واستجبت لي ورددتني الى كرسيَّ لأُدفن ما بين اسلافي. والتفتَ الى المطارين والعوام الذين حوله قائلًا لهم: ها هوذا قد بلغ زمان انتقالي فاترك الكرسي لغيري كما ان غيري تركهُ لي فان مدتي قد طالت والله اطال روحهُ عليَّ. فمن هذا وغيره يتضح انهُ كان عارفاً بوقت انتقاله من هذا العالم. فنام في فراشه واخذت الحمى تؤلمه وهو يشكر الله. ولما تعاظمت واشتدت وطأتها عليهِ احضروا لهُ طبيباً فرنسيًّا من طرابلس فعالجه فلم ينجع علاجه وكان دائماً يقول للمطارنة لا تتعبوا في علاجي لان مرضي هذا هو مرض الموت. واخذ يبارك رعيته ويحل المحرومين والمربوطين وكان يظهر الفرح والسرور ويرتل بعض المزامير وغيرها من الصلوات وميامر القديسين واكثر ترتيله كان: سبحوا الرب من السموات سبحوه في الاعالي الخ. وقبل انتقاله السعيد من الشقاء الى البقاء اعني يوم الجمعة في الساعة التاسعة نزل جميع

المطارنة والاساقفة الى الكنيسة وجاؤُوهُ بالقربان المقدس باحتفال وهم يبكون على فقده فتناول القربان بعواطف المحبة الحارَّة قائلًا مع الرسول: اشتهي يا سيدي من كل قلبي ان انحلّ من رباطات هذا الجسد واكون معك الى الابد. مظهراً علامات الفرح والسرور

ثم دخل المطارنة وسائر الاكليروس للكنيسة واخذوا يصلون لاجله وعند نصف ليل السبت عطش وقال انا عطشان فشرب. ثم قبل سرّ المسحة المقدسة وبارك كل بني رعيته الحاضرين والغائبين ثم ضمَّ يديه الى صدره على شكل صليب. وبعد هنيهة اطبق عينيهِ وارتبط لسانه وبعد ساعة ونصف اسلم روحه بيد الله وانتقل الى راحة الصالحين ليقبل جزاء الرعاة المحقين ويرتب بجوقة باسيليوس واثاناسيوس وغريغوريوس من حيث مضاهاته اياهم علماً وعملًا. وكان ذلك في ثالث ساعة من نهار السبت في اليوم الثالث من ايار سنة ١٧٠٤ وقد جلس على الكرسي البطريركي اربعًا وثلاثين سنة الَّا سبعة عشر يوماً لانهُ ارتقى كرسي البطريركية في ٢٠ ايار ١٦٧٠ وقد توفَّاهُ الله في التاسعة والسبعين من عمرهِ صحيح السمع والبصر فأُجلس على كرسيٍ أُعدّ لهُ ضمن الكنيسة وأُلبس الحلّة الحبريَّة وعلى رأسهِ تاج المجد وفي يساره عصا الرئاسة وبيمينهِ الصليب الكريم وقد وشّح جسده بدرع كمال الرئاسة وكانت انوار المهابة تتدفق من مطلعهِ. وكان رحمهُ الله واسع الوجه معتدل القامة طويل اللحية اقنى الانف مفروق الحاجبين بهي العينين. وقد احتفل بدفنهِ خلق كبير من اعيان الطائفة ورثتهُ الشعراء والفضلاء وبكتهُ الاساقفة والعلماء في مقدمتهم الشاعر الشهير ذو العلم والفضل الكبير المطران جرمانوس فرحات وعلمت الطائفة انها قد رزئت في فقدهِ رزءًا كبيرًا فبكت مقيم عزّها ورافع اعلام مجدها. وقد صُلّي عليهِ وحمل بزياح عظيم الى مقبرة البطاركة في مغارة القديسة مارينة حيث رغب ان يدفن وأُودع التراب بالاكرام والاحترام اللائق

وقد خلفهُ على الكرسي الانطاكي البطريرك جبرائيل البلوزاوي فكتب الى

رومية مبيناً عظم الخطب الذي ألمَّ بالطائفة بوفاة هذا الحبر الجليل ومفيضاً في الكلام على سموّ فضائله وقداسة سيرته والآيات التي اجراها الله على يده وهكذا كتب عنهُ البطريرك يعقوب عوّاد والشماس يوسف بن جرجس الحلبي . اما الآيات التي خصه الله بها بعد وفاته فدونك بعض ما رواه عنها صاحب هذه الترجمة قال : انا سمعان عوّاد بينما كنت راجعاً من رومية الى الشرق ورفيقي الشماس يوحنا وهبة عصفت علينا رياح البحر وتعالت امواجه فجزعنا ويئسنا من الخلاص ثم اقبل بنا المركب الى احد المرافئ ثم اختلفت الريح وردَّتهُ الى الوراء وقد قاربنا الغرق فحينئذٍ طلبت الى الله النجاة بشفاعة قديسهِ اسطفان فمدَّ لنا يد المعونة ونشلنا من الغرق المريب الى الفرج القريب فبلغنا الميناء بالسلام وقد نذرتُ من باب المقابلة لذلك تتميم سيرتهِ اذ كنت ابتدأتُ بها ابان كنت برومية . ومنها ايضاً ان ابرهيم جلوان الصمراني مرض مرضاً شديداً وقد اشرف على التلف فجاءهُ معلم اعترافه بذخائر القديس لويس والقديس اغناطيوس فلم ينل فرجاً فحينئذٍ اخذت انا سمعان عوّاد كتاباً من كتب القديس اسطفان ووضعتهُ على رأسهِ مبتهلاً لله وقائلاً هذه الكلمات : اللهمَّ الذي زيَّنت حبرك ماري اسطفان بالفضائل والاستحقاق اسألك انهُ كما كان لنا ابا على الارض فليكن لنا شفيعاً لديك ونسألك بواسطته ان تشفي عبدك هذا . ثم فتحت الكتاب وامرتهُ ان يقبّل خاتم البطرك وخط يده وجعلت الكتاب فوق راسهِ ثم ذهبتُ الى العشاء وبعد هنيهة عدتُ اليهِ فاذا بهِ جالس معافىً بتمام الصحة بعد ان كان لا يستطيع ان ينهض رأسهُ من شدَّة الحمَّى فعجبت ومن في المدرسة من التلامذة الذين شاهدوا هذه الآية فمجدناهُ تعالى في قديسيه . ومنها ايضاً ان واحداً اصابتهُ حمَّى قويَّة وكان يسمَّى بطرس كيش فتوسل الى ماري اسطفان ونام على ضريحه طالباً منهُ الشفاء فظهر لهُ في نومهِ وقال لهُ قم وامضِ فقد شفيت فاستيقظ بطرس المذكور وقد زالت عنهُ الحمَّى بالكليَّة وقد قصَّ هذه الاعجوبة على راهبين فرنسيسيَّين وكثير من القوم . وقد حدث مثل هذه الآية

مع بركات بن رزق ومع الياس بن محاسب القسطاوي ايضاً واكثر هذه الآيات قد حُرّرت باللاتينية بمدرستنا الرومانية اذ قد ارسلها ميخائيل القرطبي تلميذ رومية في العشرين من آب سنة ١٧٠٥ واثبت انهُ رواها عن الذين حدثت معهم

ومنها ايضاً ان البطريرك اسطفان كان عائداً من طرابلس الى كسروان مارًّا بوطا البربارة في بلاد جبيل واذ كان بعض الفلّاحين هناك دعاه للاستراحة بظلّ شجرة رأى ارضاً واسعة غير مزروعة فسأل عن علّة ذلك فقيل لهُ ان في هذه الارض دودة تأكل الزرع ولهذا قد تُركت. فطلب منهم جرّة ماء وصلّى على الماء وامرهم ان يرشّوهُ عليها ويزرعوها لانهُ حينئذٍ كان وقت الزرع ففعلوا ولم تؤذها الدودة وصاروا يزرعونها في كل عام. غير انهُ عادت اليها الدودة بعد وفاتهِ ومن ثم تُركت ولم تزرع. ولما كان الشيخ يوسف العاقوري الماروني يجمع المال الاميري من طرف الشيخ اسمعيل حمادي المتوالي من تلك القرى قصوا عليهِ هذه الحادثة فقال لهم: اذهبوا الى دير قنوبين وخذوا من تراب ضريحهِ والقوه في ارضكم واطلبوا شفاعته لدى الله فتبيد الآفة وهكذا جرى واعطت تلك الارض غلالها حتى الى يومنا هذا وشهد بهذه الآية كثيرون. فيا لعظم اجابة الله سؤل عباده بشفاعة قديسيه وابراره المشفعين (١)

(١) لخصت هذه الترجمة عن ترجمة من تأليف البطريرك سمعان عوّاد وقد ارسل اليَّ نسخةً منها الخوري منصور طنوس الخوري في دلبتا منقولةً عن النسخة الاصلية بخط المؤلف





البطريرك اسطفان الدويهي

مقدمة

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد

الحمد لله الذي ابرز العوالم من حكم العدم الى حيّز الوجود بقدرتهِ . وتفضّل على النوع البشري بالوطن الطيب والعيشة الراضية بحكمتهِ . ونسل من آدم الشخص الواحد كافة القبائل كينبوع دافق بعظيم سلطتهِ . وانشأهم أمماً وشعوباً متميّزين بالصفات واللغات كاغصان متفرّعة عن اصلٍ واحدٍ في جرثومتهِ . ثم اختصّ منهم بقبيلٍ جملةً مركزًا لحلّ إنعامهِ وظهور كلمتهِ . وأمر موسى كليمهُ ان يكتب قصص الفضلاء من اوليائهِ وائمتهِ . واوعز الى الكهنة والانبياء ان يُودعوا الاسفار المقدسة اخبار آل ابراهيم وذريتهِ . لتكون سير السلف عبرةً للخلف وزلفى الى الله ومعرفتهِ

وبعد فاني لما رأيت بعض المؤرخين يذهبون في اصل الامة المارونية مذاهب متناقضة ويزعمون ازعاماً متخالفة حملتني الغيرة على ان انشىء هذا المختصر فابين فيهِ حقيقة اصل هذه الامة بالنقول التاريخية الثابتة والبينات الصريحة الدامغة ولا ابتغي بذلك كسب الثناء لها واظهار محامدها وبيان شرف من تقدم من روسائها بل جلّ القصد ان ابرّئ ساحتها مما رُميت بهِ ضنًّا بالحق ان يغشاه الباطل . قال ارباب الشريعة ان من حضر وابصر ولو فردًا كانت شهادتهُ اجدر بالقبول من عشرة شهدوا على السمع والحال ان معظم الاجانب الذين كتبوا عن امّتنا المارونية انما عوّلوا على المسموعات وعلى كتابات بعض اضدادنا ولم يتثبتوا في الاخبار ليميزوا صحيحها من فاسدها فاتى كلامهم خارجاً عن جادة الصدق مشحونًا بالاغاليط والمضادات فكيف اذًا تكون شهادتهم مقبولة علينا وهم لم يخالطوا احدًا من علمائنا ولا شافهوا روساءنا ولا عرفوا لغتنا ليتمكنوا من الوقوف على كتبنا فيستخرجوا منها تواريخنا

وقد وفّى هذا الامر حقّ البيان ذاك العالم الفاضل الخوري مرهج بن نمرون في اول كتابهِ الذي الّفهُ لايضاح اصل الموارنة وثباتهم في طاعة الكنيسة الرومانية منذ بدء ايمان المسيح. اما مزاعم المؤرخين المذكورين فيما يتعلق بالموارنة فاننا نوردها لك الآن واحدًا بعد واحدٍ ونبقي الرد عليها الى الجزء الثاني

اولًا: من جهة رجوعهم الى الكنيسة قال بعض ان الموارنة ما رجعوا الى طاعة الكنيسة الا في سنة الف ومائة واثنتين وثمانين وذلك على يد اوماريكو الافرنجي بطريرك انطاكية. وقال آخرون بل في سنة الف ومائتين وخمس عشرة وذلك في مجمع لاتران الرابع الذي عقدهُ البابا زخيا الثالث. وقال آخرون ان ذلك جرى في سنة الف واربعمائة وتسع وثلاثين في المجمع الفلورنسي الذي امر بهِ البابا اوجان الرابع او سنة الف واربعمائة واثنتين واربعين التي نقل فيها البابا المذكور هذا المجمع من فلورنسا الى لاتران في رومية. او في سنة الف واربعمائة وخمس واربعين التي بقي فيها هذا المجمع متواصلًا في لاتران. وقال آخرون بل في سنة الف واربعمائة واربع وستين (١) على يد فرا غريفون البلجي. وقالت طائفة ان ذلك حدث في سنة الف واربعمائة وخمس وتسعين (٢) على يد جبرائيل بن القلاعي اللحفدي. وقال جماعة بل في سنة الف وخمسمائة وثمانين وذلك على يد جران باطشتا اليسوعي. وادّعى آخرون ان ذلك حدث في سنة الف وستمائة وثلاث وثلاثين على يد جيورجيوس ابن عُميرة بطريرك انطاكية. وقال آخرون بل في مجمع لاتران الخامس على عهد البابا لاون العاشر الذي تولّى زمام الخلافة سنة ١٥١٤ ومات سنة ١٥٢١

ثانيًا: من جهة اصل نسبهم. قال البعض انهم فرع من اليعقوبية. وقال آخرون بل انهم فرع من المُنتليطية

---

(١) وفي نسخة: وخمسين

(٢) ويروى ايضًا: واربع وتسعين

ثالثاً : من جهة موطنهم قال البعض انهم من بلاد ليبية . وقال آخرون بل هم من بلاد الهند

رابعاً : من جهة تسميتهم بهذا الاسم . قال البعض انهم ينتسبون الى مارون الراهب الذي ابدع في المسيح مشيةً واحدة . وقال آخرون بل ينتسبون الى مدينة مارون وهي مدينة مصاقبة انطاكية

خامساً : من جهة ايمانهم . قال البعض انهم يؤلّمون اللاهوت الذي هو عنصر الحياة . وقال آخرون بل انهم اناس كفرة والزموهم بتجديد العماد

سادساً : من جهة تسليمهم . قال البعض انهم يجحدون المجمع الرابع والخامس والسادس . وقال اخرون بل انهم ينكرون انبثاق الروح القدس من الابن

سابعاً : من جهة اقرارهم . قال البعض انهم لم يصدقوا بوجود جحيم ونعيم قبل يوم الدينونة العامة وناهيك ان توما الكرملي قد اتّهم الموارنة بنيف وستين بدعة . غير ان هذه المزاعم باسرها ليس تحتها طائل لكونها عارية من شهادة ثابتة ونقل موثوق به . قال ميتصطن الكاهن الفارسي في اول اخباره عن الفرس « سبيل من يأثر الاخبار وتواريخ الحوادث في الزمان ألا يقنع باخذها عن السماع وحده او عن الظن والتخمين لئلاً يكون بهذه الصفة ضالًا مضلاً كبعض مؤرخي اليونان التائهين في كل سبيل » . وكذلك لسيوس يقول في تاريخهِ عن اصل ايطاليا : « اذا أُريد الكلام عن اصل الشعوب واقدميّتهم فانما يُعتمد في ذلك على نصوص اهل الأمّة ومجاوريها وموافقيها اكثر من شهادة البعيدين عنها ولو كانوا ذوي حكمة وفراسة » وعليهِ فاذا كان مؤرخ القبيلة من جنسها وبنيها كان اولى بالتصديق من غيره لكونه مارس الاشياء بنفسهِ واطّلع على صحتها اطلاعاً بيناً كقول المثل السائر : وصاحب البيت ادرى بالذي فيهِ . وهكذا ذكر بارونيوس المؤرخ في كتاب سنكسار الشهداء في اليوم السادس والعشرين من نيسان في ما يخصّ الكنيسة الرومانية قائلًا : « ان الذين تربّوا فيها وخالطوها يصدق كلامهم واخبارهم اكثر من كلام الغريبين عنها » . وكذلك البابا بسقاليس الثاني

عند حدوث الخصومة على اوقاف كنيسة القديس اسطفانوس الموجودة برومية فانهُ سلَّم بشهادة خدَمة الكنيسة نفسها وحكم بان ما يشهدون بهِ هو المقبول وايَّد ذلك بقولهِ : « ان الصدق لا يُقبل الَّا ممن مارس الامور بنفسه ورآها بعينه لكون شهادته موُكدة بالسمع والبصر»

فالمحَّص من هذا كلهِ ان المؤرّخ اذا كان من المتقدمين في الأمَّة التي يكتّب عنها يؤخذ بكلامهِ ويُفضل على غيرهِ وذلك لان الاخبار القديمة العهد لا يُطّلع على حقيقتها الّا بكلفة وتدقيق ولا يتيسر الوقوف عليها الّا لمن كان راقيًا في ذروة العلم والنباهة ليخرج من كنزهِ عتقًا وجددًا . ألا ترى ان اخبار الامم السالفة ما سطرها ولا دوّنها الّا اناس كانوا متقدمين فيهم مشهودًا بثقتهم . والشاهد على ذلك الكتاب المقدس فان الله تعالى امر عبده موسى الذي اقامهُ قاضيًا على الشعب العبراني وواضع الناموس ان يكتب كلّما اوحاه اليهِ وجرى لشعبه ثم اقتفى هذا الاثر بعد موت موسى يشوع ابن نون ثم صموئيل ثم الانبياء وهم ناثان وجاد وارميا وعزرا الكاهن فاخبروا عن امور ملوك يهوذا وملوك اسرائيل وعن سبيهم ورجوعهم وعن بناء المدينة وتجديد الهيكل الذي تقدّم تجسُّد السيد المخلص بخمس مائة واحدى واربعين سنة . ولم يسمَّ موسى باول الانبياء وعزرا بآخرهم الّا لان ذاك اول من كتب وهذا آخر من اخبر . ومثل ذلك العهد الجديد ولو كان تدوينهُ وحيًا من الله الّا ان الذين كتبوه شاهدوا كلمة الله عيانًا وسمعوهُ بآذانهم وجسُّوهُ بايديهم كقول يوحنا البشير : « اننا نبشركم بذلك الذي كان منذ الابتداء ذاك الذي سمعناهُ ورأيناهُ باعيننا ولمسناهُ بايدينا ذاك الذي هو كلمة الحياة والحياة استعلنت فرأيناها ونحن شاهدون ومنادون لكم بالحياة الدائمة »

واما الذين ما تيسَّر لهم ان يقفوا على هذه الامور عيانًا فوقفوا عليها سماعًا وارَّخوها كما تسلموها من الذين كانوا مشاهدين لها وخادميها كقول البشير لوقا في بدء بشارتهِ وهو : اذ كان كثيرون قد اخذوا في ترتيب قَصَص الامور التي نحن

عارفون بها حسب ما سلّم الينا اولئك الذين كانوا من الاول مشاهدين الكلمة وخدَّامها . رأَيت انا بعد ان ادركت جميع الاشياء بتدقيق ان اكتب لك كل شيء حسب نظامهِ يا ايها السعيد تاوفيلا لتعلم حقيقة الكلمات التي وُعظت بها ». فقد ثبت اذًا ان الذين دوَّنوا الكتب المنزلة كانوا اناسًا متصدّرين في التقدم على الشعب بعضٌ في النبوَّة وبعضٌ بالكهنوت وبعضٌ بهما معًا . ومثلهم ايضًا اصحاب التواريخ واخبار الامم الغريبة فانهم كانوا الممدوحين المتقدمين في زمانهم على جمهور امَّتهم بعضهم بالعلم و بعضهم بالكهنوت كباريواش البغدادي الذي كان كاهنًا على الكلدانيين وهو الذي دوَّن اخبار امته من قبل الطوفان حتى انقرضت بظهور دولة اسكندر بن فيلبس المكدوني . ولما كانت اخباره صحيحة نصب لهُ اهل اثيناس تمثالًا محكمًا وصاغوا لهُ لسانًا من ذهب ابريز دليلًا على صدقهِ . ومثلهُ قاطون الذي ساس قومه بكل حزم وحكمة وردّ مقالات الذين تجنَّوا على بلاد ايطاليا واصلها مَن اليونانيين فمدحتهُ جماعته ولقبوه بقاضي الدين على الارض . ومثل هذا من اصحاب التواريخ كثير

واما الأمَّة المارونيَّة فقد تصدَّى كثير من العلماء ليبحثوا عن اصلها ونسبتها ويثبتوا ديمومة اعتصامها بالكنيسة الرومانية منهم جبرائيل الادنيتي فانهُ تكلم عنها في فاتحة كتاب القدَّاس السرياني . ومنهم جبرائيل الصهيوني في حواشيه على نزهة المشتاق . ومنهم ابراهيم الحاقلاني في بعض مصنفاتهِ وغير هولاء الذين رقوا رتبة العلم والحكمة وفازوا بالرأي السديد وكانوا اولاد الطائفة واصحاب جاه وتقدّم من حيث انهم استُعملوا على الترجمة عند اصحاب الكرسي الروماني وملوك فرنسا . ولكن الغربة عن بلادهم منعتهم من استكمال الكلام على ما شرعوا في بيانهِ . فلما كان الامر هكذا لجَّ علينا كثير من الاصدقاء لنأْتيهم بتاريخ يتكفل ببيان اصل الأمَّة المارونية . ويوضح كيفية اتحادها بالكنيسة الجامعة الرومانيــة . فلذلك طفنا ما امكننا من الكنائس والاديار . واستنطقنا كل كتاب وقفنا عليهِ بصدد ما نحن فيهِ وجمعنا ما تيسر

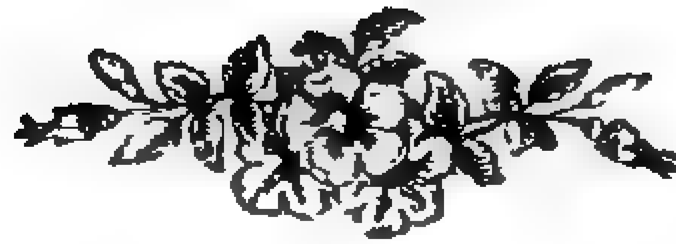
من رسائل الباباوات المنفـذة الى البطاركة · واستفحصنا رتب البيعة باسرها وتكلمنا عن تواريخ بلاد الشام منذ مبدإ الهجرة الاسلاميـة الى زماننا هذا اخذًا عمّا رأيناه في كتب النصارى والمسلمين · وقسمنا كتابنا المذكور الى ثلاثة اجزاء تقرّب مطالبهُ · لكلّ جزء منها موضوع يناسبهُ

الجزء الاوَّل · يتضمَّن ايضاح اصل الأمّة المارونيَّة ويثبت ان تسميتهم بهذا الاسم منسوبة اليهم من البار مارون القورشي صاحب الدير المشهور مكانهُ على النهر العاصي · ويبرهن ان رهبانهُ الذين استمرُّوا على انذارهم وتعليم المهذب ما زالوا في كل آنٍ وبلا انقطاع متحدين بالكنيسة الرومانيَّة · وبيانهُ من ثلاثة ابواب · اولاً من شهادة الكتب المسلَّمة من البيعة شرقًا وغربًا · ثانيًا من تسليمات الكنيسة المارونيَّـة · ثالثًا من شهادة الأمّة اليعقوبيَّـة التي هي اقرب ما يكون من حيث البلاد واللغة والرتبة البيعيَّة · وقد ذكرنا سابقًا ان الشهادة من مثل هؤلاء اوجب للتصديق من غيرهم

الجزء الثاني · يوضح صحة ثباتهم في الايمان المستقيم ويتضمَّن اجوبة تضادّ ما نقل عنهم اصحاب التواريخ نقلًا كذوبًا قرنًا فقرنًا · ويثبت انهم لم يزالوا ابدًا معتصمـين بالكنيسة الجامعـة · وبرهان ذلك من ثلاثة ابوابٍ · اولا ممَّا حرَّر اكابر العلماء في مصنفاتهم اعتناءً بايضاح مثل هذه الامور · ثانيًا من نصّ كتب علماء الأمّة نفسها · ثالثًا من مضمون سجلَّات باباوات رومية الكبرى ومكاتباتهم المرسلة في صدد اثبات البطاركة · فانهم لمَّا كانوا قابضين على زمام الرئاسة المطلقة على البيعة وكانوا دون غيرهم نوَّاب المسيح على الارض اقتضى ذلك ان يدبروا البيعة المسلمة اليهم حق التدبـير محترزين من الغلط والغش وعليهِ فبما انهم سلَّموا لهؤلاء البطاركة درع الكمال فقد شهدوا على حسن امانتهم وكانت شهادتهم اعظم الشهادات

الجزء الثالث · يتضمَّن تبرئة هذه الأمّة من كل بـدعةٍ والردّ على كل تهمة بمفردها مما قذفهم بهِ المرسلون الذين يدعون انهم اطلعوا على مضمون صحفهم · واثبات ذلك من ثلاثة ابواب ايضاً · اولًا من مضمون القوانين المسلّمة عند الشرقيين

مطلقاً. ثانياً من فحوى كتب البيعة المختصة بالأمّة المارونية. ثالثاً من نفس الكتب التي زعم هؤلاء المرسلون انهم اطّلعوا عليهـا ووقفوا على اغلاطها. فان شهادة اصحاب الكتب هي احقُّ بالتصديق من زعم الغرباء الذين لا يعرفون لغتهم كقولهِ تعالى: ان الانسان من فمهِ يُدان ومن فمهِ يُبرَّأ



الفصل الاوَّل

يتضمن آراء العلماء الذين اخبروا عن اصل الموارنة وتسميتهم بهذا الاسم

لما كان الاختلاف الكلي واقعاً على تأصيل الموارنة ونسبتهم وانتحالهم لهذا الاسم وجب علينا ان نقدّم اولاً آراء العلماء الذين اختلفوا في حقيقة هذا الموضوع كما هو شأن الطبيب الماهر الذي يستقصي الداء ليصف الدواء والقاضي العادل الذي ينتبه اولًا الى كلام الخصمين ثم يجري في حكمه على ما يرى انه اوفق للعدل . فالرأي الاوَّل في اصل النسبة المارونيَّة ما ذهب اليهِ السريان اتباع يعقوب البرادعي . فانهم يقولون ان الموارنة يُعزَوْن الى مارون الراهب الذي كان موافقاً رأي الكنيسة الرومانيَّة . وذلك انهُ لما وقعت عصا الشقاق ما بين الامم الشرقية وحدث الاختلاف في مذاهبهم اجتمعت الافرنج المقيمة في مدينة انطاكية وعقدوا الرأي ان يولوا على من بقي من تبعة الكنيسة الرومانية رجلًا بارًّا عالماً . وبعد البحث وقع اختيارهم على مارون الراهب . فاحضروهُ وقتئذٍ امام الكردينال الذي هو رسول بابا رومية فاقامهُ مطرانًا على البترون وجبل لبنان وسواحل البحر ليقوم على حفظ اهلها ويضبط سكان السواحل في طاعة الحبر الروماني ويصونهم من تعاليم الملة اليعقوبية والروم المقيمين في تلك البلاد . ولما ان ارتقى مارون الراهب الى درجة الرئاسة ثبَّت ذوي رأي الكنيسة الرومانيَّة وشدَّد أزرهم ليس في امور الديانة فقط بل وفي العوارض الدنيويَّة . لانهُ زادهم قوَّةً ونشاطاً واقام ابن اختهِ رجلًا يسمى ابرهيم اميرًا على تلك البلاد فقوَّى امرها وجعلها كفوءًا لصدمات كل من تعدَّى عليها . وفي اثناء ذلك جيَّشت الروم عليهِ جيشاً هائلًا من عساكر يوستنيان ملكهم . فلاقاهم هذا الامير المذكور بقومه وانصبَّ عليهم في سهل قرية اميون وقاتلهم قتالًا شديدًا حتى ظفر بهم بشدَّة بأسهِ وشجاعتهِ ومزَّق كتائبهم واذهبهم تحت كل كوكب . فارتدَّ اليهِ غالب بلاد الشام وانقادوا لطاعة الكنيسة الرومانية . وهذا

نصّ اليعقوبيّـة بحروفه كما هو في كتاب معتقدهم : « لما غارت الملوك الذين للروم على السريان وقتـلوهم قام مارون وافق ملك الافرنج الذي في انطاكية وكان اسمهُ اوجان برنس . وقال لهُ : ياملك الزمان نحن خائفون على جبل لبنان لئـلاً تدوّرهُ طائفـة الملكيَّة الى امانتهم لان يوستنيان قيصر يبغض السريان التابعـين ليعقوب ولامانتهِ . فقم الى الكردينال الذي عندك الزمهُ ان يكرّسني مطران لان امسك بعض ناس على الامانة الفرنجيَة . واما امانة يعقوب فما اذكرها . فكرَّسهُ مطران على البترون . وانهُ وجد الملكية قد وصل تمليكهم الى قرية اسمهـا اميون فارتفع مُوريرين وابن اختهِ بَريهيم عن الملكية الى سمر جبيل واحماهم من الجزية التي فرضوها الملكية على من لا يتبع دينهم . ووافقوهُ كل السريان والذين في جبل لبنان وتابعوا مارون »

الرأي الثاني . في تأصيلهم ايضاً اخذاً عن تاريخ سعيد بن بطريق وهو الذي ارتقى الى الكرسي الاسكندريّ سنة تسعمائة واحدى وثلاثين مسيحية . وألف كتاباً يخبر فيهِ عن حوادث الازمنة ومآل ما ذكر في كتابهِ هو ان الموارنة ينتسبون بهذا الاسم الى مارون الراهب الذي كان في دولة موريق ملك الروم وانشأ بدعة محدثة بقوله ان في السيد المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة . وافسد بمقالتهِ هذه اناساً كثيرين . والذين قالوا بقولهِ وانقادوا لهذيانهِ سُمُّوا موارنة باسمهِ ولما مات دفنوهُ بارض حماة قريباً من العاصي وشادوا على اسمـهِ ديراً ولقبوهُ بدير مارون . واماً نصّ كلامه فهو بحروفه : « وكان في عصر موريق رجل راهب يقال لهُ مارون وكان يقول ان لسيدنا المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة وفعلاً واحداً . فافسد مقالة الناس واكثر من تبع مقالتهُ اهل حماة وقنسرين (١) والعواصم وجماعة من اهل الروم . فسمّي الناس التابعون لدينهِ والقائلون

---

(١) كانت قنسرين مدينة شهيرة في سورية فخرّبها الملك باسيليوس الثاني ثم جدّدها الامراء بنو بسيس التنوخية ثم خربها عن آخرها تاج الدولة في اواخر القرن الحادي عشر وهي الى ناحية الجنوب من حلب مائلاً الى الغرب على بعد مرحلة صغيرة وتدعى قلشيديس ايضاً . واما العواصم فهي في نواحيها

بمقالتهِ مارونيين اي منسوبين الى مارون . فلما مات مارون بنى اهل مدينة حماة ديرًا بحماة وسمّوهُ دير مارون »

فنتيجة زعمهِ ان جميع من تمسك بالمشيئة الواحدة يسمَّى مارونيًّا حتى والمنتصرين لهذه البدعة مثل قورش بطريرك الاسكندرية وتاودورس اسقف فاران ومقاريوس بطريرك انطاكية واونوريوس بابا رومية وسرجيوس والمتخلفين بعدهُ على كرسي القسطنطينية وكذلك هرقل ملك الروم . وتابعهُ على هذا الرأي غالب المؤرخين الذين بعدهُ . اولاً الملكية مثل بولص الراهب الانطاكي وسليمان بن حسن الغزّي الشاعر وصاحب خبر طيمتاوس الدقسيّ وغيرهم . ثانيًا تبعهُ بعض من الموارنة الغرباء (١) كعبد الله بن الطيّب الذي كان قسيسًا في العراق ومات سنة الف وثلاث واربعين ربّانية . وكذلك توما من بعد المذكور بخمسين سنة وكان مطرانًا على كفرطاب وعلى الرعية التي هي خارج العاصي . وغير هؤلاء فانهم قالوا اننا سُمّينا بهذا الاسم من دير مارون او ماران ومن البطريرك يوحنا وقد استندوا الى ما جاء في كتاب الهدى المحرَّر بيد مسعود الشبطيني سنة الف وثلاثمائة وخمس واربعين في ماغوصة قبرص وهذا نصّ كلامه بحرفيته : « ان المارونيَّة منسوبة الى دير مارون او ماران وتفسيرهُ في اللغة العربية دير ربنا لان صفة هذا الدير عجيبة . وموقعه في ارض حماة قريبًا من نهر العاصي وكان رهبانهُ ثمانمائة راهب ولاجل هذا سُمُّوا مارونيين او مارانيّين . ولعدم معرفة الاكثرين بمعنى هذا الاسم واصله قالوا : ان الرهبان الموارنة تعود نسبتهم الى الاب القديس الطاهر مار يوحنا بطريرك انطاكية » . ومن حيث ان ابن بطريق قال في كتابهِ : « ان مارون مبدع المشيئة الواحدة هو ربُّ هذا الدير » . تمسك الملكية

---

(١) وفي نسخة : ومن الموارنة تبعه اكثر المترجمين كابي الفضل عبد الله الخ . وفي نسخة ثالثة : تبعهُ بعض الغرباء وهي الرواية الصحيحة بلا شك اذ لم يتبعهُ احد من الموارنة على هذا الرأي لا سيما وان الكفرطابي وابن الطيب ليسا من الموارنة وسيرد في عرض الكتاب مزيد بيان لهذه المسئلة

بقولهِ وادعوا ان البطريرك يوحنا هو تابع لهذا الرأي وهذا وجه الافتراق ما بين الملكي والماروني (١) . واصحاب هذا الزعم الواهي بذلوا مجهودهم بالمراسلات والعظات المزوَّرة كي يستعطفوا بها قلوب اهل لبنان وينقلوهم عن التمسك بالمشيئتين كما تلوّح بهِ كتب ابي الفرج وتوما الكفرطابي وغيرهما فما استطاعوا الى ذلك سبيلًا (٢) . ثالثًا ديونيسيوس بن صليبا وجماعة من اليعقوبية المتأخرين ذهبوا ايضًا مذهب ابن بطريق لقراءتهم كتبهُ وكتب ابي الفرج وتوما المذكورين . رابعًا غوليلمو الافرنجي اسقف مدينة صور فانهُ اتّبع رأي المذكور لكونهِ اطّلع على تاريخهِ واقتدى بنصّهِ كما هو ظاهر كلامهِ في فاتحة كتابهِ « استنقاذ ارض الميعاد » فانهُ ثبّت هناك ان مارون الراهب رجلٌ ابدع مقالة المشيئة الواحدة . وان المجمع السادس ما التأم الّا طعنًا فيهِ وردًّا عليهِ وعلى من قال بقولهِ . وان الموارنة استمرّوا متمسكين بهذه البدعة نحوًا من خمسمائة سنة اعني الى حين الف ومائة واربعٍ وثمانين مسيحية ثم اهتدوا اخيرًا بضوء الكنيسة الجامعة على يد اوماريكو الافرنجي بطريرك انطاكية . ووافقهُ على زعمهِ بعض العلماء الغربيين الذين وقفوا على كتابهِ

الرأي الثالث . ما نقلهُ بارونيوس الكردينال المؤرخ فانهُ لما وقف على كتاب غوليلمو المذكور انكر عليهِ قولهُ ان الموارنة ينتسبون الى مارون الراهب المبدع . وذلك ان بارونيوس هذا كان رجلًا محققًا قد طالع كتب البيعة باسرها فما وجد لهذا القول فيها عينًا ولا أثرًا . ولما رأى بطلان الزعم المذكور تردّد في النسبة المارونية ما بين امرين متقاربين . فقال : هذه النسبة امّا انها تكون الى مارون المدينة التي هي متاخمة انطاكية . واما انها تكون راجعةً الى البار مارون الذي انتشرت قداستهُ في صقع

---

(١) وفي احدى النسخ : وانه لما جاء الى دير ماري مارون وجد بين الرهبان راهبًا اسمهُ مارون كان يعرف الخفايا وينطق بروح القدس فوسمهُ بطريركًا على جبل لبنان . ولا شك ان هذه العبارة زيادة من الناسخ او انها عبارة من نفس الكتاب سها عن وضعها في مكانها (٢) العبارة كما ترى قلقة في مكانها فكان الناسخ اغفل كلامًا قبلها واكتفى بذكرها

جبل قورش واشتهر رهبان ديرهِ بالعلوم وحسن الديانة في نواحي سوريّة الثانية على النهر العاصي . ووافقهُ على ذلك غالب علماء الافرنج المتأخرين وجماعة من اكابر علماء الموارنة كالصهيوني والخوري مرهج بن نمرون وغيرهما. ولما كان سنة الف وستمائة وثمانٍ امر البابا بولص الخامس بان تُحرَّر سيرة القديس مارون في بدء كتاب القداس السرياني الذي طُبع في رومية كما التمس منهُ تلاميذ المدرسة المارونية في رومية

الرأي الرابع . ما قالهُ جبرائيل بن القلاعي وهو ان الموارنة تلقبوا بهذا اللقب من البار مارون بطريرك انطاكية العُظمى كما هو ظاهرٌ من مضمون سيرتهِ حين دخل البطريرك بنفسهِ مدينة رومية الكبرى وتثبَّت من حبر الكرسي الروماني . ولما رجع الى انطاكية كرسيهِ استعاد كثيرين من تلاميذ مقاريوس الاراطيقي ومن الملة اليعقوبية الى الايمان المستقيم رأيهُ . وانذرَ وبشَّر بحقيقة الطبيعتين والمشيئتين . ثم دخل جبل لبنان وعزّز شأن البابا وقبلهُ آل تلك البلاد بفرح وسرور . وهذه القصة نقلها فرنسيسكوس كوارسميوس من اللغة العربية الى اللغة اللاتينية وطبعها في كتابهِ المشهور سنة الف وستمائة واربع وثلاثين في اخبار الارض المقدسة . وهذا هو الرأي المعوَّل عليهِ والموافق لتسليم الكنيسة المارونية والمقبول من البيعة الرومانية كما هو واضح من كتب صلوات الموارنة التي طُبعت في مدينة رومية بامر روساء البيعة المقدسة

الرأي الخامس . ما قالهُ ابو الفرج وهو ان الموارنة ما سمُّوا هكذا الّا دلالة على انهم ربانيُّون لكونهم متمسكين بايمان الرب تمسكاً حسناً . وسنبيّن ان شاء الله الرأي الاصوب من هذه الاراء باسرها

الفصل الثاني

في معنى لفظة مارون وفي الاماكن والناس الافاضل الذين اشتهروا بهذا الاسم

اعلم ان لفظة مارون منقولة من اللغة السريانية واصلها في السرياني ܡܳܪܐ ܘܡܰܪܐ بضم الميم وفتحها ومعناها مختلف · فان لفظتها بالضم كان معناها السيد والرب · وان لفظتها بالفتح كان معناها المرزبّة التي تكسر الحجارة والفأس لقطع الشجر والمرّ لقلب الارض وهاتان اللفظتان على ما توجبهُ قواعد اللغة السريانية انك اذا صغّرتهما صارتا ܡܪܘܢܐ (مُرونا) ضماً وفتحاً وان جزمتهما على موجب قواعدهم قلت ܡܳܪܘܢ ܘܡܰܪܘܢ (مورون ومارون) بالضم والفتح وتعيَّن حينئذٍ ان يكون علَماً شخصياً كما تقول ܫܡܫܘܢ من ܫܡܫܐ وهي الشمس · وܫܡܥܘܢ من ܫܡܥܐ وهي الطاعة · وܥܓܠܘܢ من ܥܓܠܐ وهي العجل وܚܨܪܘܢ من ܚܨܪܐ وهي الخنصر · وܚܒܪܘܢ من ܚܒܪܐ وهي الرفيق وغير ذلك · ولكن عند نقلها الى اللغة العربية حُوّلت الى صيغة مارون بزيادة الالف لكون النقل يخرج الاشياء عن اصولها · وكذلك جرى فيها عند نقلها الى اللغة الرومية فانهُ يقال فيها ܡܰܐܪܐ ܘܡܰܐܪܘܢܣ ܘܡܰܐܪܘܢܘܣ ومعناها في الجميع واحد وهو مثل ما مرَّ آنفاً

ثم انهُ لشرف هذا الاسم في المعنى وخفّتهِ في اللفظ سمّي بهِ كثير من القدماء وخاصةً في بلاد الشام · فانهُ قد تسمّى بهذا الاسم مدن وقرًى كثيرة منتخبة من جملتها ما نستدل عليهِ من كتاب يشوع بن نون عن بلاد افرام انهُ كان فيها مدينة جليلة تُدعى مارون وكانت عين البلاد وتخت الملك نفسه · ولكن لما اقام الاسرائيليون بمدينة شمرون نقلوا تخت ملكهم اليها · وكان الملك الذي يسوس تلك البلاد يسمونهُ

علك شمرون ومارون ܡܠܟܐ ܕܫܡܪܘܢ ܘܕܡܪܘܢ . هكذا مذكور في الفصل الثاني عشر من سفر يشوع هذا . وكذلك قريتان في بلاد الشقيف من نواحي صيدا سُمّيتا بهذا الاسم . فالواحدة منهما تسمّى مارون الراس لكونها مبنية على قمة جبل شاهق يسمّى جبل عاملة . والثانية تسمّى مارون الركين لكثرة مائها وغضاضة ارضها لكونها مبنية على حد النهر الليطاني . ومن آثار رسومهما المنهدمة يُستدل على انهما كانتا مدينتين حصينتين . ويُستدل على الثانية ايضاً مما هو ظاهر كلام يشوع بن نون في الفصل الحادي عشر من كتابهِ اذ يتبين منهُ انها مدينة جليلة . وكان المسلّط عليها في زمان يشوع يوباب الملك الذي كان ينقاد اليهِ الكنعانيون والاموريون والحثيون والفرزّيون واليابوسيون مع ملوكهم واجنادهم الذين في الجبال والسواحل . وكانوا يلتئمون على مياه مارون في خلق كثير ككثبان الرمال . ولما تعرّضوا لمحاربة يشوع ابن نون وخرجوا للقائهِ ظفر بهم يشوع وقتل ملوكهم وحطّ مضاربهم وخيامهم وحطم دوابهم ومزّق لفيفهم ولم يزل السيف يأخذهم يمنةً ويسرةً حتّى ولج مدينة مارون واستفتح مدينة صيداء الكبيرة . وايضاً مدينة اخرى اشتهرت باسم مارون في نواحي انطاكية منها القديس ملكوس وتحمّل كرسيها برئاسة ديماس ودوشيماس اللذين حضر احدهما مجمع افسس والآخر مجمع خلقيدونية وقد كان رئيساً عليها قبلهما تيوتاوس صديق القديس يوحنا فم الذهب . وايضاً مارون قرية كانت في ارض حراجل من بلاد كسروان . وايضاً اخرى على نهر ابراهيم من بلاد جبيل . وايضاً في بلاد الاتراكي مدينة اشتهرت بهذا الاسم وقد مدحها القدماء باشعارهم واثبتوا تقريظها في دواوينهم لطيبة خمرها . وكذلك مدينة اخرى في الاندلس تدعى مورون من سواحل اسبانية . وهذا القدر كافٍ في ما ذكرناهُ من اسماء المدن والقرى

واما ما جاء من العلَم الشخصي فانهُ قد تسمّى باسم مارون مونيفوس ملك مصر في دولة الكفّار . وكذلك ويرجيليوس اللاتيني المشهور بالنظم والقريض . وايضاً بعد انتشار

الايمان المسيحي فانهُ قلَّ ان توجد طائفة لم تُسمَّ بهذا الاسم الشريف. منهم القديس مارون الشماس الذي نال اكليل الشهادة مع غيرهِ من القديسين سنة مائة واثنتي عشرة للتجسد الالهي. والكنيسة الرومانية تعظم تذكارهُ في الخامس عشر من نيسان. وايضاً موروث القسّ الذي وجد في دولة داكيوس الملك وقبض عليهِ انتيطرس والي اخائية سنة مائتين وثلاث وخمسين لربنا. وذلك يوم عيد الميلاد واخرجهُ من الكنيسة وجرد لحمهُ باظفار حديدية ثم زجَّهُ في اتون مضطرم فظهر منهُ صحيحاً سالماً حتى اثوابهُ. ثم سلخوا من جلدهِ سيوراً واطلقوا عليهِ الوحوش الضارية فحفظهُ ملاك الله من اذاها. وعند مشاهدة الوالي ذلك قتل نفسهُ غيظاً وحنقاً. ثم اشخصوهُ الى مدينة كيريقوس وتم بها اكليلهُ بالسيف. وهنا تعظم تذكاره الروم في السادس عشر من آب. وايضاً مورون اسقف قريطش الذي كان معاصراً داكيوس الملك وصنع معجزات رائعة وطرد تنّيناً افسد البلاد وحبس جريَ النهر المندفق بكلمتهِ ثم اطلقهُ بايماء عكَّازه. واخيراً انصرف الى الرب وهو في عمر مائة سنة. وهذا تعيّد لهُ الروم ايضاً في الثامن من آب. وكذلك الارمن تعيد لهُ في الشهر المذكور ويسمّونهُ مارون

وقد جاء في الكتب السريانية عن اخوَين فاضلَين بالسيرة الحميدة وهما ابراهيم ومارون أنها نشأا من قرية تدعى قلش من بلاد آمد المشهورة في ايامنا بديار بكر. اما ابرهيم فانهُ آثر السيرة النسكية في قمة جبل كثير الثلج في دير من اديار الجبل في الارض الكبيرة واقام في ذلك الجهاد عشرين سنة. ثم ارتقى اخيراً على عمود ثبت فوقهُ ثلاثين عاماً متوالية ونال بعدها موهبة الشفاء وزجر الشياطين عمَّن كان يقصدهُ. واما مارون فانهُ اتخذ العيشة القشفة في جوف شجرة نخرة وكان يلزم الوقوف على قدميهِ ليلاً ونهاراً ويقهر نفسهُ ويقسرها على المثول تحت انحدار الثلج وهبوب الرياح الزعازع حافياً مُحيلاً بعقلهِ تلك العقوبات الجهنمية المعدَّة للاثمة. ولمَّا رقد اخوهُ بسلام احدرهُ الشعب المؤمن من على العمود وارتقى مارون الى

مكانهِ مواظباً على الصوم والصلوات المتواترة الى أن قضى نحبهُ ولحق ربّهُ . واظهر الله على يديهِ معجزاتٍ كثيرة . منها ان رجلًا عديم الاولاد لجأ الى دعائهِ بوسائل عديدة وبوساطة حمل بعض اشياء من اثوابهِ تبرّكاً فانحلَّ عُقر امرأتهِ بعد عُقمها وولدت ابناً ودعت اسمهُ مارون كوصيَّة البارّ لها . وايضاً رجل آخر كان يولد لهُ بنون ولكن في تمام السنتين يصيبهم عارض ما فيموتون . وكان لهُ اذ ذاك ولدٌ ذكر يسمَّى يوحنا فلما بلغ عمر اخوتهِ المقرَّر حدُّهُ ادركهُ العارض المعهود فغشي عليهِ فحملهُ والداهُ بايمان وذهبا نحو القديس وطلبا منهُ أن يرثي لحزنهما ويسأل الله في شان ابنهما . فامرهما القديس بالاتكال على الله وتوسلات الاخوة وأمر أن يُطعم الطفل من طعام الاخوة وكان عدساً . فلما استطعم الصبي بمذاقتهِ انتبه من إغمائهِ وبرئ ثم نما وانتشى . وهذا هو يوحنا الذي دوَّن خبر القديس مارون واخيهِ ابرهيم وشهد في اثناء ما كتب ان الله صنع على ايديهما عجائب لا تحصى وهذه القصة وجدناها في دير مار يوحنا حراش الذي موقعهُ من بلاد كسروان . ولست اغفل عن ذكر مارون الاياني الذي كان شماساً للقديس فلابيانوس بطريرك انطاكية وكان منتصرًا للمجمع الرابع مع معلمهِ . وكان ساويروس وفتنذٍ قاطناً القسطنطينية وهو ينفذ رسائله اليهما في تفنيد المجمع المذكور وابطالهِ توقعاً للصلح ما بين الكنائس . وقيل ان اصل مارون هذا من قرية معراب التي فوق جسر المعاملتين من نواحي كسروان . وتوفي اخيرًا وهو ممدوح السيرة في درجة الشماسيَّة

وهذا الفصل ما عقدناهُ للكشف عن تأويل لفظة مارون وعن الاشخاص الملقبة بهذا الاسم الَّا ليفهم الواقف على كتابنا هذا ان موضوع كلامنا هو قصد صحة الاسم وبيان معناهُ ولو ذهب قوم الى أنَّ معناه الربَّاني والمنتسبون اليهِ يسمّون ربَّانيين كقول ابن الطيب وابن القلاعي لان قولهم هذا انما يوهم المدح والتبجيل من حيث الايمان المستقيم وهو صحيح . واما بارونيوس والصهيوني فذهبا الى ان الموارنة لقبوا بهذا الاسم من مدينة مارون المصاقبة انطاكية وهنا وهمٌ لكون تلك المدينة



القديس مارون ابو الطائفة المارونية

غير منقول عنها انهُ قام منها رأس مشهور لهذه الامة وانهم سكنوها حيناً ما حتى انهم ينتسبون اليها . وذهب جماعة من اليعقوبية الى ان الموارنة يُنسبون الى مارون الاياني الذي كان معاصرًا لساويروس وهذا غلط صريح لكون مارون الاياني مات شماساً كما يذكر عنهُ ابن القلاعي في كتابهِ الموسوم باشهار الايمان . ثم ان مارون الاياني تقدَّم يوحنا مارون باكثر من مائة وخمسين سنة وفي زمانهِ لم يكن الخلف بعد انبث بين الملكي والماروني . فالمحص حينئذٍ انّ الموارنة ينتسبون الى مارون آخر غير الذين تقدم ذكرهم

الفصل الثالث

في أنّ القدّيس مارون هو رئيس مناسك بلاد قورش وأديارها

إعلم ان اجلّ من اشتهر باسم مارون هو الاب الطاهر والقديس النبيل الذي شرَّف بلاد قورش وسائر المشرق بقداستهِ وصُنعِ معجزاتهِ . فعن هذا الاب القديس الجليل والبارّ المؤيد كتب تاودوريطوس اسقف قورش في الفصل السادس عشر من اخبار الآباء الافاضل قائلًا : « اني بعد هذا (اي بعد ذكره ترجمة الناسك اشبسياس) ساضع سيرة القديس مارون الذي جمَّل جماعة القديسين المتوشحين بالله . ولما آثر العيشة النسكية تحت جوّ السماء ارتقى جبلًا شامخًا كان فيهِ هيكل للكفَّار يعبدون بهِ الشياطين فكرَّسهُ هيكلًا لله واقام لهُ بهِ كوخًا حقيرًا الّا انهُ لم يسكنهُ سوى مدةٍ وجيزة . ولم يقتصر على الاعمال النسكية المعتادة لكنهُ اخترع اعمالًا اعظم لكي يجمع غنى الحكمة الكاملة فان جزاء المحارب يكون على قياس عملهِ . ووهبهُ الله الجوَّاد مواهب الشفاء حتى تسامع الناسُ باخباره في جميع الآفاق فتقاطروا اليهِ من كل صقعٍ ومكان . وكانوا جميعًا قد علموا بالاختبار ان ما اشتهر عنهُ من الفضائل والعجائب صحيح . لانه كان يخمد عنهم اضطرام الحمّى المتوقدة بندى البركة وطلّ النعمة . وكانت الشياطين تفرّ من هول سطوتهِ . فاذا كان الاطبَّاء الحذّاق

يعالجون الادواء المختلفة بادوية مميّزة فهذا العظيم قدرهُ كان يعالج كافة الامراض مطلقاً بدواء واحد مخصوص وهو الصلاة لكون صلاة الابرار مرهماً عاماً في طبّ العاهات . وما كفى أنهُ كان يبرئ الداء الجسداني فقط بل الروحاني ايضاً . لانهُ كان يداوي الانفس بما يوافق شفاءها . يشفي واحداً من داء الشحّ وآخر من داء الغضب . وآخر يصف لهُ دواء القناعة . ويعلّم آخر قانون العدل وآخر يحذرهُ من الشره وآخر يستفرغ منهُ الضجر ويُوقظ آخر من غفلة التواني الى غير ذلك من الادواء النفسانية . والحاصل انهُ انمى بالتهذيب غراساً مباركة للحكمة السماوية . وبستان الفلسفة الناشيء يومئذٍ في سفح قورش هو كان غارسهُ وفالحهُ . وان قلت : وما هو ثمر هذا البستان اجبتك ان أوّل اثمارهِ المونعة هو تلميذهُ يعقوب الذي استحقّ ان يُجعل مصداق قول النبي : الصديق يزهر مثل النخل وينمو كالارز في لبنان (مزمور ٩١ : ١٣) . وغيره من التلاميذ الذين سيُذكَرون اخيراً ان شاء الله . غير ان المعلم القديس في حين هذه الفلاحة الالهية وشفاء الانفس والاجساد معاً انتقل من هذه الحيوة المضمحلّة بمرض يسير . وحدث نزاع عظيم على جسدهِ الطاهر ما بين اهل التقى وقوي الجانب الواحد على الآخر فخطفوهُ خطفة الباشق وحسبوهُ افضل من كنزٍ ثمين وبنوا على جسدهِ هيكلاً معظماً وهم يبجّلونهُ بالاكرام الى يومنا هذا ويصنعون لهُ عيداً موقّراً امتلأتنا بالبهجة ويتنعّمون بالفوائد التي يستمدّونها منهُ . واما نحن الغائبين عنهُ فنرجو منهُ البركة الجسيمة وعوض مشاهدتنا ذاك الضريح نال منهُ الانعام الصريح » (١)

لا جرم ان هذه القصة حرّية بالقبول جديرة بالتصديق وذلك لانها نُقلت عمن اتّصف بالصدق والقداسة اعني تاودوريطوس اسقف رعية قورش الذي فاق جميع ابناء عصرهِ علماً واتقاد غيرة على انتشار الايمان . وهو ممدوح وموصوف من الآباء

---

(١) وفي نسخة : واما نحن فاننا نتمتع ببركتهِ ولو كان غائباً عنّا فان ذكرهُ لنا عوض ضريحه

اكرام في الجمع الخلقيدوني بهذه الصفات الحسنة وهي « البار الارثوذكسي القاثوليقي راعي الكنيسة ومعلمها » . وينبغي ان تعلم اولاً ان الاسقف المشار اليهِ من حين تقلّد رئاسة قورش لم تأخذهُ فترة عن محاربة المبدعين وارشاد المؤمنين . والطواف في البراري والقفار . وتدوين اخبار الآباء الاطهار الذين كانوا مشهورين بالسيرة الملائكية . ومن جملة ما اثبت في تأليفهِ سيرة ابينا هذا الشائع الذكر والصيت حسب ما شاهدهُ هو بعينهِ ونقلهُ عن تلاميذهِ واستخبر الذين كانوا يعيدون عيدهُ . وبموجب ما تحقق ايضاً من الذين شاهدوا معجزاتهِ وآياتهِ . ثانياً ان سيرة هذا البار المجاهد مدونة في جميع الكنائس . فالروم يتلونها في اليوم الرابع عشر من شباط وهو يوم تذكارهِ عندهم . وكذا الرومانيون ادرجوها بين اخبار الآباء القدّيسين (١) . ثالثًا : ان هذا البار كان بينهُ وبين يوحنا فم الذهب لحمة المحبة والاتفاق . وشاهدهُ ان الروم لما اختطفوا يوحنا المذكور واقاموهُ بطريركًا على المدينة المتملكة كان هذان القديسان مرتبطين بالصداقة الخالصة والوداد الكامل وكانت بينهما مراسلات ومكاتبات . وعند انحطاط فم الذهب عن كرسي بطريركيتهِ وابعاده الى نواحي ارمينية تذكّر في ذلك الوقت المذهل حبهُ القديم للانبا مارون وليّهِ . فكتب اليهِ رسالةً يلتمس فيها من الراهب الناسك في قمم الجبال دعاءً وابتهالاً ويسألهُ أن لا ينقطع عنهُ اخبارهُ السارّة كما هو معلوم وواضح من رسالتهِ الموجودة الى الآن وهي السادسة والثلاثون من رسائلهِ واليك نص الكتابة المشار اليها :

« الى مارون القس الراهب : وبعدُ فاننا مرتبطون بك بعلاقة الصداقة والمودّة ونشخصك كانك حاضرٌ هنا . لكون بصيرة المحبة لا يصدّها بُعد الطرقات الشاسعة ولا توهنها الازمان المستطيلة . وكنا نودُّ أن نكاتبك دفعاتٍ كثيرة ولكن مشقّات الطرقات وعدم وجدان من يسير نحوكم منعنا عمّا في خاطرنا من مراسلاتكم . فنحييك

(١) ويروى : وعلماء الكنيسة الرومانية مثل ليومان ولورنس من لا برا وروسياد اليسوعي سطروها بين قصص القديسين

بالسلام موضحين لك انا نتذكرك دائماً وانك نازلٌ في فؤادنا اينما كنّا. فاهتمّ اذاً ايضاً بان تكثر لنا من انباء صحتك. بما انه ولو كنا من حيث الجسد بعيدين فيسرّنا كثيرًا أن نسمع شيئاً عن عافيتك. وتنالنا من ذلك سلوى كبيرة وان كنا مقيمين في البراري. وتطيب نفسنا اذا بلغنا انك حائز مزيد العافية. واننا نسألك قبل كلّ شيء أن تقدّم لله الصلوات من اجلنا »

فهذه الرسالة على قصرها ناطقة بما كان من شدة الولاء بين هذين البارّين وصادعة بان كلاً منهما كان يحنو على صديقهِ كما يحنو الحاء على عوده ويُسرّ الواحد بسلامة الآخر ويهش الى اخباره ويأمل الفرج من دعائهِ. وان قيل: كيف تولّد بينهما هذا الاخاء. قلنا: لا ندري لاننا لم نجد سبب ذلك البتة مسطرًا في كتاب ولا منقولًا عن احدٍ. ولعل قائلًا يقول واظنهُ صادقاً ان سبب هذه الصداقة هو ان يوحنا وُلد بانطاكية ونشأَ بها. ولما دخل المدارس تعرّف في مدة الطلب بالبار مارون ووقعت في قلبهِ محبتهُ ولمّا تجرّد يوحنا لطريقة النسك وسلك السيرة الرهبانية مع هذا القديس انتخب الله كلاً منهما لما هو اهلهُ. فاسترجع يوحنا الى انطاكية وجعلهُ عماداً لبيعتهِ واقامهُ بها واعظاً معلماً وحفظ البار مارون ناسكاً في المهامه والقفار ليصيرها فردوساً مقدّساً. وهنا احتمال آخر ايضاً وهو ان يوحنا الطاهر بعد ارتقائهِ كرسي البطريركية قدم الى بلاد سورية ليُنذر بها عبدة الشمس ويدعوهم الى طاعة الانجيل فلعلّهُ وقتئذٍ اجتمع بهذا البار ورأَى فضل سيرته الالهية فارتبط معهُ بالمودة الروحانية والله اعلم. رابعاً: ان الكنيسة المارونية تذكرهُ مرارًا عديدة بتشريف وتبجيل زائد في الصلوات التي يقدمها الشعب المؤمن. ففي الزمان القديم كانت الشمامسة بعد ذكر ائمة الرؤساء والقديسين في خدمة القداس تمدح النسّاك الذين جملوا البراريّ بالسيرة الملائكية هكذا:

ܛܘܒ ܕܝܢ ܡܚܡܕܒܢܝܢ ܠܟܠܗܘܢ ܡܣܬܒܪܐ ܡܫܝܚܐ

ܗܠܝܢ ܕܒܢܘ ܠܐܝܟ ܒܡܕܒܪܝܗܘܢ ܡܥܪ̈ܬܐ ܘܡܪܚܘ ܠܗܘ

ܒܥܘܬܐ ܚܠܦ ܟܠܗ ܥܡܐ ܡܗܝܡܢܐ ܦܘܠܐ .
ܐܢܛܘܢܝܘܣ ܛܘܒܢܐ . ܦܟܘܡܝܘܣ . ܡܩܐܪܝܘܣ . ܝܘܚܢ .
ܫܡܥܘܢ ܕܐܣܛܘܢܐ . ܡܩܐܪܝܘܣ . ܬܐܘܕܘܣܝܘܣ . ܡܪܝ
ܡܪܘܢ ܛܘܒܢܐ . ܐܪܣܢܝܘܣ . ܫܡܥܘܢ . ܐܓܘܣܛܘܣ .
ܣܘܣܝܘܣ . ܦܘܡܝܢ . ܕܢܝܐܝܠ

(وهذه ترجمته) ثمّ نذكر ايضاً جميع المتوحدين الاطهار الذين بتدابيرهم الحسنة ارضوا الله وقدموا لـهُ التضرع عن عامة الشعب المؤمن بولا وانطونيوس الطوباوي وباخوميوس ومقاريوس ويوحنـا وسمعان العمودي ومقاريوس وتاوادوسيوس ومار مارون الطوباوي وارسانيوس وشمعون واغوسطوس وسوسيوس وفومان ودانيال العمودي

وكذلك الكهنة ايضاً يوم الاحد عندما يلحنون الحساية التي هي في اللحن الافرامي المعينة للساعة التاسعة كما هو مقرَّر في نسخة الشحيم الذي كتبهُ القس باخوس (والكتاب لم يزل باقياً في مدينة حلب الى يومنا هذا) فانهم عندما يمدحون الآباء الاطهار الذين شرّفوا بيعـة الله بنسكهم يدرجون هذا القديس الشريف في عدادهم ويشدون بمدحهِ قائلين :

ܘܠܡܪܝ ܡܪܘܢ ܛܘܒܢܐ ܗܝܟܠܐ ܕܟܝܐ ܕܪܘܚܩܘܕܫܐ
ܕܠܐܝ ܒܟܪܡܗ ܕܡܫܝܚܐ ܡܢ ܨܦܪܐ ܠܪܡܫܐ

(واليك ترجمتهُ بالعربية) ومار مارون الطوباوي الهيكل الطاهر لروح القدس الذي تعب بكرم المسيح منذ الصبح الى المساء

والبيعة تلقبه بهيكل روح القدس وذلك لان الرب قدوس والقدوس لا يستريح الّا في القديسين . ثم ان هذا البار كان في كل امورهِ حافظاً لكرامة رتبتهِ مجلاً لمقامهِ بكل قداسة ولم يرتضِ ان يكون كغيرهِ عناء ونصباً بـل احبَّ ان يزيد غنى

حكمتهِ فباشر اعمالًا اخرى غريبة ولعظم اتقاد نار حبهِ لربهِ وغـيرتهِ على خلاص نفسهِ كان يلبس المسح على جسده النحيل ويقتصر من الغـذاء على قليل من الحبوب ويقيم الصلاة وهو منتصب على الاقدام ويقدّم الاسرار الالهيـة عن الاحياء والاموات ويطوف احيانًا البراريَّ متفقدًا الاخوة المضنكين بمجاهدة الحياة والمضغوطـين بضيق المحابس والمجاهدين تحت جوّ السماء ويحضُّهم جميعًا على احتمال اتعاب الفلسفة الروحانية ويستدعي نشاطهم الى اكتساب الفضائل ليبلغوا بما يباشرونهُ مقام الكمال. وكان احيانًا يجول القرى ويتردَّد ما بين المدن ويستميل الكفَّار والمخالفين ويقودهم ببُرة الطاعة وزمام الخضوع ويعظ المؤمنين لمحاربة الرذائل وموالاة الفضائل ويدعو الموسرين الى الرحمة ولاسيا الذين اعرضوا عن الدنيا وشهواتها واقبلوا على السيرة الملائكية. فانطوت لذلك قلوب الجميع على حبهِ وكانوا ينقادون لكلام الحياة الذي كان يفوه بهِ وهو هشّ بشّ. والاله الجوّاد قد افاض عليـهِ عطاياه واجزل مواهبهُ حتى غدا شبيهاً بالرسل الاطهار من حيث انه كان بمجرَّد وضع اليد والصلاة يشفي الادناف ويبرئ المتخبَّطين من الشيطان

الفصل الرابع

في تلاميذ القديس مارون والذين اقتدوا بسيرتهِ الفاضلة

لا جرم ان فضل الباني يُعرف من بنائهِ وجودة الشجرة تظهر من ثمرها فالبار مارون من فضل تلاميـذهِ واخصَّائهِ يُعلم شرف نفسهِ وقوة فضيلتهِ. لقد ذكر البار تاودوريطوس آنفًا عند وصفهِ محامد البار مارون انهُ غرس بستانًا في نواحي قورش ومن جملة اثارهِ يعقوب الجليـل القدر واتى بالشهادة النبويَّة في حقهِ كما هو معلوم ممَّا مر وغيرهُ من التلاميذ الذين سيرد ذكرهم. فمن هذه الشهادة نعلم حقيقةً ان النُير المجاهدين الذين نعتهم البار المشار اليهِ وروى اخبارهم وسيرهم بعد

اذ ذكر سيرة البارّ مارون انما هم باجمعهم تلاميذ القديس مارون او مشايعوهُ في طريقتهِ او متابعوهُ في سيرة تلاميذهِ . ثم ان الآباء الذين عُنُوا بذكر قصص القديسين وتراجمهم كتبوا اوَّلاً سيرة البار مارون في شباط ثم اثبتوا سير تلاميذه بعده في الشهر نفسهِ وفي الشهرِ الذي يليهِ وقد ارادوا بذلك انه كما تقدَّمهم في الدعوة والزمان ينبغي لهُ ان يتقدَّمهم في الرتبة والمكان . وفي الكتاب المذكور ان عدد تلاميذه يكاد لا يحدّ لكثرتهِ لانهم كانوا منبثين في بلاد قورش ما بين الجبال والمدن والقرى المصاقبة لها . والبعض من تلاميذهِ ماتوا قبل معلمهم وحظوا بحياة سعيدة والبعض استمروا في الحياة بعدهُ . واما هو فكان يطوف اماكنهم ويدخل محاربهم ويشاهد جهاداتهم الفائقة واثبت ان غاية قصدهم ان يماثلوا معلمهم في الصوم والسهر والوقوف والصلاة الدائمة ولبس الشعر وشظف العيش والرحمة والسعي بما يرضي الله . واما الذين انتقلوا من دار الدنيا فاستخبر البار المؤرخ تلاميذه عن كيفية قداستهم واستفهم الذين عاشروهم ونالوا شفاعتهم فاطلعوهُ طلع الحقيقة عما شاهدوه حتى علم ان البعض منهم غايروا معلمهم في قيامهم تحت جوّ السماء وكان مقدامهم في ذلك واجلهم غيرة القديس يعقوب الكبير القورشيّ . فهذا البارّ آثر في عامة اموره ان يتتلمذ للقديس مارون حتى احتشد كل فضيلة شريفة . وربما زاد عليهِ نسكاً وقشفاً . وحبس نفسهُ اولاً بمكان ضنك ثم تحوَّل من هناك الى جبل بعيد من المدينة زهاء ثلاثين غلوة واشاع لذلك الجبل الخامل الذكر سمعةً وكرامةً عظيمتين حتى بلغ من شرفهِ ان ترابهُ صار يؤخذ هدية الى البلاد البعيدة تبركاً وطلباً للشفاء . ولما اتخذهُ القديس المذكور مسكناً لم يشأ ان يقيم فيهِ تحت سقف او داخل حظيرة او خيمة بل اتخذ فيهِ موضعاً قفراً واخذ يتجلد على اختلاف حرّ المحل وبردهِ ليلاً ونهاراً في حالتي الضعف والقوة ويلبس الحديد الثقيل على جسده ويستعمل القليل من العدس المبلول غذاء . وحين قصدهُ تاودريطوس الاسقف كان قد مضى عليهِ في ذلك الجهاد نحو من ثمان وثلاثين سنة فرأى منهُ ما يدهش العقل عجباً . وكان

قد حظي من قبل الله بالنعمة الوافرة واكرم بصنيع الآيات والمعجزات ومن جملة معجزاته انهُ احيا ابن فلاح بقوة صلاته وطرد شيطانًا ظهر لهُ بصورة وحش ليخرجهُ من الجبل وكذلك طردهُ واخزاهُ لما ارسل تلميذه يستقي لهُ ماء ليشرب فتراءى لتلميذه لابسًا شكل معلمهِ فاخذ الماء من يدهِ وهراقهُ على الارض وفعل مع التلميذ هكذا مقدار خمسة عشر يومًا . وكان القصد من ذلك ان يعذب معلمهُ بالظمإ الذي لا يُطاق فطرده اخيرًا القديس ومنعهُ عن اراقة الماء . وقد شهد تاودريطوس المؤرخ شهادة في حادثة جرت لهُ قال : ضايقني مرة اصحاب مرقيان المبتدع وظهر لي الشيطان وازالهُ عني هذا القديس ودفع مكايدهُ بصلاتهِ . فعم خبر قداستهِ جميع الاصقاع حتى قصدهُ ذوو الامراض والعاهات وكانوا يبرأون بدعائهِ . وسار مثلًا صالحًا يقتدي بهِ كثيرون فصنعوا عجائب عديدة وراء طور العقل . ثم انتقل الى الرب بسلام . وموقع تذكارهِ في ٢٠ من شباط

ذكر ليمناوس الشهير في القديسين . ان هذا المغبوط اقتدي بمار مارون معلمهِ فحظي من تعليمهِ بكل فائدة . ورحل الى الجبل الذي بقرب القرية المدعوة جرجلة واحكم لهُ حظيرة من حجر وحبس نفسهُ داخلها صابرًا على عوارض الافلاك وثقب لهُ كوَّة في جدارها ومنها كان يخاطب الواردين اليهِ ويعزّيهم عن احزانهم فبجَّلهُ الله اخيرًا بهبة المعجزات الفائقة حتى انهُ ضاهى الرسل القديسين بآياتهِ لكونهِ كان يشفي كل مرض . ثم ابتلاهُ الله بالوجع المدعو بالقولنج فلم يستعمل البار الشهم في ازالتهِ عنهُ شيئًا من الادوية والعلاج بل انهُ اتكل على خالقهِ بتواتر الصلاة . وفي احدى الليالي بينا هو سائر في طريقهِ اذ عرض لهُ انهُ داس ارقم عظيمًا كان راقدًا في مسلكهِ فوثب عليهِ ونهشهُ في يدهِ ورجلهِ في نحو من عشرة مواضع . فالمهُ ذلك الما لا يُطاق فرسم حينئذٍ مكان المهِ برسم الصليب وطلاهُ بمرهم الصلاة فشفي حالًا . ولما رأى كثيرًا من العمي والغرباء والمحتاجين يقصدونهُ ويبتغون احسانهُ ابتنى لهم مارستانات بالقرب منهُ وكان ينفق عليهم من حسنات المؤمنين ويعلمهم تمجيد

الله وتسبيحهُ. وقد استمر على هذا الجدّ والنصب حتى توفي . ويوم تذكاره في الثاني والعشرين من شباط

ذكر البار يوحنا الناسك: حاكى هذا البار سيرة المذكورين واقام اول امرهِ بالجبل المرقوم واخيرًا ظعن عنهُ الى كهف جبل جهة الجنوب واقام بهِ خمسة وتسعين يومًا صابرًا على تقلب الصيف والشتاء. ثم انهُ ولَّى من هناك الى جبل يلي الشمال واقام بهِ خمسًا وعشرين سنة تحت جوّ السماء وكان طعامهُ خبزًا وملحًا ولباسهُ مسحًا شعريًا مسمرةً بهِ صفائح حديد ثقيلة. وكان شفوقًا على الناس لا على ذاتهِ. وكان احد اصدقائهِ غرس لهُ شجرة لوز بالقرب من مرقدهِ فعندما طالت وغلظت امر باستئصالها لئلاً يتمتع بظلها يسيرًا وانتقل الى نعيم ربهِ وهو على هذه الصفة من القشف وخشونة العيش

ترجمة البارّ موسى الذائع الذكر: هذا المغبوط قصد النسك في قمة جبل شامخ موقعهُ لدى قرية تدعى راماص واكمل حياتهُ هناك بكل جهاد حتى انصرف الى ربهِ بسلام

ترجمة البارين الجليلي الغبطة انطيوخوس وانطونينوس : هذان المجاهدان اختارا السيرة الضنكة النسكية وهما على حدّ من سنّ الشيخوخة فاحدهما شاد لهُ جدارًا صغيرًا في بهرة الصخرة. وثانيهما ارتقى جبلًا شامخًا وكانا عاكفَين على الصلاة والسهر ومنتصبين على اقدامهما ما طال يومهما ليلًا ونهارًا صابرين على الجوع وقلَّة القوت حتى ان الشيخوخة والكبر بل ضعف الطبيعة وطول المدى ما امكنها ان تثني عزمهما وثباتهما بل كان عشقهما للاوجاع والاتعاب حبا في السيد المسيح كانهُ في عنفوان الصبا واستمرَّا هكذا الى ان بلغا النهاية واسلما نفوسهما بيد سيدهما. وموقع ذكر هؤلاء الاربعة في الثالث والعشرين من شهر شباط. ومثل هؤلاء كثيرون ممن خدموا ربهم تحت جوّ السماء حسبما روى تاودريطوس بالعدد الثالث والعشرون قال: ان ابطالًا آخرين كثيرين غير هؤلاء عكفوا على الجهاد في البراري والصحاري ولم يتيسَّر لنا ان نكتب ترجمة واحد فواحد منهم»

واماً الآخرون الذين تعمَّدوا الجهاد في الخلوة تشبهاً بمعلمهم الجليل الذي نصب لهُ كوخًا ضيقاً في بيت الاصنام الذي كرَّسهُ اخيرًا هيكلاً لله كما هو مقرَّر آنفاً فمنهم اولًا البار زابينا الذي يقول فيهِ كتاب المروج في الثالث والعشرين من شباط ما مؤداه: ان هذا البار قد بنى لهُ مسكناً في بعض الجبال الشاهقة ليروّض ذاته بالاتعاب النسكية الى حدّ انتهاءِ الشيخوخة من غير ان يهمل شيئاً من الثبات والمداومة على الصلاة المتصلة. والذين كانوا يزورونهُ كان يخاطبهم برفق وقتاً يسيرًا ثم انهُ يرتد الى صلاتهِ عاكفاً على خطاب الباري تعالى حتى انهُ فاق اهل عصرهِ في عظم جهادهِ. ولمَّا اضناهُ الكبر والضعف وعجز عن الوقوف اخذ يتوكَّأُ على عصاً

وكان الجليل في القديسين الانبا مارون يحب هذا البار زابينا حبا شديدًا ويوقرهُ لسنّهِ وطهارتهِ ويدعوهُ ابًا ومعلماً وقدوة الفضائل ويرسل الذين كانوا يقصدونهُ اليهِ ليستمدوا منهُ البركة حتى تلميذهُ الانبا يعقوب الالهي ارسله اليهِ ليلبس من يدهِ اللباس الشعريّ . ولهذا اوصى تلاميذه ان يدفنوه من بعد موتهِ في قبر زابينا المذكور. وهذا كلهُ دليل واضح على عظم اتضاعهِ ونفورهِ من المدحة والمجد الفارغ. وجملة القول ان البار زابينا سار سيرة عجيبة مرضية لله وخلف آثار فضائلهِ من بعدهِ لتلاميذهِ الذين هم بوليكرونيوس وموسى ودميانوس الواقع تذكارهم مع معلمهم في الثالث والعشرين من شباط

ترجمة بوليكرونيوس الشائع الذكر : جمع هذا القديس فضائل زابينا باستقصاء بليغ. ومن يراهُ قائماً ما طال ليلهُ متهجدًا في صلاتهِ مرتفعاً الى الله لاهجًا بالالهيات كان يحكم انهُ يشاهد زابينا نفسهُ. ولهربهِ من المجد الفارغ نزع عن جسدهِ ما كان يثقله من الحديد واعتضد اصل شجر ضخمة جدًّا كان يلقيهِ على منكبهِ ليلًا ونهارًا في صلاتهِ الى ان يقرع باب قلايتهِ طارق فيطرحهُ حينئذٍ عنهُ. واكرمهُ الله لممارستهِ هذه الاتعاب الشاقة بصنع العجائب الجسام من جملتها انهُ دفع الجدب والغلاء بمجرد صلاتهِ وصيَّر خابية تفيض زيتاً رائقاً واخيرًا سافر الى ربهِ بسلام

ترجمة موسى البار الذي باراه وقطن قلايتهُ وداميانوس الذي اقام في قرية قريبة منهُ تدعى نياره . فهذان الافضلان اقتصَّا فضائل الاب بوليكرونيوس واقتديا بسيرتهِ حتى كانهما لبسا جسمهُ وانتعشا بروحهِ ونسك على القرب منهما البار اسكلاليوس

ترجمة القديس يعقوب الذي انقطع للنسك بقرب قرية تسمى سوزان وهو ابن تسعين سنة : هذا البار تجرَّد عن الدنيا تجرّدًا حقيقيًا وزهد في خلطة الناس ومعاشرتهم ولم يكن يستعمل نارًا ولا مصباحًا ولم يدع احدًا يراهُ اصلًا ومن قصدهُ كان يخاطبهُ من وراء جدار سجنهِ . وان كثيرًا من مثل هؤلاء المذكورين قدموا نفوسهم قربانًا لله في المدن والقرى حسبما روى البارّ تاودوريطوس المذكور في العدد الخامس والعشرين قال : ان آخرين كثيرين اختاروا ان يتشبهوا بالمذكورين المتصفين بصفة الحكمة الالهية ليس ذلك في مدينتنا فقط بل في كل مدينة وقرية تليها . وآخرون مثل البار سمعان العمودي وغيره تركوا مواطنهم وآثروا المسكنة النسكية والعيشة القشفة في ذروة الجبل العجيب وفي نواحي قورش اقتداء بسيرة البار مارون وتلاميذه . وهذا القدر كافٍ عن مثل هؤلاء المجاهدين الابطال من الرجال ولنأخذ الآن في بيان من هجر الدنيا وتنسَّك اقتداء بفضائل القديس مارون من النساء . قال المؤرخ المذكور في الفصل الثلاثين من تاريخ الرهبانيات : ومن جملتهنَّ القديسة دومنينة التي اقتدت بنموذج معلمها الانبا مارون فقضت حياتها بالنسك والوحدة وموقع تذكارها في اليوم الاول من شهر آذار المبارك »

ترجمة البارَّة دومنينة : كانت هذه القديسة ابنة والدين حسيبَيْن موسرين فلما توفيا رفعت لها كوخًا من هشيم الذرة في بستان امها وكانت تقضي نهارها بطوله في البكاء على ذنوبها حتى تبلّ مفرشها الشعري بعبراتها وتعكف على الصلاةِ في كنيسة قريبة منها . اما طعامها فكان عدسًا مبلولًا ولسبب شدة جهادها وطول سهرها خارت قواها وضني جسمها وكانت تنفق من مال امها واخوتها على جميع الابرار الذين ذكرناهم وعلى كثيرين آخرين اعرضنا عن ذكرهم اختصارًا فاقتفى نموذجها

الصالح عدة نساء احبَّ بعضهنَّ سيرة الوحدة وبعضهنَّ العيشة المشتركة ونمت شركتهنَّ نماء كثيرًا حتى بلغ عددهنَّ في بعض الاماكن مئتين وخمسين كما روى ذلك تاودوريطوس وهذه ترجمة كلامه: ينبغي ان نذكر سيرة اللواتي اقتفينَ آثار دومنينة وكورة وماريانة اللتين مرَّ ذكرهما. فان كثيرات احببنَ عيشة الانفراد وبعضهنَّ مِلنَ الى العيشة المشتركة حتى بلغ عدد شركتهنَّ مئتين وخمسين يزيد عن ذلك او ينقص يسيرًا كلهنَّ يطعمنَ طعامًا واحدًا ويرقُدْنَ على الحُصر حسب ما تسلَّمنَ من معلمهنَّ ويغزلنَ الكتَّان وافواهنَّ تترنَّم بالتمجيدات الالهية. واذا استقصيت مدارس هذه الفلسفة الروحانية وجدتها تجلّ عن الحصر ليس فقط في صقعنا بل في سائر المشرق ايضًا »

ترجمة القديستَين المختارتَين كورة وماريانة : ان هاتين القديستين كانتا من مدينة حلب من اصل شريف جدًّا ومنزلهما الذي كان في المدينة المذكورة معروف الى يومنا هذا بدار كورة. ولمَّا زهدتا في الدنيا بنتا لهما بيتًا ضيقًا لم تجعلا له نافذة ما خلا كوَّةً صغيرةً تتناولان منها القوت الضروري وتخاطبان من قصدهما. وكانتا تصمتان جميع ايام السنة ما عدا الخمسين يومًا التي تلي عيد الفصح وتلبسان الشعر الخشن وتُوقِران اجسامهما بالحديد الثقيل ولا تتناولان مأكلًا الَّا دفعة واحدة في كل اربعين يومًا ودامتا على ذلك ثلاث سنوات. ولمَّا قصدتا زيارة القبر الذي ضمَّ عُنصُر الحياة ذهبتا اليهِ سعيًا على الاقدام من غير ان تذوقا طعامًا لا ذهابًا ولا ايابًا مع ان مسافة السفر كانت عشرين مرحلة. وهكذا صنعتا في زيارة هيكل القديسة تقلا الذي كان في بلاد تراكية. اما تذكارهما ففي اليوم الاول من شهر آذار المبارك

هذا ما لخصناهُ باختصار عمَّا اودعهُ الاب تاودوريطوس في كتابهِ عن اخبار الآباء وما ذاك الَّا لتعلم كم انشأ الانبا مارون من المدارس المختلفة للحكمة في اعمال قورش وما يليها فترى بعض هؤلاء التلاميذ سلكوا مسلك معلمهم فجاهدوا على

مثالهِ تحت جوّ السماء وبعضهم نفروا من خلطة الناس والفوا العزلة في المحابس وآخرين قيدوا نفوسهم بقيود الطاعة في الحياة الرهبانية . واما الاله الناظر الى جهادهم فاعطاهم مواهب الشفاء وصنع الآيات كما جاد بها على معلمهم وقائدهم

الفصل الخامس

في الهياكل والاديار التي بُنيت على اسم القديس مارون والايام التي يُعيد لهُ فيها

قد تبيَّن جليًّا مما نقلناهُ عن تاودوريطوس في الفصل الثالث : ان القديس مارون لما استراح من اتعاب هذه الحياة ولقي ربَّهُ جرى تراع شديد في بلاد قورش على جسدهِ الطاهر وان اهل اكبر قرية هناك بادروا بجملتهم وطردوا الآخرين وخطفوا هذا الكنز الثمين فحملوه الى بلادهم وبنوا عليهِ هيكلًا جليلًا وعينوا لهُ كل عام عيدًا يعيدونهُ بكامل البهجة والاحتفال . غير ان المؤرخ المذكور لم يُسمِ لنا الذين استقلُّوا بذلك الكنز ولا ذكر اين اقاموا لهُ الهيكل ولا بيَّن اليوم الذي كانوا يعيدون لهُ فيهِ وسببهُ ان هذه الامور كانت معروفة في زمان المؤرخ غير محتاجة الى تعيين لسبب اشتهار زيارة قبره عليهِ السلام . والمفهوم من ظاهر القصة انه يشير بقولهِ ذاك الى الهيكل الذي ابتناه اهل حماة على النهر العاصي بين حمص وحماة وآل امره اخيرًا الى ان صار ديرًا معظمًا وحاز التقدُّم على جميع الاديار التي في بلاد سورية الثانية . وكان ذلك بعناية من الله ليظهر فضل هذا القديس النبيل ليس في بلاد قورش وجهات حلب فقط بل في بلاد الشام ايضًا كما سنبسط الكلام عن ذلك في موضعه ان شاء الله . وهذا العيد الحافل هو نفس العيد المعين عند الروم في اليوم الرابع عشر من شهر شباط

ان الرسائل التي رفعها سنة ٥٣٦ مريان رئيس دير القديس دلماط وباقي الاديار في المدينة المتملكة الى يُستينيان ملك الروم ومنًا بطريرك القسطنطينية

بالنيابة عن سائر الرهبـان الذين قدموا من اصقاع الشام ليتشكوا على ساويروس المبتدع المتغلب على كرسي انطاكية يتبـين منها انه كان في برّ القسطنطينية دير مشيَّد على اسم القديس مارون وان رئيسهُ حضر المجمع الخامس المسكوني وقد كتب اسمهُ في الرسائل المذكورة هكذا «ثاودور برحمـة الله القس ورئيس دير القديس مارون كتبت وتضرَّعت» وهو الخامس والعشرون في العدد

قد وجدنا في تواريخ ما سلف من الاعصار القديمـة ما يثبت انهُ وُجد دير آخر على اسم القديس مارون قرب مدينة دمشق الشام فوق نهر يزيد. ولقد استدللنا برسومه واطـلاله الماثلة الى اليوم على عظمهِ وشرفه. وهذا الدير قد ذكره ابن الحريري المؤرخ في ما كتبه عن الملك الحاكم بامر الله ودولته سنـة ٣٨٦ الهجريَّة الموافقة لسنة ٩٩٥ للمسيح قال: ان الملك كان ينزل بمكان يُقال لهُ الدكَّة بين نهر يزيد وتورا وقيل هي فوق نهر يزيد قرب دير مارون. اه

ويوجد دير آخر على اسم هذا القديس في بـلاد البترون شرقي القرية المدعوَّة كَفرَحَيّ وهذا الدير بناه القديس يوحنا مارون بطريرك انطاكيـة لمَّا فرَّ من وجه جيوش يستينيان الاخرم سنة ٦٩٤. وقيل انهُ سار من انطاكية الى دير حماة فاخذ معـهُ هامة القديس مارون لتكون لهُ حرزًا وعونًا في زمان الضيق ولمَّا استقرَّ في كفرحي بنى هيكلًا وديرًا على اسم القديس مارون ووضع هامته مانحة الشفاء في داخل ذلك الهيكل وفيها سمي الدير ريش مُرُو (ܪܝܫ ܡܪܘܢ) اي رأس مارون ثم عيَّن تذكارًا لنقل هامتـه المكرمة عيدًا سنويًّا في الخامس من كانون الثاني كما تشهد بذلك نسخ الشحيم القديمة المخطوطة بيد الشماس الياس بن داود من بـلاد طرابلس سنة ١٨٠٥ اليونانية الموافقة لسنة ١٤٩٤ الربانية. وكذلك جرجس البردوط ابن يوحنا بن شباره التحومي سنة ١٥٢٣ للمسيح حين كان قاطنًا في قـبرس في قرية قرباسية من جبل ارنـكة العالي فانه يقول هكذا (ܕܥܘܗܕܢܐ ܕܡܪܝ

ܕܘܟܪܢܐ ܕܡܪܝ ܡܪܘܢ ܛܘܒܢܐ) اي ذكر مارون الطوباوي في الخامس من كانون الثاني . وفي اواسط القرن السابع عشر نقل الرؤساء عيده الى اليوم التاسع من شباط وهو اليوم الذي يعيدون فيهِ لتقديس يوحنا مارون وهكذا جعلوا العيدين عيدًا واحدًا (١)

قال لودوفيك بن يعقوب في كتاب لهُ في اخبار القديسين الموجودة ذخائرهم في مدينة فولينيو من اعمال ايطاليا ان أُولي التقى والعبادة اقاموا كنيسة عظيمة على اسم القديس مارون في ظاهر المدينة المذكورة لما تحققوا من عجائبهِ ومعجزاتهِ التي انتشرت اخبارها في آفاق اوربا وكان اهتمامهم بها في الثامن عشر من آب . وسبب ذلك انه في سنة ١١٣٠ للتجسد الالهي قدم الى بلاد الشام احد رهبان القديس مبارك وهذا كان رئيسًا على دير الصليب القريب من مدينة فولينيو المذكورة وبعد ان طاف في الاماكن المقدسة واتمَّ زيارتها وهمَّ بالعودة الى بلاده اذا به حظي في تلك الاثناء برأس القديس مارون ففرح به فرحًا لا يُنعت . ولمَّا وصل الى وطنه شرع يخبر الشعب عن فضائل الانبا مارون وعن عجائبهِ وعن الأُمَّة المنتمية اليهِ فخالك كلامه في قلوب الشعب فبنوا لهُ حينئذٍ بيعةً على اسمهِ وكان تكريسها ونقل الهامة اليها في الثامن عشر من آب كما تقدم القول . ومن ثم انتشر ذكر القديس مارون في تلك النواحي وقصد الناس زيارته من الاماكن البعيدة وعيَّنوا لهُ عيدًا يعيدونهُ في كل عام ومنح رؤساء البيعة غفران ٢٠٠ يوم لكل من زار الكنيسة في العيد المذكور . ثم ان اسقف فولينيو المسمَّى لوقا لما كان من غلاة المكرّمين للقديس نقل ذلك الرأس المكرَّم الى نفس المدينة وذلك سنة ١١٩٤ وجعلهُ في كنيسة الاسقفية

(١) وقد جاء في الدرّ المنظوم لغبطة حجة المؤرخين بطريركنا العلّامة بولس بطرس مسعد ما نصهُ : نقل الرؤساء سنة ١٧٨٧ عيد القديس يوحنا مارون الى اليوم الثاني من آذار وبقي عيد القديس مارون في اليوم التاسع من شهر شباط الى يومنا هذا

فصاغ لهُ المؤمنون شخصاً من فضة واودعوه فيهِ وهم يعيدون لهُ كل سنة في اليوم العاشر من آذار الذي تمَّ فيهِ تكريس الكنيسة ويطوفون بهِ امام الشعب بغاية التبجيل مع باقي ذخائر القديسين المصونة هناك · فهذا معظم الكنائس والاديار التي اقامها المؤمنون على اسم القديس مارون في الزمان القديم شرقاً وغرباً وتوجد ايضاً باسمهِ كنائس وهياكل ومذابح بعد ذلك أضربنا عن ذكرها حبَّ الاختصار

الفصل السادس

في دير القديس مارون المبني على شاطىء النهر العاصي وغوّ رهبانهِ وانتصارهم للمجامع المقدسة

بعد ان فرغنا من الكلام في سيرة القديس مارون وتلاميذه والاديار التي بُنيت على اسمهِ حان لنا ان ننتقل الى الكلام عن الدير الذي بناهُ اهل حمص وحماة باسمه على عدوة النهر العاصي من بلاد سورية · قال لوقا البشير في كتاب اعمال الرسل ان اهالي انطاكية وقيليقية وسورية قد قبلوا بشارة الانجيل من عهد الرسل الاطهار وانهم جهزوا اليهم يهوذا بن سابا وسيلا صحبة الرسولين بولس وبرنابا في رسالة ليمتنعوا عما ذُبح للاوثان وعن الدم والمخنوق والزنا · وليس المفهوم بسورية عند الاطلاق بلاد الشام فقط بل انها تتناول ايضاً بلاد حماة وحمص من فوق انطاكية وقيليقية المعروفة الآن بالقرمان · وانما سماها الاقدمون سورية الثانية لتتميّز عن سورية الاولى التي تعم جميع ما هو من عريش مصر الى نهر دجلة · وتسمَّى ايضاً سورية المجوفة لكون العاصي مارًّا في جوفها واولهُ من الهرمل في نواحي جبل لبنان الى حدود انطاكية مما يلي البحر · وقد ظهر في هذه البلاد عدة من القديسين الذين تعمدوا فيها العيشة الانفرادية · ولكنهُ لم تقم فيها الاديار ولا زهت الحياة الملائكية الَّا عندما انتقل اليها جسد القديس مارون صانع العجائب فاجتمع حينئذٍ اهل حمص

وحماة وشيدوا لهُ هيكلاً شريفًا وبسبب كثرة الآيات التي كانت تجري بشفاعتهِ ووفرة الناس الذين يزورونه ويتبرَّعون عليهِ بالاوقاف والنذور صار بعدة وجيزة ديرًا معظمًا حتى بلغ عدد رهبانهِ ثمانمائة راهب كما يُعرف ذلك من الاطلاع على رسائلهم ومن عدد القديسين الذين استُشهدوا فيهِ . وكان يُسمى دير القديس مارون على اسم صاحبهِ . ويُسمَّى ايضًا دير البلَّور لجمال بنائهِ ودير سورية على الاطلاق لان لهُ الرئاسة على ديورة ورهبان بلاد سورية باسرها . واقاموا حينئذٍ اماكن للحياة المشتركة ومحابس لفلسفة المتوحدين ومدارس لمطالعة العلوم ومنازل لايواء الغرباء وحقولًا ومزارع لتقوم بمعيشة النسَّاك والزوَّار

وكان رهبانه يتبارون في السيرة النسكية وتحصيل الفضائل وتلاوة الكتب الالهية ويجادلون اصحاب الآراء الفاسدة والمعتقدات المرذولة من بيعة الله . ولمَّا كانت سنة ٧٣٩ لاسكندر اليوناني الموافقة لسنة ٤٢٨ المسيحية وقع اختيار تاودوسيوس ملك الروم مع اكابر القسطنطينية على نسطور فاستقدموه من مدينة انطاكية واقاموه بطريركًا على كرسي المدينة المتملكة متيقنين انه يكون احسن خلفٍ ليوحنا فم الذهب الانطاكي في وعظه وقداستهِ . غير ان نسطور هذا لم يكن من نفس انطاكية وانما كان من بلاد مرعش فسار الى انطاكية ودرس فيها الفلسفة ومهر في فنّ الخطابة والنظر في الكتب البيعيَّة وكان يتظاهر بالتواضع العظيم ولين الجانب ولكنهُ كانَ في الباطن مشبعًا من السمّ الذي كرعه من حياض تعاليم ديودورس اسقف طرسوس وتاودورس اسقف المصيصة . فلما تمكن من الكرسي القسطنطيني اخذ في اقلاق بيعة الله زاعمًا ان المخلص لهُ المجد ما كان الّا انسانًا كسائر الناس ولكنهُ بسبب برارته وقداسته حلَّ فيهِ ابن الله وقدَّسهُ من غير اتحاد وان مريم العذراء لا ينبغي ان تُدعى والدة الاله بل والدة المسيح لكون المسيح على زعمه شيئًا وكلمة الله شيئًا آخر . والف في هذا الزعم الباطل اقاويل مختلفة وارسلها الى كنائس المملكة وحرَّض المؤمنين على اتباعها واعتقادها . ولمَّا بلغ خبره بطاركة النصرانية اخذوا يناظرونه

ويردعونه لينتهي عن هذا الاعتقاد الردي فابى الّا الاصرار على عناده • فعند ذلك امرت البيعة الجامعة بانعقاد المجمع الافسسي سنة ٤٣١ للميلاد وانفذ عند ذلك فيلسطينوس صاحب الكرسي الروماني كتاباً الى قورلُس والآباء الملتئمين بان أَحضروا نسطور المشار اليهِ وانذروه فان لم يرجع عن مقالتهِ في مدة عشرة ايام لانذارهِ حُطّوه قسرًا عن كرسي القسطنطينية • فعندها ارسل الآباء المذكورون ثلاثة اساقفة الى القسطنطينية مصحوبين برسالة الحبر الروماني

وبما ان الملك كان قد انحرف مع نسطور صدَّهم عن الوصول اليهِ ولم يمكنهم من احضارهِ • ثم منع التجار عن نقل الحنطة الى مدينة افسس حتى يتفرَّق آباء المجمع بسبب التضييق • فلمَّا يئس الآباء عند ذلك من استحضار نسطور فضحوا مقالته وعابوا امانتهُ وطعنوا بالحرم والقطع لهُ ولكل من قال بمقالته • وانفضَّ المجمع على هذه الصورة • اما يوحنا بطريرك انطاكية فعرض لهُ انهُ تأخر عن الاجتماع مع الآباء لعائق عاقهُ واتفق انهُ قدم الى أفسس مع ثلاثين من روساء كهنتهِ بعد ان كان قد فرغ آباء المجمع من حرم نسطور وتزييف رأيه فغضب عند ذلك من حرمهم لنسطور قبل وصوله ووصول قصَّاد الكرسي الرسولي • ولمَّا تحقق ايضاً ان قورلُس الاسكندري الذي كان رئيساً على المجمع قرَّر ان طبع الله الكلمة المتجسد هو واحد وقع النفور بينهُ وبين قورلس المذكور فرشق كل منهما صاحبه بالحرم وعادا الى كرسيَّيهما متعاديين • وبعد ثلاث سنين رجع الملك عن ميله الى نسطور فكتب الى كل من يوحنا وقورلس كتاباً ليصطلحا ويرفعا اسباب النزاع ويتلافيا الشقاق الذي جرى بين ابناء البيعة وتوعَّد المخالف منهما بالنفي • فجمع حينئذٍ يوحنا البطريرك اساقفة المشارقة معاً فحرموا نسطور ومن اتبع مقالته واتفق رأي الجمهور باسره على اقرار واحد وهو هذا

« اننا نُقرّ ان سيدنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد اله تام وانسان تام بالروح العقلية والجسد • فمن حيث اللاهوت وُلد من الآب قبل كل الدهور • ومن حيث

الناسوت وُلد من مريم العذراء في آخر الازمان لاجل خلاصنا · مساوٍ للآب في الالوهية ومساوٍ لنا في البشرية. ونُقرّ ان الاتحاد صار في الطبيعتين ولذلك نعتقد انهُ مسيح واحد وابن واحد ورب واحد. وعلى مقتضى هذا الاتحاد الغير المتخلخل نعترف ان البتول الطاهرة هي امّ الله وان الله الكلمة تجسد وصار انسانًا واتحد في حين الحبل مع الهيكل الذي اتخذه منها. اما الالفاظ الانجيلية والرسولية التي نطق بها الآباء اللابسون اللاهوت فلا اشكال فيها لان الذين جمعوها نظروا فيها وحدة الاقنوم والذين قسموها نظروا الى اثنينيَّة الطبيعة فنسبوا الالهيات الى لاهوت السيد المسيح والناسوتيات الى ناسوته»

فاعتمد الجمهور حينئذٍ على هذا الاقرار وبعثوا بهِ الى قورلس الاسكندري مع بولس اسقف حمص الرجل الفاضل والمستقيم الرأي. فلما وصل الى الاسكندرية وعرض كتاب يوحنا البطريرك على قورلس قبلهُ احسن قبول وفرح جدًّا بحسن اقرار المشارقة واستقامة اعتقادهم وامره ان يصعد على المنبر ويقرأه على رؤوس الشعب كلهِ. فلما تلا الرسول المشار اليهِ تلك الرسالة على الشعب اخبرهم عن نفسهِ وعن الذي انفذه اليهم وترجم لهم اعتراف اهل المشرق بالطبيعتين الالهية والانسانية المتحدتين بشخصٍ واحد من غير تبلبل ولا انفصال واكّد لهم ذلك بقول يوحنا الحبيب اي « والكلمة صار جسدًا وحلَّ فينا » وبرهن لهم ان كلمة الله الآب حلَّ فينا واتحد بالهيكل الذي اخذه منا وان الذي ولدته مريم البتول والذي صُلب من اجل خلاصنا هو على التحقيق اله متأنس. ثم طرح بدعة نسطور وحرمهُ وحرم شيعتهُ وانصارهُ ونادى في البيعة علانيةً ان مريم البتول هي والدة الاله المتجسد. ففرح بهِ كل الشعب واحمدوا ترجمته ومجَّدوا الله الذي القى بقدومه الصلح والاتحاد ما بين الكنائس واستمرَّ من ذلك الوقت اهل حمص وسورية على الاقرار بطبيعتي الرب الاله بكل حرارة

ثم ان الشيطان اغوى اخيرًا قلب اوطاخي الذي كان رئيسًا على بعض اديار

القسطنطينية فافسد اعتقاد الناس بقوله ان كلمة الله لم يتخذ جسده من مريم بل انهُ استحال اليها وصار لحماً فحصل عن الطبعين طبع واحد . ووافقهُ على زعمه ديوسقوروس الذي تخلَّف على الكرسي الاسكندري بعد قورلُّس وانبثّ هذا الاعتقاد الردي بين ابناء الكنيسة . فامر حينئذٍ البابا لاون ومرقيان الملك بانعقاد مجمع في مدينة خلقيدونية فالتأم المجمع المذكور سنة ٤٥١ للتجسد الالهي وكان عدة الآباء الملتئمين فيهِ ستمائة وثلاثين فصححوا ما كُتب في المجامع الثلاثة المتقدمة وقرّروا ان في ربنا طبيعتين متحدتين دون تبلبل باقنوم واحد الهي واعلنوا فساد امانة اطاخي وديوسقورس ورشقوهما بسهام الحرم القاطع وقضوا عليهما بالنفي قصاصاً عادلًا . ولكن لما تولى زينون سنة ٤٧٤ تدبير المملكة وكان على ضلالة ديوسقوروس عُني برفع شأن شيعته وعزل مرتيريوس عن كرسي انطاكية واقام عوضاً عنهُ بطرس القصَّار واتفق كلاهما مع اقاقيوس بطريرك القسطنطينية على نقض ما سنَّهُ الآباء المشرَّفون في المجمع الخلقيدوني وابرز زينون منشوراً يأمر فيهِ اهل المملكة ان يتمسكوا بالمجامع الثلاثة لا غير ليحصل الصلح والالفة بين جميع الكنائس شرقاً وغرباً

واما بطرس القصَّار الذي تغلَّب على الكرسي الانطاكي فانهُ ابدع قولًا جديداً وزاد رابوعاً على التقديسات الثلاثة بقولهِ : قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت قدوس الذي صُلب لاجلنا ارحمنا» وكان قصدهُ بذلك ان يعتقد المؤمنون اما بتألّم الطبع الالهي وموتهِ واما بوجود اقنومين في المسيح احدهما قوي والآخر ضعيف وهو الذي صُلب ومات . ولمَّا شاء ان ينشر بدعتهُ في بلاد سورية وجَّه نحو حماة رجلًا رديء الاعتقاد يُدعى يوحنا لكي يكون مدبراً لكرسيها . فلما وصل الى حماة واتصل خبرهُ برهبان دير مارون اتفقوا جميعاً على ان يمنعوا يوحنا القائل بمقالة القصَّار عن الدخول الى بلادهم فطردوهُ وامروا بان ترتل التقديسات الثلاثة في الصلوات النهارية والليلية على وفق ما تسلموها من الآباء الاولين وامروا ايضاً بوجوب كرامة المجمع الخلقيدوني نظير مجمع نيقية وقسطنطينية وافسس

وبعد هلاك زينون افضت توبة الملك الى انسطاس فجدّد الاضطهاد ايضاً على بيعة الله لميله الى مقالة الطبيعة الواحدة وحطّ فلابيانوس عن كرسي انطاكية سنة ٥١٢ وجعل مكانه ساويروس الذي كان شديد المناصبة للاون البارّ والمجمع الرابع. وكان ساويروس هذا في اول امرهِ صابئاً تلقى الفلسفة في القسطنطينية ثم سار الى حلب فعبَدَ الاصنام ومنها توجه الى مدينة طرابلس واصطبغ بصبغة المعمودية في كنيسة لاونت الشهيد وقبل ان تتم عدّة ايام الاكليل عاد الى خبثهِ وقرّب الذبائح للاوثان سرّاً. ولمّا تغلّب آخر الامر على الكرسي الانطاكي وتمكن منهُ عقد مجمعاً حرم فيهِ المجمع الذي التأم في خلقيدونية وحرم كل من يقرّ بهِ وكان بعض الاساقفة ظهراءه على هذا الضلال. اما اكثر الاساقفة فانهم تأخروا عن الحضور اليه لعلمهم بسوء طريقته ومعتقدهِ فسعى بهم الى انسطاس الملك فارسل هذا اليهم قوماً اشراراً لم تمسّ الرحمة لهم قلباً فسلبوا املاك الكنائس والاديار واسرفوا في النكاية والنهب حتى اجبروا كثيرين على الكفر بالايمان الصحيح. والذين ثبتوا على الرأي القويم اضطرهم الامر ان يهجروا املاكهم وبلادهم ويتغربوا الى الامصار البعيدة كما يظهر من اخبار ذلك العصر ومن المكاتبات والمراسلات التي تقدمت الى المجمع الخامس في حق ساويروس واتباعهِ من جميع اديار بلاد الشام. وحسبنا شاهداً على ذلك ما قالهُ لودوفيكوس بن يعقوب في اخبار القديسين الموجودة ذخائرهم في مدينة فولينيو من ايطاليا. قال في ترجمة القديس غالب: انهُ في سنة ٥١٦ مسيحية سار من بلاد الشام الى ناحية ايطالية قومٌ موصوفون بالقداسة والطهارة عدتهم ثلاث مائة نفس فتفرقوا في تلك الاصقاع وكانوا مجتمعين من مدن متعددة من انطاكية والقدس وقيسارية واللاذقية وصور وصيدا ودمشق الشام قاعدة آسية وكان بين اكثرهم نسبة الرحم. فهؤلاء كلهم اجتمعوا بقلب واحد ورأي واحد ووقفوا نفوسهم لخدمة الله وخلاص الانفس وغادروا اهلهم واصدقاءهم ومنازلهم وكل مانع يصرفهم وركبوا سفينة مريدين مدينة رومية وكان المقدم عليهم والاجل فيهم واكبرهم عمراً

وقداسةَ كربوفور ورفيقهُ مورس. فلما انتهوا الى روميــة الكبرى وزاروا هيكل القديس بطرس واوفوا نذورهم تقدموا الى تقبيل اقدام راس الاحبار البارّ هورميسدا. فاطلعوهُ على داعية قدومهم واباتوا لهُ عمّا في خواطرهم واخبروهُ انهم عزموا على بذل انفسهم لله شهادة على ايمان السيد المسيح اذا اقتضت الضرورة. فاثنى الحبر الاعظم على غيرتهم واحمد ديانتهم وثباتهم واشار عليهم ان يتفرقوا بعد خروجهم من رومية اثنين اثنين كما تفرق السبعون من تلاميذ ربنا للتبشير وبثّ الانجيل في العالم فخرجوا من ثم اذعانًا لامره على تلك الصفة الحسنة ولم يمضِ كثير زمنٍ حتى شرفوا اكثر جهات ايطاليا كامبرية وسابينة وتوسكان ولاسيوم ومرقة بمظهر سيرتهم وعظاتهم الروحانية. فنزع بعضهم الى الحياة العقليــة وسعوا اليها من طريق النسك والرهبانية واهمال لذائذ الدنيا وحبسوا نفوسهم لله في المغاور والكهوف

ولمّا ضاع عبير قداستهم وانتشر عرف فضائلهم اجتمع اليهم قوم كثيرون من المدن والقرى المجــاورة لهم وانضموا تحت ولايتهم فرأّسوا عليهم قومًا منهم في جملتهم القديس مورس وابنهُ الانبا سعيد وسار ايضًا من جماعتهم اثنان موصوفان بالقداسة الى فلورنتيل التي فوق سبلّاتي وكان اسم احدهما عازر والآخر يوحنا فاستمرّا على النسك متوحدين نحوًا من اربعين سنة فلما عرف فرندس هرسيني امير سبلاتي بفضائلهما بنى لهما ديرًا كبيرًا سنة ٥٧٥ وكانا فيهِ متقدمــين على جميع الاخوة. واما القديس لورنس مانح النظر واسحاق والوتار الذين كانوا من هذا النفر المذكور فانهم ترأّسوا على دير آخر قريب من سبولّاتي ايضًا. واما يوحنــا البار فانهُ صار رئيسًا على الدير الذي انشأهُ في بانارة. واما القديس اوتيشيوس فترأس على دير آخر يصاقب نرسية. والقديس مزهر تنسك ايضًا على مقربة من نرسية ولما توفي اوتيشيوس سأل الله ان يرسل اليهِ رجلًا يؤانسهُ ويساكنهُ في محبستهِ فسخر الله لهُ دبًّا ضاريًا كان ينقاد لهُ كل الانقياد يسوق الماعز التي عندهُ الى المرعى كل يومٍ ويأتيه بها في الساعة التي يعينها لهُ. وبالجملة فانهُ لم يكن يخالف لهُ امرًا ولا نهيًا. ثم انتقــل القديس مزهر الى موضع قريب من

فولينيو ورقد هنالك في الرب. واما سائر هذا الحزب المبارك فانهم اقاموا بالمدن والقرى يثقفون المؤمنين ويهذبونهم فاحبهم الجميع حبًّا صادقًا وكانوا يتعجبون من النعمة الحالة عليهم ويندهلون من مواهب الفضائل التي خصهم الله بهـا ويتحيرون من العيشة القشفة التي التزموها على تمام طهارة وقداسة. ولذلك اختاروهم اساقفة ورعاة لسياسة كنائس المدن فقضوا اجلهم اخيرًا بسلام من الله بعد ان عاشوا عيشة رسوليـة مقدسة . ومن جملة هؤلاء الذين رقوا الى مقام رئاسة الكهنوت كان يوحنا القديس الذي اقيم اسقفًا على مدينة ترني وانسطاس على مدينـة ترني وسيبيوس على مدينة سبلاتي وهركولان (الثاني بهذا الاسم) على مدينة فوجية. اما القديس غالب فكان اسقفًا على مدينة فولينيو ورقد في الله سنة ٥٥١. انتهى ما اخبر بـهِ لودوفيكوس المؤرخ وكلامهُ هذا يدلّ على الشدة التي جرت في بلاد الشام اوانئذٍ ويؤذن بصحة معتقدهم وحسن تمسكهم بدينهم

الفصل السابع

في الاضطهاد الذي جرى على رهبان دير القديس مارون بسبب انتصارهم للمجامع المقدسة

ان الاضطهاد الذي جرى في ذلك العصر كان اكثره على بلاد سورية ودير القديس مارون لقربه من انطاكية. وسبب ذلك ان انسطاس ملك الروم ارسل قبل الاضطهاد جماعة من قبله الى مدينة حماة ليرمموا اسوارها وقلعتها بما انهُ كان حموي الاصل كما اخبر عنهُ ابن بطريق. فقضوا في ترميها نحوًا من سنتين ولما كانت المدينة على مكان مشرف بحيث لايستقيم للنهر ان يجري في داخلهـا نصب لهُ رهبان دير مارون ناعورة كبيرة ينيف علوها على اربعين ذراعًا فاوصلوا الماء بواسطتها الى قلعة المدينة ومنها ادخلوهُ المدينة على قناطر وحنايا من حجر ولهذا سُمّيت بالمارونية باسم ديرهم ولما خرب الدير المذكور بتوالي الايام وظهرت دولـة آل عثمان قام منهم

سلطان يسمى السلطان محمد فشرع في عمارتها ثانية واجرى لها كل سنة مبلغاً من الدراهم يُنفق في اصلاحها وسمّاها المحمَّدية باسمهِ . وفي تلك الاثناء مات اسقف حماة فاقام ساويروس مكانهُ اسقفاً من القائلين بمقالته اسمه بطرس ولما انفذهُ اليهم ليتولى على كرسي حماة امتنع الحمويون من قبولهِ متأملين ان ينقلهُ الى كرسي آخر كما اتفق لهم مثل ذلك مع يوحنا الذي ارسلهُ اليهم سابقاً بطرس القصَّار فانهم لمَّا ابوا قبوله انفذه اقاقيوس الى مدينة صور . ولكن الامر جرى هنا على خلاف ما ذهب اليهِ ظنهم وانعقد عليه حكمهم لان ساويروس لمَّا انتهى اليه الخبر تغيَّظ جدًّا على اهل حماة وعلى رهبان دير القديس مارون الذين كانوا ظهراء لهم . فوشى بهم الى انسطاس الملك انهم عصاة على اوامرهِ فابرز انسطاس في حقهم منشوراً شديداً وامرهم ان يكونوا تحت طاعتهِ . وحينئذٍ انفذ ساويروس اوامرهُ الى بطرس الاسقف ان يسير الى حماة ثانية وينادي بتفنيد المجمع الخلقيدوني ويجبر المؤمنين ان يعتقدوا ان في السيد المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة واقنوماً واحداً كما سنّ آباؤهم في مجمع افسس . فثار الاضطراب اوانئذٍ في البلاد واضطرمت نيران القلاقل واتفق رؤساء الاديار وعلماؤها على ان يجتمعوا في دير القديس سمعان الذي في الجبل العجيب لاصلاح الكنائس وصيانتها من ذوي البدع . فلما همّوا بالمسير ارسل بطرس المتغلب على كنيسة حماة جماعة كمنوا لهم في الطريق فانصبُّوا عليهم بغتةً وقتلوا منهم بعضاً وجرحوا بعضاً وقبضوا على بعض . ثم جهز اعواناً اشد من الاولين كفراً واطلقهم الى الاديار والكنائس والقرى والمزارع فسلبوا الخزائن واختلسوا الآنية المقدسة وصبُّوا اكثر اضطهادهم على دير القديس مارون فاستباحوا جميع ما فيهِ ودكوا اسواره الى الارض وجعلوهُ قاعاً صفصفاً وبالجملة لم يقدروا على شرّ الَّا فعلوهُ . اما الذين كانوا قد لجأوا الى الكنائس خوفاً منهم فقبضوا عليهم داخل الخورس وهناك قطعوا ايديهم واهرقوا دماءهم الزكية من غير رحمة ولا شفقة . وكان عدد الرهبان المقتولين ثلاثمائة وخمسين . واما الباقون فأُرسلوا الى ساويروس مقرّنين بالسلاسل والاغلال

فامات بعضاً في السجن وبعضاً في المنفى وكان ذلك في سنة ٥١٧ . والكنيسة الرومانية تقيم ذكرًا شريفاً لهؤلاء الموارنة القديسين في اليوم الاخير من شهر تموز. ولما كان حبُّ السيد المسيح مستحكماً في صدور هؤلاء الرهبان لم يُهلهم النفي المريع ولا الموت الشنيع ولذا لم ينقطع بقيتهم عن مناصبة اعداء البيعة المقدسة فاجتمعوا ثانية وكان المتقدم فيهم اسكندر رئيس دير القديس مارون ووجَّهوا يوحنا وسرجيوس الى قسطنطينية ليتظلما الى الملك ممَّا اصابهم. اما الملك فلم يسمع لهما شكاية بل طردهما وهددهما. فلما اتصل خبر ذلك ببقيـــة الآباء وجَّهوا بهما حينئذٍ الى الحبر الاعظم هورميسدا صاحب الكرسي الروماني مع رسالة تتضمن شرح احوالهم وهـــذا نصّ الرسالة :

« الى جناب قدس البارّ هورميسدا بطريرك المسكونة باسرها ومالك كرسي بطرس هامة الرسل . وبعـــد فيتضرع متخشعاً لقداستك احقر الرؤساء وسائر الرهبان الذين في بـــلاد سورية الثانية . حقًّا ان نعمة مخلصنا يسوع المسيح هي التي الزمتنا ان نعتصم باذيالك وان نفرّ من لجج الامطار الطامية والرياح العاصفـــة الى ميناء الامان الهادئ والراحة المطمئنة موقنـــين اننا ولو اصبحنا مغمورين بامواج الاهوال والمخاوف نخرج ببركاتك سالمين من كل ضرّ . ولذلك فاننا نتلقى جميع ما يحل بنا من الشدائد بالصبر والفرح علماً منَّا بان مشاق هذا الدهر الحاضر لن توازي المجـد الذي نتوقَّعه . ولما كان مقررًا ان المسيح الهنـــا قد اقامك لتكون رأس الرعاة ومعلم الانفس وطبيبها وجب علينا ان نصف لك المشقَّات التي اصابتنا ونعرّفك بالذئاب الخاطفة الذين ينهشون قطيع المسيح بلا رحمة . حتى اذا اطَّلعت على مكرهم تخرجهم بعصا السلطان من بين الخراف الناطقة وتعزي الانفس المحزونة بكلمة العلم وتشفي ادواءها بمراهم الدعاء . وعلى حسب ما نظنّ انهُ بلغك خبر اللذَين فغرا افواههما علينا كالاسود ليفترسانا نعني بهما ساويروس وبطرس اللذين مرقا من حزب المسيحيـــين وفوَّقا سهام الطعن على المجمع الخلقيدوني ورشقاهُ بالحرم جهرًا مع ابينا الكبير في

القديسين لاون البارّ المعظم واحتقرا القوانين الموقرة المسنونة من الاباء الاطهار في المسكونة جمعاء . وقد استعانا بارباب السيف والسلطان على التنكيل بالرهبان والرؤساء واخيرًا انتهى عنفهما الينا فانزلا بنا اصناف العذاب المبرح آملين ان ننكر هذا المجمع المقدس

« ولما قصدنا المسير الى دير القديس سمعان لاجل قضاء بعض مصالح البيعة نصب لنا هذان الشقيان كميناً في الطريق فقتلوا منّا ثلاثمائة وخمسين نفساً غير الذين هشّموهم واثخنوهم بالجراح . وبلغ من قساوتهم انهم لم يعفوا عن الذين استجاروا بالكنائس بل دخلوا عليهم وذبحوهم امام الهياكل المقدسة . ثم وجّها قوماً اشرارًا فاقدي الرحمة فالهبوا النار في الاديار والبيع واحرقوا جميع الادوات التي وقف المؤمنون ورسائلنا التي مع الاخوين يوحنا وسرجيوس كافلة باطلاعك على كل الامور مفصلًا . وقد كنّا وجهناهما اولًا الى قسطنطينية ورجونا من الملك ان ينتصف لنا من خصومنا الذين مثّلوا بنا كل هذا التمثيل فلم يُجب الملك سؤالنا بل طرد رسولينا بغيظٍ شديد ومن ثم ايقنّا ان كل هذا التعدي على الكنائس لم يحصل الّا برضاه وخاطره . ولهذا نسأل قداستك ان تنتبه الينا بحرارة وغيرة وتشفق على هذا الجسد المسيحي لانك انت رأس الجميع ولك سلطان على ان تأخذ بثأر الايمان المهان والقوانين المدوسة وان تنتصر للآباء المشتومين وللمجمع الذي قُذف بالحرم ظلماً وعدواناً . اذ انك انت المتقلد الحكم من الله والمتسلم سلطان الحلّ والربط . والاصحاء ليسوا بمحتاجين الى طبيب بل الذين ركبتهم العلّة ومُنوا بالادواء . فقم اذًا يا ايها الطاهر وسارع الى انتياشنا واحذُ حذو الرب الذي انحدر من السماء الى الارض في طلب الخروف . ضارعْ بطرس هامة الرسل الذي انتصبتَ على كرسيهِ وبولس الاناء المنتخب اللذين انارا المسكونة بانوار تعاليمهما . لا جرم ان الجراح الثخينة تستدعي مراهم قوية وان الرعاة المستأجرين متى نظروا الذئب مقبلًا تركوه يفترس الاغنام . واما انت فبما انك الراعي الصالح والوكيل المؤتمن على خلاص الخراف الناطقة فبادر الى استنقاذ القطيع

الذي نحا نحوك ليلتمس راعيه واخرجهُ من ايدي الوحوش الضارية . ولا غرو ان قداستك لا تتغافل عن اسعافنا لان الوحوش المفترسة قد مكّنت فينا انيابها . ولكن محققًا لديك اننا بتوسلنا هذا نحرم جميع المنفرزين والخارجين عن كرسيك الرسولى المقدس وهم نسطور اسقف القسطنطينية واوطاخي وديوسقورس وبطرس الاسكندري الالثغ وبطرس الانطاكي القصّار ورفيقهم اقاقيوس اسقف قسطنطينية ومن ينتصر لهم ويحتج عنهم » . اه

وهذه صورة وضع امضاآتهم بخطوط ايديهم :

١ انا اسكندر برحمة الله قسيس ورئيس دير القديس مارون اتضرّع . ومثلهُ

٢ شمعون برحمة الله قسيس ورئيس

٣ يوحنا برحمة الله شماس ووكيل

٤ بروكوب برحمة الله قسيس ورئيس

٥ بطرس برحمة الله قسيس

٦ اوجان برحمة الله قسيس

٧ جيلاد برحمة الله قسيس

٨ بسوس برحمة الله قسيس

٩ رومولس برحمة الله قسيس

١٠ اورشال برحمة الله قسيس

١١ ملخس برحمة الله قسيس الخ

وفي ذيل الرسالة امضاآت كثير غير هؤلاء وجملتهم مائتان وعشرة . منهم مئة واثنان وخمسون قسوسًا . وثلاثة وثلاثون شمامسة . وخمسة وعشرون رؤساء . ومن هؤلاء الرؤساء ستة قسوس وثمانية شمامسة واما الباقون فدونهم درجة

فلما ان وقف الحبر الاعظم على الرسالة المذكورة واستفهم الرسولين عن جميع الاحوال مفصَّلًا شمله حزن شديد على ما اصابهم من البليَّة وبعث اليهم برسالة محرَّرة

في جملة رسائل البابارات اضربنا عن ذكرها طلباً للاختصار وهي تشتمل اولاً على التعزية بقوله ان هلاك الابدان عن الايمان لا يُحسب خسراناً وان ما مضى من الزائلات يعوَّض عنهُ بالباقيات . ثانياً حضَّهم على الثبات في طاعة الكرسي الرسولي والتمسك بعرى المجمع الخلقيدوني وباقي المجامع المقدسة . ثالثاً حثهم على مجانبة اهل البدع والاعراض عن مخالطتهم باي وجهٍ كان . وان يرذلوا سقطات نسطور واوطاخي وديوسقورس وطيموتاوس وبطرس الاسكندري واقاقيوس القسطنطيني وبطرس وساويروس الانطاكيين وفيلكسينوس اسقف هيرابولي وكورس الخالدي وبطرس الحموي وجميع اتباعهم ومشايعيهم على الاطلاق

ثمَّ ان البابا المذكور اخذ يكاتب انسطاس ملك القسطنطينية وطيموتاوس بطريركها وغيرهما من المخالفين يحضهم على ان يعتنوا بتدبير رعاياهم وارسل مع كتبهِ اليهم صحيفة مجمعية تتضمَّن الاقرار القويم بالايمان وامر بان تُعرَض على جميع الرؤساء والرعاة ليتمسكوا بها ويكتبوا اسماءهم وتسليماتهم في ذيلها بخطوط أيديهم . فلما وصلت الى الملك المذكور تضرَّم على قداسة البابا غيظاً وامر قصاده ان يجحدوها ويعتقدوا ما يخالفها فاذ لم يجيبوه الى مراده امر بنفيهم الى البلدان السحيقة . غير ان الله الذي يسمع دعاء عبيدهِ انتصف لهم منهُ عاجلاً فاهلكهُ بصاعقةٍ انقضَّت عليهِ من السماء سنة ثماني عشرة وخمسمائة . وعقبهُ في الملك يوسطينا فسلك في الرعية مسالك العدل والانصاف وبث الامن والسلام وابطل ما كان حكم بهِ زينون وانسطاس على المستقيمين في الامانة وامر بكتابة اسم المجمع الخلقيدوني فوق ابواب الكنائس ليعتقده الناس ويعتصموا بتعليمهِ وردَّ الآباء ورؤساء الكهنة المنفيين الى كراسيهم . وفي السنة الثانية لملكهِ قُبض تيموتاوس بطريرك القسطنطينية واقيم مكانهُ يوحنا الاسقف وكان مزيَّناً بالامانة المهذَّب رأيها فتواردت حينئذٍ على الملك الكتب والرسائل من الروساء والرهبان بانطاكية وبيت المقدس بسبب الشقاق الذي القاهُ بطرس اسقف حماة والتابعون لمقالة ساويروس فامر يوحنا البطريرك عند ذلك باقامة مجمع مكانيٍّ

حوى ثلاثة واربعين اسقفًا وكلهم اجمعوا على تخطئة ساويروس وحرموهُ وبعثوا بصورة الحرم الى هرميسدا بابا رومية والى بلاد الشام فعقدوا على شبه ذلك المجمع مجمعًا في بيت المقدس ومجمعًا آخر كبيرًا في صور ولعنوا في كليهما ساويروس وجميع القائلين بمقالتهِ . واما الرسالة التي انفذها اكليروس انطاكية وصور الى البطريرك يوحنا المشتملة على الطعن في ساويروس وبطرس الحموي والتوسل في رجوع الكهنة المنفيين الى كراسيهم فهذا نصها:

الى جناب رئيس اساقفة قسطنطينية مار يوحنا البطريرك العام ثم الى المجمع المقدس الملتئم بمشيئة الله

وبعد فيضرع شمامسة ورهبان الكرسي الرسولي بانطاكية العظمى كنيسة الله المقدَّسة القاتوليقية . . . ان جميع كنائس الله المتفرقة في المسكونة تصرخ بفمٍ واحد قائلة لتفرح السموات وتبتهج الارض لان الله رحم شعبه . ولكن بينا جميع انحاء المعمورة تتقلَّب بالفرح في مثل هذا العيد نرى كنيسة انطاكية وحدها ملآنة بكاءً وحزنًا لانهُ تولَّاها عوض الراعي الصالح ذئبٌ خاطف يفترس الخراف . لا شك ان الشرور التي صدرت عن ساويروس عظيمة جدًّا تفوت كل وصف . اما من حيث سيرته فاننا نضرب عنها صفحًا شفقة على مسامعكم . واما من حيث معتقده فهو من البين انهُ خالف جميع الكنائس ولم يتحد مع واحدةٍ منهنَّ اصلًا بل طعن بسهم التجني فلابيان ذلك الراعي المنتخب فاقلقهُ بنحتهِ وهجم على كرسي بطريركيتهِ وغلبه عليهِ قهرًا خلافًا لمراسيم القوانين البيعيَّة فاشبه بذلك الراعي المستأجر على رعاية خراف المسيح . ويا ليته يترك الخراف وشأنها فان ذلك من اجلِّ ما نبتغيهِ ولكنهُ متصلب تصلّب الخصم الالدّ متخلق باخلاق الوحوش الضارية هذا الى ما أَحدث من المقالات المملوءة شتمًا وكفرًا بالله . لم يعف عن أَحدٍ من الآباء الاطهار بل جعل دأبه الكفر والتجديف على المجامع الملتئمة بالتقوى والاتفاق . اخذ يحرم ويحارب المجمع الخلقيدوني الذي ثبَّت سُنن الآباء المائة والخمسين الابرار مع الآباء القديسين الذين اجتمعوا لمقاومة نسطور الملحد في مدينة

أفسس . وكما انهُ رفض المجمع الخلقيدوني وازدراه فهكذا يرفض ايضاً المجامع المتقدمة المؤاخية لهُ . فكم راهبٍ طاهرٍ جدّلهُ قتيلًا فذبحهُ بيدهِ الظالمة . وكم ناسكٍ مجاهد قد تناهى في الشيخوخة المخصبة بالصالحات ضرّجهُ بالدماء وتركهُ صريعاً على الثرى مأكلًا للكلاب وفريسة لجوارح الجوّ . اهلك اكثر من ثلاثمائة نفس كلهم من ناحية سورية الثانية هذا الى انهُ قبض على كثيرين بسبب الايمان وصفّدهم بالقيود والاغلال والقاهم في السجون المظلمة ثم اباده بشدّة الضرب والتنكيل . واستعمل السحر والرقى ونحر الذبائح للشياطين . وهدّم الهياكل المقدّسة وسلب الاواني المكرّسة وفرّقها على جماعتهِ واهل شيعتهِ . وبلغ من افترائهِ ايها الآباء الاطهار انهُ كسر حمامات الذهب والفضة التي تُعلّق فوق حوض المعمودية والمذابح وغيرها محتجاً بانهُ لا يسوغ تمثيل الروح القدس بهيئة حمامةٍ . اما اموال الكنائس واثاثها فقد استلبها باسرها مع كل ما وقع تحت يدهِ في الخزائن من الاشياء الثمينة والنفيسة . واعلموا ايها الآباء الاطهار اننا عاجزون عن ان نصف لكم جميع ما ارتكب هذا الغاشم من القبائح بالتفصيل . لذلك نجتزئ بما اوردناه ونسأل جمعكم المقدّس ان تدرؤوا عنا هذه الشرور التي احدقت بكنيستنا ولفح شواظها اكثر اهل المشرق . ألا انقذونا من أيدي هذا الرجل الفاتك وعاملوهُ بموجب ما اقترف من تجاوز القوانين الالهية والسنن الشرعية وبادروا الى استرجاع ما بقيَ من الامتعة التي اختلسها وحثّوا الملك المظفّر الموصوف بالحلم والعدالة ان يوجه قوماً معروفين بالوقار والرّزانة ويضم اليهم اناساً من جماعتنا لكي يُنقّبوا عن كلّ ما نهبهُ ويضبطوه بالاستقصاء لان رجل السوء هذا لا ينكفّ عن تبديد ما هو لكنيسة الله وما يدخل لها في مدة اقامتهِ . والظاهر من امرهِ انهُ قنط من رحمة الله وقصر آمالهُ على القوم الاشرار . ونتضرّع ايضاً الى حضرة الملك المنصور ان يرسل جماعةً من اهل الكهنوت ليُعيد اصحاب الدرجات المنفيين الى مدنهم ومراتبهم ونتأمل ان لا يتوجّه الينا لومٌ من الملك على طلبتنا هذه لانّ ما نذوقهُ من مُرّ العذاب يسوّغ لنا خرق الحجاب . ونستحلفكم ايضاً بالثالوث الاقدس المتساوي في

الجوهر وبحلم ضابطي المسكونة يوستين الملك واوفاميا والدته ايدهما الله بالفوز واطال بقاءهما ان لا تتغاضوا عن مسأَلتنا ولا تنكِبوا عن اسعافنا وان توصلوا هذه الامور كلها الى مسامع ملوكنا المسيحيين وان توصوهم ان يحسنوا العناية بنا لعلَّ الله يعوض علينا بسعيكم عمَّا سُلب من اموال كنائسنا ». اه

وهذه صورة تواقيعهم بخطوط ايديهم :

١ ثاودس برحمة الله قسيس انطاكية قدّمت

٢ لُنجين الشماس كذلك قدمت

٣ اسطفان الشماس كذلك قدمت

٤ موريق الايبوذياقن كذلك قدمت

٥ يوليان برحمة الله شماس كذلك قدمت

٦ توما برحمة الله شماس كذلك قدمت

٧ يوحنا برحمة الله قسيس كذلك قدمت

٨ اندراوس كذلك قدمت

٩ اليان كذلك قدمت

١٠ مركيلُس الشماس كذلك قدمت

١١ سرجيُس الرحوم كذلك قدمت

١٢ موسى برحمة الله قسيس كذلك قدمت

١٣ يوحنا كذلك قدمت

١٤ يوحنا راهب دير القديس مارون كذلك قدمت

١٥ يعقوب راهب الرجل الصالح كذلك قدمت

١٦ قسطنطين راهب وقاصد أَستيرُس ذي الذكر الصالح كذلك قدمت

١٧ نونيُس شماس دير القديس بولس كذلك قدمت

١٨ سليمان راهب دير القديس اغابيطس كذلك قدمت

١٩ سرجيُس راهب دير القديس سمعان كذلك قدمت
٢٠ حلفى راهب دير القديس يعقوب كذلك قدَّمت
٢١ سعيد راهب دير القديس يوحنا كذلك قدَّمت
٢٢ سمعان راهب دير القديس بولس كذلك قدَّمت
٢٣ بولس راهب دير القديس ايسكيُس كذلك قدمت
٢٤ عبد الاحد راهب دير القديس دوروتاوس كذلك قدمت

فلما وقف يُستين الملك على هاته الرسالة قبض على بلميط فاهلكهُ وعلى بطرس اسقف حماة وعلى اسقف منبج فالقاهما في السجن لانهما كانا من أشياع ساويروس وكانا يبثّان ضلالهُ بين الشعب. واذ علم ساويروس بصنيع الملك شمله الخوف الشديد ففرَّ هاربًا نحو بريَّة مصر

اما الملك المذكور فقضى اجله في السنة العاشرة من ملكهِ فخلفهُ ابن اختهِ يستنيانُس واقتفى غيرة خالهِ وبثّ اوامرهُ في الشدَّة على التحزبين لنسطور واوطاخي وابليناريُس وغيرهم ووضع الشرائع المعروفة بهِ وضمَّ اليها قوانين خاصة بالكهنة والرهبان اجابةً الى طلب ابيفان بطريرك القسطنطينية ومجمع روساء الكهنة وذلك صيانةً لرسوم البيعة وايجابًا لرعاية حقوقها . فاستقامت حينئذٍ الاحوال واستتبت الراحة. الّا ان تيودورة امرأة الملك المذكور كانت متشبثةً بضلال ساويروس فلهذا كانت تعتني باهل شيعتهِ وتستميل الملك اليهم . ولما قُبض ابيفان البطريرك خلفهُ على الكرسي القسطنطيني انتيمس الذي كان متظاهرًا بحسن الديانة وذلك بسعي الملكة المذكورة . ولكنهُ لما ورد اغابيطس الحبر الروماني على المدينة المتملكة حطّهُ عن كرسي قسطنطينية لاباتهِ المجمع الرابع واقام مكانهُ مِنّا الارثوذكسي فسالك في الرعيَّة أحسن السلوك وعقد سنة ٥٣٦ مجمعًا حافلًا التأم فيهِ اثنان وتسعون اسقفًا وجدَّدوا الحرم والطعن في ساويرس وبطرس الحموي وزعيرا السرياني الذي اقلق بيعة الله وكان يجدّد عماد كل من تبع مقالته

ان الرسائل المسطرة في المجمع الخامس المسكوني يُستدل منها صريحًا على حرارة رهبان القديس مارون في الايمان المستقيم وانتصارهم للمجمع الرابع والبـار لاون الاول الذي امر بعقده ويتبين منهـا ايضًا انهُ لما قدم اغابيطس للحبر الاعظم الى قسطنطينية انفذوا اليهِ رهبانًا من جماعتهم ليؤدّوا لهُ فرض الطاعة ويشكروا لهُ على حطّهِ لانتيمس المبتـدع عن كرسيهِ ويسألوهُ ان ينتقم من ساويروس وتابعيهِ. ولما توفي البابا المذكور في قسطنطينية وعقد منا البطريرك المجمع المشار اليهِ آنفًا جدّدوا المكاتبة ايضًا الى البطريرك صحبة يوحنا القسيس وكان امضاؤهُ على هذه الصورة «يوحنـا برحمة الله القسيس الراهب سفـير دير القديس مارون المترئس على جميع الديورة والرهبان المكرَّمين في سوريّة الثانية والمتكلّم عن جميع روساء الاديار والرهبان الذين في سورية هذه كتبت». — ثم انهم بعثوا ايضًا برسالة اخرى صحبة بولس الشماس الى يُستنيان الملك وكانت كتابة اسمه على الصورة الآتية ايضًا «بولس الشماس برحمة الله سفير دير القديس مارون المقدَّم على جميع الاديار الموقرة في سوريّة الثانية والمتكلّم عن جميع رؤساء الاديار التي في سورية المذكورة تضرعت وقدمت». وما زالوا على هذه الصورة يشدّدون النكير على القائلين بالطبيعة الواحدة الى ان درَست مقالتهم وتشتَّتت شيعتهم في اقصى بلاد الشام. وكان هؤلاء الرهبان يُسمون موارنة لانهم كانوا مقيمين بدير القديس مارون كما اثبتهُ بارونيس المؤرخ في حواشيهِ على السنكسار الروماني في اليوم الحادي والعشرين من تشرين الاوَّل

وبعد هذه الشؤون كلها قام رجلٌ مشاقٌ اسمهُ يعقوب البرادعي قصد ان يحيي مقالة ساويروس فتصدَّى لهُ افرام الآمدي خليفة افراسيُس على الكرسي الانطاكي وكان المذكور حميد السيرة شديد الغيرة على حفظ الايمان الارثوذكسي وقد بنى سنة ٥٣٢ كنيسة كبيرة بانطاكية وجمع روساء الكهنة الذين كانوا وقتئذٍ بسورية وعدتهم ١٣٢ لاجل تكريس الكنيسة المجدّدة فعلّموا حينئذٍ قواعد المجمع الرابع وحرموا ساويروس ومن يقول بقولهِ. وبعد مدة من الزمان اخذ اهل الطبيعة الواحدة يقولون بالمشيئة الواحدة

وكان السبب في ذلك ما يأتي : وهو ان هِرَقل الملك بعد ان ظفر بالفرس واسترد منهم خشبة الصليب الطاهر وأتى بها الى بيت المقدس وتحمّل من هنالك الى الرّها وبلغهُ وفاة غريغوريس بطريرك انطاكية أخذ يتفحّص عن خلفٍ يرقيه الى هذا المقام يكون موافقًا لرأي المجمع الرابع . وفي اثناء ذلك تقدَّمَ اليهِ انسطاس اليعقوبي وعرض نفسهُ على البطريركية المذكورة فاجابه الملك : لو كنت تقرُّ بحقيقة المجمع الرابع وصحتهِ لجعلتك بطريركًا على الكرسي الانطاكي فقال انسطاس : اني مُقِرٌّ بطبيعتي السيّد المسيح والمجمع الرابع غير انني متردّد الرأي فيما اذا كان للسيد المسيح مشيئةٌ أو مشيئتان فاطرق الملك ساعةً ثمّ امر باقامتهِ بطريركًا على كرسي انطاكية من غير ان ينتبه الى خدعتهِ . وبعد مدّة اجتمع الملك بقورش اسقف بسندس وسركيس بطريرك القسطنطينية واستفهمهما عمَّا اذا كان في المسيح مشيئةٌ أم مشيئتان فكان جواب كليهما ان للمسيح مشيئةً واحدة كما انَّ لهُ اقنومًا واحدًا وافهماهُ ان هذا الرَّأي هو الرأي المقبول المسلَّم بهِ عند جميع النصارى الذين من اتباع نسطور واوطاخي وساويروس وابليناريُس اذ لو كان فيهِ مشيئتان وقع التناقض وصارت الواحدة تضاد الاخرى وتشاء هذه ما لا تريده تلك . اما الملك فقبل قولهما واقام قورش بطريركًا على الاسكندرية وكتب منشورًا بهذا الاعتقاد الذي الفهُ سركيس في امر المشيئة الواحدة وعلَّقه على سور الكنيسة . واما قورش فعندما تمكن من الكرسي الاسكندري عقد في سنة ٦٣٣ مجمعًا زوريًا اثبت فيهِ ان في المسيح مشيئة واحدة وفعلًا واحدًا لا غير وبعث بصورة مجمعهِ الى سرجيُس بطريرك قسطنطينية . وسرجيس هذا الذي كان يعقوبي الاصل اغرى الملك ان يبعث بصورة هذا الاعتقاد الى عاملهِ اسحق في بلاد المغرب ليعرضها على البابا ويُثبتها وينادي بقبولها . فلما وصلت الصورة المذكورة الى البابا سيبارين قرأها على مسمع الآباء في رومية ثم نادى بتزييفها وحرمها فوثب عليهِ الجند واماتوه تحت العقاب ونهبوا منزلهُ وابعدوا عظماء ديوانه ولم تزل نار هذه البدعة مضطرمة في جميع كراسي المشرق الى حدود السنة ٦٨٠

التي عُقد فيها المجمع السادس لان هذه البـدعة اتصلت في الكرسي الاسكندري من قورش الى بطرس والذين خلفوهما وكذلك في الانطاكي من انسطاس الى مقدونيس الى جُرجِج الى مقاريس وفي القسطنطيني من سرجيُس الى برّوس الى بولص الى بطرس الى توماس واتباعهم. فاشتـد لذلك غضب الله عليهم واظهر لهم سنة ٦٣٢ في الجوّ في رابعة النهار شهباً من النار على شبه السيف المسلول. ولم يكن في كل تلك المدة احدٌ من بلاد الشرق يجسر ان ينادي جهرًا باعتقاد المشيئتين الّا صفرونيُس اللبناني لانه لما اقيم بطريركًا سنة٦٣٣على بيت المقدس عقد مجمعًا لاجل اثبات الاعتقاد بمشيئتي المسيح والاقرار بهما على ضدّ المجمع الذي عقده قورش في الاسكندرية وارسل صورة المجمع المذكور الى انوريُس بابا رومية وسرجيُس بطريرك قسطنطينية ليُزيل عنهُ شبهة الرأي الفاسد. اما الثاني الذي انتصر جهرًا لعقيدة الطبيعتين والمشيئتين فانما هو يوحنا السرومي كما اقرّ اليعاقبة بانفسهم في قصة معلمهم يعقوب البرادعي الذي بسببه سموا يعاقبة وهذا نص كلامهم:

ܩܡ ܕܝܢ ܝܥܩܘܒ ܘܐܙܠ ܠܩܘܣܛܢܛܝܢܘܦܘܠܝܣ ܕܡܫܝܚܝܐ

ܗܘ ܕܡܢ ܝܥܩܘܒ ܐܦܝܣܩܘܦܐ ܩܕܝܫܐ ܕܐܘܪܗܝ

ܐܬܩܪܝ. ܘܡܛܠ ܕܟܠܗ ܕܥܕܬܐ ܡܫܝܚܝܬܐ ܗܘ

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ܐܘ ܕܝܥܩܘܒ ܡܫܠܡܢܘܬܐ ܕܫܠܝܚܐ ܩܕܡܝܐ

(ترجمته) قام يعقوب وحفظ امانة الرسل التي تسلسلت من يعقوب اسقف اورشليم الاول وملأت البيعة جميعها محاسن. والآن عند ما يلتقي الفريقان من المراطقة والارثوذكسيين بعضهم ببعض تسآلهم المراطقة من اَنتم فيجيبهم الارثوذكسيون اَننا من حزب اَمانة يعقوب اوّل الرسل واخي الرب الملقب بالصغير وهذه الامانة هي التي يعظنا بها يعقوب هذا الالهي. واَما خصومهم فكان جوابهم اِننا من حزب اَمانة اَفرام الآمدي اَو يوحنا السرومي البطريرك عدوّ الله (١)

فالظاهر من قول المتمسكين بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة انهم ما سموا باليعقوبية الّا بسبب يعقوب البرادعي الذي اقيم مطراناً على الرها ويتبيّن ايضاً ان المتمسكين بالطبيعتين والمشيئتين كانوا من حزب افرام الامدي ويوحنا السرومي اللذَين تعاقبا في كرسيّ انطاكية. وقد ذكرنا آنفاً عن افرام انه كان صاحب حرارة شديدة في الايمان المستقيم وانه كان يناقض تعليم يعقوب المذكور ويُظهر فساد معتقده. اما يوحنا السرومي فاصلهُ راهب من رهبان دير القديس مارون وبسبب انتسابهِ الى الدير المذكور لُقب بمارون على سبيل المجاز والسعة. وكان هذا المذكور من اشدّ المخاصمين لمذهب يعقوب البرادعي والمخطئين رأيه ثم آل امرهُ الى ان صار رأساً للامة المارونية لذلك تعيّن علينا ان نبسط ترجمة حالهِ من حيث العلوم والمسلك والرتبة في الفصول الآتية

(١) قال سلطان العلماء السمعاني بعد نقل هذا الكلام (مج ١ ص٤٩٦) ان المؤلف السرياني يتكلّم هنا عن يوحنا مارون القديس لا عن يوحنا السرومي الآخر الذي رقاهُ يُستنيان الملك الى مكان اوطاخي القسطنطيني كما رواهُ ابغريو في الكتاب ٤ من الفصل ٣٨. لان يوحنا هذا لم يتفق لهُ مطلقاً انهُ جادل اهل لبنان او غيرهم من السوريين حتّى لم يكن اسمهُ معروفاً عندهم. واَمّا تسميتهم ليعقوب باول الرسل فهذا ما يخالف اليعاقبة الذين لا ينسبون الاوليّة الرسولية الّا لبطرس كما يُعرف من كتب طقوسهم. ولا يلقبون ايضاً اورشليم مركز يعقوب بلقب البطريركية (كما نبه على ذلك ريناودوس مج ٢ ص ٩٥) مع انهم يسمونها ام جميع الكنائس كما يعرف من ليتورجية يعقوب المذكور التي اوردها ريناودوس المشار اليهِ ص ٣٤ و ١٢٨



القديس يوحنا مارون البطريرك الاول الانطاكي من الطائفة المارونية.

الفصل الثامن

في نسب القديس يوحنا مارون السروجي والكلام عن مكانهِ وزمانهِ

كان يوحنا السروجي (الذي سمي فيما بعد مارون) ابن اغاتون بن اليديبس ابن اخت كارلومانيو البرنس الذي قدم من فرنسا الى انطاكية فاستولى عليها وعلى بلاد سورية في دولة الروم كما تشهد بذلك القصة المكتوبة بخطٍ كرشوني في كتابٍ قديم موجود في كنيسة السيدة بدمشق وهذا نصها: «وكان رأس الامة المارونية رجلٌ اسمهُ يوحنا فاضلٌ عالمٌ خيِّرٌ مستقيم كثير الفضائل وهو من أصلٍ شريف اسم ابيهِ اغاتون وامــهِ انوهاميا واسم جدّهِ اليديبُس ابن اخت ملك فرنسا وكان اسم الملك كارلومانيو. فلما قدم الى سورية واستولى عليها بقيَ الامير اليديبس ابن اختهِ في مدينة انطاكية فرزقه الله ولدًا سماهُ اغاتون واغاتون وُلِدَ لهُ يوحنـــا فتأدب يوحنا بالعلوم الروحية والتفاسير الانجيلية ومهرَ في السريانية وسلك طريق النسك والعفـــة واقيم بطريركًا على هذه الامة». وبمثل ذلك تشهد اخباره التي ارسلها الاسقف جبرائيل ابن القلاعي الى القس جرجس بن بشارة سنة ١٤٩٥ وطبعها باللاتيني فرنسيس كوارسم سنة ١٦٣٤ ولذلك يسميه عبد يشوع في الميمر الذي ألفهُ (قبل سنة ١٥٥٥) في العلماء الذين صنفوا الكتب وقد ترجمهُ وشهرهُ بالطبع ابرهيم الحاقلاني سنة ١٦٥٣ ܝܘܚܢܢ ܒܪ ܦܪ̈ܢܓܝܐ (١) اي يوحنا ابن الفرنج وذلك في الصفحة ٨٨. وعلى التحقيق ان هذه الاسماء اغاتون وانوهاميا واليديبس وكارلومانيو ما هي عربية ولا سريانية وانما

---

(١) ان العلّامة السمعاني قد اصلح قول العلّامة الدويهي والحاقلاني وذكر ان الاصل في كلام عبد يشوع ܒܪ ܩܩ̈ܝܐ اي ابن الفخارين لا ابن الفرنج (المكتبة الشرقية مج ١ ص ٥١٠) وقال في المجلد الثاني ص ٣٠٦ في الحاشية: يوحنا ابن الفرنج كذا سمّى ابن العبري مؤلفًا نسطوريًّا ذكره عبد يشوع في فهرست الكتبة السريان وفي كتاب الجوهر. وقرأ الحاقــلاني مكان ܒܪ ܩܩ̈ܝܐ اي ابن الفخارين ܒܪ ܦܪ̈ܢܓܝܐ اي ابن الفرنج وظن هو والاهدني ان المراد بهذا الاسم يوحنا مارون وما هو بالظن الملاقي الواقع. وقال بمثل ذلك ايضًا في مج ٣ ص ١٨٩

هي افرنجية . وكما ان يوحنا كان افرنجي الاصل كذلك كانت اكثر مخالطتهِ للافرنج وعلى يدهم ارتقى الى اجلّ مراتب البيعة . ويسمى ايضاً بالسرومي نسبة الى سروم وهي قرية كبيرة بالسويدية قريبة من انطاكية كانت مقاماً لابيهِ اغاتون او اقطاعةً لهُ . وكان لاغاتون ايضاً ابنةٌ رزقت ولدين هما ابرهيم (١) وقورش . وابرهيم البكر كان صاحب رأي وشجاعة في الحروب ولمَّا انتقل خالهُ من دير حماة الى سمر جبيل التي فوق البترون كان متقلدًا امارة الجيش . اما قورش الذي يسمى ايضاً كروس او كروسي فحذا حذو خالهِ وخلفهُ على رئاسة الكرسي الانطاكي . واما البطريرك يوحنا فانَّ والديه دفعاهُ من نعومة اظفارهِ الى مدارس بلادهِ فتعلم العلوم الرياضيَّة والالهيَّة في انطاكية اوَّلاً ثم في دير القديس مارون وسار بعد ذلك الى قسطنطينية دار الملك كما تخبر بذلك سيرتهُ وتخرَّج في لغة اليونانيين وفنونهم وطالع ميامر الآباء الاطهار وتفاسيرهم . ولما عرف بوفاة ابويهِ عاد الى وطنهِ وولّى ابن اختهِ ابرهيم على تدبير البيت واخذ قورش وصعد بهِ الى دير القديس مارون الذي على نهر العاصي وهنالك لبس اسكيم الملائكة واخذ ينمي في الحكمة والنعمة عند الله والناس وتدرَّج في مراتب الدير وصنَّف كتباً عديدة ذكرها عبد يشوع في الميمر الذي تقدم بقولهِ :

ܝܘܚܢ ܒܪ ܡܪܘܢܐ

ܥܒܕ ܦܘܫܩܐ ܠܟܬܒܐ ܗܘܐ

ܡܕܒܪܢܘܬܐ ܕܟܗܢܐ

ܘܕܝܢ ܡܠܟܐ ܘܐܝܟܢܐ

(١) وكان اليعقوبية يسمونهُ برجيم تحقيرًا لهُ كما لاحظهُ المعلم باجيُس في حواشيه على سنة ٦٣٥ قال : ان يوحنا مارون هذا جلب عليهِ بغضة اليعقوبية بواسطة كتاباته وخطبه ومجادلاته ولذلك سموهُ احتقارًا موبرين على ما هو مذكور في كتاب تعليمهم عند وصف الاضطهاد الذي انزلهُ بهم ملوك الروم لالزامهم بقبول تعاليم المجمع الخلقيدوني اذ يقولون : فارتفع مُوبرين وابن اختهِ برجيم»

ܗܘ ܕܣܡ ܠܘܩܒܠ ܕܝܠܕܐ

ܗܘ ܕܦܫܩ ܟܠܗܘܢ ܕܟܬܒܐ ·

ܕܐܪ̈ܙܐ ܘܕܬܫܡܫܬܐ

ܘܐܦ ܠܗ ܒܡܠܬܐ ܕܫܘܐܠܐ

فالكتاب الأوَّل في سياسة الاولاد وتربيتهم · والثاني في جملة مسائل واجوبتها · والثالث في سبع عيون الرب · والرابع في الاوثاق · والخامس في الشملاية ولعلَّ المراد بها تفسير امور القداس والشرطونية ذكر ذلك ابرهيم الحاقلاني في مصنفاتهِ · السادس في تفسير الفاظ الكتب المقدَّسة · وذكر هذا الكتاب ابن العبري في تأليفـهِ المسمى « أَوْصَرْزْزِي » ܐܘܨܪ ܪ̈ܐܙܐ · السابع في الرد على بدعة نسطور الذي زعم ان في المسيح اقنومين وعلى تجديف بطرس القصار في التقديسات الاربع · الثامن في رسالتين برهن في احداهما انَّ في المسيح ربنا طبيعتين الهية وبشريَّة · وفي الثانية انَّ فيهِ مشيئتين · وأتى بذكرها في بدء الرسالة الاولى حيث يقول :

ܘܐܦ ܗܘܝܘ ܡܢ ܐܪ̈ܒܥ ܒܢ̈ܝܐ ܠܗܘܢܐ ܡܢ ܘܐܝܣܘܐ ܕܡܫܡܫܢܘܬܐ ܐܦ ܠܗܘܢ ܕܡܫܝ̈ܚܐ ܐܦܢ ܒܢ̈ܝܐ ܕܡܬܕܒܪܝܢ ܐܝܟ ܒܪ̈ܢܫܐ ܡܠܠ ܕܟܬܒܘܢ (١) وقد وقفنا على بعض هذه الكتب والبعض الآخر لم يصل الينا ولم

---

(١) وفي نسخة دير اللويزة لرهبان الموارنة الحلبيين بعض اختلاف وزيادة في سرد هذه الكتب وهذا نصهُ بالحرف :

فالكتاب الاوَّل ما ذكرهُ الشاعر في تأديب الاولاد وتهذيبهم · والثاني في ترجمة الاصوات الملتبسة وتفسير الالفاظ المشكلة في الكتب المقدَّسة وقد وقف عليها ابن العبري والمع اليهما في كتابهِ المسمَّى ܐܘܨܪ ܪ̈ܐܙܐ · والثالث يتضمَّن رسائلـه التي كان يبعث بها الى الغير في معانٍ مختلفة وقد وقفنا على بعض منها من جملتها كتاب الايمان وهو رسالة مسهبة بعث بها من دير

نهتدِ اليهِ . ولذلك شاع خبره في بلاد الشام والفرس والروم فاستمال كثيرين الى الايمان

مارون حذاء النهر العاصي الى سكان لبنان جمع بها من البراهين اللاهوتية والفلسفية وشهادات الوحي واكثر الآباء القديسين لاخص اسرار ايماننا التي خالفها هراطقة ذلك العصر ما يجعل هذه الرسالة حريَّة ان يقال فيها لم تسمح قريحة بمثالها ولا نسج ناسج على منوالها وهذا عنوانها : ܡܟܬܒܢܘܬܐ ܕܗܝܡܢܘܬܐ ܬܪܝܨܬܐ ܕܥܒܝܕܐ ܠܡܪܝ ܝܘܚܢܢ ܡܪܘܢ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܡܪܘܢ ܠܗܕܝܐ ܕܡܫܡܥܢܐ ܡܫܝܚܝܐ . والكتاب الرابع في نقض آراء اصحاب البدع والعقائد الفاسدة وهذا الكتاب ما رأيناه بل اننا استدللنا عليهِ من قول المصنف في الرسالة المقدم ذكرها عند قولهِ : ܘܡܫܝܚܐ ܐܠܗܐ ܡܢ ܬܪܝܢ ܟܝܢܐ ܐܠܗܘܬܐ ܘܐܢܫܘܬܐ ܘܡܫܡܠܝܐ ܐܝܬ ܒܕܝܠܝܬܗܘܢ ܐܝܟ ܕܐܡܪܢ ܠܥܠ ܕܝܠܗܘܢ أي والمسيح من طبيعتين الهية وبشريَّة كاملتين بخواصها كما تقدم القول عن ذلك . ومدارهُ البرهان على اثبات المشيئتين والفعلين نقيض ما كانت تعتقدهُ الروم في عصرهِ وتنتصر لهُ . وهذا الكتاب اَخفاهُ توما الكفرطابي لان توما هذا اقام ستَّ سنين يجول في قرى لبنان واديارهِ كما هو مذكور في كتاب العشر المقولات ليتمكَّن من زرع زوانهِ في كتب الكنيسة المطابقة لصحيح الايمان ويبذر فيها ما التقطهُ من مخترعات تاريخ ابن البطريق عن المشيئة الواحدة ومن البطاركة والملوك الذين تمسكوا بهذه البدعة . ثم اننا قد وقفنا على ثلاث رسائل اخرى اولاها في الردّ على اتباع اوطاخي وديوسقورس اللذين اعتقدا خلافًا للكنيسة الجامعة ان في السيد المسيح طبيعةً واحدةً وعنوان الرسالة هكذا : ܬܘܒ ܡܐܡܪܐ ܡܢ ܡܠܦܢ ܩܘܕܫܐ ܠܘܩܒܠ ܚܕ ܟܝܢܐ ܒܡܫܝܚܐ ܗܘܘ ܕܝܢ ܗܠܝܢ ܕܡܚܠܛܝܢ ܟܝܢܐ ܕܐܠܗܐ ܡܠܬܐ ܥܡ ܦܓܪܗ ܘܐܡܪܝܢ ܚܕ ܟܝܢܐ أي سؤال مختصر ضدّ الذين يوحّدون طبيعتي[1] المسيح فيخلطون طبع الله الكلمة البسيط مع جسده . والثانية في الردّ على نسطور الذي اوقع الفصل ما بين اقنوم الكلمة واقنوم المسيح وهذا عنوانها : ܬܘܒ ܡܐܡܪܐ ܡܠܦܢ ܡܢ ܩܘܕܫܐ ܠܘܩܒܠ ܢܣܛܘܪܝܘ اي برهان موجز ضدّ النسطوريَّة . والثالثة في تفنيد الزيادة على التقديسات الثلاث وهذا عنوانها : ܬܘܒ ܡܐܡܪܐ ܥܠ ܬܘܣܦܬܐ ܕܩܕܝܫܐ ܩܕܝܫ ܐܢܬ ܐܠܗܐ ܩܕܝܫ ܚܝܠܬܢܐ ܩܕܝܫ ܠܐ ܡܝܘܬܐ ܕܐܨܛܠܒ ܚܠܦܝܢ اي احتجاج على قولهم قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت يا من صُلِب لاجلنا . فانهُ اوضح فيها ان هذه التقديسات الثلاث المركبة ليست موجهة الى الاقانيم الثلاثة بل انما هي موجهة الى الاقنوم الثاني الذي تجسَّد وصُلب . وهذه الرسائل الثلاث موجودة الآن عندنا واظنّ انها مختصرة عن اصلها المطوّل

وقال ايضاً عبد يشوع عن يوحنا المذكور انهُ صنَّف ثلاثة كتب اخرى غير المذكورة الاول في سبع عيون الرب والثاني في الربط والثالث في الكمال وهذه لم نقف عليها وقيل

المستقيم وكان يسمّى يوحنا مارون باسم الدير الذي ترهب فيهِ وسمّاهُ ابن العبري في

عن ابرهيم الحاقلاني انهُ وقف لهُ على كتابين احدها في تفسير شرطونية الكاهن تكلّم فيهِ على كهنوت المسيح والكهنوت في العهد الجديد وفروض الكهنة وخدمتهم. والثاني في تفسير نافور مار يعقوب اخي الرب وقد ذكر منهُ بعض حواشي علّقها على ميمر عبد يشوع وتعرّض لاثبات عدّة عقائد دينيّة خاصّةً في شرح قانون الايمان ولمناضلة اكثر اراطقة عصره وافحامهم بسديد البرهان والتنديد بعاداتهم ومعتقداتهم السيئة. وهذا ما اعرفهُ من كتبهِ وربما كانت لهُ كتب أُخرى حجبها عنّا قدم الزمان. اه

وقد ادعى بعض الحسدة لطائفتنا ان نسبة كتاب النافور الى بطريركنا يوحنا مارون ليست صحيحة بقوله انهُ مجموع من نوافير اليعاقبة وقد كفانا العلّامة السمعاني مؤونة الردّ بما قالهُ مج ١ من المكتبة الشرقية ص ٥١٢ «ان ليوحنا مارون نافوراً ومنهُ نسخة في المكتبة الواتيكانية هي الكتاب الخامس بين كتب الحاقلاني فيها. وقد خُطّ في كُمبلبي بقبرس سنة ١٨٤٦ اليونانية الموافقة ١٥٣٥ المسيحية. وقد ذكرهُ الاهدني في مؤلفهِ شرح قداس السريان راس ٢ في مؤلفي النوافير الكاثوليكية قائلًا «يوحنا المدعو مارون الذي بعد وفاة تاوفان بطريرك انطاكية ملك ذلك الكرسي سنة ٦٨٥ صنّف النافور الذي بدوءه: امامك يا ملك الملوك». وقد اسقط ريناودوس في مقدّمة المجلّد الثاني ص١٥ من مؤلفهِ في الليتورجيات الشرقية هذا النافور وباقي تآليف يوحنا بطريركنا وبين وجه هذا الرفض العنيف في ص ٣٤٤ من المجلد المذكور بقولهِ انهُ لم يجده في مكتبة وان غنيّة في الكتب الشرقية فكانّ ريناودوس حضر جميع المكاتب او قلب اساطيرها كافةً او لم يبقَ في المشرق اثر للمؤلفين الّا أُتي بهِ الى مكاتب اوربا» انتهى كلام علّامتنا السمعاني

وقال السيد العلّامة المقدام المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت في كلامه عن كتب بطريركنا يوحنا مارون: امّا كتاب الكهنوت فلا انكر ان في مؤلفهِ اختلافاً بين علمائنا ايضاً فقال ابرهيم الحاقلاني: انهُ ليوحنا مارون وهو في المكتبة الواتيكانية بخط الحاقلاني نفسه بين كتبهِ التي وهبت لهذه المكتبة في عدد ٦٤. وقد اشار اليهِ يوحنا مارون نفسه في مطلع كلامهِ في شرح الليتورجية قائلًا: بعد ان كتبنا في الكهنوت الكنائسي باسهاب... بقي ان نكتب في الذبيحة الغير الدموية. اما السمعاني فقال في المكتبة الشرقية (مجلد اوّل ص ٥٢٠) ان هذا الكتاب ليوحنا اسقف دارا. وقال ايضاً (في مجلد٢ منها ص ١٢٣) ان قدم الكتاب الذي اطلعت عليهِ يثبت اثباتاً كافياً انّ ذلك التأليف هو للداراوي في الصحيح لا ليوحنا مارون. لكنهُ قال قبل هذا انّ مؤلّف الداراوي في الكهنوت يشتمل على اربعة كتب: الاول منقسم

كتـاب ܐܘܪ̈ܕܐ الذي مرّ ذكره ܡܦܫܩܢܐ ܕܩܘܪܒܢܐ اي يوحنّا المسمّى

الى ثمانية رؤوس والثاني الى اثنين وعشرين راساً والثالث الى راسين والرابع ممزق والباقي منهُ عشرة رؤوس . وان المقالة التي خطَّها الحاقـلاني ناسباً اياها الى يوحنا مارون تشتمل على اثنين وثلاثين راساً تطابق ما في كتاب الداراوي . على ان السمعاني نفسهُ (في مجلد ٢ قسم ١ ص٥٥١من مؤلفهِ فهرست الكتب القديمة المخطوطة في المكتبة الواتيكانية الذي الفه بالاشتراك مع ابن اختهِ اسطفان عواد السمعاني) ذكر كتاب الكهنوت هذا في عدد١٠١ بين الكتب التي ذكرها هناك . ويظهر انهُ رجع عن رأيهِ في المكتبة الشرقية ونسب هذا الكتاب الى يوحنا مارون قائلًا : ان يوحنا اسقف دارا وديونيسيُس بن صليبا اسقف امد انتحلا منهُ اشياء كثيرة . .

اما كتاب شرح الليتورجية فاثبت الحاقلاني انهُ ليوحنا مارون مستشهدًا اياهُ في حواشي ترجمتهِ قصيدة عبد يشوع (صفحة ١٣٦ و ١٣٨ و ١٤٠ و ١٤١) ولم ينفرد الحاقلاني بهذا بل استشهدهُ مرهج بن نمرون الباني في الافوبليا (ص ١١٦) والاهدني في مؤلفهِ في اصل الموارنة ك ٣ والأب بطرس مبارك الماروني اليسوعي في مقالتيهِ الملقتين على ترجمتهِ لكتب مار افرام السريانية الى اللاتينية مرات منها في (صفحة ٨ و٣٦ و٤٠ و٤١ و٤٨ و٥٠) . وكان السمعاني بنفسهِ الفاحص للمقالتين والموجب طبعهما كما يظهر مما علّقهُ على آخرهما . وكذا اثبت نسبة هذا الكتاب الى يوحنا مارون يوسف لويس السمعاني في مؤلفهِ في الطقوس ببرهانات ساطعـة وقد ترجمهُ الى اللاتينية وطبعهُ في ك ٤ من هذا المؤلف . واثبتهُ لهُ البطريرك يوسف اسطفان ايضًا في كتابهِ في قداسة يوحنا مارون (قسم ٣ فصل ٨) ببرهانات سديدة

اما السمعاني فقال في المكتبة الشرقية (مج ١ وجه ٥٢٠) « قد ظنّ ريناودس ان هذا الكتاب لابن صليبا في الصحيح . . . وسوف اصحح تقديرهُ نظرًا الى المقالة الاخـيرة (اي شرح الليتورجية) ببرهانات راهنة عند كلامي في ابن صليبا » الّا انهُ يظهر انهُ عدل عن رأيهِ هذا بعد . لانهُ لما تكلّم في كتاب ابن صليبا (في مج ٢ من هذه المكتبة ص ١٧٦) لم يأتِ بشيء من البراهين الراهنة التي وعد بها حتّى لم يقل ان الكتاب المنسوب ليوحنا مارون في شرح الليتورجية هو لابن صليبا بل نسب كتاباً في شرح الليتورجيـة لابن صليبا قائلًا : ذكرهُ الاهدني في راس ٧ من مؤلفي النوافير الاراطقة بقولهِ « ديونيسيُس هو يعقوب بن صليبا من ملطيني اسقف امد لهُ شرح في القداس ارسلهُ الى اغناطيُس مطران بيت المقدس سنة ١٤٨٠ لاسكندر الموافقة سنة ١١٦٩ للميـلاد ليقاوم بهِ الافرنج الذين كانوا تملكوا الارض المقدسة » . ثم يقول السمعاني في المحل المذكور « وذكره ريناودس (في مج ٢ ص ٤٥٤) في الليتورجيات الشرقية . . . ونمرون في فهرست المؤلفين الذين ذكرهم في الافوبليا . وفي

مارون او المنسوب الى دير مارون . ولذلك دعاه آخرون (مارون) على الاطلاق

المكتبة الواتيكانية نسخة لهُ حديثة الخطّ وهي في عدد ٣٦ بين كتب الحاقلاني . وجزء كبير من هذا التأليف المعروف عند جميع السريان انهُ لابن صليبا يُرى كائنهُ بالفاظهِ في المقالة التي نسبها الحاقلاني الى يوحنا مارون كما قلت في المجلد الاول صفحة ٥٢٠ » والمطالع يرى ان استشهاد السمعاني بالاهدني والباقي انما هو ليثبت ان لابن صليبا ايضاً كتاباً في شرح الليتورجية لا ليثبت ان الكتاب المنسوب ليوحنا مارون انما هو لابن صليبا . وقال فقط ان جزءًا كبيرًا من تأليف ابن صليبا يرى كائنهُ بالفاظهِ في المقالة التي نسبها الحاقلاني الى يوحنا مارون . ومن البيّن ان جزءًا وان كبيرًا في كتابٍ ليس كل الكتاب . وقد ذكر السمعاني (في ج ١ من المكتبة الشرقية ص ٥٧٨) بين كتب الحاقلاني في المكتبة الواتيكانية عدد ٣٦ « شرح الليتورجية لابن صليبا موجهاً الى اغناطيُس اسقف اليعاقبة قاطني اورشليم خطه يوسف الحصروني ابن خاطر سنة ١٦٤٦ » . ثم ذكر في وجه ٥٨٠ عدد ٦٤ بين كتب الحاقلاني « كتابين ليوحنا مارون الاول في الكهنوت والثاني شرح ليتورجية السريان في خمسين راساً ورقة ٢٤٩ خطتهُ يد الحاقلاني » مع انهُ في تفصيلهِ كتاب ابن صليبا قال انهُ يحوي عشرين راساً فقط وذكر خلاصة كلها

ان الظاهر لي من كل ما مر ان السمعاني رجع عمّا كتبهُ في المجلد الاول معلّماً في المجلد الثاني ان ليوحنا مارون كتاباً في شرح الليتورجية ولابن صليبا كتاباً مثلهُ والعنوان واحد فيهما . ويؤيد ذلك اولاً ان السمعاني عند روايتهِ بعض اقوال ابن صليبا في كتابهِ شرح الليتورجية ذكر لهُ قطعاً كثيرة تخالف الايمان ورأي الكنيسة الرومانية كما سنروي بعضها ولا شيء من ذلك كلّهِ في كتاب القديس يوحنا مارون الذي اطّلع عليهِ السمعاني بلا بد اذ قال ان جزءًا كبيرًا منهُ في كتاب ابن صليبا بل في كتاب يوحنا مارون ايضاً امور شتى لا يمكن ان تُنسب الى ابن صليبا بل بعضها يخالفهُ نصاً كما سترى . وكثيرًا ما اتفق وجود كتابين وعنوانهما واحد . ومن عادة القدماء ايضاً انتحال احدهم كتاب الاخر بعد زيادةٍ عليهِ او اسقاطٍ منهُ او اصلاحٍ لهُ على هوى المنتحل . فاي العجب من انتحال ابن صليبا الذي كان في اواخر القرن الثاني عشر واوائل الثالث عشر ذلك الجزء الذي يشير اليهِ السمعاني من كتاب يوحنا مارون كما برهن باسهاب يوسف لويس السمعاني في ك ٤ من المؤلف المذكور . ثانياً ان السمعاني اثبت مقالتي الاب بطرس مبارك المشار اليهما آنفاً وقد استشهد مؤلفهما مرات بكتاب شرح الليتورجية ليوحنا مارون . والسمعاني وبطرس مبارك كانا ابني طائفة واحدة وبينهما اخاء فكان يستطيع ان ينبههُ الى خطائهِ بعزوه كتاباً يعقوبياً الى قديس هو يوحنا

مارون . والمجلد الاول من المكتبـة الشرقية طبع سنة ١٧١٩ واثبات السمعاني مقالتي مبارك كان سنة ١٧٤٠ . ثالثاً ان يوسف لويس السمعاني الذي ترجم كتاب يوحنا مارون من السريانية الى اللاتينية وطبعهُ في رومة سنة ١٧٥٢ بحضرة السمعاني واثبت نسبتهُ الى يوحنا مارون ببراهين سديدة انما هو ابن اخي السمعاني فلو لم يكن عمهُ عدل عن رايهِ لنهاه عن نسبة كتاب يعقوبي الى اول بطريرك ماروني

قد ظفرت بنسخة من كتاب شرح الليتورجية ليوحنا مارون في مكتبة بطريركيتنا خطهُ الخوري بطرس مخلوف (الذي صار بعد اسقفاً على قبرس باسم بطرس ايضاً) سنة ١٦٧٠ في رومة فقابلتهُ بالقطع التي رواها السمعاني عن كتاب ابن صليبا فوجدت الفرق بينهما اكبر من ان يُفصل فكتاب ابن صليبا موجه الى اغناطيس اسقف اليعاقبة في اورشليم ولا شيء من ذلك في كتاب يوحنا مارون . ثم كتاب ابن صليبا ينطوي على عشرين راساً وكتاب يوحنا مارون على خمسين رأساً . وفي كتاب يوحنا مارون امور شتَّى لا يمكن انتسابها الى ابن صليبا. وفي كتاب هذا اقوال جمة لا يمكن انتسابها الى يوحنا مارون فنورد بعضها على سبيل المثل. قال يوحنا مارون في راس ١٦ «واوحد اللاهوت والنفس والجسد بالاقنوم الالهي وشوهد بطبعين الهي وبشري بغير بلبال واختلاط » وقال في رأس ١٩ في التقديسات « اذا عُزيت الى الثالوث المسجود لهُ لا ينبغي البتـة ان يزاد عليها الصلب فما هذا الّا اثم بطرس الانطاكي الملقب بالقصَّار الذي زعم ان الثالوث بجملتهِ تألم وادخل الالم على طبع اسمى من كل ألم وهذا اثم يرجح على كل اثم ولذا حُرم عدلًا ولعن وطرح من كرسيهِ ». وقال في هذا الراس ايضاً « كل من لا يعترف ويقول ان كلمة الله اتحد اتحادًا جوهريًا بالجسد مع حفظ الطبيعتين اي الطبع الالهي والطبع البشري خواصهما قائمين باقنوم الكلمة الواحد متحدين دون اختلاط او امتزاج ومتميزين مع اجتماعها فليكن محروماً » وقال في راس ٢١ في تفسير قانون الايمان ان الآباء في مجمع نيقية بقولهم صار انساناً « رذلوا ارطقة تباع ديوسقورس الذين زعموا ان في ربنـا طبيعة واحدة لانهُ كيف يمكن ان يكون بطبيعة واحدة انساناً والهاً مائتاً وغير مائت صانعاً ومصنوعاً خالقاً ومخلوقاً ازليًا وزمنياً وما اشبه » . وقال بعد ذلك في هذا الرأس « حاشـا ان نقول ان ابن الله تألم وصُلب او مات بطبعهِ الالهي او يطرأ عليهِ شيء من الآلام التي تقع على الطبع البشري لكنهُ هو نفسهُ تألم وصلب ومات بالجسـد الذي اخذه من مستودع مريم البتول » ومثلهُ كثير . فهـل يُتصور ان ابن صليبا اليعقوبي يقول هذه الاقوال وهي نص

المارونيَّة وبسبب قرب دير القديس مارون من مدينة انطاكية هاج الجدال في مسئلة فعليّ السيد المسيح ومشيئتيهِ • لان تلاميذ جُرَيج ومقارِيس الذي خلفهُ في الرئاسة

صريح في تفنيد مذهب اليعاقبة وفي شجب بطرس القصَّار . ثم ان يوحنا مارون بيَّن جليًا انهُ كتب كتابه في اواخر القرن السابع او مبادئ الثامن اذ صرَّح في راس ١٩ بظهور الاسلام قبل عصره بمدة وجيزة عبَّر عنها بقولهِ « في هذه الايام الاخيرة » وكل يعلم ان ظهور الاسلام كان في القرن السابع . ولا يمكن ابن صليبا ان يقول هذا وهو في آخر القرن الثاني عشر

وممَّا قالهُ ابن صليبا ولا يمكن انتسابهُ الى يوحنا مارون بل بيَّن قوليهما خلاف صريح نذكر ما يأتي : قال ابن صليبا في راس ٦ « ان من قدَّس لزمهُ ان يصعد برشانة او برشانتين . . . فيلزم ان تكون البرشانات وترًا كما قلنا لا شفعًا متساويًا الَّا الاثنتين » وهذا من عادات اليعاقبة كما قدمنا . والحال ان يوحنا مارون قال مفنِّدًا هذه العادة في راس ١٨ « اما نحن فنقول العكس اي انهُ يجوز للكاهن ان يقدم ما اراد من البرشانات وترًا او شفعًا كما علَّم اكليمنس في كتابهِ عن التقليد الرسولي » . وقال ابن صليبا في راس ٦ ايضًا « اذًا يتألف خبز الاسرار من القمح سرّ الامواه ومن الخمير سرّ الهوا ومن الملح سرّ الارض ومن الزيت سرّ النار هاك الاستقصآت الاربعة » والحال ان القديس يوحنا مارون قال في راس ١٦ « ان الخبز الذي يقدم على المذبح يلزم ان يكون من القمح وليس من شيء آخر البتة » . وقال ابن صليبا في رأس ٧ « رتب الرسل ما كُتب في القانون ان القربان يرفع على المذبح يوم خبزه لا بعد يوم فهذا لا يجوز » واطنب في شرح هذه العادة اليعقوبية واسهب المقال في راس ١٤ ان التقديس يحصل بكلمات الربّ ودعوة الروح القدس . واستشهد في راس ١٦ « ساويرس البطريرك المسكوني » وقال اخيرًا في راس ٢٠ « لبّيت طلبك واجبت سؤالك ايها الاخ مار اغناطيُس مطران بيت المقدس اورشليم رؤية السلام فادّينَّ بنفس طاهرة وضمير نقي الصلاة عليَّ انا الحقير ديونيسيُس الجالس في امد بين النهرين » وكل ما مرَّ لا أثر لهُ ولا عين في كتاب يوحنا مارون بل حوى ما يخالف ابن صليبا نصًّا كما رأيت وقد عارضتهُ بما روى السمعاني من نُبَذ ابن صليبا فوجدت الفرق بين الكتابين كبيرًا جدًّا في غير ما رويتهُ ايضًا . وحققت ان المؤلف اليعقوبي انما انتحل نبذًا يسيرة من كتاب بطريركنا مقدّمًا بعضًا ومؤخرًا اخر حتّى لا يحتاج مطالع الى تلوّم في الحكم بل يقضي فور مطالعتهِ ان الكلّ كتابًا والعنوان واحد فيهما وان المتأخر انتحل بعض كلام المتقدم فقط مما لا يخالف معتقدهُ (عن كتاب روح الردود صفحة ١٨٦ وما يليها)

كانوا يدافعون عن رأي المشيئة ويحمون جانبهم بروساء كهنة قسطنطينيــة . واما يوحنا فانهُ كان ينتصر للمشيئتين والفعلين على موجب اعتقاد الكنيسة الرومانية . وفي تلك الاثناء قدم الى انطاكية كردينال من قبل البابا ودعا الى الاقرار بالطبيعتــين والمشيئتين . اما مقاريُس بطريرك انطاكية فانهُ كان مقيماً وقتئذٍ بقسطنطينية ولم يدخل انطاكية مطلقاً . فاجتمع في ذلك الوقت اوجان البرنس مع سائر الفرنج (١) المقيمين بانطاكية واتفقوا على اقامة مطران يكون من حزب كنيسة رومية ليعلّم بسرّ المشيئتين خلافاً لتعليم الروم الذين سمُّوا بعد ذلك ملكية . فاجمعوا من ثمَّ على ترقية يوحنا مارون وحملوهُ الى الكردينال وجعلوهُ اسقفاً على البترون وسكّان جبل لبنان ليحفظهم في الاتحاد مع الكنيسة الرومانيَّة كما يشهد بذلك اليعاقبة في كتاب معتقدهم اذ يقولون : « قام مارون ووافق ملك الفرنج الذي في انطاكية وقال لهُ : يا ملك نحن نخاف على جبل لبنان لئلا تدوّرهُ طائفة الملكيَّة الى امانتهم فقم الى الكردينــال الذي عندك والزمهُ ان يكرسني مطران لامسك بعض اناس على الامانة الفرنجية واما امانة يعقوب فما اذكرها » فاقامهُ عندها مطراناً على البترون وكان ذلك في سنة ست مئة وست وسبعين للمسيح وهي السنة الثامنة لقسطنطين اللحياني على مملكة الروم . ومن حين ما سُلّم اليهِ هذا المنصب بادر الى الرعية واخذ في المواعظ بالمشافهة والمراسلة وشرع يتجوَّل من محل الى آخر ويحرّض على استقامة السيرة واقامة الصلاة والاعتصام بالايمان الحقّ فعزَّاهُ الله برجوع كثيرين من المتمسكين بالطبيعة والمشيئــة الواحدة حتى اجتمع اليهِ في وقت قصير قطيع عظيم فتولّى بهم ليس على جبل لبنان فقط بل على

---

(١) قال علامتنا السمعاني في حاشية علقها على الصفحة ٤٩٩ من المجلد الاول من مكتبتهِ الشرقية : ان السوريين وكتبة العرب الذين كتبوا بعد القرن الثاني عشر اعني بعد ان اخذ الفرنج بلاد فلسطين يسمون اللاتين فرنجاً اما اللاتين فمن المؤكد انهم اقاموا بسورية وفلسطين من ايام القديس هيرونيم

جميع ما هو من القدس الشريف حتى طرَف بلاد الارمن كما اخبر بذلك شدران في تاريخهِ عن دولة قسطنطين الحياني وزوناراس وتاوفان وبولس السميساطي وغيرهم من مؤرخي الروم قال: انهُ في السنة الثامنة والتاسعة من مالك قسطنطين الحياني دخل المرَدَة الى جبل لبنان وملكوا جميع ما هو من جبل موروس الى بيت المقدس واستولوا ايضاً على اعالي لبنان وفي مدَّة وجيزة انضمَّ اليهم كثيرون من الاسرى والاغراب والعبيد حتى انافوا على الوف عديدة . وكان لاميرهم في ايام السلم اثنا عشر الف جندي يطوف بهم بلاد العرب والفرس من غير جزع . اما معاوية فتخوَّف منهم جدًّا وقال بان مملكة الروم مصونة بالعناية الالهية واضطرَّه الامر أن يُصالح ملك الروم ويجعل لهُ كل عام الى مدَّة ثلاثين سنة عشرة آلاف ذهب ومئة اسير وخمسين حصاناً . وبسبب ذلك استتبَّت الراحة والسكينة في المملكة جميعها شرقًا وغربًا . وعندها امر الملك بالتئام المجمع السادس في قسطنطينية ضدّ المتمسكين بالمشيئة الواحدة ليعمّ الجميعَ الصلح نفساً وجسماً . وكان ذلك في ايام البابا اغاتون . اما ابتداء المجمع فكان في سنة ٦٨٠ في اليوم التاسع من تشرين الاخير وانتهى في السنة التي تليها ومن حيث ان مقارُيس بطريرك انطاكية اصرّ على مقالة المشيئة الواحد حطّهُ الآباء عن كرسيهِ وجعلوا مكانه تاوفان وكان حسن الديانة

هنا نهاية الفصل في النسخة التي بيدنا وفي نسخة دير اللويزة هذه الزيادة :

وحدث سنة ١٤٩٥ جدال عنيف في حقيقة اصل الموارنة وتسميتهم بهذا الاسم وذلك ما بين جبرائيل القلاعي اسقف اقفسية قبرس وما بين القس جرجس بن بشارة الذي كان في الاصل مارونيًّا ثم عدل اخيرًا الى البدعة اليعقوبية فنظم لهُ الاسقف جبرائيل كتابًا مستقلًّا ينقض فيهِ المذهب اليعقوبي وبيّن لهُ في الفصل العاشر منهُ كيفيَّة نشأة الموارنة ودوام ثباتهم على الايمان المستقيم وذكر لهُ من جملة

ما ذكر هذه القصة المخصَّة آنفًا منقولة عن اللغة السريانية الى العربية. ثمَّ ان الخوري رزق الله المتكني بابن الخريطة حين كان ايقونومُس على كهنة حلب بلَّغ هذه القصة الى القس فرنسيس كوارِسْم رئيس دير رهبان الافرنج بالقدس فنقلها الراهب المذكور الى اللاتينيَّة وفي سنة ١٦٣٤ طبعها ونشرها في بلاد المغرب ليوضح بذلك ثبات الموارنة على ايمان كنيسة رومية ويبرّئهم من تهمة الهرطقة

وانما يُسمَّى يوحنا لولادتهِ في يوم تذكار القديس يوحنا صابغ الرب الواقع في ثاني الدنح. ويُسمَّى مارون لانهُ لبس اسكيم الرهبانية في دير القديس مارون الذي على النهر العاصي. وكانوا يسمونهُ ايضًا يوحنا مارون على اسم الدير المذكور كما هو واضح من كتب غريغوريُس ابن العبري لانهُ سمَّاهُ في كتابهِ ܕܟܝܠ ܡܘܬܢܐ وفي كتابهِ ܐܘܨܪ ܪ̈ܐܙܐ : ܝܘܚܢܢ ܕܡܪܘܢ اي يوحنا الماروني او المسمَّى مارون او المنسوب الى دير مارون(١). ولا يخفى عليك ان الذين سُمُّوا بيوحنا كثيرون وقد وقع فيهم الاشتراك الاتفاقي ولكنهم يُميَّزون بالكُنى والالقاب. فمنهم من لُقِّب بالمعمدان ومنهم بالثاولوغس وآخر بفم الذهب وآخر بالرحوم وآخر بالدمشقي وغيره بالكوخي وآخر بالقصير وآخر بالسأَمي. اما قديسنا هذا فلقِّب بمارون ليمتاز بذلك عمَّن يشاركهُ باسمهِ الوضعيّ كما هو مذكور في اول النافور الذي الفهُ : ܐܝܠܦܘܬܐ ܕܡܪܝ ܝܘܚܢܢ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܕܡܬܩܪܐ ܡܪܝ ܡܪܘܢ

---

(١) اخبر ابن العبري في تاريخه السرياني (قسم ٢ صفحة ٢٨٦) عن رجل يسمى يوحنا مارون كان عائشًا سنة ١٢١٢ اليونانية الموافقة لسنة ٩٠١ المسيحية ولكن يوحنا مارون هذا ليس هو القديس يوحنا مارون الذي كلامنا عنهُ الآن (راجع الدر المنظوم ص ١٤٤ والمكتبة الشرقية للسمعاني مج ١ ص٤٩٦ ومج ٢ ص ٢٨٣ و ٣٠٢ و ٣٥٠ ومج ٣ ص ١٨٩)

ܩܕܝܫܐ ܘܡܠܦܢܐ ܕܥܕܬܐ اي نافور القديس يوحنا بطريرك انطاكية المدعو بمار مارون البار وملفان البيعة

وكذا في عنوان الامانة التي انشأها وهو: ܟܪܛܝܣܐ ܕܗܝܡܢܘܬܐ ܕܥܕܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܕܣܝܡܐ ܠܘܬ ܕܝܪܐ ܩܕܝܫܐ ܠܟܐܢܐ ܘܡܬܥܛܦ ܠܐܠܗܐ ܡܪܝ ܡܪܘܢ ܛܘܒܢܐ ܕܡܬܩܪܐ ܝܘܚܢܢ ܕܐܬܥܒܕ ܗܘܐ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܡܕܝܢܬܐ ܕܐܠܗܐ ܐܢܛܝܘܟܝܐ ܘܕܟܠܗ ܐܬܪܐ ܕܫܐܡ ܘܕܣܘܪܝܐ اي قرطاس اعتقاد البيعة المقدَّسة المؤلف في الدير المقدَّس من البار المتوشّح بالله مار مارون الطوباوي المدعو يوحنا بطريرك مدينة الله انطاكية وسائر بلاد الشام وسورية

وكذلك عبد الله ابن الطيب في كتابهِ في الرؤساء التابعين لامانة الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر فانهُ اخبر عن البطريرك يوحنا ما يأتي: ان يوحنا المذكور لجأ الى دير مارون الذي على تخوم حمص ولهذا نُسب اليهِ وسُمّي مارون تبعًا لاسم الدير الذي كان يقطن فيه واسمهُ الوضعيّ يوحنا بن اغاتون بن عبدون هكذا نقل سرجيُس الحبيس بن حبقوق . وقد اثبت هذه التسمية قومٌ كثيرون لا نرى حاجة الى ايراد شهاداتهم

ولُقب ايضًا بالسروي نسبة الى موطنهِ سروم. وانما اخبر عن ذلك يعقوب البرادعي اذ قال: « ان اصل يوحنا مارون من قرية تُدعى سروم في جبل السويدية على مسافة متساوية بين انطاكية ودير القديس مارون » وهي الآن قفر من الاهل غير ان بقايا رسومها واطلالها تدلّ على انها كانت قرية حسنة المباني متسعة الرباع

ولقد وقع في يدي كتاب قديم العهد اصلهُ من دمشق الشام اوقفني عليهِ رجلٌ

من اصدقائي يُسمَّى القسّ ميخائيل المطوّشي يتضمن كثيرًا من اخبار السلَف ومن جملة ما رأَيت فيهِ هذه القصة وهي بحرفيتها :

«كان رأس الأمَّة المارونية رجل اسمهُ يوحنًا وكان عالمًا كثير الفضائل والمحامد . واصلهُ من جنس شريف واسم ابيهِ اغاتون وامه انوهاميا وجدُّهُ اليديُس ابن اخت كرلومانيو ملك فرنسة . ولما قدم هذا الملك الى بلاد سورية وتملكها جعل اليديبس مُقامهُ في مدينة انطاكية فرزق ولدًا سماه اغاتون ولما شبَّ اغاتون وتزوَّج وُلد لهُ ولد سمَّاهُ يوحنا فتأدّب يوحنا هذا بالعلوم الروحانية ومهر بالتفاسير الانجيليَّة وبرع في العلوم السريانية وتمنطق بنطاق النسك والعفاف واقيم اخيرًا بطريركًا على الامـــة المذكورة» . وفي ظني ان هذا هو كلام ابن الطيّب . ومما تقدَّم يُعلم بان يوحنا مارون تنصب على الكرسي الانطاكي سنة ٦٨٦ وذلك بعد وفاة تاوفان الذي نصبه على بطريركية انطاكية جمهور آباء المجمع السادس بعد حطّهم لمقاريوس المبتدع . وذهب من كتب اعتقاد اليعقوبية الى ان مارون البطريرك كان معاصرًا لساويروس بطريركهم وان يُستنيان ملك الروم لمَّا جهَّـــز العساكر وانفذها للقبض على مارون فرَّ ساويروس هاربًا من امام جيش الروم الى مصر . ولكن هذا سهو صريح لان ساويروس تقدم يوحنا مارون بنحو مائة وخمسين سنة . واهل التحقيق على ان توجيه الجيش لم يكن من قِبل يُستنيان الاول بل الثاني . ومارون الذي ادعى انهُ معاصر لساويروس ليس هو البطريرك بل الاياني الذي مات شماسًا . وفي التواريخ انـــهُ لما صار ساويروس الى قسطنطينية جرت المكاتبـــة بينهُ وبين فلابيانس بطريرك انطاكية وتلميذه مارون (الاياني) لايقاع الصلح والسلام ما بين الكنائس

وذهب ابن البطريق الى ان مارون كان مُعاصرًا لموريق ملك الروم الذي تولَّى الملك سنة ٥٨٢ ومات في سنة ٦٠٢ وذهب ابن الطيِّب الى انهُ كان في دولة مرقيان وفالنتيانُس وانما اراد بذلك القول بانهُ منشىء بدعة المشيئة الواحدة . والحال ان هذه البدعة على اقرار سعيد بن البطريق وشهادة آباء المجمع السادس كان منشأُها نحو

سنة ٦٣٤ وموريق المذكور قُتل سنة ٦٠٢ فكان مقتلهُ قبل ظهور هذه البدعة باكثر من ثلاثين سنة وكذلك فالنتيانس الملك فانهُ قتل سنة ٤٥٢ واما مرقيان فانهُ مات من بعده بخمس سنين فتكون وفاتها قد سبقت ظهور المشيئة الواحدة بنحو مائة وسبع وسبعين سنةً . ومن هنا يبين بطلان قول من قال ان مارون هو الذي انشأ البدعة المذكورة لما في هذه الدعوى من التناقض

فان قلت ايضًا انهُ قد حصل التناقض في ما اوردت من خبَرَي يوحنا مارون لان الخبر الاول يثبت انهُ دخل الى رومية صحبة قاصد البابا انوريُس مع ان البابا انوريُس قضى اجلهُ سنة ٦٣٨ وذلك قبل ترقية يوحنا مارون الى البطريركية بنحو خمسين سنةً . والخبر الثاني يثبت ان يوحنا يتصل نسبهُ بكرلومانيو ملك فرنسة مع انَّ بِكتّابَ المؤَرخ يخبر عنهُ انهُ ملك على فرنسة سنة ٧٧١ فيكون مارون قبل الملك المذكور بنحو مائة سنة وهذا خلف . فاجيبك عن الاول ان اسم انوريُس كُتب سهوًا من الناسخ وكان الحق ان يكتب سرجيُس (وهو سرجيُس الاول السرياني الانطاكي) . واما الثاني فان امره مبهم علينا لاننا لم نقف على تاريخ يطلعنا على اخبار ملوك فرنسة اطلاعًا شافيًا ولا نعلم ان كان الملك المذكور دخل بلاد سورية او تولاها ويحتمل ان تكون القصة منسوبةً الى غيره او انها صادقة على احد اقربائهِ الذين سلفوا قبل ان يضبطوا عنان سلطنة فرنسة . وليس ببعيد ان يكون قد قدم احدهم الى بلاد سورية وتولاها بمنزلة برنس . وهذا قريب التناول لان تلك الطائفة الجليلة تلقب بلفظة كرلو . ويتميز كل منهم عن الآخر بما يلحق باسمه من الالقاب كقولهم كرلو مانيو اي الكبير وكان عمّ المذكور يدعى كرلو مان اي الشديد القوي وجدّه كرلو مرتلّو اي المطرقة . وكذلك الذين اتوا بعدهم سمي احدهم كرلو كلفو اي الاصلع وآخر كرلو غراسّو اي السمين وآخر سيمبلكس اي الساذج . وقد قيل عن هذا انه هو الذي جاء الى سورية وسُمي ملك فرنسة ولم يكن بعد تقلّد السلطنة بل انهُ كان بمنزلة البرنس الذي كان يتولى انطاكية في دولة الروم . وانما سُمّي ملكًا من حيث المنصب الذي حصله في سورية

لان العرب تسمي كل من كان متقدماً من دولة الافرنج ملكاً مثل اوجان البرنس الذي سعى باختيار يوحنا مارون لاسقفية البترون فان اليعقوبية يدعونهُ ملكاً وهو ليس بملك بل برنس . وهذا القدر كافٍ فيما قلناه بهذا الشأن

وكان ليوحنا مارون اخت لها ولدان اسم الاول ابرهيم والثاني قورش اما ابرهيم فانهُ كان من ارباب السيف رحل الى لبنان وصار اميرًا على تلك الاماكن تحت رئاسة خالهِ وساس قومهُ سياسة المقتدر الظافر . ولما وجّه ملك الروم عساكره للقبض على خالهِ قام باثني عشر الف فارس ونقلهُ من دير القديس مارون الى قلعة سمر جبيل . ولما اقبلت جيوش الروم في طلبهِ وانتشرت اعلامهم في بقاع اميون وثب عليهم الامير ابرهيم والامير مسعود برجالهما وثبة الاسود القساور فصدما ابطالهم واخمدا انفاس شجعانهم واهلكا صناديدهم . واما قورش ويسمَّى كروس وكروسي ايضًا فانهُ كان من ارباب الكتّاب فزهد في الدنيا واقتدى بسيرة خاله وتتلمذ لهُ وضاهاهُ في منهج حياته واحكم كل فضيلة وناضل عن الامانة القويمة بكل ورعٍ ورذل آراء المخالفين . وقد جاء في خبر يوحنا مارون انهُ لما انتقل الى راحة الصالحين خلفهُ قورش على الكرسي الانطاكي بعد ان نال التثبيت من الكرسي الروماني

فان قيل من هم هؤلاء المتولون جبل لبنان الذين اوقعوا الرعب في قلوب الفرس والعرب ولم يسمّوا موارنة بل مردة وعصاة فالجواب عن ذلك ان هذا الامر لم نحققهُ في كتب التواريخ المذكورة آنفًا بل اننا عرفنا اصلهم من قصة يوحنا البطريرك التي تخبر انهُ ارسل الى قسطنطينية ثلاثة رجال مهذبين ليحملوا المظلة فوق رأس الملك وانهُ تناسل من هؤلاء الثلاثة كثير من الملوك لبني مارون . واما بعض اسمائهم واخبارهم فقد نقلناهُ من كتاب قديم وصل الينا من المرحوم سالفنا البطريرك جرجس نسخهُ داود بن ابراهيم في السنة ١٦٢٦ اليونانية الموافقة للسنة ١٣١٥ المسيحية يتضمن اخبارًا مختلفة من جملتها : انهُ في ابتداء دولة العرب كان يوسف ملكًا على جبيل وكسرى على الداخلة ومن اسمه سمّيت كسروان . وكان ايوب متوليًا قيصريَّة

فيلبس وبيت المقدس في خلافة عمر · وبعد ايوب قام الياس وهذا انجـد هرقل عند قدومه الى بـلاد الشام · ومن بعد هؤلاء دخل على تدبير جبيل وجبل لبنان يوسف الملك واستصحب معهُ اثني عشر الف فارس بطل وسار بهم الى بلاد ارمينيـة وظفر بجيش سابور وكان قائده سرجيُس الارمني فهدم معاقله وحصونـهُ وسلب نعمتهُ ثم عاد راجعاً · فلما اتصل بسابور ان عسكرهُ ولّى مكسوراً امتلأ غيظاً وحنقاً على سرجيس وامر بهِ فطُرح في نهر ارسينس ومات غريقاً · ثم ان عساكر يوسف الملك جازت سواحل البحر والبقاع حتى ولجت بلاد معاوية وشتّتت اهلها في كل صقع · ولما توفي يوسف ملك مكانه يوحنـا وكان اسداً مهيباً · والكتاب المذكور يخبر عنهُ هكذا

ܘܩܡ ܒܬܪ ܝܘܣܦ ܡܠܟܐ ܘܫܡܗ ܝܘܚܢܢ ܘܐܫܬܠܛ
ܥܠ ܟܠܗ ܐܪܥܐ ܡܩܕܫܬܐ ܘܢܦܩ ܡܢ ܛܘܪܐ ܕܠܒܢܢ
ܠܟܪܡܠ ܘܥܡܗ ܟܢܫܐ ܪܒܐ. ܟܕ ܗܘ ܡܬܪܥܝܬܐ ܚܫܒܬܐ ܘܪܓܐ
ܕܢܐܙܠ ܠܐܘܪܫܠܡ ܢܦܠܘ ܥܠܘܗܝ ܓܝܣܐ ܣܓܝܐܐ ܡܢ
ܐܬܪܐ ܕܢܓܒܐ ܘܚܕܪܘܗܝ ܥܠ ܡܢ ܡܓܕܠܐ ܕܥܪܒܝܐ ܘܐܘܒܕܘ
ܡܢ ܡܫܪܝܬܗ ܬܠܬܐ ܐܠܦܝܢ ܒܣܝܦܐ ܘܗܦܟ ܥܠ
ܢܓܒܝܐ ܘܥܠ ܐܬܪܐ ܕܝܠܗܘܢ ܘܩܛܠ ܡܢܗܘܢ ܬܫܥܐ
ܐܠܦܝܢ ܘܢܣܒ ܩܢܝܢܐ ܘܚܝܘܬܐ ܘܓܡܠܐ ܘܗܦܟ
ܠܐܬܪܗ ܘܡܠܟ ܒܫܝܢܬܐ

اي وقام بعـد يوسف ملك اسمهُ يوحنا فاستولى على كل الارض المقدسة وخرج من جبل لبنان الى الكرمل وفي صحبتهِ جماعة عظيمـة قاصدة المسير الى اورشليم فوثب عليهِ لصوص كثيرون من بـلاد النغبي وأحاطوا بهِ فوق برج الغرباء واهلكوا من جماعتهِ ثلاثة آلاف بالسيف · ثم انهُ تحوَّل على النغبي وعلى بـلادهم وقتل منهم تسعة آلاف وسلب

الغنائم والبهائم والنساء والاطفال ثم رجع الى بلاده وسكن في بسكنتا

فالمخص مما تقدم ان الامير الذي كان يحكم جبيل قديماً كانوا يسمّونه ملكاً بالنظر الى سطوته • ونقل ابن القلاعي ان مقام الملك كان بجبيل وانه لما رأى بلاد الداخلة في خطر عظيم من فرضة بيروت ومن الدرزي امير الغرب جمع اربعين اسقفاً ليدهنوا سمعان ملكاً عليها فهزم الاعداء وجعل سكناهُ في بسكنتا بين الحدين فامتنعت بشجاعته ومات شيخاً مجتهداً فخلفهُ كسرى على كسروان وكان بطلاً شجاعاً دخل قسطنطينية فاكرم ملك الروم وفادته واسنى لهُ الصلات والعطايا واقامهُ ملكاً على بلاد الداخلة وحكم احكاماً عادلة وبهِ سميت كسروان • وذكر غير ذلك من الامور اضربنا عنها صفحاً

ويحتمل انه بعد مجيء يوحنا مارون الى جبل لبنان وخراب انطاكية انتقل البرنس والافرنج مع ابرهيم الامير الى جبيل وسواحل لبنان لان اصحاب التواريخ يقولون انه عند دخول المردة الى جبل لبنان تبعهم قوم كثيرون من اباعد واقارب ونموا في مدة وجيزة نموًّا كثيرًا ولم يكونوا يصونون نفوسهم من مرازبة الفرس وصناديد العرب بل كانوا يظفرون بهم ايضاً ويرغمون انوفهم في مواقف الطعان ولقبوا بالمَردة لانهم خرجوا عن طاعة يستنيان الملك كما يرد في محلهِ بعون الله

الفصل التّاسع

في ارتقاء الاسقف يوحنا مارون الى بطريركية مدينة الله انطاكية

في السنة الستين للهجرة وهي السنة التي انتهى فيها المجمع السادس توفي معاوية ابن ابي سفيان اوَّل الخلفاء على دولة بني أُميَّة فبُويع ابنهُ يزيد وسار بالجيش الى نواحي حماة فتصدَّى لهُ اهل لبنان وهزموه • وفي السنة الثالثة والستين قُبض يزيد المذكور بجورين من ارض حماة (١) فاجتمع الناس وبايعوا ولدهُ معاوية فلما استقرَّ على عرش السلطنة

(١) وفي نسخة اخرى : من ارض حمص

راسل ملك قسطنطينية في تجديد الهدنة التي عقدها جدُّه معاوية الاوَّل غير انهُ قُبض لخمسة واربعين يوماً من مبايعتهِ فوقع الخلف بين الرعية على من يولُّون بعدهُ . وقام رجل اسمهُ عبد الله بن الزُبَير ودعا الناس الى مبايعتهِ في الحجاز والعراق ومصر ثم وجَّه عاملًا الى دمشق فبايعهُ جماعة وامتنع آخرون . فخرج عند ذلك مروان بن الحكم الاموي بجيش عظيم وقتل عامل عبد الله على دمشق وعامله على مصر ثم مشى بالعسكر الى قتال ابن الزُبير في مكة فهزمهُ . وفي تلك الاثناء انتشر مرض الطاعون هنالك ومات بهِ مروان . وفي السنة ٦٥ الهجريَّة الموافقة السنة ٦٨٥ المسيحية بُويع لعبد الملك ابن مروان في الشام فامر الناس بالحج الى بيت المقدس لخوفهِ من ابن الزُبير . وعندها جهَّز يوحنا امير الجبل اثني عشر الف فارس وذهب بهم الى البقاع ونزل بهم في قب الياس وشرع يغزو الجبل الشرقي ويشنّ الغارات على الحجَّاج حتى قطع الطرق وخرَّب المسالك . فحدث من جراءِ ذلك ضيق عظيم في تلك النواحي خاصَّةً من الطاعون والغلا وازعاج العساكر . اما القديس يوحنا مارون فكان يطوف المدن والقُرى ويُعزّي المتضايقين ويصلّي على المصابين ويشفيهم بمجرَّد لمس اليد . والى يومنا هذا يهرع الكهنة الى الناقور الذي ألِفهُ لذلك في ايام استيباء هذا الداء القاتل

وفي السنة المشار اليها توفّي قسطنطين الملك باعمال مرضية لله والناس فخلفهُ في السلطان ولده يُستنيان ولهُ من العمر ١٦ سنةً وفي الحال امر لاون قائد الجيش ان يسير بالعسكر الى جهة المشرق فخرج القائد حتى اجتمع بعساكر الجبل فضمهم اليه وغزا بلاد العرب واسترد منهم على ما أُخبر بهِ تاوفان ارمينية وايبارية والبانية وهرقانية ومادية . وفي تلك الغضون وردت اليهِ الكتب من عبد الملك بن مروان يهنئهُ فيها بالملك ويسألهُ تجديد الهدنة وتعهد بمقابلة ذلك ان يدفع لهُ كل يوم الف ذهب وفرساً ومملوكاً ويقاسمهُ خراج قبرس وارمينية وايبارية على شرط ان يُخرج اللبنانيين من جبلهم . فاجابهُ الملك الى ذلك ووجَّه اليهِ بولس القائد لكي يقرّر هذه الامور كما اخبر عن ذلك بولس الشماس بقولهِ : في هذه السنة ارسل عبد الملك الى يُستنيان في تجديد الهدنة على ان الملك

يُخرج عسكر المَرَدَة من لبنان ويكفهم عن الغزو . وان عبد الملك يؤدي كل يوم الف دينار وفرساً ومملوكاً وان خراج قبرس وارمينية وايبارية يكون بينهما بالسواء . فرضي الملك بذلك ووجه الى عبد الملك بولس القائد لتقرير الامر. ثم ارسل الملك قومهُ الى المَرَدَة واخذ جيشهم المؤلف من الاثني عشر الفاً » انتهى كلام بولس الشمَّاس (١)

(١) ان امير كتبة التاريخ الشرقي السيد يوسف السمعاني في كتابه الممنون بمكتبة الناموس القانوني والمدني يتكلم باسهاب في المجلد الرابع من هذا المؤلف المطبوع في رومية سنة ١٧٦٤ راس ٣٥ وجه ٦٢٠ وما يليه عن هؤلاء المردة الذين ابعدهم يستينيان الاخرم وهذه خلاصة كلامه :

ان تاوفان المؤلف الرومي الذي روى قصة ابعادهم لا يشرح اين اقاموا وغاية ما قالهُ هو ان يُستنيان الملك اذ سافر الى ارمينية امر ان يأخذوا الى هناك عسكر المردة الذي كان امر باخراجهِ من لبنان . الا ان قسطنطين بورفير وجانات (هو قسطنطين السابع احد ملوك الروم في قسطنطينية وبورفير وجانات لقب كان يلقّب به ابناء هؤلاء الملوك الذين يولدون لهم في مدة ملكهم) ابن لاون الحكيم (هو لاون السادس احد الملوك المذكورين ويلقب بالفيلسوف ايضاً) قال في كتابهِ في تدبير الملك المطبوع في باريس راس ٥٠ وجه ١٣٧ ان المردة نُقلوا الى بمفيلية وقائدهم وضع في مدينة اضالية وفي كتابهِ الاول في المقاطعات راس١٤ ذكر عن مقاطعة بمفيلية ان فيها المردة الذين اخذوا من لبنان تحت ولاية قائدهم وقد عاشوا هناك من زمان يُستينيان الى زمانهِ اي زمان المؤلف المذكور الذي كان في اواسط القرن العاشر . وقد تكلم فيهم هذا المؤلف باسهاب في راس ٥٠ من كتابهِ المذكور ومن جملة ما قالهُ ان الملك القسطنطيني كان يعيّن للمردة والياً منهم في اضالية يسمى قبطاناً وان الملك لاون والده عين لهم رجلاً اسمهُ استاوراشيوس ويلقب بلاتين . ثم ينتج السمعاني قائلاً : ومما قيل يظهر ان المردة كانوا في بمفيلية على عهد لاون الحكيم واخيهِ الملك اسكندر والمؤلف المذكور اي سنة ٩٥٠ ويواصل قولهُ بانهُ كان يقام لهم قاضٍ ايضاً يسمى قاضي اضالية . وانهُ في سنة ١٠٧٤ في ايام الملك ميخائيل (هو ميخائيل السابع احد الملوك المذكورين) كان احد هؤلاء القضاة اسمهُ ميخائيل وشهر تأليفاً في الناموس القانوني والمدني طبع في فرنكفورت سنة ١٥٩٦ . وانهُ منذ ايام الملك ميخائيل المذكور حتى اخذ قسطنطينية من ملوك الروم سنة ١٤٥٣ كانت في قسطنطينية مرتبة لكبير المردة ويستشهد لذلك غريغوريس كودينوس كوروبالات الذي كان في اواخر ولاية الباليولوغيين في قسطنطينية وكان حياً عندما اخذ العثمانيون قسطنطينية فهذا ذكر كبير

ومن بعد كتابة العهود ورجوع الرسول فرح الملك بما كان وانفــذ الى يوحنا امير جبــل لبنان ينهاهُ عن التعرض لعبد الملك في شيء ويأمرهُ ان يسير بجيشهِ نحو الغرب. فبعث امير الجبل الى الملك يفهمهُ ان السفر متعذر عليهم بسبب الشتاء فتغيَّظ الملك من هذا الجواب ونسبهم الى العصيــان والتمرُّد. وأمر في الحال بتجهيز الجيوش وتسييرها اليهم وأشاع من باب المكيدة انهُ سيَّرها لقتال العرب. واعطى قائد الجيش الخلع السلطانية والكتب الشريفة ليسلمها الى امير المَرَدَة بلبنان واوصاه ان يتوجَّه بمفرده الى قب الياس لكي يحتال على الامير يوحنا ويقتلهُ

فلما ان وصلت عساكر الروم الى البقاع انفرد عنهم القائد وتوجَّه نحو قبّ الياس بنفر قليل وخلا بالامير وامَّنهُ بالخلع والكتب السلطانية وجعل يخادعهُ بقولهِ انه زاحفٌ على العرب ويسألهُ النجدة عليهم ثم دعاه الى مؤاكلته وبينا هو كذلك استلَّ علوج الروم سيوفهم ووثبوا على يوحنا فقتلوه. وعندها تضرَّمت جيوش يوحنا غيظاً واخذت تُقاتل جيوش الروم فانجلت الواقعة عن انكسار المَرَدَة لانهم أُخذوا بغتةً والى ذلك اشار ابن القلاعي في ازجالهِ عن كسروان بقولهِ:

سكن الامير (١) بسكنتا ارسل عساكر في بغته
نهب البقاع في فرد نكته وقتل رجاله مع النسوان
طلع سكن في قب الياس وارسل عساكر مع حرَّاس
والبقاع تحت حافر خيله انداس طلع خــبره للسلطان

المردة في قسطنطينيــة وقال انه كان يحمل عكازًا من الفضة مموهًا بالذهب وكذا استشهد السمعاني متى جانر الكاهن الراهب في مؤلفهِ في وظائف القصر القسطنطيني حيث ذكر ان كبير المردة كان بالرتبة السابعة عشرة بعد الملك واستشهد مؤلفًا آخر مجهول الاسم. فينتج من كلامهِ انهُ بقي اثر لهؤلاء المردة حتى في القصر الملكي في قسطنطينية الى ان اخذت الدولة العثمانية هذه المدينة. واما باقي هؤلاء المردة في بمفيليــة فيكونون امتزجوا مع تمادي الزمان بالسكان هناك حتَّى لم يعودوا يعرفون (عن كتاب سفر الاخبار في سفر الاحبار صفحة ٧١)

(١) ويروى: سكن الملك

بعث له خلع مع قصَّاد تطمَّن واكل معهم زاد

عساكر وراهم تتجرَّد كبسوه في وقت اطمئنان

قتلوه وانقتل معهُ العسكر وقتل كثير من الأوخار

ولما قُتل امير المرَدَة أمَّروا عليهم سمعان ابن اخت المقتول وكان رجلاً شجاعاً فمشى في اثني عشر الفًا الى جهة ارمينية وهدم السدَّ النحاسي ومن هناك اجتاز الى بلاد تراكية. ومن ذلك الحين لُقب اللبنانيون بالمرَدَة اي العصاة لكونهم عصوا امر يُستنيان الملك في عدم التعرُّض للعرب والشخوص الى بلاد المغرب كما مرَّ الكلام آنفًا. الاَّ ان قتل امير المرَدة عاد بالخسارة على الروم كما اخبر مؤرخو ذلك العصر بقولهم: ان اهل جبل لبنان كانوا من اكبر النجدات للروم ولم يكن من يرغم معاطس العرب الاَّ هم. ولكنهُ لما قتل الملك اميرهم وذللهم طمع بهِ العرب واغاروا على بلاده وخربوا مملكته

قال شدران المؤرخ: «ان جميع ما كان بيد العرب حينئذٍ من المصيصة الى بلاد الارمن كان برمتهِ قفرًا خاليًا بسبب هجمات المرَدَة وغاراتهم. فلما كسر الملك شوكة المرَدة المذكورين واخذ عساكرهم وقتل اميرهم بخداعهِ جلب الدمار والخراب على مملكتهِ وجرَّ على بلادهِ بلايا عظيمة حتى الى يومنا هذا. والحاصل انهُ تصرَّف تصرُّف الجهلة الذين لا يدرون ما يصنعون» وقال بِكتاب وهو من المؤرخين الحدثين «ان يُستنيان الثاني الملقب بالاخرم خلف والدهُ قسطنطين سنة ٦٨٥ ولهُ من العمر ١٦ سنة وخرَّب المملكة بقلَّة تمييزه وسوء تدبيرهِ واخرج من لبنان المرَدَة الذين كانوا نجدة للروم في كل مهمّ ورهبةً للعرب». واخبر المؤرخون ايضاً عنهُ انهُ لصغر عقلهِ مال الى اقوال بعض اساقفة في قسطنطينية كانوا على مذهب المشيئة الواحدة ووعدهم بابطال ما كان قرَّره المجمع السادس في ايام ابيهِ فتقوَّى بهِ اهل البدع ونشروا بعض قوانين في ما يتعلق باثبات معتقدهم. ولما اقبل قصَّاد البابا قانون الى قسطنطينية اجبرهم على اثباتها بخطوط أيديهم كما اخبر بذلك نيقولا البابا في رسالتهِ الى ميخائيل ملك الروم

وكذلك فعل بقاصد البابا سركيس فاثبتها بخطّ يدهِ خوفًا منهُ. وقيل ان هذا الملك امر بعقد مجمع في قبّة البلاط واحضر اليهِ مئة وثلاثين اسقفًا ابتغاء ان يدخل هذا البلاء على بيعة الله ويحمل جميع الكنائس على اعتقاده. وقد ذكر في تواريخ المجامع العربية ان يُستتيان كان قتولاً وفي ايامهِ عُقِد مجمع في قبّة البلاط حضرهُ مئة وثلاثون اسقفًا وقد اراد بهِ ان ينقض ما كان قد أُبرم في المجمع السادس كما اخبر بذلك طراسيُس بطريرك قسطنطينية في المجمع السابع. وذكر انسطاس المؤرخ انهُ في تلك السنة مات تاوفان بطريرك انطاكية فجعل البابا قانون مكانهُ من غير مشورة الاكليروس الروماني قسطنطين شماس كنيسة سيراقوزة وارسل لهُ درع الرئاسة ولكن قسطنطين المذكور اساء السيرة جدًا والقى الفتن والانشقاق فانفذ البابا اوامره الى عمّال الملك على تلك النواحي ان يقبضوا عليهِ ويسجنوه. ثم كتب الى اكليروس انطاكية ان ينتخبوا لهم بطريركًا مكانهُ فانتخبوا يوحنا مارون الاسقف وجعلوه بطريركًا مكان تاوفان

واما كيفية اقامته هذه فقد رأينا قصة قديمة تخبر عنهُ هكذا: انه قدم الى انطاكية وجرى بينهُ وبين اتباع مقاريُس الاراطيقي جدالٌ عظيم حتّى تورّطَ آخر الامر في بدعتهم واقرَّ انَّ في المسيح طبيعةً واحدةً وانهُ مسلوب النفس الناطقة العقليَّة وان اللاهوت هو الذي كان يمنح الحياة والتدبير نيابةً عن النفس. ثم اقيم اسقفًا على انطاكية ولم يُعطَ رعيَّةً اصلًا خلا العصا لان البابا اَباغزيو كان قد حرم كرسي مقاريُس. ورحل بعد ذلك عنها الى مدينة طرابُلس فوجد فيها اتفاقًا قاصد انوريُس البابا. فلما عرف القاصد بان الوافد اسقف هو امرَ حالًا باحضارهِ اليهِ. فلما جال معهُ في ميدان الجدال والبحث عن حقائق الايمان وجدهُ بطلًا مدجَّجًا باسلحة العلوم فاستصحبهُ معهُ الى رومية وعقد لهُ مجمعًا خاصًا أطلعهُ فيهِ على حقيقة الايمان المستقيم ثم اقامهُ اذ ذاك بابا رومية بطريركًا والبسهُ التاج والخاتم وسلَّمهُ عصا الرعاية وقلده الانعام على الكرسي الانطاكي»

الّا ان اسم اباغريو الوارد في هذه القصة رقمه الناسخ بدل اغاتون اما سهوًا او فضولاً لانه لا يوجد لاباغريو ذكر في سلسلة البابوات مطلقًا . واغاتون هو الذي امر بالتئام الجمع السادس وهو الذي سجن مقاريُس وطعنهُ بالحرم مع كل من يقول بقولهِ ويهجم على الكرسي الانطاكي . وقد قلنا سابقًا ان الناسخ المذكور رقم ايضًا اسم انوريُس بدلاً من اسم سرجيُس . لان دخول يوحنا مارون الى رومية كان بمعيةِ قاصد البابا سرجيس الذي كان في عصره لا بمعية قاصد البابا انوريُس الذي توفي قبل دخول يوحنا مارون بنحو خمسين سنة

اما بدعة مقاريُس فهي قولهُ ان المسيح لا نفس لهُ بل اللاهوت هو الذي كان يحيي الجسد ويحركه حسب ما تترنم بهِ الشمامسة في البيعة بقولهم:

ܩܡ ܛܝܡܬܐܘܣ ܛܡܐܐ ܘܦܘܛܝܢܘܣ ܘܡܩܪܝܢܘܣ

ܕܐܡܪܝܢ ܕܡܪܢ ܠܐ ܢܦܫܐ ܗܘܬ ܠܗ

اي قام طيموتاوس النمس وفوتينس ومقاريس القائلون ان ربنا لا نفس لهُ . (١)

فاذا كان قد اهمل الله يوحنا مارون فتورَّط في هذه البدعة ثم جحدها اخيرًا فان احكام الله عميقة لا يدرك قرارها فالجد لطول اناتهِ لانهُ صبر على هارون رأس الاحبار في العتيقة لما صنع العجل للاسرائيليين ليعبدوه من دون الله وعلى بطرس

---

(١) وعثرنا في المكتبة الشرقية في كلّيّة القديس يوسف ببيروت على نسخة نقلها سنة ١٨٨٦ سليم بن حبيب مرعي الماروني عن احدى النسخ القديمة فاذا هي تختلف عن التي بيدنا في هذا الموضع بعض الاختلاف وهذا نصها :

فهذه القصّة وان كانت قديمة فيها سقطات كثيرة ولا نعلم ان كان طرأ عليها ذلك عن سهو او عن خبث نية . فقد قيل بها اولًا ان يوحنا مارون وقع في بدعة تلاميذ مقاريُس الذين يقولون ان في المسيح طبيعةً واحدةً وانهُ لم يكن لهُ نفس عقليّة ناطقة بل اللاهوت هو الذي كان يُعطيه الحياة وهذه التهمة تخص ابليناريُس واتباعهُ واماّ مقاريُس فانه في الظاهر كان يقرّ بالمجمع الرابع وبطبيعتي المسيح . وقيل فيها ايضًا ان البابا اباغِريو حرم كرسي مقاريُس والحال انهُ ليس في سلسلة الباباوات من يُسمَّى بهذا الاسم ولم يذكر مطلقًا ان

صخرة الايمان في الجديدة اذ انكره ثلاث دفعاتٍ ثم منَّ على الاثنين برحمتهِ وعظمهما على سائر الاحبار في العهدين. ويحتمل ان يكون هذا الاب المكرَّم قد عرض لهُ مثل ما عرض لهما فتورَّط في بدعة مقاريُس اما لان يُرضي بذلك الملك العنيد ويستميلهُ من هذه الجهة لانهُ من شدة اصراره على هذه الضلالة كتب الى جماعة اكليروس انطاكية بعد استشارة روساء كهنة قسطنطينية ان لا ينصبوا عليهم بطريركاً الا من كان تابعاً رأي المشيئة الواحدة. واما انهُ قصد الوصول الى الدرجة البطريركية التي كانت بيد الهراطقة او توسَّل بذلك الى دخول رومية أَو ان الله سمح بسقطتهِ لكي يشعر بضعف الطبيعة البشريَّة فيكون رحوماً لغيرهِ فيضاعف اجره ويحسن ثوابه برجوعه الى الصواب و يزداد فخرًا عند الله والناس. والشاهد على ذلك ان القصة المذكورة تبيّن صريحًا انهُ قبل ارتقائهِ الى البطريركية كان يجادل اتباع مقاريُس جدالًا عظيماً الى ان ارتطم في اوحال شيعتهم ولكنهُ افاق اخيرًا من ضلالتهِ وتوجه اختيارًا الى مدينة طرابلس واجتمع هناك بقاصد سرجيس ودخل معهُ الى مدينة رومية فاحسن البابا استقبالهُ لانهُ كان انطاكي الاصل ايضًا . ورقاه الى مقام البطريركية الانطاكية ووشحهُ بالدرع المتضمنة كمال الرئاسة وسلمهُ التاج والخاتم والعصا وانعم عليهِ بجميع الامتيازات التي لاسلافهِ. اما البطريرك يوحنا فودَّع الحبر الاعظم حينئذٍ وعاد الى انطاكية بدرع الرئاسة البطريركية وسعى كما تقدَّم القول باستئصال بدعة مقاريُس وصنَّف ميمرًا في الرد عليهِ واستمال كثيرين من اليعاقبة وبث الاعتقاد بالطبيعتين والمشيئتين ثم توجه الى جبل لبنان فاكرم اللبنانيون

واحدًا من الباباوات حرم كرسي مقاريُس لان الآباء الذين اجتمعوا في المجمع السادس حطّوا مقاريُس عن الكرسي الانطاكي ونصبوا بدلهُ تاوفان. وقيل فيها ايضًا ان البطريرك يوحنا دخل مع قاصد البابا انوريُس الى رومية والحال ان انوريُس البابا مات ٦٣٨ اَي قبل هذه السيامة بنحو خمسين سنة. وعندي ان اخبارها عن يوحنا مارون انهُ وقع في سقطات مقاريُس هو باطل. ولو سلمنا بعدم بطلانهِ فلا ينتج منهُ الَّا ان احكام الله عميقة وسبلهُ غير مفحوصة فالمجد لطول اناتهِ الخ

ملقاهُ وسرُّوا بهِ ايما سرور والى هذا يشير ابن القلاعي في زجلياتهِ قائلًا :

نرجع نخبر عن مارون كان عالم عا في القانون
من انطاكية ابوه اغاتون مطران مع السريان قد صار
جا لطراباس وتكلم مع الكردينال وعليهِ سلم
لقاه شاطر فاهم معلم اخذه معهُ في الابحار
قال للبابا اخباره وثبَّت قوله واسراره
رسمه بطرك واعطا له درعًا واوصاه يتحذَّر
قال له تجنب الملكية واليعاقبة والقبطية
جبل لبنان يكون لك رعية في كفرحي مات ذا المختار



الفصل العاشر

في انتقال البطريرك يوحنا مارون من انطاكية الى جبل لبنان

قد اخبرنا في الفصلين السابقين عن اصل يوحنا السرومي وترهُّبهِ وعلومه وتصانيفهِ واقامته اولاً اسقفًا ثم بطريركًا وبينًا كيف دخل رومية واعتصم بعرى الكنيسة الجامعة واوضحنا ذلك ايضاحًا مرضيًا فساغ لنا ان نوضح امر بطريركية الموارنة في جبل لبنان ونخبر عمَّن تقلّد زمامها اولاً وفي اي زمان كان ذلك فاقول(١)

ان كثيرًا من الرواة قصدوا بيان ذلك ولكنهم لم يهتدوا اليه سبيلًا . والرواية الصحيحة هي ان يوحنا مارون بعد عودته من رومية الى انطاكية وحلفهِ الطاعة

---

(١) وفي نسخة أُخرى خُطَّت من عهد قديم بعض اختلاف لفظي فدونكه بحروفهِ : في الفصلين اللذين تقدم ذكرها برهنَّا بالكفاية عن اصل يوحنا السرومي وعن رهبانيتهِ ودروسهِ وتسميته وقيامه اولاً اسقفًا على البترون ثم بطريركًا على كرسي انطاكية وعن شخوصهِ الى رومية الكبرى وتأديتهِ الطاعة للبابا سركيس وتمسكهُ باذيال الكنيسة الرومانية . واخبرنا انهُ عند عودته الى كرسيهِ لم يدفن الوزنة التي أُعطيها بل انهُ يدل على مثال الراعي

للكنيسة الرومانية اخذ يعلّم تعليم الحق ويرشد التائهين عن سبيل الصواب حتى استمال اليه كثيرًا من الناس وحملهم على الايمان بصدق الطبيعتــين والمشيئتين . ولما نمى خبره الى قسطنطينية شقَّ على الاساقفة القائلين بالمشيئة الواحدة فاغروا الملك ان يُجبر البابا سرجيُس والبطريرك يوحنا على اثبات القوانين التي وضعها اصحاب المشيئة الواحدة . فوجَّه الملك المذكور برسالة الى كل منهما يأمرهما بذلك ويتوعَّد المخالف بالنفي والتعزير . ولما ان وقف البابا والبطريرك على رسالته المذكورة آثرا النفي والموت دون ان يجحدا طبيعتي السيد المسيح ومشيئتيهِ . اما الملك فاستشاط عليهما غيظًا وسيّر زكرياء ولاون قائدي جيشه لكي ياتياهُ بهما مصفدين بالاغلال . قال فلاتينا المؤرخ : ان يُستنيان الملك عقد مجمعًا قرَّر فيه امورًا لا توافق صحّة الامانة . وانما اثبتها لهُ قاصد البابا سرجيُس خوفًا منهُ ورهبةً . فلما انتهى الامر الى مسامع البابا رفضه لصحـــة اعتقاده ان في المسيح طبيعتين وان العذراء هي والدة الاله فاغتاظ عليه الملك غيظًا شديدًا وارسل زكرياء ليأتيهُ بهِ مهانًا مغلّلاً . ولما عرف بذلك الشرط الذين في ايطالية اخذتهم الحمية والغيرة وتدجّجوا باسلحتهم ونهضوا نهضة الاسود ليحموا البابا من اعدائهِ وهجموا على زكرياء المذكور يريدون قتلهُ فاخفـــاه البابا في حجرتهِ وكفهم عن اذيته ثم وجهه سرًّا الى ملكه . واما يوحنا مارون فانهُ فرَّ هاربًا الى دير القديس مارون الذي ربي فيه وجدَّد الكتابة هنالك في شأن الطبيعتين وبعث برسالة في هذا الشان مع رهبان الدير الى جبل لبنان كما هو محرر في ديباجتها وهو :

[illegible]

الصالح والبطل الشديد اتم الجهد والجدّ في سياســة الخراف التي اؤتمن على سياستها وزاد على ذلك انهُ كان يجادل اصحاب الآراء الفاسدة واهل البدع الى ان استأصلــــ من انطاكية وجوارها جميع الزؤان الذي بزرهُ مقاريُس واتباعه القائلون ان في المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة . واظهر كذلك عيب مقالة اليعاقبة الذاهبين الى ان في المسيح طبيعة واحدة لا غير فأطاعهُ كثير منهم وعلموا بمقالة الطبيعتين والمشيئتين كما يتضح ذلك من قصتهِ الموردة آنفًا بل من اقرار الموارنة واليعاقبة ودوام التسليم الى وقتنا هذا . اه

ܢܫܢܐ ܟܘܪܣܝܗ ܘܠܐ ܢܫܚܠܦ ܗܝܡܢܘܬܐ ܕܐܒܗ̈ܬܐ ܕܐܬܟܢܫܘ
ܒܟܢܘܫܝܐ ܕܢܝܩܝܐ ܘܕܫܪ̈ܪܘܗ ܘܟܢ̈ܘܫܝܐ ܫܢܐ ܕܝܢ
ܡܢ ܐܢܛܝܘܟܝܐ ܘܐܬܐ ܠܕܝܪܐ ܚܕܐ ܕܐܝܬܝܗ ܗܘܐ ܒܐܘܚܕܢܐ
ܕܚܡܬ. ܥܠ ܣܦܬܐ ܕܢܗܪܐ ܥܣܝ ܘܐܝܬ ܒܕܝܪܐ ܗܘ
ܬܡܢܡܐܐ ܕܝܪ̈ܝܐ ܓܒ̈ܝܐ ܘܕܟ̈ܝܐ ܘܬܡܢ ܣܡ ܠܐܓܪܬܐ
ܗܕܐ ܘܟܬܒܗ ܘܫܕܪܗ ܠܛܘܪܐ ܩܕܝܫܐ ܕܠܒܢܢ

اي حكم مارون ان الاجدر بهِ ان ينقل كرسيّه ولا يغيّر امانة الآباء المهذبين الذين التأموا في مجمع نيقية والمجامع التي ثبتتهُ. فرحل عن انطاكية الى دير في ولاية مدينة حماة على شاطئ النهر العاصي وكان في ذلك الدير ٨٠٠ راهب اطهار مختارين وهناك الّف هذه الرسالة وكتبها وارسلها الى جبل لبنان المقدس

فلما علم الملك بفراره امر لاون قائد جيشه بالمسير في طلبه الى نواحي المشرق ليأتيهُ بهِ مكبّلًا بالقيود فاحجم القائد عن المسير معتذرًا واحتج بان الرجل مشمول بالكرامة عند اللبنانين وانهم لا يسلمونه في موقف الحرب والنزال. ولم يقل القائد هكذا الا بسبب محبته للبنانين الذين كانوا قد انجدوه في حربه للعرب. اما الملك فازداد غيظًا عند سماعهِ من لاون هذا الكلام وامر بسجنه واشار الى موريق وموريقان ان يقودا الجيوش الرومية الى بلاد سورية ويحملا بها على البطريرك يوحنا مارون ثم شيَّع الخبر من باب المكيدة انه وجَّه تلك العساكر الى قتال العرب. ولكن خديعتهُ هذه لم تخفَ على البطريرك يوحنا مارون فارسل من ثم الى ابراهيم ابن اختهِ ان يمدَّهُ بالابطال فأتاهُ باثني عشر الف مقاتل مدججين بلامات الحرب والجلاد ونقله من موضعهِ الى سمر جبيل

فلما كانت سنة ٦٩٤ وصل موريق وموريقان في اواخر الربيع الى بلاد سورية فحملا بجيوشهما على دير القديس مارون وقتلا منهُ خمسمائة راهب وهدما بنيانه

وثلاً اركانه حتى جعلاه قاعاً صفصفاً ثم تحوَّلا من هناك الى قنسرين والعواصم فقتلا الاهلين بالسيف ونهبا جميع ما هناك من الذخائر والنفائس وخرَّبا المساكن والمنازل ولم يعفيا عن احد من اتباع البطريرك يوحنا اصلًا . هذا ولم يزل السيف يجزّ رقاب القائلين بالطبيعتين والمشيئتين حتى انتهى الجيش الى مدينة طرابلس ولما انتشرت اعلامهم وتفرَّق جمهورهم في صحاري المدينة خافهم اهل الكورة وخضعوا لرأيهم رهبةً ورعبة . ثم ان العسكر المذكور ضرب خيامه ما بين اميون وقرية الناووس التي هي في سفح الجبل فورد لاستقبالهم اعيان تلك النواحي مرحبين وقدموا لهم ما يحتاجون اليهِ وطلبوا منهم الامان فاجابوهم الى ذلك

ولما ان وصلت الجيوش قريباً من لبنان وقع الرعب في قلوب الناس وخافوا من السبي والفضيحة فجعلوا يستغيثون الى الله بقلوب خاشعة ودموع هامعة مستشفعين بوالدته مطلع الهدى . وبينما كان الناس يتقلَّبون على لظى الخوف والهلع اذ وفد رسول من لاون القائد الذي سجنهُ الملك الى البطريرك يوحنا والامير سمعان وبشرهما بانهُ قد نجا من الحبس وقبض على يستنيان الملك وقطع انفهُ ونفاهُ وتولَّى السلطنة مكانه واباح لهما ان يحاربا الجيش الموجَّه عليهما من غير رهبة فلما عرف الجبليون واهل العواصم بهذا الخبر حمدوا الله غاية الحمد وشكروا لوالدتهِ العذراء على هذه النعمة ثم اندفقوا على الاروام من اعالي الجبال اندفاق الماء المنهمر والغيث المنحدر (١)

---

(١) وفي نسخة مكتبة دير اللويزة هذه الزيادة : وباغتتهم الابطال والصناديد حتى امتلأت من عدّهم وعديدهم الآكام والبيد . واصطدم الجيشان وتقابل الفريقان وجرّدت السيوف ودار على الفريقين كاس الحتوف وهمهمت الابطال في حومة الميدان وزمجرت الشجعان في موقع الطعان وغلت الاحقاد في الصدور غلي المراجل وحصدت السيوف سُنبُل الرؤوس حصد المناجل ونادى حمي القوم يا للثارات ومزّق الكمي صفوف الغارات فما كنت ترى الَّا رأساً طائرًا ودماً فائرًا وجوادًا غائرًا وشجاعاً زائرًا وقد ضرب قسطل الحرب عليهم من الغبار رواقاً ونصب عثير الطراد على رؤوسهم سرادقاً وما زالوا في مقابلة ومواثبة ومخاصمة ومناصبة الى ان تنكَّست اعلام الروم وطلبوا الهزيمة ورأوا الفرار من امام اعدائهم اوفر غنيمة

فقاتلوهم حتى قتلوا اكثرهم وانهزم الباقون شرّ هزيمة . وهكذا اخبر اليعاقبـة في كتاب معتقدهم بقولهم: ولما انتهى امتلاك الملكية الى قرية اسمها اميون تميز (١) موّيرين وابن اختهِ بُرَيهيم من الملكية ولحقوا سمر جبيـل وحموا اهلها من اداء الجزية التي حكم بها الملكية على كل من لا يتبعهم ويوافق اعتقادهم فالتحق حينئذٍ السريان واهل لبنان بمارون ونجوا مما كانوا يخشون (٢) » والى هذا اشار الخوري يوسف العاقوري (الذي صار بطريركاً فيما بعد) في زجلياته التي اخبر بها عن قدوم عسكر الروم من بـلاد قسطنطينية وذلك في الميمر الذي الفهُ سنة ١٦٢٠ :

خرجوا من اسطنبول متفقـين   مع جوقة اعدا وشياطـين
والسيوف على الموارنة مسلولـين   خالفوا لمارون وطاعوا الملكيه
فيهم من طـاع وما خالف   والسيف فوق رأسهِ مولَّف
والبعض من الفزع تخلف   وطاعوا الى الملكيه
دامـوا في الشرّ مصطـدمين   حتى نزل الامير مسعود والمقدمين
والعساكر في اميون مجتمعين   والقتـل وقع في الملكيه
انقتـلوا القوّاد في اميـون   وانتصروا جماعة مارون
والروم على موريق ابنون   كنيسة لليوم مسميـه

وبسبب هذه الحملة على يوحنا مارون ولاسيما بسبب الواقعة التي جرت بين اهل الكورة وجبة بشرّاي كان بدء الفرقة بين الموارنة و (بين) الملكية . لان الذين تبعوا جيش الروم وانقادوا لرأيهم سمّوا ملكية تبعاً للملك المبتدع والـذين ثبتوا في

ولكن من اين وقد سُدَّت في وجوههم الطرقات والمسالك وضاقت عليهم الارض بما رحبت فسقطوا في المهالك وبادت رجالهم وصناديدهم وقُتلت قوّادهم وفني عديدهم وما فاز بالنجاة الا القليل وانهزموا مولين . ويا لها من هزيمة تؤذن بكل عار وفضيحة . اه

(١) وفي رواية اخرى : ارتفع

(٢) ويروى ايضاً في غير هذه النسخة : وحماهم من الجزية التي فرضوها الملكية على من لا يتبع دينهم ووافقه السريان والذين في جبل لبنان وتبعوا مارون

الامانة تحت طاعة البطريرك يوحنا مارون سمّوا موارنة (١)

الى هنا ما في نسخة مكتبة دير اللويزة وفي نسخة اخرى هذه الزيادة وهي بالحرف :

كما يظهر ذلك من الرسالة التي كتبها البطريرك المذكور في ايضاح طبيعتي الرب وذكرها مرهج بن نمرون في العدد الرابع العشر على هذه الصفة : اعتقاد الكنيسة المقدسة الرسولية الذي كتبه القديس يوحنا بطريرك انطاكية في دير

---

(١) قال العلّامة السمعاني في المكتبة الشرقية مج ١ ص ٥٠٨ بعد نقله لكلام الدويهي هذا : رفع آخرون نسبة الملكية الى مرقيان الملك والمجمع الرابع . واول من كتب هذا فيما اعلم من السريان هو ديونيس بن صليبا نحو سنة ١١٦٠ للمسيح وذلك في شرح الليتورجية (فصل ١) قال :

ܡܠܟܝܐ ܡܬܩܪܝܢ ܡܛܠ ܕܫܒܩܘ ܠܬܘܕܝܬܐ ܕܐܒܗܬܐ ܘܢܩܦܘ ܠܡܪܩܝܢܐ ܡܠܟܐ

اي يسمون ملكية لانهم لما تركوا ايمان آبائهم اعتنقوا مذهب مرقيان الامبراطور . وارتأى مثل ذلك من مؤرخي اليونان نيقوفور كاليست الذي عاش نحو سنة ١٣٣٠ في تاريخه الكنائسي (كتاب ١٨ صفحة ٥٢) . ونقل كلامه ديمتريُس القوزيقي في مقالته عن بدعة اليعقوبيين . . (مج ٢ صفحة ٢٦٣) قال نيقوفور : انهُ في ايام يعقوب هذا الذي تكلّمنا عنهُ والذي كان يعلم البدعة المونوفيزية في سورية ظهر شقاق عظيم . فاما الذين تمسكوا بالرأي المهذب فسموا بالملكية لانهم تبعوا المجمع الرابع والامبراطور نفسهُ » . غير اني أُعرض عن كتَبَة اليونان والعرب المتأخرين عن نيقوفور وابن صليبا مثل ساويروس اسقف الاشمونيين وابن الراهب صاحب التاريخ الشرقي وجرجس المكين بن العميد الذين تبعهم بارونيس . ولا اذكر ايضاً اوطيخا الاسكندري الذي اتى مراراً في تاريخهِ باسم الملكية وما اورد مطلقاً اصل تسميتهم فضلاً عن انهُ قدّر كون هذا الاسم كان قبل عهد مرقيان مرادفاً للفظة ارثوذكسي . لانهُ قال في صفحة ١٠٠ « وكان مرقيان الملك حسن الامانة وكان يدين ويقاتل عن امانة الملكية » . اما توما الحاراني اسقف كفرطاب من الشيعة المونوتوليّة الذي دار بينهُ وبين يوحنا بطريرك الملكية سنة ١٠٨٩ جدال في مشيئة المسيح الواحدة فاثبت انهم كانوا يسمّون بالملكية اولئك الذين بانقيادهم لكلام مكسيمُس المعترف اتبعوا مرقيان واخاهُ وموريق سالفي هرقل . لان

القديس مارون على النهر العاصي من بلاد حماة وبعث بهِ الى جبل لبنان ولاجل ذلك يُسمّى اهل الجبل المذكور موارنة على اسم الدير. ومن هنا يتبيَّن كذب سعيد بن بطريق القائل بان الموارنة ينتسبون الى مارون الراهب الذي انشأ بدعة المشيئة الواحدة في دولة موريق ملك الروم وانهُ لما مات مارون بنى اهل حماة على اسمهِ ديرًا سموه دير مارون». والحال ان ذلك الدير بحسب شهادة المجامع المقدسة المسكونية (كما برهنا في الفصول المتقدمة) لم يُدعَ دير مارون الّا على اسم رجل بارّ شاعت قداستهُ في جميع اقطار العالم. وكان بناؤه قبل ان تولى موريق مملكة

توما المذكور يقول «ان مكسيمس هذا ذهب الى المدينة المتملكة وقابل الامبراطورَين مرقيان واخاهُ وموريق الذي خلفهما واستأذنهم ان يعلم السوريين مشيئتي المسيح. اما الذين قبلوا هذا التعليم فدعوا ملكية». الّا ان كلامه هذا هو عارٍ عن كل صحة وتخالفهُ جميع آثار التاريخ الكنائسي التي تشهد ان الامبراطور مرقيان الذي تقدم موريق باكثر من مئة سنة لم يكن لهُ اخ يشاركهُ في الملك وانهُ في ايامه لم يجرِ مطلقًا ادنى جدال في مشيئتي السيد المسيح وانما حصل ذلك في ايام هرقل خليفة فوقا وموريق نحو السنة ٦٢٨

وعلى ذلك فاني ارتئي من الظن الراجح ان اسمي الملكية والمردة اسمان متضادان وجدا في عصر واحد لا للدلالة على اختلاف ديانة او طقس كما ظن بعض علماء الموارنة بل للدلالة على اختلاف غرض مدني فقط ولو انهُ امكن فيما يلي من الزمان ان يدلّا على شيء آخر وذلك بعد ان امتاز كل من الفريقين عن الآخر وانفرد بطقس وكهنة وديانة مستقلة. لان الذين تمردوا قديمًا في سورية على الملك سموا مردة اي عصاة واما الذين لبثوا في طاعة الملك فسموا ملكية نسبة الى الملك. وهذا حدث بسورية في ايام قسطنطين اللحياني عند ما كان المردة كما يشهد تاوفان وشدران مالكين جميع ما هو من حدّ الجبل الاسود الى مدينة اورشليم المقدسة. ويثبت رأيي هذا صمت جميع الآباء والمؤرخين الاقدمين عن الملكية. واذا راجعت تصانيف آباء القرن الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع وطالعت تواريخ بركوبيس واباغريو وتاوفان وشدران وزوناراس وتوفيلكت فانك لا ترى فيها اثرًا البتة لاسم الملكية ولا تجد ذلك في كتب الخوارج كبطرس القصّار وفيلوكسين البعلبكي وساويروس ... وغيرهم الذين يدعون الكاثوليكيين مرارًا خلقيدونيين وسينودوسيين ولا يسمونهم ملكيين مطلقًا. وبعكس ذلك ترى تاوفان وشدران يأتيان صريحًا بذكر المردة ولكن من غير ان يتهماهم بوصمة بدعة وذلك برهان على ان تسميتهم تشير الى حزب مدني لا الى فرقة دينية. ومن ثم فيقرب من

الروم بسنين كثيرة . كذلك اوضحنا بالبراهين الدامغة ان المحاورة عن المشيئة الواحدة ما نشأت في دولة موريق ملك الروم ولا في دولة فوقا الذي خلفهُ بل في دولة هرقل بعد ان ظفر بالفرس ورجع من القدس الى الرها . وعلى شبه ذلك قولهُ في جماعة الملكية انهم سموا بذلك من موريق ومرقيان الملكين فهو خالٍ من الصحة لان بين مرقيان الذي اقام المجمع الرابع وبين موريق ملك الروم نحو مئة وثلاثين سنة وفي تلك المدة لم يسمَّ احدٌ ملكيًّا لا في بلاد الشرق ولا في بلاد الغرب . واما

الصدق ان اعداء المردة دعوا بلغة وطنهم ملكية والّا لاتى مؤرخو تلك الازمنة الذين كتبوا عما جرى في سورية من الحوادث وما نشأ بها من البدع بذكر المردة والملكية بمنزلة خوارج . وكلا الاسمين ملكية ومردة سريانيًّا الاصل وانما نشأا في سورية ويثبتهُ كون طائفتي الملكية والمردة كانتا قبلًا ولم تزالا الى الآن متكاثرتين في سورية واما في غيرهما من الاماكن فوجودهما نادر او لا وجود لهما اصلًا . ولهذا لا ينبغي تصديق باجيس الزاعم ان اسم الملكية نشأ في مصر على عهد مرقيان الملك بقولهِ (تاريخ سنة ٦٢٣ عدد ٩) «الملكي كلمة تدل على من يتبع ديانة الملك . وهذا الانقسام الذي لم يزل مشتدًّا الى الآن في المشرق نشأ في زمن مرقيان الملك الذي طرد ديوسقورس . ومن ذلك الحين قام بطريركان في مصر ترأس احدهما على الارثوذكسيين الذين سموا بعد الانقسام المذكور ملكيين والآخر على اشياع ديوسقورس الذين كانوا كثيري العدد وقتئذٍ»

لانك اولاً لا تجد كاتبًا اقدم من ابن البطريق رفع اسم الملكية الى ايام مرقيان . ثانيًا لو كانت هذه الكلمة قد نشأت حقيقة في مصر لما كان سمي الكاثوليك ملكية بلفظ سرياني او عربي بل لكان ينبغي ان يسموا باسيليين βασιλικοί بلفظ يوناني او بلفظ آخر من اللغة القبطية كما هو ظاهر . لان السريانية لم تدرج مطلقًا في مصر كما ان العربية لم تدرج هناك الا بعد مرقيان الملك والمجمع الرابع بمائتي سنة لما افتتح المسلمون مصر في خلافة عمر بن الخطاب

اما اطلاق المتأخرين اسم الملكية على الروم المصريين فلا ينبغي ان تتعجب منهُ لان اسم اليعقوبيين الذي ظهر بلا مراء في سورية ومن رجل سوري ايضًا تراهم يدعون بهِ المصريين المونوفيزيتيين لان اسماء كهذه عرضة للتغيير والتبديل كما يوضح ذلك اسم الملكية بعينهِ فانهم في القدم كانوا يعبّرون بهِ عن الارثوذكسيين والآن يراد بهِ المشاقون السريان والمصريون ذوو الطقس الرومي . وكذا اللبنانيون بعد ان تركوا لقب مردة سموا موارنة من مارون الذي تشيد ديرهُ الشهير حذاء حماة ومن هناك اتخذ يوحنا بطريركهم اسم مارون .

الملكية القاطنون في الكورة وايالة طرابلس فما دُعوا كذلك الّا في عصر يُستنيان الاخرم ملك الروم الذي سيَّر الاروام من برّ قسطنطينية الى ايالة طرابلس ليقبضوا على البطريرك ورأَّس عليهم قائدين هما موريق ومرقيان . وقد تبيَّن ان موريق قُتل في الغارة التي تقدَّم ذكرها فاخذه الملكية ودفنوه في قرية اميون واقاموا على اسمه كنيسة وفي كل سنة يعيدون لهُ بها في السادس والعشرين من تموز . واما مرقيان فحملوه من المعركة جريحًا الى قرية شويتة التي في بلاد عكّار فمات هناك وهم يعيدون لهُ في الكنيسة التي بنوها هناك على اسمه . وباثباتنا بطلان اقوال سعيد بن بطريق وجميع اتباعهِ فيما يلاحظ اصل الموارنة ابطلنا اولاً رأي غُليلمو اسقف صور واتباعه من الفرنج الذين شايعوه . وقولهُ ان المجمع السادس ما عُقد الّا طعنًا في مارون والموارنة لا اصل لهُ لان الآباء في ذلك المجمع بحثوا بحثًا بليغًا عن الذين انشأُوا بدعة المشيئة الواحدة وعن الذين انتصروا لها او تبعوها ولم يأْتوا اصلاً بذكر مارون او الموارنة . بل اقتصر كتبة التاريخ في ذلك الزمان على القول بان الموارنة

وهنا يحسن بنا ان نورد كلام احد كهنة قسطنطينية المظنون بانهُ تيموتاوس في مقالة لهُ من الداخلين في الكنيسة ذكرها قمبيفيسيُس (مج ٢ صفحة ٤٥٩) حيث يذكر الموارنة في جملة اصحاب البدع بقولهِ : ان الموارنة الذين ينكرون المجمع الرابع والخامس والسادس ويزيدون الصلب على التقديسات الثلاث ويقولون انهُ لا يوجد في المسيح الا مشيئة واحدة وفعل واحد دعوا موارنة من دير مارون الذي في سورية » ولا شك ان هذه الكلمات هي زيادة من احد الملكيين المتأخرين كما يظهر ذلك من الوقوف على النص الحقيقي لتيموتاوس المذكور الذي نشره بالطبع العلّامة كوتولاريُس (مج ٣ في آثار الكنيسة اليونانية ص ٣٧٧) بموجب النسخة الخطية التي اثنى عليها قمبيفيسيُس نفسه حيث لا يوجد أدنى ذكر للموارنة . وقال كوتولاريُس في حاشية علّقها على المجلد المذكور (صفحة ٦٢٦) : اني اعتقد بان تيموتاوس عاش قبل ظهور البدعة المونوتولية لانهُ لم يتكلم مطلقاً عن هذه البدعة

انتهى كلام السمعاني . واذا شئت مزيد بيان في هذه المسئلة فعليك بمراجعة الدر المنظوم صفحة ٦٧ وما يليها لغبطة بطريركنا العلّامة بولس بطرس مسعد الاول

كانوا وحدهم نجدة لمملكة الروم ورعبة على العرب وان المجمع المشار اليهِ لم يلتئم الّا عند ما خافهم معاوية واصحابه وارتدوا عن حصار قسطنطينية . واثنوا بذلك عليهم ولم يقولوا انهم كانوا مبتدعين او خوارج . ثانياً يبطل زعم عبد الله ابي الفضل واشياعهِ الذين وافقوا سعيد بن بطريق في ان البطريرك يوحنا مارون تبع رأي المشيئة الواحدة . ثم زادوا على ذلك انه عند قدومهِ الى دير القديس مارون الذي على النهر العاصي رسم الراهب مارون بطريركاً وسيَّره الى جبل لبنان وان الروم سمّوا ملكية لان مملكة الروم كان فيها ملكان فتعهدوا لهما ان يقيموا على اسمَيهما في الكنائس مذبحين اذا انتصرا لرأي المشيئتين وغير ذلك من الاقاويل التي لا اصل لها لان الكرسي لم يكن عليهِ بطريركان ولا مملكة الروم كان فيها ملكان . واقامة مذبحين في الكنيسة لاجل نقل القربان من المذبح الى المائدة هي امر قديم في البيعة كما بينّا ذلك في كتاب المنائر . ثالثاً يبطل قول ديونيسيُس ابن صليبا واتباعه اليعاقبة الذين زعموا ان الموارنة يعتقدون بربنا طبيعتين ومشيئة واحدة . ولكن قولهم هذا ينسب الى توما الكفرطابي الذي كان مطراناً على كورة حلب . والى عبدالله ابي الفضل الذي كان قسيساً في العراق حيث سكنُ اليعاقبة . لا الى اهل جبل لبنان الذين اقروا دائماً ومن غير انقطاع ان بربنا طبيعتين ومشيئتين وذلك يدل عليهِ قول اليعاقبة في كتاب معتقدهم اذ يقولون « فما رضوا الطوائف يؤمنوا حتى قلتم انتم واياهم يا موارنة طبيعتين وجوهرين ومشيئة واحدة . وفيهم من قال مشيئتين» يريد بالقائلين بالمشيئتين سكان جبل لبنان . واشار بالقائلين بالمشيئة الواحدة الى ابي الفرج وغيره ممن كانوا قاطنين بينهم . واما قول جبرائيل بن القلاعي ان الموارنة يُنسبون الى مارون البطريرك الذي سافر الى رومية (١) ثم جاء الى انطاكية ومن

---

(١) ان في ذهاب القديس يوحنا مارون الى رومية قولين مختلفين ولكل قول حجج وبينات وقد اتى بتفصيلها سيادة المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت في كتابهِ سفر الاخبار صفحة ٧ وما يليها قال :

انطاكيــة الى لبنان فهو رأي الامة وهو الصحيح . الّا ان مارون ليس هو اسمهُ الحقيقي وانما هو يوحنا بن اغاثون الذي دعي مارون على اسم الدير الذي خرج منهُ ومنهُ ايضاً اشتقت تسمية الموارنة كما تقدَّم البيان ٠ اه

الفصل الحادي عشر

في جهاد البطريرك يوحنا مارون بكل قداسة الى نهاية حياتهِ

قد ظهر مما سلف من سيرة هذا البطريرك الجليل والراعي المختار انهُ لما قدم الى

اما القديس يوحنا مارون الذي اقيم بطريركاً سنة ٦٨٥ وهو اول بطاركة طائفتنا المارونية بعد قيامها بنفسها منفصلة عن باقي سكان البطريركية الانطاكيــة الذين اتبعوا البدع ففي سفره الى رومة قولان . ارتأى البطريرك اسطفان الدويهي في فصــل ٨ من كتاب الاحتجاج ان القديس يوحنا مارون سافر الى رومة مع سفير الحبر الاعظم اذ كان في طرابلس وان البابا سرجيس الذي كان من انطاكية قبلهُ احسن قبول واتحفــهُ بانعامات وهدايا وثبتهُ في البطريركية الانطاكية . وسند الدويهي ذلك الى قصة قديمة لسيرة يوحنا مارون والى شهادة جبرائيل القلاعي الماروني ويوحنا شيوارُيس من وبرا في الفصل ٢٧ من كتاب سفره الى اورشليم . غير ان المونسنيور يوسف السمعاني في مجــلد ٤ راس ٢٠ وجه ٤٠٤ من مكتبة الناموس القانوني والمدني . وفي المكتبــة الشرقية في مجلد ١ وجه ٥٠٣ في الحاشية قال في المحلين ما ملخصهُ : اظن ان القول بسفر القديس يوحنا مارون الى رومة نتج من ان يوحنا الفيلادلفي النائب الرسولي وقتئذٍ في الامصار الشرقية رسم يوحنا مارون اسقفاً على البترون ثم صار بطريركاً على طائفته المارونيــة واستمر خاضعاً للكرسي الرسولي الروماني خلافاً لباقي رؤساء السريان . اما البطريرك يوسف بطرس اسطفان الغسطاوي فقد اورد في تأليفه في قداسة يوحنا مارون قصــة من سنكسار للموارنة وبرهن انه كان منها نسختان كرشونيتان في مكتبة مار بطرس في رومة تحت عدد ٢٧ وعدد ٢٨ وفي هذه القصــة روايــة ذهاب يوحنا مارون الى رومة وتكريم البابا سرجيس لهُ واورد ايضاً اثباتاً لذلك شهادة يوحنا شيوارُيس المار ذكره وشهادة الاب ايرونيموس دنديني اليسوعي في رحلتهِ الى

لبنان اشاد بذكر البابا الاقدس فاكرم اللبنانيون استقبالهُ وفرحوا بهِ فرحاً كثيراً . ففصل حينئذٍ شعبهُ عن الشيعة اليعقوبية والامة الرومية واقام مطارنة واساقفة في لبنان وساسهم على احسن اسلوب واحكم طريقة . غير ان هذا الكلام مع ايجازهِ يتضمن جملة امور لا بدّ من ايضاحها بالتفصيل

انبأَت القصة المذكورة بقدوم يوحنا البطريرك المعظم الى جبل لبنان ولكنها لم تتعرَّض لبيان كيفية مجيئهِ وذلك احتراماً للملك يُستنيان الذي اضطهدهُ . لان يستنيان المشار اليهِ بعد ان انحطَّ عن العرش وقام مكانهُ لاون وطيباريُس استنجد عليهما بعد ثمان سنين بملك البلغار حتى ظفر بهما وقتلهما واسترد مملكته بعد عشر سنين واستولى عليها تسعاً . ولاجل ذلك سكت كاتب هذه القصة عن اضطهاد يوحنا لئلاَّ يتوجَّه اليهِ ملامة في ذلك . فاجترأ من ثم بالاخبار عن دخوله الى لبنان

وكان دخولهُ الى لبنان قياماً باليمين التي حلفها في رومية للبابا سرجيس الذي اعطاه درع البطريركية واعاده الى انطاكية متشحاً بها . واما فرارهُ من دير القديس مارون فما كان الَّا ليشدّد الشعب ويثبتهم في الايمان القويم

ولمَّا ان قدم هذا القديس الى لبنان اخذ يبث تعليم الكنيسة الرومانية وينشر الاعتقاد بالطبيعتين والمشيئتين واستمال كثيرين اليهِ واحبهُ الشعب حبًّا صادقاً فاقام لهم على موجب هذا التعليم البريء من الدنس مطارنة واساقفة ليتم قولهُ تعالى على لسان اشعيا : عن قليل يُبدل لبنان بالكرمل ويُحسب الكرمل غابة . يريد ان اهل لبنان الذين كانوا في العهد القديم اعداء الله ومحاربي شعب اسرائيل يتبدلون بالكرمل مقام الانبياء . وفي التحقيق ان هذا البطريرك الكلي قدسهُ لما هدأَت عنهُ

لبنان . الا انهُ لما اورد خلاصة اعمال يوحنا مارون في قسم ٣ فصل ٣ من كتابهِ المذكور لم يأتِ بذكر سفره الى رومة بل قال ان يوحنا الفيلادلفي النائب الرسولي ثبته . والحاصل ان في ذلك قولين ولا وقت لي الآن للبحث عما يرجح او يؤكد احدهما . اه

عواصف الاضطهاد لم ينقطع عن ان يجول في لبنان وما يليهِ ويدخل بتعليمهِ الحيي في كنيسة الله افواجاً وجماهير وينشىء الكنائس ويرتب الديورة ويقيم الكهنة والخدام ويرسم المطارنة والاساقفة ويعين لهم من الاوقاف ما يكفيهم ويقوم بعوزهم

ولما رأى ان موريق ومرقيان ذهبا بجيوشهما الى دير القديس مارون وخرَّباه من آساسهِ وقتلا رهبانه لكي يمحوا ذكره عن وجه الارض انشأ على اسمهِ ديرًا آخر مما يلي شرقي قرية كفرحي من عمل البترون ونقل اليهِ هامته مانحة الشفاء وعين لهُ عيدًا في الخامس من كانون الثاني وهو اليوم الذي كُرّست بهِ الكنيسة على اسمهِ كما مرّ بك. وانما قصد بذلك ان ينتشر اسم هذا القديس الجليل ويكرّم في جميع جهات البلاد السورية واستحسن ان يُلقب اهل تلك النواحي بالموارنة ايضاً تبركاً بهذا الاسم (١) . وها قد مضى عليهم الآن نحو من الف سنة مصونين بشفاعتهِ من جميع المكاره ومقيمين ببركتهِ على الامانة المهذبة التي تسلموها منهُ

وفي السنة ٦٩٦ المسيحية اغارت جيوش العرب على بلاد افريقية فامر لاون بتوجيه الجيوش بحرًا لقتالهم فسارت الجيوش اليهم ولما اشتعلت نار الحرب انهزمت جيوش الروم اقبح هزيمة ورجعوا الى قسطنطينية بالخزي والخجل. وعند دخولهم خافوا الملك ان يعنفهم على ذلك فوثبوا عليهِ وقطعوا انفهُ ونفوه الى نواحي دلماس ونصبوا طيباريُس ملكاً بدلهُ فجدد طيباريُس جمع العساكر وتعبية الكتائب واطمعهم بالمكاسب والغنائم وفي السنة الثالثة من ملكه سيّرهم لقتال العرب وكاتب سمعان امير الجبل ان يوافيهم بجيش الموارنة. ولما التحمت الحرب بين الفريقين كانت الدائرة على العرب وقتل منهم اكثر من مئتي الف (٢). وعندما وصل الخبر الى طيباريُس دخله من السرور ما

---

(١) وفي احدى النسخ: ولكي يشتهر هذا القديس ويزيد ذكره بعدًا فوق ما كان عليهِ في عامة بلاد سورية اختار ان يسمّى هو والدير المنشأ جديدًا وجميع اهل لبنان باسم موارنة على اسم هذا القديس

(٢) وفي نسخة أُخرى بعض اختلاف في وصف موقع الحرب دونكه بالحرف :

لا يوصف وخلع على الامير سمعان وعظمهُ ورفع شأنه وبعث بزهرة مَلَكية الى البطريرك يوحنا مارون اشارة الى المحبة الوثيقة وكتب اليهِ رسالة اثنى فيها على قداستهِ وطلب فيها ان يرسل اليهِ ثلاثة رجال معروفين بالصدق والامانة ليحملوا المظلة فوق رأسه كما مرّ بك في قصته. وقيل انه تناسل من هؤلاء الثلاثة كثير من الملوك لبني مارون وكان هؤلاء ذوي غيرة وسطوة عظيمة فصانوا بلادهم والسواحل من الاعداء وكانوا يغيرون على ارض الميعاد حتى المدينة المقدسة ويجذبون الناس الى زيارتها . ولاجل هذا حسد يوحنا المفترون من الروم ووشوا بهِ الى اسقف اورشليم كما قلنا آنفًا وبسبب ما اشتهر من قداسته لم يصدّق الاسقف المذكور ما نُقل عنهُ

ولنرجع الآن الى الاخبار عن يستنيان الاخرم: اعلم ان هذا الملك في مدة اقامتهِ بالمنفى اخذ يستعطف ملك البلغار كما تقدّم الكلام ليسعفهُ على استرداد الملك وما زال بهِ على ذلك حتى سيَّر معهُ جيشًا عظيمًا فتوجه نحو قسطنطينية سنة ٧٠٣ وظفر باعدائهِ وقبض على لاون وطيباريُس واحتزّ رؤوسهما واستقل بتدبير الملك. وفي تلك الاثناء قام بعض الحسدة المبغضين ووشوا بالبطريرك يوحنا الى يستنيان المذكور قائلين انه فتك بجيوشنا وقتل قوّادنا ونكَّل بنا غاية التنكيل. ولكن الملك لم يُعِر كلامهم اذنًا صاغية وقلبًا واعيًا لانه من بعد عودتهِ الى قسطنطينية واسترجاع ملكهِ نبذ ما كان عليهِ من الشقاق والعناد ومال الى الكنيسة الرومانية كل الميل. ومن حيث ان اسقف قسطنطينية قلينيق كان سبب الشرور والفتن بين

فتوجهت الجيوش نحوهم الى ان شارفوهم فالتقى حينئذٍ العسكران واصطدم الجحفلان وشرعت القنا والقواضب والتحمت الكتائب والمواكب وصهلت الخيول وهدرت الابطال وتنكّست الاعلام وانمحقت الرجال فما كنت ترى الّا سيوفًا تلمع ورماحًا تشرع ورقابًا تُقطع وصدورًا تخرقها الذوابل الطلَّع ودمًا يهمع وعيونًا تدمع واصواتًا يصمّ من هولها المِسْمَع وما زالت ريح الحرب عليهم دائرة وطيور الهلاك على رؤوسهم طائرة الى ان استظهرت الروم على العرب واندقّ جانب العدوّ ومالى الى الهرب فولّت حينئذٍ العرب تنادي بالويل والثبور وعظائم الامور وارتدّت الروم عنهم وهم متوجون بالظفر وقد جندلوا من اعدائهم مئتي الف نفر

الملك وصاحب الكرسي الروماني قبض عليهِ وقفاً عينيهِ وارسلهُ مصفَّدًا بالاغلال الى مدينة رومية . وكان مدبّرو الكرسي الروماني في ذلك العصر من اهل الشام غالبًا . فلما انتهى الخبر الى يوحنا مارون سكن روعهُ وكتب الى رومية يخبرهم براحتهِ وطمأنينتهِ وخراب انطاكية وكيفية اقامتهِ في جبل لبنان تحت حماية الامير سمعان وقومه فاجابوه بما يطيب بهِ خاطرهُ وطلبوا اليهِ ان يستمرّ على الاقامة بين ظهرانَي امتهِ ويواصلهم باخباره فاخذ من ثم يتردد في اصقاع الجبل ويُصلح الرتب البيعيَّة ويبين طريقة توزيع الاسرار التي نحن متسلموها الى اليوم (١) . وعند كمال سعيه بالتقوى والقداسة انتقل من اثقال هذه الحياة الزائلة الى المنازل العلوية الدائمة لينال هنالك جزاء المشتغلين بكرمة الرب وكانت وفاته في التاسع من شهر شباط في دير القديس مارون الذي هو شرقي قرية كفرحي فاجتمع يوم دفنهِ رؤساء الكهنة والكهنة والرهبان وجماهير لا تحصى من سكان البلاد المارونية لكي يشيعوا جسدهُ بالاكرام والتبجيل ويفوزوا بشفاعتهِ وبركتهِ فحملوا جثتهُ بالتراتيل الداودية والتلاحين الملائكية وواروا جسدهُ الطاهر في الرمس

والكنيسة المارونية تعيد لهُ كل سنة عيدًا شريفًا في النهار الموافق ليوم دفنتهِ المكرمة . ولما صدر الامر من البابا بولص الخامس وغريغوريُس الخامس عشر واوربانُس الثامن بطبع الشحيم السرياني سنة ١٦٢٤ نقلوهُ من السرياني الى اللاتيني وفحصهُ العلماء فحصاً مدققاً ثم قرروا فيهِ وجوب التعييد لهذا القديس الجليل في النهار التاسع من شهر شباط . وفي خدمة القداس التي طُبعت سنة ١٥٩٦ يذكرونه كل يوم في جملة القديسين واصحاب النوافير ويسمونه بالفم الناطق وعمود البيعة المقدسة . وفي المعيد الشتوي يلقبونه في صلاة تقديس البيعة بينبوع الروح ويذكرون اسمهُ في جملة ملافنة (علاّمات) البيعة الذين جاهدوا عنها في وجه الملحدين بقولهم .

---

(١) ويروى : صحح الرتب الكنائسية بما يخص تشمشة (خدمة) الصلاة وتوزيع الاسرار التي نحن مستمرون عليها الى هذا الوقت

ܛܘܒܝܟܝ ܥܕܬܐ ܥܕܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܡܟܪܙܐ ܗܝܡܢܘܬܐ
ܗܝ ܕܐܟܪܙܘ ܒܗ̇ ܐܒܗ̈ܬܐ ܕܟܝ̈ܐ ܩܕܝ̈ܫܐ ܐܝܓܢܛܝܘܣ
ܒܣܝܠܝܘܣ ܓܪܝܓܘܪܝܘܣ ܩܘܪܝܠܠܘܣ ܐܝܘܐܢܝܣ
ܟܪܘܣܘܣܛܘܡܘܣ ܡܪܝ ܐܦܪܝܡ ܥܡ ܡܪܝ ܝܥܩܘܒ
ܘܡܪܝ ܡܪܘܢ ܡܒܘܥܐ ܕܪܘܚܐ ܨܠܘܬܗܘܢ ܢܗܘܐ ܫܘܪܐ ܠܢ

اي ان البيعة المقدسة تنادي بالامانة التي نادى بها الآباء الاطهار الصادقون اغناطيُس وباسيليُس وغريغوريُس وقورلُس ويوحنا فم الذهب مع القديس افرام والقديس مارون ينبوع الروح . لتكن صلواتهم حصناً لنا

وهكذا يمدحونه ايضاً في العنوان المعلق على النافور الذي انشأه بقولهم :

ܐܢܐ ܢܦܘܪܐ ܕܡܪܝ ܝܘܚܢܢ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ
ܕܡܬܩܪܐ ܡܪܝ ܡܪܘܢ ܩܕܝܫܐ ܘܡܟܐܢܐ ܕܟܝܐ

اي نافور القديس يوحنا مارون بطريرك انطاكية المدعو يوحنا مارون البار

وقد اثنى على حسن سيرته وفضائله كثير من العلما . واصحاب التواريخ مثل جبرائيل ابن القلاعي وابراهيم الحاقلاني (١) ومرهج بن نمرون الباني وغيرهم من كتبة طائفتهِ . ومن الغربيين فرنسيس كوارسم في ايضاحاتهِ عن الارض المقدسة (٢) ويوحنا شيوارُيس

---

(١) ويروى ايضاً : وابرهيم الحاقلاني في الكتب التي صنفها يمدح قداستهُ ويأتي بذكر كتبهِ وشهاداتهِ مراراً عديدة . وبين ايدينا شهادات كثيرة من تآليف الموارنة اغفلنا ذكرها لانها كلها مخطوطة ولم تطبع بعد

(٢) وفي نسخة تكرم علينا بها احد اصدقائنا في جهة البترون هذه الزيادة : ان فرنسيس كوارسم رئيس جبل صهيون في الفصل السابع والثلاثين من الكتاب الاول يخبر اولاً عن ترجمته بحسب رواية الخوري رزق الله بن الخريطة الحلبي ثم يقول : اذا صدَّقنا هذه القصة تيسّر

في سفر اورشليم وعبد الاحد ماجري المالطي في سفر جبل لبنان وفي الالفاظ الكنائسية وبريسيُس الكبوشي في اختصار تواريخ بارونيس (١) وغيرهم اضربنا عن ذكرهم حب

لنا التوفيق بين آراء العلماء الذين كتبوا في الموارنة لان الذين زعموا ان الموارنة ينتسبون الى مارون الخارجي يصح قولهم بما ان مارون الذي اشتق منهُ اسم الموارنة كان قد مال الى بدعة مقاريُس. وكذلك الذين يثبتون انهم سموا كذلك نسبة الى مارون القديس يصدق ايضاً قولهم لانهُ بعد ان جحد الرأي الذي اتبعهُ وجنح الى الامانة القويمة صار كاثوليكياً وقديساً. وبمقتضى الحق والصدق نقول: ان الموارنة لا ينتسبون الى الخارجي بل الى الكاثوليكي لان المذكور لم يُعطهم هذا الاسم ولا انشأ بدعة ولا اقام تلاميذ في حال خروجه. وانما تلمذهم فيما يأتي لما ان اصطلح مع الكنيسة الرومانية وحينئذٍ صار كاثوليكياً وبطريركاً وقديساً. وذلك على مثال المنضمّين الى قانون القديس اغسطين فانهُ لا يُقال عنهم انهم متأصلون من رجل خارجي ولا تابعون لمذهب ماني ولو ان القديس اغسطين كان قبل ان ينشىء رهبانيته تابعاً لماني لانهم لم يتتلمذوا لهُ الّا بعد ان صار كاثوليكياً وباراً لان المذمة والمدحة تتخذان من النهاية والنهاية هي التي تختم الفعل وتكللهُ. اه

(١) وفي رواية اخرى بعض اختلاف وزيادة وهما بالحرف: ومنهم برسيس الكبوشي الذي اختصر تواريخ بارونيس ونقلها الى العربي. وفي تواريخ سنة ٧٠٤ يتكلم عن القديس مارون القورشي ويخبر ان اسم الموارنة مشتقٌ منهُ قائلاً: لم يُدعَ باسم هذا القديس اولاده الرهبان فقط موارنة بل جمهور كبير ايضاً في تلك الجهات من الذين تبعوا دين الحق وتمسكوا بقوانين وحدود المجامع الستة الكبار التي انتصر لها تلاميذه الرهبان كما هو ظاهر من ديباجة كتاب يوحنا بطريرك انطاكية الذي انشأه في الردّ على الخوارج الشرقيين. وثبّت ذلك من اقوال الآباء ونص المجامع المذكورة وكان ذلك بعد المجمع السادس بقليل وهذا نص تلك الديباجة: اعتقاد البيعة الرسولية الذي كتبهُ القديس يوحنا بطريرك انطاكية في دير مارون على النهر العاصي في بلاد حماة وحمص وارسله الى جبل لبنان. ويُسمى يوحنا المذكور مارون ايضاً على اسم الدير»

وكذلك عبد الاحد ماجري المالطي في كتابهِ عن تفسير الالفاظ الكنائسية فانهُ لما تكلم عن عيد التجلي الذي يقيمه الموارنة عند الارز قال: والموارنة يُسمون كذلك من القديس مارون الذي في ايام القلاقل التي نشأت في الشرق بعد المجمع الخلقيدوني حفظ هذه الامة في الاتحاد مع الكرسي الرسولي رغماً عن القائلين بالمشيئة الواحدة. ولا شك ان المؤلف لا يريد بمارون هذا القديس مارون القورشي رئيس محابس وديورة جبل قورش الذي مات

الاختصار لانه بحسن سيرتهِ شدَّد المؤمنين وبجلابة مواعظهِ ردَّ المخالفين وبتصانيفهِ المشرقة كشف عن قواعد الدين

ولما كان اليوم التاسع من انتقالهِ اجتمع رؤساء الكهنة والديورة وانتخبوا قورش ابن اختهِ بطريركاً على كرسي انطاكية (١) ثم وجهوا الرسل الى الحبر الروماني ليخبروه بوفاة بطريركهم وانتخابهم لقورش ابن اختـــهِ مكانه فارسل اليهم كتابة التثبيت مع درع الرئاسة . ومن ذلك اليوم استمرّ بطاركة الموارنة يلبسون الدرع والتاج والخاتم بحسب عادة كنيسة رومية الكبرى

فالمخص مما ذكرناهُ في هذا الجزء ان الامة المارونية لم تدعَ بهـــذا الاسم من مارون الاياني شماس فلابيانُس البطريرك الانطاكي لان مارون المذكور مات قبل الفرقة بنحو مئة وخمسين سنة . ولم تدعَ بذلك ايضاً من مدينة مارون المتاخمة لانطاكية لانهم لم يسكنوها مطلقاً ولم يُسمع قطّ انه قام لهم منهـــا رئيس او مدبر . ولم تسمَّ ايضاً من مارون مبتدع لان ذلك لا يوجد لهُ ادنى ذكر في جميع الكتب البيعيــة بل ان هذه الامة سُميت بالمارونية نسبةً الى دير القديس مارون (٢) بواسطة يوحنا

بعد السنة الاربعمائة للتجسد بـــل يوحنا البطريرك الذي ظهر بعد المجمع الخلقيدوني وكان يجادل تلاميذ مقارُيس القائلين بمشيئة واحدة حتى ردَّهم الى رأيه كما هو مذكور في قصته . وكذلك يوحنا شيوارُيس في كتابه عن السفر الى اورشليم في الفصل السابع والعشرين يخــبر عن سفر يوحنا مارون الى رومية وعن اقامتــه بطريركاً وعن سيرته الحميدة بقوله : ان الموارنة لما تفرقت الاديان في بلاد الشام طلبوا من الحـــبر الروماني ان يُقيم لهم بطريركاً فتنازل الحبر الاعظم الى سؤالهم وجمَّل بالدرجة البطريركيـــة مارون الذي كان في ذلك الوقت قد ذهب الى رومية وارسلهُ الى الموارنة . ولم يزالوا من ذلك الوقت ينتخبون بطريركاً عليهم ثم سُموا اخيراً موارنة بسبب يوحنا مارون الذي سمي كذلك من دير مارون لا بسبب رجل آخر مبتدع

(١) ويُروى في نسخة أُخرى : واتفقوا جميعاً قبل تقدمة الاسرار المقدسة على ابن اختهِ كورس وانتخبوهُ بطريركاً الخ

(٢) وفي رواية اخرى ما يأتي بحروفه : نسبةً الى مارون رئيس المحابس والاديرة في بلاد

السرومي الذي ترهب فيهِ اولاً ثم التجأ اليهِ اخيرًا لما اضطهده يستنيان ملك الروم بسبب دخولهِ الى رومية وقبولهِ من سرجيس البابا درجة البطريركية وتمسكه باعتقاده

واما كلام سعيد بن بطريق ومن حذا حذوه من القائلين بكون القديس مارون رجلًا مبتدعاً فاننا سنبيّن امرهُ في الجزء الثاني ان شاء الله

قورش . وكان اجل تلك الديورة دير القديس مارون على النهر العاصي و بلغ عدد رهبانهِ نحو الثمانمائة وكانت لهُ الرئاسة على جميع الرهبان والاديار في بلاد سورية الثانية وكانوا يسمون موارنة على اسم الدير و ينتصرون للمجمع الرابع والخامس والسادس كما تشهد لهم صحف المجامع المقدسة . فان ساويروس وثب عليهِ بجيش انسطاس الملك وقتل منهم ٣٥٠ راهباً في ايام اسكندر رئيس الدير . وكذلك موريق ومرقيان قائدا جيش يُستنيان الاخرم قتلا منهم ٥٠٠ راهب في رئاسة يوحنا السرومي الذي سمي مارون على اسم الدير . لان هذا البار اقيم اسقفاً على البترون من قاصد الكرسي الرسولي . ولما رقي كرسي البطريركية سافر بنفسهِ الى رومية واخذ التثبيت من البابا سركيس وعاد الى انطاكية وهو لابس درع البطريركية . ومن حيث ان يُستنيان الملك انقاد الى رأي رؤساء الكهنة القائلين بالمشيئة الواحدة وقصد ان يكرههُ على ذلك الاقرار صعد الى دير القديس مارون الذي نشأ فيهِ واخذ يشدّد بيع الله بالمكاتبة والميامر ولذلك وجه الملك الجيوش بطلبهِ فضربوا بالسيف جميع الذين على رأيهِ من رهبان وعوام . فانتقلت وقتئذٍ تسمية الموارنة من الرهبان الى جميع اتباع البطريرك يوحنا مارون كما ان الذين تبعوا الملك لقبوا بالملكية . وما زال هذا البار على الاقرار بالطبيعتين والمشيئتين الى نهاية حياتهِ وكذلك اهل لبنان الذين فرّ اليهم تمسكوا بهذه العقيدة الى الآن وسيستمرون عليها بشفاعته الى نهاية الزمان بعون الرحمان



ملحق

في اهمّ الحوادث التي تتعلق بالموارنة والتي جرت ببلادهم نقلتها من كتاب آخر كبير للمؤلف سمّاه «تاريخ المسلمين» بدأه من ظهور الاسلام سنة ٦٢٢ وانتهى بهِ الى سنـــة ١٦٩٩ للمسيح . وربما اثبتُ خبرًا طويلًا لعلاقة لهُ يسيرة بالغرض المشار اليه . وقد احطتُ ما اخذته عن غير المؤلف بهاتين العلامتين ” “

„ وفي سنة ٧٥٢ (١٣٥ﻫ) سار المقدم الياس الى البقاع فنهب تلك القرى وقتل اهلها فارسل صاحب الشام اليهِ رسولاً ليعقد معهُ صلحًا. ثم ارسل فكبسهُ على حين غفلة وقتـــلهُ . وبعد رجوع عسكر الشام رجعت القرية قسمًا قب الياس (١) . ثم اقيم مقدَّمًا على الجيش سمعان ابن اخت المقتول فثارت عليهِ عساكر الشام ووقعت الحرب بينهما في قرية المروج شرقي قرية الشوير وكانت الكسرة على جيوش الشام فارتدت راجعةً ودام القتال بين عساكر المسلمين ونصارى تلك البـــلاد مدة طويلة “

„ وفي سنة ٨٤٥ (٢٣١ ﻫ) جرى بين الامير هانئ والمردة حروب كثيرة فانتصر عليهم فلقب بالغضنفر. الي الاهوال وبلغ خبره الامير خاقان التركي فكتب اليهِ كتابًا يشكرهُ بهِ على ما فعل ويحثهُ على الحرب ويخـــبرهُ انهُ بلّغ حسن سلوكـــهِ الى مسامع الخليفة “

„ وفي سنة ٨٧١ (٢٥٨ ﻫ) كانت الحرب بين عساكر المسلمين ونصارى

---

(١) هكذا في الاصل الذي اخذنا عنه والصحيح رجعت القرية تسمى قبر الياس

الجبال عند نهر ليقا الملقب بنهر الكلب ودام القتال سبعة ايام واتت عساكر بلاد جبيل وكسرت عساكر المسلمين وقُتل المقدم سمعان وحمل الى قرية بسكنتا وأُقيم مكانه خالهُ المقدم كسرى اخو المقــدم الياس المقتول . وكان ذا سطوة وبأس فسار الى قسطنطينية في ولاية يُستنيان الاخرم ورجع الى كسروان وكانت قد خربت من غزوات عساكر المسلمين فعمَّرها وسُميت باسمهِ (عن الغرر الحسان في تاريخ حوادث الزمان)

„ قال ابن القلاعي في مختصره : كان الموارنة في دخول المسلمين الى بلاد الشام يسكنون جبــل لبنان ويتولَّون باقتدارهم وسطوتهم الجبال والسواحل التي تجاورهم ويعتقدون ايمان الكنيسة الرسولية الرومانية ويقومون بحقوق الطاعة لبطريركهم المقيم بينهم ويحامون عن الدين المستقيم وينتصرون لكل من يفرّ اليهم حبًّا بالامانة من ظلم اصحاب الكفر واهل البدع . وكانت بلادهم من حدود بلاد الشوف الى بلاد الدرَيب . ولخوفهم من الدروز القاطنين في الشوف ابتنوا الحصن المعروف بالقلعة الحجريَّة في انطلياس والحصن المشهور في درجة بجرصاف واقاموا اسقفًا لقرية راس المــتن واسقفًا لقرية بجرصاف واسقفًا لقرية بجنِس . ثم سعوا في تجديد قرى وحقول بيروت القديمة وغرسوا بساتــين وكرومًا على نهر العرعر وكان اميرهم يسكن قرية بسكنتا ولكثرة رجالهِ وابطالهِ تعظم بنفسه ونزل الى ارض البقاع ونهبها وقتل كثيرين ولبث اياماً في قرية قب الياس التي بسفح الجبل „

„ فلما انتهى خبره الى عبد الملك بن مروان الذي كان في ايام يُستنيان الاخرم سنة ٦٨٥ ارسل اليهِ هدية كأنه يريد مصادقته وكان يقصد بذلك اصطياده ولم يزل يمكر بهِ حتى قتلهُ وقتل كثيرين من عسكره واحرق القرى وابعد الموارنة من البقاع . وكان ابن اخت الامير احد مقدمي العسكر يُسمَّى سمعان وكان رجلًا بطلًا شجاعًا صاحب مروءة ونخوة ولم يكن راضيًا عن اعمال خالهِ وفواحشهِ . ولذلك لما وقعت الواقعة فرَّ مع جملة من المقدمين ولم يحاموا عن اميرهم لشدة غيظهم منهُ بل رجعوا بعد قتــلهِ فدفنوا جسدهُ في قب الياس وامروا ان لا يذكر احد اسمهُ البتة لزعمهم انه عاش ومات

مرذولاً . ثم ان العسكر والمقدَّمين صعدوا الى الجبل وكان المسلمون يزحمونهم كثيرًا وتواقعوا في البقعة المعروفة بالمروج فظفر المقدم سمعان برأس قائد عساكر الاسلام وفتك بجيوشهِ ولم تزل الحروب منذ ذلك الحين ثائرة بين المسلمين والموارنة من كل الجهات الى نحو ثلاثين سنة وكانت الغلبة في الاكثر للموارنة . فحدث من ذلك ان انقطعت الطرق واستعصت الجبال كلها وعجز الموارنة عن الاقامة بحصن انطلياس لانه طرف البلاد فتركوه واتوا ناحية نهر الكلب وابتنوا فوقه حصنًا وعنده جرت ايضًا موقعة هائلة جدًّا وسُمع صوت بندقها وصراخ ابطالها من قرية بجصاف . وكان المقدم سمعان يومئذٍ في بكفيا فلما سمع ضجات الحرب انحدر بنحو الف وخمسمائة رجل وادرك الاعداء عند نهر الكلب فاحدق بهم ولم يزل يقاتلهم حتى افناهم بجد السيف . ثم انطلق المقدم سمعان يزور يوسف امير مدينة جبيل فتلقاه السيد البطريرك غريغوريوس الحالاتي الذي كان في عهد البابا اينوشنس الثاني الجالس يومئذٍ (سنة ١١٣٠) بالقرب من المدينة ودعاه الى ضيافتهِ وبعد تمام الوليمة سار معهُ الى المدينة فخرج الامير للاقاتها في خارج السور وبعد ان قدَّم واجب الاحترام للسيد البطريرك اعتنق سمعان وسار الكل ماشين الى دار الامير . ثم ارسلوا فجمعوا اساقفة البلاد من عكار الى حدود الشوف وكانت عدتهم نحو اربعين اسقفًا وثبتوا سمعان اميرًا على العاصية المسمَّاة اليوم كسروان وحدودها من نهر بيروت الى نهر ابراهيم فباركوه ودعوا لهُ وانصرفوا . ثم ان امير جبيل وهب للامير سمعان عدة من الخيل والجمال فودَّعهُ الامير سمعان وخرج يحارب الاعداء ولم يزل في طلب من هرب وصدّ مَن اقترب الى ان استأثرت بهِ رحمة المولى ودُفن في بسكنتا بشيخوخة مكرمة وخلفهُ كسرى خال سمعان اخي المقتول في قب الياس وكان ذا سطوة وبأس وجرت لهُ وقائع عديدة مع المسلمين وذهب الى قسطنطينية وقابل ملك الروم وصادف منهُ احسن قبول ووهب لهُ هبات جليلة واقرَّهُ على بلاد كسروان وصرفهُ بسلام وعاد راجعًا في البحر الى ميناء طبرجا فلاقاه اهل البلاد وهنأوه بما لقي من الحظوة عند ملك الروم وسمّوا بلادهم

كسروان باسمهِ . ثم بلغهُ عن كامل مقدم قرية لحفد انه رجل شجاع يغزو المسلمين في ناحية بعلبك فاحبهُ ورغب في مصادقتهِ وارسل لهُ هدية مع بعض غلمانهِ . اما المقدم كامل فتريب منــهُ ولذلك بعد ان اكرم الرسُل اعتذر لهم انهُ لا يستطيع ان يقبل الهدية بسبب مولاه يوحنا امير جبيل ثم صرفهم من عنده بكلام لطيف وعادوا الى الامير مولاهم واعلموه بحقيقة الحال فازداد رغبــة في مصادقتهِ وارسل اليهِ ثانية يخطب اليهِ ابنته لابنهِ فاستشار كاملٌ اميرَ جبيل بذلك فاذن لهُ وتمّ عقد الزواج ومن ذلك الحين تمكنت المحبــة بين اهالي جبيل وكسروان واستمروا على الولاء زمنًا غير قليل (١) „ (عن مختصر تاريخ ابن القلاعي)

„ وفي سنة ٨٧٥ (٢٦٢هـ) بنى الامير النعمان دارًا عظيمة في بيروت وحصّن سور المدينة وقلعتها. وفيها وقع بينهُ وبين المردة قتال عظيم على نهر بيروت دام اياماً حتى انهزمت المرَدة فقتل منهم بعضاً واسر بعضاً وكتب الى موسى بن بغا يخــبرهُ وارسل اليهِ الرؤوس والاسرى الى بغــداد وعرض للمتوكل على الله ذلك فاكرم موسى رسلهُ وسُرّ بظفره وكتب المتوكل اليهِ كتابًا يمدح شجاعتهُ ويحرّضهُ على القتال واقرّه على ولايتهِ تقريرًا لهُ ولذريتهِ وارسل لهُ سيفًا ومنطقة وشاشًا اسود وكتب اليهِ اخوه الموفق وغيرهُ كتبًا يمدحونه بها واعاد رسلهُ مكرمين. فتقلد الامير السيف وشدّ المنطقة ولفّ الشاش ودعا لامير المؤمنين وزُينت البلاد والمدن وهادته الشعراء بالتهاني واشتدّ امرهُ وعظم شأنه „

„ وفي سنة ١٠٨١ (٤٧٤ هـ) كتب تاج الدين تتش السلجوقي ملك دمشق

---

(١) من قابل بين ايامنا وايام هؤلاء القوم الذين عاشوا بالنكد والعداوات جأر بالدعاء لعظمة مولانا السلطان عبد الحميد خان الذي نشر لواء السلام بين اهل المذاهب المختلفة بين رعاياه وشرّف الجميع بالانتساب الى الاسم العثماني الذي مجرّد ذكره يصوّر لنا العدل والسلام ويفرض علينا خلوص الانقياد لمتبوعنا الاكرم

كتاباً الى الامير شجاع الدولة يستدعيهِ الى طاعتهِ ويحثهُ على غزو المردة والمحافظة من الافرنج "

(عن التاريخ الاكبر)

في سنة ١٠٩٩ (٤٩٣ هـ) بعد ان رتبت الافرنج امور مدينة انطاكية عمّوا بالمسير الى القدس الشريف فذهب فريق في البرّ وملكوا جبَلة (١) وطرسوس (٢) واستفكّوا الاسرى الذين في اللاذقيـــة (٣) وسار آخرون بحرًا واجتمع الفريقان في

---

(١) جبلة مدينة على شمالي بُلنياس وهي مدينة قديمة وفيها آثار من ايام الرومانيـين قال ابو الفداء في تاريخهِ : جبلة بلدة صغيرة ولها مزار وقد اشتهر انهُ قبر ابراهيم بن الادهم قال في العزيزي ومدينة جبلة اكبر من مدينة بُلُنياس وبين جبلة وبُلنياس اثنا عشر ميلًا ولها اعمال واسعة . وقال في التاريخ ان ابا عبيدة افتتحها سنة ١٥ للهجرة (٦٣٦م) وبعد ان ملكها الصليبيون سنة ١٠٩٩ كما ذكر المؤلف استردها صلاح الدين الايوبي سنة ١١٨٥ كما ذكر ابو الفرج في تاريخ الدول والمقريزي في كتاب الخطط (جزء ٢ ص ٢٣٦) ثم استرجعها الافرنج . وقد حضر الى جبلة الامير فخر الدين المعني لما ورد لهُ الامر السلطاني بالولاية على كل عرب بستان من حلب الى اورشليم سنة ١٦٢٤ فقدم لهُ سكانها النفقات ثلاثة ايام مع ٢٠ الف قرش فطيَّب خواطرهم

(٢) طرسوس مدينة تجاه ارواد الى الشمال وكانت تُسمى قديمًا انترواد اي تجاه ارواد قال ياقوت : هي مدينة بثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم . قال يعقوب فتزياك في تاريخ المشرق (راس ٤٤) ان زعيم الرسل بنى فيها معبدًا على اسم مريم العذراء » . وضبط اسمها طرَسوس بفتح الراء . وروى ابو الفداء وغيرهُ ان طرسوس فتحها ابو عبيدة في خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٦هـ (٦٣٧م) وبعد ان استولى عليها الصليبيون سنة ١٠٩٩ كما روى المؤلف اخذها منهم صلاح الدين الايوبي سنـــة ١١٨٥ وخرّب سورها واحرقها كما روى المقريزي في كتاب الخطط . ثم استرجعوها الى ان اخذها منهم صلاح الدين خليل احد ملوك الدولة التركية في مصر سنة ١٢٩٠ من غير حرب . وسنـــة ١٣٦٦ اخذها بطرس لوسنيان ملك قبرس فاحرقها وتركها . وفيها حتَّى الآن آثار برج من ابنية الصليبيين وكنيسة الى الجنوب الشرقي منها قوية البناء حسنةُ على اسم القديس بولس وقيل انها من القرن السادس والاصح انها من ابنية الصليبية . قال ياقوت الحموي وعلى طرسوس سوران وخندق ولها ستة ابواب ويشقها نهر البرَدان

(٣) ان اللاذقية هي اسم لعدة مدن منها لاذقية فريجية ولاذقية بيسيدية ولاذقية لبنان

ارض عِرقة (١) وهناك عيدوا العيد الكبير سابع نيسان . ثم وافاهم قوم من المردة من جبل سير (٢) والضنية (٣) وبلاد جبيل وتلك التخوم ورحّبوا بهم وسار معهم جماعة منهم يهدونهم مالطرقات والمسالك حتى اوصلوهم الى القدس وكانوا ينجدونهم في مواقعهم مع المسلمين ويمدونهم بالميرة والذخائر وما لديهم من صنوف السلاح

«وفي سنة ١١١٠ (٥٠٤ هـ) جمع بلدوين احد امراء فرنسة جيوشهُ ونازل بيروت وحاصرها برًّا وبحرًا وكان في المدينة الامير شجاع الدولة وجماعة من اقاربهِ ولما تعذَّر عليهِ فتحها استنجد بافرنج السواحل وامراء المردة فانجدوهُ فنهض افرنج الشمال وتجمعوا مع المردة في جبيل ونهض افرنج الجنوب وتجمعوا في مرج الغازية . ثم نهض الفريقان في يوم واحد الشماليون على طريق الجرد والجنوبيون على طريق الساحل ودهموا الغرب صباحاً فنهبوهُ واحرقوهُ وقتـلوا واسروا من وجدوه فلم ينجُ من اهاليهِ سوى الغائبـين والمنهزمين والمختبئين . فقتل من الامراء الامير موسى بن ابراهيم بن ابي بكر بن المنذر واولادهُ الصغار والامير القاسم بن هشام بن ابي بكر وولدهُ الامير ادريس والامير

وكانت بين حمص وبعلبك. اما المدينة التي يتكلم عنها المؤلف فتدعى لاذقية العرب وكانت تسمى قديمًا راماثا اي المرتفعة . فتحها المسلمون سنة ١٥ هـ (٦٣٦ م) على رواية ابي الفداء . وقال المقريزي : ان صلاح الدين الايوبي اخذها من الصليبيين سنة ١١٨٨ م (٥٨٤ هـ) ثم استرجعها الافرنج فاستردها الملك قلاوون سنة ١٢٨٦ . ولما استولى السلطان سليم الاول على سورية سنة ١٦١٥ دخلت اللاذقية تحت ولاية الدولة العليـة كباقي مدن سورية ثم غزاها ابراهيم باشا وعادت للباب العالي سنة ١٨٤٠

(١) قال ياقوت انّها بلدة في شرقي طرابلس بينهما اربعة فراسخ وهي في سفح جبل بينها وبين البحر ميل وعلى جبلها قلعة لها . وقال ابو بكر الهمذاني : عرقة بلد من العواصم بين رَفَنِيّة وطرابلس

(٢) سير قرية كبيرة من امهات قرى الضنية وهي مركز أُسَرة وجيهة اسلامية يلقبونهم اغاوات رعد ولم يزل نحو نصف سكانها موارنة الى الآن

(٣) الضنية موضع على طرف لبنان الشمالي يحدّهُ غربًا وجنوبًا لبنان وشرقًا بلاد بعلبك والهرمل وشمالاً بلاد عكار وعدد قراها ٤٥ قرية

مودود بن سعيد بن قابوس وولداهُ الامير اسد والامير زهير والامير مالك بن مصطفى بن عون والامير عبيد بن معضاد بن حسام والامير يحيي بن الخضر بن الحسين ابن علي واخوهُ الامير يوسف والامير علي بن حليم بن يوسف بن فارس الفوارسي واولادهُ واخوتهُ وبنو عمهِ فانقطعت بهم سلالة بني فوارس» (عن الغرر الحسان)

وفي سنة ١١١١ (٥٠٥ هـ) جاءت جيوش كثيرة من جهة العجم وبغداد الى بلاد الشام بخيول كثيرة كالجراد فزحف عليهم بلدوين الملك وبلتران صاحب طرابلس وسائر اصحاب البلدان مع امير المردة فلما رأى الاعجام كثرة الاعداء رجعوا على اعقابهم ناكصين من غير حرب

وفي سنة ١١١٢ (٥٠٦ هـ) اخذ الموارنة في الجبل يدقون النواقيس من نحاس بدل الخشب للصلاة. وشرع بعض اهل البرّ يبنون كنائس وديرة ومدارس. وكان للخوري باسيل البشراني ثلاث بنات تقلا وصالومي ومريم نذرنَ العفة وانفقنَ جميع ما يملكنَ على بناء الكنائس. اما تقلا فبنت في بقرقاشا هيكل مار جرجس ومار ضوميط وفي بشنين من ارض الزاوية كنيستين احداهما على اسم القديس لابا الرسول والثانية على اسم القديس سركيس الشهيد ثم رقدت بالرب سنة ١١١٣. اما اختها مريم فبنت هيكل القديس سابا في قرية بشرّاي وصالومي انشأت هيكل القديس دانيال في قرية الحدث

«وفي سنة ١١٢٠ (٥١٤ هـ) لما رجع طغتكين صاحب دمشق من قتال الافرنج في الديار الحلبية امر الامير معناً الايوبي الذي كان معهُ ان يقوم بعشيرتهِ الى البقاع ومنها يصعد الى جبال لبنان المشرفة على الساحل وينزلها ويتخذها حصناً ومنها يُطلق الغارة على الافرنج الذين في الساحل واجرى لهُ الاقامات الوافرة. فنهض الامير معن بعشيرتهِ الى الشوف الذي كان قفرًا من السكان ونزل في صحراء بعقلين وجعل مودة مع آل تنوخ امراء الغرب الذين كان اميرهم حينئذٍ الامير بحتر. فمال الامير بحتر الى الامير معن واتخذه حليفاً وعضدًا على الافرنج وارسل لهُ اناساً بنوا لهُ ولخاصتهِ منازل فسكنها

واعتزل المضارب لانه رأى المنازل خيرًا من المضارب في تلك الجبال . وصار يحث اصحابه وقومهُ على العمار وكثر البناء في الشوف وسكن في بعقلين وشاع ذلك فكان يقصده كل اهل بلادٍ استولت عليها الافرنج من حوران وبلاد دمشق وحلب وجوار جبل لبنان واطرافهِ . فصار فيهِ خلق كثير وبقي اميرًا فيهِ نحو ثلاثين سنة . وهو اصل الامراء آل معن واليهِ ينتسبون وتوفي سنة ١١٤٨ (٥٤٣ هـ) "

سنة ١١٤٠ (٥٣٥ هـ) توفي القس عبدالله ابو الفرج المعروف بابن الطيب في بلاد العراق . ترجم كتاب الانجيل ترجمة فصيحة وشرح كتب ارسطاطاليس وكتب جالينوس في امور الحكمة والمنطق والطب شرحًا شافيًا . وقال عنهُ قاضي الدين القفطي انه احيا من هذه العلوم ما كان دثر وابان منها ما خفي . وشهد عنهُ ابن حسن ابن عبدون المعروف بابن بطلان الطبيب النصراني البغدادي تلميذ ابن الطيب ان معلمهُ ابن الطيب لبث عشرين سنة على تفسير علم ما بعد الطبيعة ومرض من شدة تبحره في ذلك العلم ومات . وقد كان مارونيًا من اهل جبل لبنان الّا انه مال الى القائلين بالمشيئة الواحدة في ربنا بسبب مطالعته لكتاب سعيد ابن بطريق وتغرّبه في بلاد العراق

وفي سنة ١١٦٠ (٥٥٦هـ) كان زهر الدولة (١) بن بحتر واليًا على ثغر بيروت ومقيمًا بحصن سرحمور فولّاهُ الملك نور الدين صاحب دمشق القنيطرة وجلبايا ببقاع العزيز وظهر الاحمر من وادي التيم وبرج صيدا والدامور والمعاصر الفوقانية وشارون ومجدل بعنا وكفر عميه ورتب لهُ علائف لاربعين فارسًا لمحاربة الافرنج وكان ابوه شرف الدولة قاطنًا في عرمون العرب فربط طريق الدامور على الافرنج وكان هؤلاء اي آل تنوخ من اكبر الطوائف التي حضرت من معرة النعمان

" وفي سنة ١١٦١ جمع الامير منقذ امراء عشيرتهِ بيت شهاب(٢) ووجوه القبيلة

---

(١) ويروى زهر الدين ونور الدين

(٢) قال صاحب مختصر تاريخ لبنان الشماس انطونيوس بن الشيخ ابي خطار الشدياق

وقال لهم: انكم تفهمون النفرة الحادثة بين السلطان نور الدين زنكي سلطان الديار الشامية والحلبية والسلطان صلاح الدين الايوبي ملك الديار المصريّة ولا بدّ من ان يخرج السلطان نور الدين عليهِ وتدوس العساكر حوران وتعلمون ما لنا من المحبة عند صلاح الدين والمنزلة الرفيعة. واني ارى ان الخروج من حوران قبل ظهور حال من

من بيت الحاج عبد النور من قرية عين طورين في جبة بشرّاي: يُنسب بنو شهاب الى الحارث المخزومي القرشي. والحارث المذكور قدم من الحجاز اميرًا على جيش بني مخزوم سنة ١٥ للهجرة مع الجيوش التي وجّهها سيدنا ابو بكر الصديق رضي الله عنه الى فتح الشام وشهد جميع المواقع التي جرت في اجنادين واليرموك ومرج الصفر من ارض حوران وكانت تلك المواقع جميعها مع الروم. ثم استُشهد الحارث في حصار دمشق في السنة المذكورة فقام بعده ولده مالك وحض على الغزو والجهاد الى ان تمّ فتح دمشق فانتقل باهله وعشيرته الى قرية شهباء من حوران بامر من سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتأمّر فيها وبنوه بعده. وهو الملقب بشهاب لان اباه الحارث كان قد تزوّج ابنة من ذريّة شهاب بن عبد الله بن ابي زهرة القرشي من رهط آمنة امّ النبي صلى الله عليه وسلم فوُلد لهُ منها ولده مالك هذا فلقبه شهابًا تبركًا بجده شهاب بن عبد الله ولهذا يُقال لبنيه بنو شهاب. ثم انتقل بنو شهاب من حوران (للسبب المذكور في المتن) سنه ١١٧٢م الى بلاد وادي التيم فاستولوا عليها وطردوا منها الفرنج وتأمّروا فيها بعهد من السلطان نور الدين محمود زنكي الشهير بالشهيد ملك الشام يومئذٍ. وكان كبيرهم الامير منقذ فتولى البلاد المذكورة وبنوه من بعده. وكانت اقامته في حاصبيا

الّا انه لما كانت سنة ١٦٩٧ توفي الامير احمد المعني وانقطعت به السلالة المعنيـة فاجتمع وجوه جبل الشوف واكابرهم واحضروا الامير بشير بن الامير حسين بن الامير احمد امير راشيا لانه كان ابن شقيقة الامـير احمد المتوفّى وجعلوه اميرًا عليهم وتولى مكان آل معن فاستقام له الحال بعد امور يطول شرحها. واستقرّ في دير القمر وتولى جميع عقارات آل معن واقطاعاتهم ومتروكاتهم الى ان توفي بعد ولاية تسع سنين وكانت وفاته سنة ١٧٠٦ ولما توفي نهض وجوه الشوف ومشايخهم واحضروا الامـير حيدر ابن الامير موسى من امراء حاصبيا وجعلوه واليًا عليهم مكان الامير بشير وكان هو احق بالولاية لانه ابن ابنة الامير احمد المعني المقدم ذكره فاستقرّ واليًا واميرًا يكسوا الامارة ثوب الصيانة ويودّي الولاية حقّ الامانة ويملكها بماضي سعده حتى اورثها لبنيه من بعده. توفي سنة ١٧٣٢م بعد ولاية ٢٦ سنة وترك ٩ اولاد ذكور فقام بعده أكبر اولاده الامير ملحم واستمرّ حاكمًا ٢٦ سنة فتولى بعده

الاحوال اسلم. فاقرّ الجميع بصواب رأيه وقالوا: لم يكن فينا احد يخالف مقالتك. ثم عزموا على الرحيل وشدوا ظعونهم وحملوا حمولتهم ورحلوا من حوران بسائر عشائرهم قاصدين غربي الديار الشامية ونزلوا صحراء الجسر اليعقوبي. ولما سمع السلطان نور الدين برحيلهم ارسل يسألهم عن السبب وقد بعث لهم بالخلع والتشاريف وان يرجعوا الى اوطانهم آمنين. فكتبوا لهُ جواباً وهو: وَصل كتاب السلطان ادام الله بقاءه آمرنا بالرجوع الى اوطاننا آمنين فامانك شاملنا في كل دار. واينما كنا نحن في بلادك ولحكمك مجيبون. واما الرجوع فلا سبيل لنا اليهِ ونريد من احسانك ان تسمح بذلك بسبب دثار بلادنا وقلة الاثمار ونحن عبيدك واعوانك اينما كنا. فلما وصل الجواب الى السلطان نور الدين اذن لهم في المسير كيفما ساروا. وكان الامراء بيت شهاب عشرة اكبرهم الامير منقذ وهو امير الامراء والباقون اخواهُ واولاد عمه واولاده. فاولاده الامير نجم والامير فاتك والامير حيدر والامير عبَّاس. واخواه الامير علي والامير غالب. وبنو عمهِ الامير سعد والامير جابر والامير حمزة والباقون عشائرهم وهم نحو ١٥ الفاً. ثم رحلوا من الجسر اليعقوبي ونزلوا وادي التيم وكان نزولهم من الظهر الاحمر الى الكنيّسة الى الجديّدة. وقد كان الافرنج استولوا على البلاد المذكورة وجعلوا مقرّهم في حاصبيّاً وحصّنوها بالآلات الحربية. ولما سمعت الافرنج بنزول آل شهاب

اخواه الامير منصور والامير احمد. وبعد مدة قليلة تغلب الامير منصور على الامير احمد وانفرد بالولاية الى ان تغلب عليهِ ابن اخيهِ الامير يوسف بن الامير ملحم واخذ الولاية منهُ سنة ١١٨٥ هـ وكانت وفاة الامير منصور سنة ١١٨٨ هـ ومدة ولايته ١٧ سنة واستمرّ الامير يوسف والياً وكان سابقاً قد اخذ من وزير طرابلس ايالة بلاد جبيل. وكان حاكماً عادلاً حليماً رحوماً عمّر البلاد ومشّى بها ديوساً وردّ النازحين وسنّ سنناً عادلة واستمرّ حاكماً مدة سنين وبسبب ما كان من الجزار والي صيدا سلم الولاية بخاطره الى ابن عمه سعادة افندينا الامير بشير بن الامير قاسم بن الامير عمر الشهابي. وسعادته تولى تخت دير القمر وبلاد جبيل وتوابعها فاجرى العدل والانصاف وكان يسمع بنفسه اكثر دعاوي رعيتهِ. . . وكانت وفاة الامير يوسف في عكا مشنوقاً بعد ولاية ٢٧ سنة

وادي التيم جمعوا جموعهم وكانوا ما بين خمسين الف فارس وراجل. وكان بطريقهم الكبير يُقال لهُ قنطورا واستمد من صاحب قلعة الشقيف خمسة عشر الفًا. وكان البطريق الذي في قلعة الشقيف يتولى جميع بلاد عامل ساحلها والجبل وساحل صيدا الى عكاء.»

«ولما قدمت الافرنج بعساكرها صباح الخميس في ٢١ شهر صفر التقاهم آل شهاب بعشائرهم وكان الامير منقذ واولاده واخواه واولاد عمه في اول القتال وفعلوا افعال الرجال الابطال. ودام القتال من ضحى النهار الى الزوال وقُتل من الافرنج نحو ثلاثة آلاف ومن عشائر آل شهاب نحو ثلاث مئة فارس. وجُرح الامير حمزة وباتوا تلك الليلة يحرسون بعضهم. فلما طلع الصباح ثار الفريقان الى الحرب والقتال فدامت الحرب ثلاثة ايام ثم استظهرت آل شهاب وهرب الافرنج من تلك الارض وتحصنوا في الجبال. فعند ذلك ترجّل الامراء وساروا مشاة وهجموا على الافرنج حتى صاروا على رؤوس الجبال واشتدَّ القتال وعظمت الاهوال فولى الافرنج وقصدوا الهزيمة والفرار وتبعهم الشهابيون بقية ذلك النهار. وتفرق عساكر الافرنج في تلك الاقطار فمنهم من هرب لبلاد الشقيف ومنهم للحولانية. واما البطريق قنطورا فقصد حاصبيًا وتحصن بها في بقية جيشه. وغنم بنو شهاب خيلهم وسلاحهم وقد فقد من عشائرهم نحو ستمائة فارس. ثم صاروا الى حاصبيا ونزلوا في قرب القرية. فعند ذلك رمتهم الافرنج بالنبال وصبر بنو شهاب الى الليل وبنوا متراسًا في تلك الليلة من الحجارة يقيهم النبالَ وعند الصباح اخذوا يتراشقون بالسهام ورمتهم الافرنج بالمجانيق والصخور الكبار. وفي ثاني ليلة هجم بنو شهاب بعشائرهم ونقبوا الحيطان ولما لاح الصباح طلب الافرنج الامان فأمَّنهم الامير منقذ على ان يخرجوا بدون سلاح وبقي قنطورا مع خمسمائة رجل متحصنين بالقلعة وبعد عشرة ايام هجم عليهم الرجال ودخلوا القلعة وقتلوا من فيها ولم ينجُ منهم احد واستولوا على ما فيها من الاموال. ثم كتب الامير منقذ الى السلطان نور الدين يبشرهُ بالفتح والظفر وارسل لهُ رأس قنطورا

وروؤس اصحابه ففرح السلطان فرحاً جزيلاً وكتب جواباً للامير منقــذ يتضمن التهنئة وانه يقيم في البلاد التي افتتحها وتكون له ملكاً وارسل لهُ خلعة سنيــة مع مربي اولاده رستم بك الدودار. ولما وصل الى حاصبيا خرج الامــير منقذ والامراء للقائه وكان يوم عظيم بالفرح والسرور. ولما سمع صاحب الشقيف ما حل بالافرنج في حاصبيا ارسل يطلب الصلح من الامير منقــذ. وكان في ذلك الوقت الامير يونس المعني ابن الامير معن والياً على الشوف فلما سمع بقدوم بني شهاب الى وادي التيم وانتصارهم على الافرنج سُرّ غاية السرور ونهض من الشوف بجحفــل الى وادي التيم ولما اتصل بالامير منقذ خبر قدومهِ خرج لملاقاته واستقبــله باحسن استقبال وبقي عنده ثلاثة ايام ثم رجع الامير يونس الى الشوف „

” وفي سنة ١٢٤٠ (٦٣٨ هـ) قصــد ابن ابن عم قنطورا الافرنجي برجاله الامراء الشهابيين للاخذ بثار قنطورا . ولما قربوا من وادي التيم التقاهم الامير عامر مستنجداً بالامير عبدالله ابن الامير سيف الدين المعني فانجــده وقام بالعسكر من حاصبياً الى مرج الخيام . وهناك التقى الجيشان وتصادم الفريقان ثلاثــة ايام . وفي اليوم الرابع هجم عليهم الافرنج فكسروهم . ثم جمعهم الامير عامر وتحالفوا على الثبات في الحرب وهجموا على الافرنج فهزموهم نحو ثلثة فراسخ وقتل من الفريقين جمع غفير . واستولى الامير عامر على الديار القريبة من وادي التيم واقطعــهُ صلاح الدين اقطاعات في البقاع . وفي سنــة ١٢٥٨ توفي الامير عامر وعمرهُ ستون سنة وكانت ولايتهُ ثلاثاً وثلاثين سنة وكان متوسط القامة اسمر اللون قوي الاطراف رشَّاقاً بالسهام . فتولى بعدهُ اكبر اولادهِ الامــير قرقماز. فاستخف بهِ الامراء اقاربه لصغره. وفيها بلغ الامير قرقماز اجتماع الامير سلمان والامير محمد والامير جابر اقاربه وتدبيرهم سراً على قتله فسبقهم وهم في المفاوضة ليــلاً ودخل اليهم بحيلة وقتلهم . ثم رجع الى دارهِ وارسل اعوانه فقبضوا على خواص الامراء فوضعهم في السجن . ثم استحضر الامراء فحضروا مرتعدين وقطع امامهم روؤس عشرة من اصحاب الامراء

المقتولين فازدادوا رعدة . وقال احذروا غرور الشيطان وكونوا مطمئنين آمنين ثم اطلق المسجونين »   (عن الغرر الحسان)

وفي سنة ١٢٤٩ (٦٤٧ هـ) قدم لويس التاسع القديس ملك فرنسة بجيوش عديدة واموال وافرة وأُهبة جزيلة وقضى فصل الشتاء في قبرس ومنها سار الى عكا وارسى بها وفرّق جماعته على ساحل البحر فازدادوا عزماً وقوةً . ثم سار في البحر بخمسين الفاً قاصداً دمياط وكان قد شحنها الملك الصالح بآلات عظيمة وذخائر وافرة . وجعل فيها بني كنانة وهم مشهورون بالشجاعة والفروسيَّة . وفي شهر صفر وصلت الافرنج الى برّ دمياط الغربي فكبر الخوف على بني كنانة فهربوا من دمياط واخلاها اهلها فملكها الافرنج من غير قتال واستولوا على جميع ما فيها . وكان الملك الصالح صاحب مصر يومئذٍ في الشام يحاصر حمص فلما بلغهُ امر دمياط سار مسرعاً الى الديار المصرية وعند وصوله الى المنصورة أُصيب بمرض في رجلهِ فامر الاطباء بقطعها . واذ كان يُعاني الالم أُتي ببني كنانة فامر بهم وكانوا اربعة وخمسين اميرًا فصُلبوا كما هم بثيابهم وخفافهم . وفي غدِ ذلك اليوم لاربعة عشر مضت من شعبان توفي الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل محمد طاهر الذيل واللسان سفاك الدماء اباد الاشرفية واخاه العادل وغيره ولم يكن لهُ ولد الّا الملك المعظم تورنشاه وكان مقيماً بحصن كيفا من ديار بكر . فكتم الحجَّاب موت الملك الصالح خوفاً من الافرنج وارسلوا يستدعون ابنه مع اقطاي الاكبر في ممالك ابيهِ واخرجوا باسمهِ امرًا الى العساكر والامراء لكي يحلفوا بالطاعة لابنهِ وكانت زوجتهُ امّ خليل شجر الدرّ تكتب خطاً يشابه خطه . فلما سمع تورنشاه بموت ابيهِ قدم الى دمشق وجلس في دست السلطنة فاخذ الاموال وفرَّقها على الامراء . وبعد ان اقام بدمشق شهرًا سار الى الكرك فرتب امورها ثم توجه الى المنصورة وقد ارتضت بهِ ارباب الدولة فحلفوا لهُ وسلموه ملك ابيهِ وهو التاسع من ملوك بني ايوب في الديار المصرية

وفي سنة ١٢٥٠ (٦٤٨ هـ) جمع ملك فرنسة جيوشه مريدًا ارض مصر فصبر

المصريون الى ان عبر الخليج من النيل ثم زحفوا عليـهِ حتى التقى العسكران بين برّ دمياط وبرّ المنصورة وصار قتال شديد فانهزم الافرنج اقبح هزيمة ومنعهم الخليج عن العودة وقتل منهم خلق كثير وغرق كثير. اما الملك لويس فقد استأسروه مع خاصته بالامان وبلغت عدة القتلى من الافرنج ثلاثين الفاً. وفي اليوم ٢٨ من هذه الواقعة في ٢٧ من شهر محرم قتل الملك المعظم تورنشاه ابن الملك الصالح ايوب وبهِ انقرضت الدولة الايوبية من المملكة . . . . فاجتمع الامراء واقاموا امّ خليل شجر الدرّ زوجة الملك الصالح ايوب وخطبوا لها على المنابر وضُربت السكة باسمها وجعلوا عزّ الدين ايبك التركماني اتابك العسكر. ثم ان شجر الدرّ فوضت الامير حسام الدين ان يفضّ مسألة ري دي فرنس (ملك فرنسة) فاشترط عليـهِ ان يسلم دمياط ويدفع لمملكـة مصر خمس مئة الف دينار وقيل بل الف الف دينار فعند ذلك اركبه بغلة وسار به الى دمياط واخلاها الافرنج بعد اربعة ايام من قتل الملك المعظم ونزلوا الى المراكب. ثم ان ملك فرنسة سار الى عكا باهله ومن تخلف معهُ من اصحابه وبني مدينة قيصرية واسكن فيها جماعته واقام هناك نحو خمس سنين ثم بلغهُ وفاة والدته فسار الى بلاده. ونحن وقفنا على بعض كتب تخـبر ان ملك فرنسة ابقى بيته وعساكره في جبل لبنان حتى الى اوان تحريره

„ ولما كان الملك لويس بعكا بعث الى عامّة الشعب الماروني بالرسالة الآتية :

لويس ملك فرنسة

الى امير الموارنة بجبل لبنان والى بطريرك واساقفة الطائفة المذكورة

ان قلبنا امتلأ فرحاً لما رأينا ولدكم سمعان قد اتى مع ٢٥ الفاً حاملًا الينا شهادة حاسّتكم الحبية ومقدّماً لنا الهدايا الفاخرة . وبالحقيقة ان محبتنا الخالصة التي ابتدأنا ان نستشعرها نحو امة الموارنة ايام حلولنا في قبرس حيث هم مقيمون قد تضاعفت اليوم بزيادة ونحن موقنون ان هذه الامة التي قامت تحت اسم القديس مارون هي قسم من الامة الفرنسية . لان محبتها للفرنسيين تشبه محبة الفرنسيين بعضهم لبعض

وعليهِ فيجب من قبيـــل العدل ان تتمتَّعوا انتم وجميع الموارنة بنفس الحماية التي يتمتع بها الفرنسيون من جانبنا وان تُقبلوا في الوظائف كما هم يقبلون . ولذلك فاننا نستحثك ايها الامير الرفيع الشان على ان تسعى كل السعي فيما يعود على اهل لبنان بالسعادة وان تُعنَى باقامة اشراف من اكثر الناس اهلية لديك كما هو جارٍ في فرنسة . وانتم ايها السيد البطريرك والسادات الاساقفة وجمهور الاكليروس وعامة الشعب الماروني واميركم العظيم اننا رأينـــا بكامل السرور تعلقـكم الثابت بالدين الكاثوليكي واحترامكم لرئيس الكنيسة خليفـــة القديس بطرس برومة فنحثكم على المحافظة على هذا الاحترام وان تبقوا دائماً غير متزعزعين بهذا الايمان (١)

اما نحن وجميع الذين يخلفوننا على عرش فرنسة فنعد باننا نوليكم انتم وجميع شعبكم حمايتنا الخاصة كما نوليها للفرنسيـــين بعينهم ونسعى في كل وقت فيما يكون آئلًا لسعادتـكم اه ولم تزل هذه الرسالة محفوظة في خزانة البطريركية المارونية ،،

(عن بوديكور)

وفي سنة ١٢٥٥ (٦٥٣ هـ) كاتب البطريرك سمعان البابا اسكندر السادس يهنئهُ بارتـقائهِ الى البابوية ويسأَلهُ ان يرسل اليهِ درع كمال الرئاسة . وفي سنة ١٢٥٦ في اول يوم من شباط ارسل اليهِ الدرع ورسالة جميلة وهي محفوظة الى اليوم في دير سيدة قنوبين

وفي سنة ١٢٦٤ (٦٦٣ هـ) خرج الملك الظاهر بعساكره من الديار المصرية ففتح القليعات وعرقة وهمّ بحصار طرابلس فانقضت عليهِ رجال الموارنة من الجبال وهزموا عسكره وكانوا قد انشأُوا الكنائس في حصرايـــل وسواحل البحر وخلصوا

---

(١) ان هذه المحبة المشار اليها هنا هي محبة مذهبية لا بدّ ان تكون بين من جمعهم دين واحد كما صرّح بهِ الملك لويس نفسه عندما ذكر بالسرور تعلق الموارنة بخليفة القديس بطرس في رومة . ونحن الموارنة نحمد الله على اننا في مملكة تسود فيها الشريعة العادلة في ظل سلطاننا عبد الحميد خان بهجة سلاطين هذا الزمان

من جور المصريين حتى انهم في كنيسة مار سابا في قرية اده من بلاد البترون صوّروا حيطانها الشمالية كما هو ظاهر من تحرير المصوّر اي سنــة ١٥٧٥ يونانية. وفيها امر الملك الظاهر بنهب قارا وهي قرية بين دمشق وحمص لان اهلها كانوا نصارى وكانوا يسرقون المسلمين ويبيعونهم من الفرنج فنهبها العسكر وقتل منها جماعةً وسبي منهــا نحو الف نفس فربي هؤلاء بين الاتراك وخرج منهم مماليك واجناد وامراء

وفي سنة ١٢٦٦(٦٦٥هـ) فتح الملك الظاهر مدينة يافا في ٧ آذار وهدمها وهدم قلعتها وملك الباشورة بالسيف. وفي ١٨ رجب قصد قلعة الشقيف وهي بين صيدا ودمشق وتُدعى حصن تيرون باسم الذي بناها اولاً وهي حصينة جدًّا بعضها عمارة وبعضها في الشقيف. فنزل الملك الظاهر تحتها في وادي العواميد وحاصرها فلم يقدر على اخذها. ثم صعد الى اعلاها وكشف ماءها. وبعد هجعة من الليل ذبح في قناتها عدة من الغنم والبقر وقطع كروشها ورماها فيها فلما اصبحوا وجدوا ماءهم منتنًا وهو دم عبيط فسلموها بعد حصار عشرة ايام وذلك نهار الاحد وهو التاسع والعشرون من شهر رجب . ووجد بها اربعمائة وثمانين رجلًا فارسلهم الى الفرنج في صور ورتب عليها قوماً من جماعتهِ . وبنى برجاً على باب القلعة . وبالقرب منها على خمسة فراسخ قلعة ارنون وهي ايضاً حصينــة جدًّا . ثم اغار الملك الظاهر على طرابلس فقطع اشجارها وغوّر انهارها وخرّب اربعاً وعشرين من قراها فانسكبت عليهِ رجال الردة من الجبال ففرَّ هاربًا الى حصن الاكراد (١) ومن هناك زحف على انطاكية فنازلها

---

(١) قال ياقوت : حصن الاكراد هو حصن منيع على الجبل الذي مقابل حمص من جهة الغرب وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان وهو بين بعلبك وحمص وكان بعض امراء الشام قد بنى في موضعهِ برجاً وجعل فيهِ قوماً من الاكراد طليعةً بينهُ وبين الافرنج واجرى لهم ارزاقاً فتدبّروها باهاليهم ثم خافوا على انفسهم في غارة فجعــلوا يحصنونه الى ان صار قلعة حصينــة منعت الفرنج عن كثير من غاراتهم فنازلوهُ فباعهُ الاكراد منهم ورجعوا الى بلادهم

بغتةً في مستهل رمضان وبعد حصار اربعـــة ايام ملكها بالسيف يوم السبت فقتل اهلها واحرق كنائسها وغنم منها اموالاً كثيرة . وأحصي من قُتل بانطاكية هذه المرة فكانوا نيفًا واربعين الفًا . ثم اطلق من كان بها الاسرى . وكانت انطاكية اذ ذاك للبرنس بيومند بن بيومند ولهُ معها طرابلس . وقد كان البرنس مقيماً بطرابلس لـما فُتحت انطاكية . ثم استولى الملك الظاهر على حصن بجراش بالامان

سنة ١٢٦٩ (٦٦٨ هـ) فتح الملك الظاهر الحصون الاسماعيلية وهي الكهوف والقدموس والمنيفة والقليعة وامَّر على الاسماعيلية وهم الأكراد نجم الدين حسن ابن المشغراني وفرض عليهِ ان يرفع اليهِ في كل عام الف درهم . ومشغرة هي قرية كبيرة نزهة كثيرة المياه بسفح جبل لبنان

وسنة ١٢٧٦ (٦٧٥هـ) بلغ الملك الظاهر ان امراء عبيه كاتبوا البرنس صاحب طرابلس فغضب عليهم واخذ جمال الدين حجي وزين الدين محمد وسعد الدين خضر واعتقلهم في حبس مصر بعـــد ان نهب املاكهم ومواشيهم وخطف اولادهم وحرَمهم (١)

وفي سنة ١٥٨٨ يونانية (١٢٧٧ م) (٦٧٦ هـ) جُدّد دير سيدة ميفوق في ارض ايليج من بلاد البترون وقيل ان المعتني بتجديده هو البطريرك يعقوب انتقل من يانوح واتخذهُ مسكناً لهُ كما هو منقوش على الحجر الذي فوق عتبة الكنيسة :

ܒܫܡ ܐܠܗܐ ܚܝܐ ܠܥܠܡ. ܒܫܢܬ ܐܦܦ ܘܫܢܝ̈ ܝܘ̈ܢܝܐ

ܘܐܬܚܕܬ ܘܐܬܒܢܝܬ ܥܕܬܐ ܕܡܪܬܝ ܒܝܘܡܝ ܦܛܪܝܪܟܐ

ومملكةُ الفرنج وهو في ايديهم الى هذه الغاية وبينهُ وبين حمص يوم ولا يستطيع صاحبها على انتزاعها من ايديهم اه . ــ واول من ملكه من الفرنج تنكري صاحب انطاكية سنة٥٠٣ للهجرة

(١) راجع كتاب الغرر الحسان في تاريخ هذه السنة

ܫܟܠܠ ܗܝܟܠܐ ܕܝܠܕܬ ܐܠܗܐ ܨܠܘܬܗ ܥܡܢ ܥܠ ܐܝܕܝ ܚܛܝܐ
ܕܘܝܕ ܩܫܝܫܐ ܘܡܪܩܘܣ ܘܝܘܚܢܢ

اي باسم الله الحي للدهر . في سنة الف وخمسمائة وثماني وثمانين لليونان كمَّل يعقوب هيكل والدة الله لتكن صلاتها معنا على ايدي الخطاة القس داود ومرقس ويوحنا

في سنة ١٢٧٨ (٦٧٧ هـ) احرق عسكر الشام بلاد الغرب وجبل بيروت . وذلك ان قطب الدين السعد بعد ان استقطع قرية كفرعميَّه من امراء الغرب آل تنوخ (١) وجد فيها ذات يوم مقتولاً فاتُّهم بقتله نجم الدين محمد بن حجي

---

(١) ينتهي نسب هؤلاء الامراء القيسيين الى الامير تنوخ بن قحطان بن عوف بن كندة بن جندب بن مذحج بن سعد بن طي بن تيم بن النعمان بن المنذر ملك الحيرة المعروف بابن ماء السماء اللخمي . وتنوخ اسم لثلث قبائل من نصارى العرب جهراء وتنوخ وتغلب اجتمعوا في البحرين وتحالفوا على التناصر واقاموا هناك فسموا المكان الذي اجتمعوا فيهِ تنوخاً . فتغلب لفظ تنوخ على احدى قبائلهم المنسوبة الى الملك النعمان بن ماء السماء لشرفها وامرها على سائر القبائل . قيل انهُ لما قتل ابرويز بن كسرى ابام النعمان الاكبر فرَّ النعمان الاصغر بجملة من قبائل العرب . ولما ظهر الاسلام جاءت قبيلة منهم مع قحطان بن عوف واقامت بالبرية التي بين حلب ومعرَّة النعمان بن بشير الانصاري . فكبرت منزلة قحطان في تلك القبيلة ورزق هناك ولدًا سماهُ تنوخاً وتقلَّد الامارة عليهم . ثم رحلوا الى الجبل الاعلى وبنوا فيهِ القرى والمزارع . وفي ذات يوم تعرَّض لبعض حريمهم المشدّ الذي ولّاهُ عليهم والي حلب فوثب عليهِ رجل منهم يُسمى نَبَا فقتلهُ وفرَّ بعيالهِ الى كسروان وبنى لهُ قرية هناك سميت برج نبَا . فلما طلبهُ نائب حلب من عشيرتهِ خافوا منهُ ورحلوا قاصدين موضع نبَا . وفي سنة ٨٢٠ اتى الامير تنوخ الملقب بالمنذر بعشيرة نبَا ومعهُ تلك القبيلة واتى معهم بعض امراء القبيلة وكانوا عشر طوائف فوجَّهم نبَا الى الديار الخالية من السكان (الجنوب الغربي من لبنان) فاستوطن الامير تنوخ حصن سرحمور وتفرق الباقون في سائر تلك الجهات وكان الامير تنوخ يحكم فيما بينهم وبنوه من بعده
واشهر من قام من آل تنوخ بحتر الملقب بناهض الدين المكنى بابي العشائر وكان بحتر مقيماً بحصن سرحمور ولهُ اخ يسمى عرف الدولة يقيم بعرمون
(راجع مختصر لبنان والتاريخ الاكبر واخبار الاعيان في انساب تنوخ)

وكان ابوه وذوو قرابتهِ معتقلين في مصر فتوجهت اليهِ العساكر والعشران من ولاية بعلبك والبقاع وصيدا وبيروت واحرقت بلاده وتفرَّق التنوخيون ايدي سبا الى ان امَّنهم الملك السعيد وامر بخروجهم ورجوعهم الى بلادهم (١)

وقد وقفنا على كتابين للصيلاة احدهما كتب في سنة ١٢٨٣ (٦٨٢هـ) اي سنة ١٥٩٤ يونانية في قطين الرواديف من ارض الحدث بقرب دير القديس يوحنا المعروف بدير مار ابون الذي كان مقيماً بهِ الاسقف ابراهيم الحدثي. والثاني كتب بعد الاول بسنتين واحدى وعشرين سنة اعني سنة ١٨١٥ يونانية. وكلا الكتابين يخبران انه في شهر ايار سارت العساكر الاسلامية الى فتح جبة بشرَّاي وصعدت الى وادي حيرونا شرقي طرابلس وحاصرت قرية اهدن حصارًا شديدًا وفي تمام الاربعين يوماً ملكوها في شهر حزيران فنهبوا وسلبوا وخرَّبوا القلعة التي في وسطها والحصن الذي على رأس الجبل. ثم انتقلوا الى بقوفا ففتحوها في شهر تموز وقبضوا على اكابرها واحرقوهم في البيوت ودكوها الى الارض واسرفوا في النهب والسلب. وبعد ان وضعوا السيف في اهالي حصرون وكفر سارون وذبحوهم في الكنيسة زحفوا في ٢٢ من شهر آب الى الحدث فهرب اهلها الى العاصي. وهي مغارة منيعة فيها صهريج ماء. فقتلوا من ادركوه وخرَّبوا الحدث وبنو برجاً قبالة المغارة وابقوا فيهِ كميناً من العسكر. ثم هدَّموا جميع الاماكن الحصينة ولما لم يستطيعوا سبيلًا الى فتح قلعة حوقا التي قبل الحدث اشار عليهم ابن الصبحا من كفرسغاب ان يجرّوا اليها النبع الذي فوق بشرَّاي ففعلوا وملكوها بقوة الماء لانها كانت داخل الصخر واذنوا لابن الصبحا في ان يلبس عمامة بيضاء وان تقوم العبيد بخدمتهِ (٢). ولما تراجع العسكر ندم ابن الصبحا على ما كان

(١) راجع ايضاً كتاب الغرر الحسان في تاريخ السنة المذكورة

(٢) ذكر صاحب الغرر الحسان خبر هذه الواقعة طبق ما ذكر المؤلف ولكنه لم يذكر شيئاً عن بناء ابن الصبحا لدير سيدة حوقا. وذكر صاحب كتاب اخبار الاعيان سبب هذه الحرب فقال : سنة ١٢٨٣ لما تولى بيبرس اجتمع الامراء فانتخبوا الامير قلاون

منهُ وبنى ديرِ سيدة حوقا لسكنى الرهبان وهو بالقرب من البرج الذي كان على الصخر. ويُقال انه في هذه الارض غرس الله جنة عدن لان حزقيال يقول ان ارز لبنان في فردوس الله. ولما طُرد منهُ آدم سكن جبل حرمون وسكن اولاده شرقي الفردوس في البقعة وبنوا قلعة بعلبك واستنبطوا الطبول والزمور وكانوا قوماً جبابرة وتدل على ذلك مدافن هابيل وقاين وشيت التي هي بالقرب منها

„ وفي سنة ١٢٨٤ (٦٨٣ هـ) كانت وفاة الامير قرقماز الشهابي في حاصبيا وتولى الامارة بعدهُ ابنهُ الامير سعد فلم تنجح امارته ولم تُحمد ايامه الّا قليلاً. وفي عهده دخل المغول الديار الشامية حتى وصلوا الى وادي التيم وجعلوا طريقهم على حاصبيا. وقبل وصولهم ببرهة وجيزة همَّ الامير سعد ان يجمع جمعاً من رجال وادي التيم ويقف بوجه المغول ويذبَّ عن بلاده ويمنعهم من الدخول اليها. فلم يجبهُ احد الى ذلك بل كلٌّ دخلهُ الخوف والرعب مما بلغهُ من اخبار المغول. واخذت الحيرة منهم واشتغل كلٌّ بتدبير نفسه وماله وعياله. ولذلك نهض الامير مسرعاً واركب الحُرم وحمل ما عنده من الاموال الغالية وامر الامراء بذلك فصنعوا مثل صنيعهِ. ثم وجَّه اخاه الامير علياً واصحبهُ بمئة فارس وسير الحُرُم معهُ في ذلك الليل الى جبل الشوف. واخذ جميع اهالي بلاد وادي التيم في الرحيل. وما اصبح الصباح الّا وجيوش المغول ملأَت بلاد وادي التيم سهلاً وجبلاً من كل جهة. فظفروا باهاليها ونهبوا وقتلوا وسلبوا وفعلوا فيها كما فعلوا في غيرها وسبوا النساء والرجال. فنهض الامير سعد وجمع باقي اخوته وابناء عمهِ وغلمانه وفرسانهِ واجتمع عليهِ قليل من اهالي البلاد وهرب الباقون. فوقع اكثرهم في ايدي المغول. وهمَّ الامير سعد بالرحيل فلم يقدر على المسير بلا قتال لان المغول احاطوا به من كل جانب وملأُوا البلاد جميعها. فاخذ يدافع عن نفسه هو ومن معهُ وكانوا دون الالف. وكان الامير سعد كيف ما حوّل وجهه

اتابك العسكر وسمي بالملك المنصور قام بغزو جبل لبنان لان اهلهُ كانوا نجدة افرنج السواحل ». واكمل الخبر بعد ذلك كما هنا

رأى السبايا من النساء بايدي المغول ورأى القتل والنهب وسمع الصيحة وصراخ الاطفال حتى كادت نفسهُ تذهب من الحزن والانزعاج · فاخذ يدافع فرقة بعد فرقة ويريد الانصراف ولم يكن لهُ طريق من كثرة الجيوش · ولم يزل هو ومن معهُ يحارب ويدافع من الصباح الى الظهر حتى بلغوا مرج الشميت وقد احاط بهم التاتار من كل جانب فحينئذٍ ايقن الامير سعد ومن معهُ من الامراء والغلمان بالهلاك لما رأوا من شدة الضيق وسوء الارتباك · واشتدّ عليهم القتال وتزايد عليهم فريق المغول فقاتلوا قتال الآساد وصبروا صبر الكرام وعلموا ان المنية تدوسهم وتهلكهم المغول · فنادى الامير سعد اصحابه وجمعهم كتيبة واحدة وقرأ الفاتحة قبل الحملة على تلك الجيوش وعزموا انهم لا ينثنون حتى يخرجوا الى خارجهم وينجوا بانفسهم او يهلكوا باسرهم · ولما صمموا على ذلك رفعوا اصواتهم وودعوا بعضهم وقوّموا الاسنة واطلقوا الاعنة وكرّوا على تلك الجيوش المزدحمة ودخلوا بينهم وفرقوا صفوفهم وجعلوا يقاتلون من يصادمهم ويقابلهم حتى تسنَّت لهم النجاة وادركوا الفضاء في عشية ذلك اليوم · ولم يقرّ بهم القرار حتى بلغوا صحراء كامد من بلاد البقاع وهناك اعطوا خيلهم راحة قليلة ثم اطلقوا الاعنة لان التتر في الاثر · ولم يزالوا سائرين حتى بلغوا النهر الذي في فيحاء البقاع فوقفوا هنالك قليلاً وهم لا يدركون لشدة ما اصابهم بتلك الحملة من التعب · وكان الليل قد ارخى سدوله على الخافقين ووقفت التتر عن الطلب · فعندها سار الامير سعد واصحابه خفية حتى صعدوا الى اعلى الجبل وهناك نزلوا عن خيلهم واستراحوا وامنت انفسهم وثبتت وسكن روعهم وباتوا الى الصباح كانهم اشباح بلا ارواح · ولما طلعت الشمس انتبهوا وتفقدوا رجالهم فاذا قد فقد منهم نحو سبعمائة فارس واميران من اخوة الامير سعد وثلاثة من بني اعمامه وقد جُرح هو ومن بقي معهُ · ولم يكن منهم احد سالماً بل كلهم مجاريح ومهشمون · فنهضوا وشدّوا جراحاتهم وجلسوا ينظرون الى ناحية بلادهم فرأوا الحريق قد عمّ جميع وادي التيم والبقاع وبقوا هناك الى ان صلّوا الظهر · وبعد ذلك ركبوا وقصدوا اهلهم وكان

الامير عليّ حين سار بالرجال الى جبل الشوف تخيَّر بطحاء نهر الصفا وضرب هناك المضارب والخيام وانزل العيال . وفي اليوم الثاني من نزولهم ركب واخذ معهُ عشرين فارساً وصعد سطح الجبل يتفقد بالنظر ولم يبلغ القمة حتى التقى بالامير سعد واصحابه فترجّل وسلم عليهِ وسألهُ عن الخبر فقال: دع وانظر الاثر اين منزلتكم . قال : قريبة ثم امر بالركوب فركب وسار امامهم الى المنزل وباتوا تلك الليلة من تعبهم لا يدركون شيئاً كالليلة الماضية . ولما كان اليوم الثالث وفد عليهم الامير بشير الى (١) الامير علي المعني امير الشوف يومئذٍ ومعهُ الاقامات والميرة فهنأهم بالسلامة وعزاهم ورحب بهم واقام عندهم يومين وفي اليوم الثالث رحل لمحله . وبقي الامير سعد مقيماً في ذلك المحل الى ان خلت الديار الشامية من جيش المغول فنهض واخذ معهُ الامراء ومن بقي من غلمانهِ فكان للجميع دون الخمسمائة . وتوجَّه لبلاد وادي التيم فرآها بعد محرقة المغول بلاقع قد علاها الدمار والخراب . وخلت من الانيس وقد عمَّها سواد الحريق والدخان . فتقطع فؤاده من الحزن والكرب وسار الى حاصبيا فرآها تخبر عن مدائن صالح بخرابها . فزادت احزانه ولم تطاوعهُ نفسهُ على الدخول اليها تأسُّفاً فنزل خارجها وضرب المضارب والخيام واقام مدة من الايام يُنهض ما هُدم ويصلح ما عدم ويُعمّر ويجدد حتى اصلح لهُ مكاناً لاجل سكناه . ثم احضر اهله اليها وكانت غربتهم عنها خمسة اشهر . وارجع معهُ باقي الامراء وغلمانهم . ثم شرع في اصلاح الباقي وكتب الى اهل البلاد في الرجوع اليها . وكان الذين سلموا منهم من اسياف المغول وتلك المصيبة نزحوا الى جبل الشوف وتفرقوا في صحاريه . ومنهم من انحدروا الى الساحل المستأمن وتوطنوا هنالك . ولكنه لم يرجع منهم احد لان اخبار المغول كانت لم تزل متصلة وفي كل مدة يحشدون ويترددون الى البلاد الشامية واستولى على الناس منهم الخوف والقلق . وكان ملوك مصر والشام لم ينتظم لهم حال بل كل مدة يتغلب واحد ثم يُقتل ويتولّى غيره ثم يُخلع ويقوم غيره ثم يعزل وتقع

(١) كذا في الاصل ولعل الناسخ اهمل او زاد شيئاً فصارت العبارة كما ترى

لذلك الفتن والحرب . والتتر ثائرة من جهة والفرنج من جهة اخرى . واستولى الخراب على الاقطار الشامية . فمن ثم كان الناس يرغبون في سكنى الجبال العالية الصعبة المسالك وقدم لجبل لبنان في ذلك الوقت خلق كثير ومنهم أهل بلاد وادي التيم واستمرت ديار وادي التيم مقفرة خالية من السكان نحو خمسة اعوام ولم يكن فيها بناء سوى حاصبيا حتى ركدت زعازع الفتن والمخاوف . فرجع البعض من اهلها وبنوا بعض القرى التي في جبل حاصبياً لا غير . وبقيت على ذلك الحال كل ايام الامير سعد . وحدث في ايامه قحط وجدب حتى اكل الناس بعضهم وجاء بعد ذلك وباء شديد فاهلك خلقاً كثيرًا ومات الامير سعد بذلك الوباء بعد امارته خمساً وثلاثين سنة تقضّت بالمصائب والمتاعب ،، (١) (عن التاريخ الاكبر)

وسنة ١٢٨٧ (٦٨٦ هـ) توفي بيومند البرنس صاحب طرابلس وهو الذي بنى دير بلموند فوق طرابلس وجعلهُ منتزهاً . فلما اتصل خبرهُ بالسلطان قلاون (٢) سار بالجيوش المصرية وكاتب حسام الدين لاجين ان يوافيه بالجيوش الشامية الى فتح طرابلس . فالتقيا يوم الجمعة مستهل ربيع الاول ونصبا عليها المجانيق الكبار والصغار من جهة الشرق وشدّدا عليها الحصار نحو ٣٣ يوماً وفتحاها بالسيف نهار الثلاثاء في ٢٦ من نيسان وقتلا اهلها وسبيا ذراريّهم وغنما غنيمة عظيمة وما نجا من الافرنج الّا القليل . وبعد ان نهبها العسكر امر السلطان بحريقها وهدمها الى الارض ثم بنيت على نصف فرسخ منها في وادي الكنائس . قال ايوب صاحب التاريخ المختصر كانت مدة ولاية الافرنج على مدينة طرابلس ١٨٠ سنة من سنة ١١٠٩ . ومن حيث ان الكسراونيين والجرديين كانوا قد نزلوا من الجبال لنجدة الافرنج وقتلوا من عسكر السلطان خلقاً كثيرًا برز الامر من حسام الدين لاجين نائب دمشق الى قرسنقر ان يجمع العساكر

---

(١) ان صاحب تاريخ الاعيان ذكر وفاة الامير قرقماز وقدوم المغول الى وادي التيم في سنة ١٢٨٧ (٢) هو السلطان المنصور سيف الدين قلاون ابو المعالي الصالحي النجمي وهو السابع من ملوك الترك في الديار المصرية

الشامية ويزحف بها لاستئصالهم. قال ابن سباط : وكتب ايضاً الى اثنين من امراء غرب بيروت جمال الدين حجي بن محمد التنوخي وزين الدين بن علي انه اذا بلغهما توجه المقرّ الشمسي سنقر المنصوري بالعساكر المنصورة الى جهة الجرد وكسروان يتوجهان اليهِ بعساكرهما. واحويتهما وان من نهب امرأة تكون لهُ جارية او صبياً يكون لهُ مملوكاً ومن احضر منهم رأساً فلهُ دينار. وان سنقر المذكور متوجه لاستئصال شأفتهم وسبي ذراريهم

„ ومن ذلك الوقت خربت كسروان والذين سلموا من اهلها تشتتوا في كل صقع وسكن الاسلام سواحل كسروان في الازواق وغدير وساحل علما وغزير وغيرها وامتدَّ المتاولة الى جرد البلاد مثل حراجل وميروبا وفاريَّا وما يليها. واما اواسط البلاد فدامت خراباً مدة مستطيلة " (عن مختصر تاريخ لبنان)

وفي سنة ١٢٩٠ (٦٨٩هـ) قدم تجار افرنج الى عكا وقتلوا من كان فيها من تجار المسلمين. فلما بلغ ذلك الملك الأشرف خليلاً جهز العساكر المصرية وعمل كوساتٍ عظيمة فكانت ثلثمائة حمل. وكاتب نوّاب الشام واصحاب الولايات وتقدّم بالاجناد وآلات الحصار والمجانيق الكبار والصغار ما لم يجتمع لاحد غيره. لان الافرنج كانوا قد تقوّوا ولم يُغلقوا اكثر الابواب. وجاء الملك المظفر صاحب حماة ومعهُ عمهُ الملك الافضل وأتيا من حصن الاكراد بالمنجنيق الكبير الملقب بالمنصوري وحُمل على مئة عجلة واستمرّ الناس على جرّ العجل من حصن الاكراد الى عكا شهراً كاملاً مع ان المسافة بينهما ثمانية ايام. وفي سحر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاولى زحف الجيش على عكا وشدَّد عليها الحصار. ولما دنا من السور وانتشرت رايات السلطان نكّس الفرنج اعلامهم وهرب اكثرهم الى البحر فوُضع فيهم السيف مع طلوع الشمس ولم يُفلت منهم الّا الذين فرّوا الى المراكب وامتلأت ايدي العسكر من الغنائم. وكان هذا الفتح في تاسع عشر من جمادى الاخرى وتهدَّمت ابراج المدينة واسوارها ثم امر السلطان بهدمها الى الارض فدكَّت دكّاً. ولما بلغت اخبار عكا الى الافرنج



Phototypie de l'Impr. Cathol. S. J., Beyrouth.

دير قنوبين مركز بطاركة الطائفة المارونية

الذين في السواحل وقع فيهم الرعب فتركوا البلاد وهربوا . ولما قدمت البشائر الى السلطان بان الافرنج خرجوا من صور امر باخلائها وهدمها . وكان في صور خلق كثير من المسلمين فلم يقبلوا بذلك بل اقاموا بها . ثم ان السلطان توجه الى دمشق مؤيداً منصوراً فقبض على حسام الدين لاجين نائب السلطنة بدمشق فحبسهُ وحبس ابن غرض وولّى علم الدين سنجر الشجاعي نيابة دمشق . فسار الشجاعي بفرقة من الجيش الى صيدا . فخرّب المدينة والجزيرة وقلعتها الجنوبية والشمالية . ثم قصد بيروت فحاصرها واخذها في آخر رجب . ثم هدم سورها ودكّ قلعتها وكانت حصينة جدًّا . ثم جعلوا كنيسة مار يوحنا في بيروت جامعاً وطلوا سورها طيناً . وهرب اهل عتليت في البحر واشعلوا بها النار في مستهل شعبان . وفي ١٥ منهُ نازل الشجاعي انطرسوس فسلمها الافرنج بالامان . وكانت جبيل تحت الطاعة فاتاها الشجاعي وطرد منها الافرنج وهدمها ودكّ قلعتها . وفي ايام السلطان المذكور اقفرت بلاد السواحل التي كانت بيد الافرنج وخربت عن آخرها من غير تعب ولا قتال . وقد كانت حصينة فانهزم منها الافرنج بعد ان كانوا قد اشرفوا على ملك الشام والديار المصرية

في سنة ١٢٩٢ (٦٩٢ هـ) في غرّة ربيع الاول كان الفراغ من بناء جسر نهر الكلب الذي بناه سيف الدين ابن الحاج ارقطاي المنصوري الناصري كافل السلطنة الشريفة بالمملكة الطرابلسية في ايام الملك المنصور بكر بن السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاون . وكان قد انشأه بعد خراب الجسر الذي اقامهُ ملوك الرومانيين ولا سيا انطونينُس الحليم الذي تولى سلطنة رومية بعد المسيح بمئة واربعين سنة . وهو الذي قطع الصخور وبنى البرج وانهج الطريق التي على شاطىء البحر السالكة الى بيروت كما هو منقور في الصخر قبالة الجسر القديم مما يلي الناحية الجنوبية على هذه الصفة : الامبراطور قيصر مرقص اوريليُس انطونينُس الحليم السعيد كبير البرث كبير البريتانيين كبير الجرمانيين . قطع الجبال المشتملة على نهر ليقا وسهّل الطريق ولقبهُ بالطريق الانطونياني » . ولُقب بنهر الكلب لانه بعد ان اصلح الطريق انطونينُس الملك

نصبَ فيهِ الكفار قائمة من حجر كبير على هيئــة الكلب وقيدوها بسلسلة من حديد وربطوها الى الصخر وجعــلوا لهُ محلًا للطعام . وما زال ذلك مستمرًا الى ان جاء النوتية والقوا القائمة في البحر . وفي سنة ١٦٧٥ قدم بعض تجار من الافرنج فقطعوا رأس الكلب وحمــلوه للفرجة في البندقية (١)

وفي سنة ١٢٩٣ (٦٩٣هـ) استرجع امراء الغرب اقطاعاتهم بعد ان خرجت الحلقة الطرابلسية (٢) ثم جعلوا عليهم درَك (محافظة) بيروت ورتّبوا منهم تسعين فارساً . فكان كل ثلاثين يقيمون في الدرك شهرًا . وبعد انقضاء الشهر يحضر ثلاثون مكانهم وهلمَّ جرًّا

ثم جعلوا لبيروت مراقبة البحر وجعلوا فيها رهجيّة وحَمام بطاقة مدرَّج الى دمشق وخيل بريدٍ . فكانت النار للحوادث في الليل وحمام البطاقة للحوادث في النهار والبريد لما يتجدد من الاخبار . كل ذلك فعلوه خوفًا من رجوع الافرنج فجعــلوا الدرب من بيروت الى دمشق اربعة بُرُد : الى الحصين والى قرية ابدل والى خان ميسنون ومنهُ الى دمشق بريد . ثم رتّبوا ايضًا نارًا تصل الى دمشق في ليــلة واحدةٍ وجعلوا يشعلونها من ظاهر بيروت في مكان معلوم فتجاوبها نار في رأس بيروت العتيقــة

(١) ولما هدم هذا الجسر اقام الامير بشير الشهابي الماروني الشهير ابن الامير قاسم الماروني ابن الامير عمر ابن الامير حيذر جدّ جميع الامراء الشهابيين في جبل لبنان جسرًا غيره فوق المكان الذي كان فيهِ اولاً سنة ١٨٠٩ وهو ثابت الى الآن (الدر النظوم ص ٢٤٥)

(٢) كان خروج الحلقة الطرابلسية في ايام الملك الاشرف صلاح الدين خليل سنة ١٢٩١ التي سار فيها الملك المذكور الى دمشق ومنها الى حلب . ثم نازل في جمادى الاخرى قلعة الروم وجدّ في حصارها شهرًا وثــلاثة ايام وفتحها عنوةً . واستناب فيها عزّ الدين الموصلي وفي حلب سيف الدين الطباجي . ثم عاد الى دمشق وامر بهدم قلعة الشوبك ورجع بعد شهرين الى مصر . وفي سنة ١٢٩٣ لما خرج الى الصيد تآمر عليه بيدرا نائبه مع لاجين فقتلاه فكانت مدة ملكه ثلاث سنــين وشهرين . وكان الثامن من ملوك الترك في الديار المصرية

هذا ولا نعلم ماذا يُراد بقولهم « الحلقة الطرابلسية » حقيقــةً . وقد ذكرها صاحب اخبار الاعيان الحلفة بالفاء الموحدة (راجع الكتاب المذكور ص ٢٣١)

ومنها الى جبل بوارش ومنهُ الى بيرس ومنهُ الى جبل الصالحيــة ومنهُ الى قلعة دمشق (١)

سنة ١٣٠٢ (٧٠٢ هـ) نزلت الافرنج على نهر الدامور بين صيدا وبيروت ليلة الاربعاء ثامن جمادى الاولى فقُتل هناك فخر الدين عبد الحميد بن جمال الدين التنوخي وأُسر اخوه شمس الدين عبد الله فافتداه ناصر الدين الحسين بن خضر بثلاثة آلاف دينار صورية (٢). وعند ذلك رُفعت الشكايات الى نائب دمشق الافرم في الجرديين واهل كسروان. قال ابن الحريري: انهُ بهذه السنة اجتمع النوّاب جمال الدين اقوش الافرم نائب دمشق وسيف الدين اسَنْدمر نائب طرابلس وشمس الدين سنقر المنصوري وحشدوا جيوش الشام الى مقاتلة الجرديين واهل كسروان فاجتمع مقدّمو الجبال واستعدوا للقاء الجيش فهزموه وقتلوا كثيرين وغنموا غنيمة كبيرة. قال ابن القلاعي: ان الواقعة كانت عند مدينة جبيل وان المقدمين الذين نزلوا من الجبال كانوا ثلاثين بالعدد. والمشهورون فيهم: خالد مقدم مشمش وسنان واخوه سليمان مقدما ايليج وسعادة وسركيس مقدّما لحفد وعنتر مقدم العاقورة وبنيامين مقدم حردين فرتبوا الفي مقاتل يكمنون على نهر الفيدار والفين على نهر المدفون. ثم انحدروا بثلاثين الفًا لقتال الجيش فوقعوا بجمدان القائد على الطريق منفردًا فقتلوه وحملوا على الجيش واهلكوا اكثره وغنموا امتعتهم وسلاحهم واخذوا ٤٠٠٠ رأس من خيلهم. وقدمت

---

(١) وفي التاريخ الاكبر: وكان بُرج القصبية الذي عند الرصيف في يد والي جبيل وكان ذلك خوفًا من رجوع الافرنج الى هذه البلاد. وكانوا يقيمون شعلة نار في راس بيروت العتيق ومنه الى جبال بوارج ومنها الى جبل الصالحية ومنها الى قلعة دمشق لاجل الحوادث التي تعرض ليلًا لكي تصل الاخبار الى دمشق في ليلة واحدة. وجعلوا ايضًا حمام بطاقة تتدرَّج الى دمشق لاجل الحوادث التي تكون نهارًا. وجعلوا ايضًا بريد خيل يسير من بيروت الى الحصين وبريدًا الى قرية ابدل وبريدًا الى خان ميسون وبريدًا الى دمشق لاجل ما يتجدَّد من الاخبار ومنع الافرنج عن الاجتماع باهل كسروان

(٢) راجع اخبار الاعيان ص ٢٣٦

الاكراد لنجدتهم فصدهم المكمنان في الفيدار والمدفون فلم يخلص منهم الّا القليل . وقُتل من امراء التنوخية نجم الدين محمد واخوه شهاب الدين احمد ولدا جمال الدين حجي . ثم غزت الجرديّة بلادهم واحرقوا منها عين صوفر وشلمك وعين زوينة وبحطوش وغيرها من بلاد الغرب . وقُتل من المقدمين بنيامين صاحب حردين فدفنوه عند باب الاركان في جبيل . ولشدة حزنهم عليهِ لم يرفعوا سنجقًا ولا دقوا طبلًا ولا نفيرًا . ثم صعدوا الى معاد واقتسموا الغنائم بينهم . اما عنتر فقصد الطمع على رفقائه واذ لم يعتبر ويتعظ حرمةُ البطريرك فمات في اليوم الثالث . ثم اجتمعوا ليختاروا مقدمًا عوض بنيامين فنطق طفل رضيع قائلًا : اقيموا نيقولا مقدمًا . فاتفقوا على نيقولا المذكور وعهدوا اليهِ من كهف حردين الى كهف أيطو

سنة ١٣٠٤ (٧٠٤ هـ) ارسل اقوش الافرم نائب دمشق الى الجبليين والكسروانيين الشريف زين الدين بن عدنان يأمرهم ان يصلحوا شؤونهم مع التنوخية ويدخلوا في طاعتهم . ثم ارسل اليهم ايضًا تقي الدين بن التيميَّة في صحبة بهاء الدين قراقوش . فلم يحصل اتفاق فافتى العلماء حينئذٍ بنهب بلادهم بسبب استمرارهم على العصيان واباِئهم الدخول في الطاعة ولذلك جُرِّدت العساكر من جميع بلاد الشام ولم تزل تزداد الجموع من كل ناحية الى سلخ هذه السنة (١)

سنة ١٣٠٧ (٧٠٧ هـ) ذكر ابن الحريري وابن سباط انه في يوم الاثنين ثاني محرم سار اقوش الافرم نائب دمشق بخمسين الفًا بين فارس وراجل الى جبل الجرد وكسروان (٢) التي حيال بيروت . فجمع الدروز رجال الجرد وكانوا عشرة امراء بعشرة آلاف مقاتل والتقت الجموع عند عين صوفر وجرى بينهم قتال عظيم

---

(١) راجع الدر المنظوم ص ٢٤٥ واخبار الاعيان ص ٢١١ و ٦٦٩ وكتاب الغرر الحسان في تاريخ هذه السنة

(٢) ان اقوش المذكور فتح كسروان من جهتها الشمالية ولذلك دُعيت فتوحًا (الدر المنظوم ص ٢٤٥)

وكانت الدائرة على الامراء فهربوا بحُرُمهم واموالهم واولادهم ونحو ٣٠٠ نفس واحتموا في غارٍ غربي كسروان يعرف بمغارة نيبَيه فوق انطلياس بالقرب من مغارة البلّانة. فدافعوا عن نفوسهم ولم يقدر الجيش ان ينال منهم. ثم بذلوا لهم الامان فلم يخرجوا فامر نائب دمشق ان يبنوا على الغار سدًا من الحجر والكلس وهالوا عليهِ تلاً من التراب. وجعلوا الامير قطلوبك حارسًا عليهم مدة اربعين يومًا حتى هلكوا داخل الغار. ثم احاط العسكر بتلك الجبال ووطئوا ارضًا لم يكن اهلها يظنون ان احدًا من خلق الله يصل اليها. فخربوا القرايا وقطعوا الكروم وهدموا البيع وقتلوا واسروا جميع من صادفوا من الدروز والكسروانيين وغيرهم. فذلّت تلك الجبال المنيعة بعد عزتها. وفي ١٨ جمادى الاخرى ركب بالشرابيش علي الدين البعلبكي وسيف الدين بكتمر وبدر الدين بكتاش وحسام الدين لاجين وعزّ الدين خطاب العراقي وتوجهوا لاجل عمارة الجبل وحفظ مينا البحر مع الجماعة الذين ساروا من دمشق الى بيروت

وفي هذه السنة امسكت السماء عن المطر في الربيع ثم وقع ثلج فاهبط الأكواخ فتلف اكثر دود القز. وفي هذه السنة امر الملك الناصر محمد بن قلاون تركمان الكورة ان ينزلوا في ساحل كسروان ليحافظوا عليهِ من الافرنج. وهم اهل عساف وكان دركهم من حدود انطلياس الى مغارة الاسد وجسر المعاملتين تحت غزير. فكانوا لا يدعون احدًا يمرّ في دربند نهر الكلب الّا بورقة جوَاز من الوالي او من امراء الغرب التنوخية. وجعل التركمان المذكورون ثلاثة ابدال من كل بدلٍ ١٠٠ فارس يقوم في الدرك شهرًا. وكانوا ينزلون في انطلياس وبيوت اليزك على نهر الكلب وفي البرج الذي يليهِ نحو الجنوب وفي برج جونية والبرج الذي يلي جنوبي نهر الكلب. وكانت ازواقهم (بيوتهم) من حولهم وهي المعروفة بالعامرية والخراب ومصبح ومكايل على اسامي مقدّمي الازواق. واقاموا لهم عمائر وبساتين وجنينات في عين طورا وعين شقيق لاقامة امرائهم شتاء وصيفًا. وقيل ان جسر المعاملتين بناهُ سليمان بن عراب وهو الذي بنى حصن معراب شرقي غزير وسمي جسر المعاملتين لانه بين برج قصيب

وبرج جونية على حدود طرابلس وبيروت وكان يسمى قديماً جسر الداخلة على اسم البلاد التي بسبب كسرى الملك سميت كسروان (١)

في سنة ١٣٠٩ (٧٠٩هـ) وقعت فتنة في حوران بين اليمنية والقيسية وقتل خلق كثير . وفي سنة ١٦٢٠ يونانية نزل عسكر وخيّم بالقرب من بشرّاي وحصل منه ضرر عظيم على قرية بشرّاي وجميع بلادها (٢)

"سنة ١٣١٠ (٧١٠هـ) استولى الفرسان المعروفون بفرسان القديس يوحنا اورشليم على جزيرة رودس . وكان في صحبتهم فرقة من موارنة القدس فسموا فرسان رودس ايضاً (٣) " (عن الدر المنظوم ص١٥٨)

" سنة١٣١٣ (٧١٣هـ) في ايام الناصر ناصر الدين محمد بن قلاون وهو التاسع من ملوك الترك في الديار المصرية انعمت الملكة سانسية اوقسطنسية زوجة روبرتوس ملك جزيرة صقلّية وسلمت الموارنة مغارة الصليب في القدس الشريف مع اربعة مذابح في اربع كنائس . كما اخبر جبرائيل القلاعي الحفدي في رسالته الى البطريرك سمعان الحدثي بقوله : لما ابتاعت قسطنسية كنائس القدس بثمانين الف دينار وهي القيامة

---

(١) طالع ايضاً اخبار الاعيان ص ٢١١ و٣٤٦ والدر المنظوم ص ٢٤٥ والغرر الحسان في تاريخ سنة ٧٠٦ للهجرة

(٢) طالع ايضاً كتاب الغرر في تاريخ سنة ٧٠٩ للهجرة . ووجدتُ في كتاب مختصر تاريخ لبنان ما يلي «سنة ١٣٠٩ نزل عسكر في قرية حدشيت وصار منهُ ضرر عظيم على قرية بشرّاي وجميع بلادها »

(٣) لما استولى السلطان سليمان الثاني على الجزيرة المذكورة سنة ١٥٢٣ وامر بنفي النصارى الطائعين كنيسة رومية رحل الموارنة سكانها مع الفرسان المذكورين الى جزيرة مالطة التي اعطاهم اياها كرلوس ملك النمسة سنة ١٥٣٠ . ثم حاصرها السلطان سليمان المذكور سنة ١٥٦٥ فلم ينل منها . ولبثت تحت ولاية هؤلاء الفرسان الذين سموا فرسان مالطة الى ان اخذها منهم الفرنسيون سنة ١٧٩٨ ثم الانكليز بعد سنتين . والى سنة ١٧٨٨ كان للموارنة قنصل في مالطة يسمى فيشنسيوس جلال (الدر المنظوم ص١٥٨ ــ طالع ايضاً كتاب سفر الاخبار ص ٧٩)

وقبر مريم والطور منحت الموارنة مغارة الصليب مع مذابح خصَّتهم بهـا في سائر كنائس القدس،، (عن الدرّ المنظوم ص ١٥٧)

وفي سنة ١٣١٥(٧١٥ هـ) بنى الامير ناصر الدين حسين بن خضر بن محمد التنوخي داراً شريفة في اسفل قرية عبيه ببرج وحمَّام وجنينـة واجرى لها الماء. وفيهـا كان بطرس اسقف بشرَّاي مترئساً على دير القديس اليشاع في وادي نهر قديشا

وسنة ١٣٢٢ (٧٢٢ هـ) كان متقلداً زمام الكرسي الانطاكي البطريرك شمعون وكان بطرس اسقفاً على بشرَّاي. كذا وجدناه بخط الشماس سابا بن سليمان بن القس جرجس من قنات

وسنة ١٣٣٣ (٧٣٤ هـ) قدم الى بيروت افرنج جنوية قاصدين اخذ مركب بيتلان (ويروى كيتلان) في ولاية عزّ الدين البيسري من قبل تنكز نائب الشام وخرجوا الى المدينة وقاتلوا اهلها يومين. فدخلوا البرج واخذوا الاعلام السلطانيـة والمركب. فلما انتهى ذلك الى امـير الامراء تنكز استدعى امراء الغرب المقيمين بعرمون الغرب وتركمان كسروان فوبخهم وقرَّعهم كثيراً على تهاملهم في المحافظـة واودعهم السجن. ثم اطلقهم اخيراً لعدم ثبوت ذنب عليهم. وامرهم بالاقامة ببيروت فبنى الامير ناصر الدين داراً لهُ بجانب البحر (١)

سنة ١٣٣٩ (٧٤٠ هـ) نزلت نارٌ من السماء باعمال طرابلس فاحرقت كثيراً من الشجر والزروع. واحرقت في عين الفيجة ثلاثة بيوت وكثيراً من الخشب. وكثر عن ذلك المرض وكان هذا في رئاسة بطرس اسقف اهدن والقس سركيس رئيس دير مُرت مورا في اهدن ايضاً

سنة ١٣٤٤ (٧٤٥ هـ) في شهر صفر كانت الوقعة بين اهل البقاع واهل وادي

---

(١) تُوفي الامير ناصر الدين الحسين ١٣٥٠ وكان منشئاً فصيحاً وشاعراً مفلقاً وانشأ بنايات كثيرة في بيروت والغرب (راجع اخبار الاعيان ص ٢٣٥و٢٣٦)

التيم وقُتل من الفريقين خلق كثير. واحرق ابن صبح ١٣ قرية من وادي التيم وانقطعت السبل لاسيا طريق الزبداني

سنة ١٣٤٥ (٧٤٦ هـ) ذكر ابن سباط انه جفل الناس في السواحل من ملك قبرس فارسل الامير الكبير يلبغا الاتابكي الى بيروت بيدمر الخوارزمي لكي يحصن المدينة ببناء الشونات والحمالات والمراكب. وانفذ الى امراء الغرب وتركمان كسروان ان يجعلوا سكناهم في بيروت مع العساكر الشامية ويركبوا ليلاً ونهاراً

سنة ١٣٥٣ (٧٥٤ هـ) قُرِئ بجامع دمشق مرسوم السلطان في ملازمة اهل الذمّة الشروط العمريّة اي ان لا يُستخدموا في الدواوين السلطانية ولا في غيرها وان يُحمل حكم مواريثهم (١) على الاحكام الشرعيــة وان لايزيد احد عمامته على عشرة اذرع ولا يركبوا الخيـل والبغال بل الحمير وان يدخلوا الحمّامات بعلامات مخصوصة من خرصان او خواتم من نحاس او رصاص. ولا تدخل نساؤهم مع المسلمات بل ليكن لهنّ حمامات تختصّ بهنّ. وان يكون ازار النصرانية كتّانًا ازرق واليهودية اصفر والسامرية احمر وان يكون احد خُفّيها اسود والآخر ابيض

قال ابن سباط: في هذه السنة قدمت مراكب الافرنج الى صيدا فقتلوا طائفة من اهلها واسروا جماعةً وقُتل منهم ايضاً خلق كثير وكُسر مركب من مراكبهم. فوصل الصريخ الى دمشق فاجتمعت العساكر من صفد ودمشق واسرعوا الى فكّ الاسرى. واخذوا من ديوان الاسرى ثلاثين الفاً واعطوا الافرنج عن كل راس خمسمائة درهم

وسنة ١٣٥٦ (٧٥٧ هـ) تولّى بطريركية انطاكية البطريرك يوحنا

سنة ١٣٦٥ (٧٦٧ هـ) توفي الامير منجيك بن عبدالله الناصري. تولّى النيابة اولًا في صفد ثم طرابلس ثم حلب ثم دمشق ثم مصر وتوفي وهو نائب بها. وكان قد عمر

---

(١) وفي كتاب الغرر: وان تُعرض مواريثهم الخ ــ راجع هناك تاريخ السنــة المذكورة

خانات كثيرة بالطرق المخوقة . وذكر يعقوب اسقف اهدن في ذيل الانجيل الذي نسخه سنة١٦٧٧ يونانية (١٣٦٦م) في شهر آذار ان ملك قبرس قصد الاسكندرية بجيشهِ فنهبها وقتل رجالها واسر صغارها . فغضب سلطان المسلمين بسبب هذه الفعلة وامسك رؤساء الكنيسة وحبسهم في دمشق . وكان الاسقف المذكور في جملتهم فهرب بجيلة وكتب الانجيل وهو مختفٍ . وذلك الانجيل باقٍ الى اليوم في دير قنوبين وهو سبعة وعشرون كراساً بالقلم السرياني والكرشوني

وفيها كان على الكرسي الانطاكي البطريرك جبرائيل وفي ايام الاضطهاد اختفى في قريتهِ حجولا من اعمال جبيل فكتب نائب دمشق بسببه الى نائب طرابلس فقبض هذا على ٤٠ رجلًا من اهل حجولا وامرهم باحضاره وفي اول نيسان امر بحريقه خارج طرابلس عند طيلان (١)

„سنة ١٣٧٥ (٧٧٧ هـ) تُوفي غزال القيسي الماروني مقدم العاقورة ولم يخلّف ولدًا ذكرًا فورثتهُ ابنتهُ زوجة جرجس الملقب بالشدياق„

(عن اخبار الاعيان ص ١٠٩)

---

(١) وقد زار طرابلس ابن بطوطة من طنجة في بلاد المغرب في اواسط القرن الرابع عشر وذكر عنها في سفره المعنون «تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار» الذي كتبهُ سنة ١٣٥٦ في مجلد ١ صفحة ١٣٧ من النسخة المطبوعة في باريس سنة ١٨٥٣ ما نصهُ: «ثم وصلت الى مدينة طرابلس وهي قاعدة الشام . وبلدانها الضخام . تخترقها الانهار . وتحفها البساتين والاشجار . ويكنفها البحر بمرافقه العميمة . والبر بخيراته المقيمة . ولها الاسواق العجيبة . والمسارح الخصيبة . والبحر على ميلين منها وهي حديثة البناء . واما طرابلس القديمة فكانت على ضفة البحر وتملكها الروم زمانًا فلما استرجعها الملك الظاهر خربت واتخذت هذه الحديثة . وبهذه المدينة نحو اربعين من امراء الاتراك واميرها طيلان الحاجب المعروف بملك الامراء ومسكنه منها بالدار المعروفة بدار السعادة . (الى قوله) وبهذه المدينة حمامات حسان منها حمام القاضي القرمي وحمام سندمور وكان سندمور امير هذه المدينة» انتهى كلام ابن بطوطة ويظهر منهُ ان الجامع المعروف الآن في طرابلس بجامع طيلان منسوب الى هذا الامير (سفر الاخبار ص ٤٧)

سنة ١٣٨٨ (٧٩٠هـ) قال ابن سبــاط ان الملك برقوق (١) جهز الجيوش المصرية وقدَّم عليهم جركس الخليل (٢) امير ياخور وقصد مقاتلة الناصري يلبغا وتربغا منطاش. فجمع الناصري ومنطاش عساكر الشام والعربان والتركمان واهــل كسروان والجرديين وجرت بينهم حروب كثيرة فانتصر منطاش (٣) والناصري على عساكر مصر. وقتلا جركس قائد الجيش واستوليا على الممالك واعطيا نيابة الشام الى اخوطازَ جنتَمر وسارا بالجيوش الى الديار المصرية. فاختفى الملك الظاهر واتفقت عليهِ عساكر مصر مع الناصري ومنطاش فخلعوا الملك الظــاهر برقوق واعادوا في العُشر الاول من جمادى الاخرى الملك الصــالح حاجي ولقبوه بالملك المنصور. وكانت مدة ولاية الملك الظاهر برقوق ست سنين وثمانية اشهر و١٦ يوماً

وفيها انتشب القتال بين امراء الغرب التنوخيــة وبين عشران الــبر اهل كسروان والامراء اولاد الاعمى . وكان التنوخية ميَّالــين الى الملك الظاهر وكان الكسراوة مع ارغون نائب منطاش في بيروت. فاستظهر اهــل كسروان على امراء الغرب وقتلوا منهم نحو ٩٠ نفراً . وامسكوا جماعــة فسمَّروا بعضاً ووسَّطوا آخرين ونهبوا ما وجدوا في بيروت للامراء الغربيين. واحرقوا عدة قرى من الغرب منها عيناب وعين عنوب وشملال وعيتات ومعيسنون وشترة الفوقانية والتحتانيــة وغيرها وتلقبوا بعشران الــبرّ . ثم ان الملك الظاهر تباين (كذا) على يد الطنبغا (٤) الجوباني نائب الشام بامان ويمين. ولكن الناصري لم يوافقه على ذلك بسبب ما تعهدوا بهِ للملك حاجي (٥) واعتمدوا على قتــل الملك الظاهر فجهّزوه الى الكرك وسجنوه

---

(١) وفي كتاب الغرر: عصى يلبغا الناصري نائب حلب وخرج عن طاعة السلطان فجهز الملك برقوق العساكر المصريَّة الخ

(٢) ويروى الخليلي . (٣) منطاش هو نائب طرابلس

(٤) وفي رواية الغرر: عند الطنبغا (٥) ويروى: ولكن الناصري نائب حلب لم يطاوعه بسبب اتحاده مع الملك الصالح المنصور

بها . واقاموا حسن الكشكلي نائباً على الكرك . ثم ان منطاش قبض على الجوباني وعلى الناصري واعتقلهما ثم ارسلهما الى الاسكندرية وكتب الى الكشكلي نائب الكرك بقتل الملك الظاهر . فلم يقتلهُ بسبب ما صار بالناصري الذي ولّاه الكرك بل افرج عنهُ وخرج بزي درويش (متسول) . ثم جمع اليهِ مماليكه وعسكر الكرك وركب على باكيش نائب غزّة فقتلهُ وغنم ما عنده . ثم توجه الى الشام فواقعهُ جنتمر نائب الشام فظفر بهِ برقوق . واستمر على حصار الشام . ثم حضر اليهِ كمش بغا الحموي نائب حلب ومعـهُ جموع وخيام واثقال كثيرة فقوي عليهِ الظاهر برقوق . ثم ان العساكر الظاهرية زحفت على تركمان كسروان (١) وجرت بين الفريقين وقعة في الساحل في جورة منطاش في زوق مكايل فقتلوا منهم الامير علياً واخاه الامير عمر ابني الاعمى وجماعة كثيرة ونهبوا زوق التركمان . ثم ان تمربغـا منطاش خرج من مصر بالسلطان حاجي وبالعساكر المصرية وصار بين الفريقين حرب شديدة ووقائع كثيرة انجلت عن انتصار الملك الظاهر برقوق فقبض على منطاش وعلى الملك حاجي بشَقْحَب (٢) . ولما تدروش الملك الظاهر قدم على قرية بشرّاي شرقي طرابلس فاقام الشدياق يعقوب بن ايوب مقدماً وكتب لهُ بذلك صفيحة من نحاس (٣) . ثم نزل في دير قنوبين في ايام رئاسة القس بطرس الذي احسن استقبالهُ فاعفى الدير المذكور من دفع الاموال الاميرية وجعل لهُ التقدم على جميع ديورة تلك الجهات وكتب ذلك على صفيحة نحاسية (٤) . ولما عاد الملك الظاهر الى الكرك كان البطريرك داود الذي دعي يوحنا مقيماً بارض حردين في دير مار سركيس القرن فجعل القس بطرس اسقفاً واسكنهُ دير قنوبين المذكور .

---

(١) ويروي : قصـدت طومان شيخ التركمان حاكم كسروان ـ راجع التاريخ الاكبر في وقائع هذه السنة

(٢) وفي الغرر : وعلى السلطان الصالح المنصور

(٣) ويروي : فـكتب لهُ صفيحة بختمه ان يكون شيخاً (عن الغرر)

(٤) وفي رواية الغرر : واعطاه بذلك خطـاً

وانما سمّي قنوبين بسبب اجتماع الرهبان فيهِ . وكان يقال لهُ دير المتـــين راهبًا بناه تاودوس ملك الروم منذ الف ونحو ١٣ سنة (١)

سنة ١٤٠٠ (٨٠٣ هـ) كانت رئاسة الكرسي الانطاكي في يد البطريرك داود المسمَّى يوحنا . ومطارنتهُ بطرس في دير قنوبين ويعقوب من قنية في لحفد وبطرس بن القس سمعان في اهدن وقورُلس الحاجي وداود ابن جو سلين الحدشيتي . وكان المقدم على الجبة الشدياق يعقوب البشراني (٢) . وفي هذه السنة تملك تيرلنك العجم والفرس والديلم والعراقين وطبرستان وارمينية والموصل والجزيرة . ثم جمع العساكر وخرج الى بلاد الشام فلما بلغ من الدهر ما دار (كذا) سيَّر الى السلطان رسلًا بهدية وكتاب فلما وصلوا الى رحبة مالك بن طوق وثب عليهم كمش بغا النائب فقتلهم وارسل الى السلطان الهدية والكتاب . فخرج سنبغا بالعساكر المصرية وانتقـــل سودون بالجيوش الشامية الى حمص واجتمعت اليهِ النواب من صفد وبيروت وطرابلس وغيرها فدخلوا حلب في غرَّة ربيع الاول . ونزل تيرلنك بجيوش التتر في مرج دابق . وارسل الى النائب في حلب تقليدًا وتاجًا مرصعًا وسيفًا محلًّى وتركاشًا هدية من فاخر القماش . فلما وصلت رسلهُ الى حلب قبض عليهم النائب وقتلهم ولم يردَّ لتيرلنـــك جوابًا . وارسل الهدية والكتاب الى السلطان . فلما انتهى الخبر الى تيرلنك اشتد غضبهُ وخرج بالعسكر نحو حلب فالتقى الجمعان خارج المدينة واشتد اللدَد بينهم حتى انهزمت العساكر الشامية فقتل تيرلنك منهم عددًا عظيمًا واسر كثيرين وغنم من الغنائم ما يفوت الحدّ . ثم نصب المجانيق على حلب وحاصرها اشدّ حصارًا فذلت قلوب اهلها وقويت شوكة التتر فملكوها وعظمت بها الاهوال ونُهبت الاموال وكثر الفتك وعلا الضجيج والصياح من

---

(١) راجع اخبار الاعيان ص ٢١٣ و ٢٤٠ و ٦٧١ فتقف هناك على بعض اختلاف في هذا الخبر وزيادات

(٢) قال صاحب مختصر تاريخ لبنان ان مقدمي الحدث كانوا ولاة على جبة بشرَّاي من قبل عهد القديس يوحنا مارون واتى ببراهين على ذلك ليس هنا محل ذكرها

جميع جهاتها. اما الامراء والنواب فتحصنوا في القلعة ورحل تيمرلنك الى المعظّم وشدَّد الحصار على القلعة وفي يوم الاربعاء في النصف الاول من الشهر خرج من القلعة سنْبغا الداوادار وكيتم التركماني فسلماه مفاتيح القلعة فامَّنهما وخلع عليهما. ثم صعد الى القلعة واوثق النواب وقتل واستأسر عدداً عظيمًا. ثم توجَّه قاصداً دمشق وبلغ المعرَّة بالجيش فجفلت اهل دمشق وكثر عويل النساء وصراخ الصبيان وانخلعت قلوب الناس وتشتت الاعيان . فقصد البعض قلعة ارنون والبعض قلعة شقيف تيرون وآخرون غير ذلك من المواضع الحصينة . وكانت اجرة البغل الى بيروت مئة درهم والى الرملة ثلاثمائة ووقع الناس في حيرة من امرهم. ثم اجمعوا على القتال واستنجدوا بالعساكر المصرية واستقرضوا الاموال من التجـار واشتروا آلات الحصار ونصبوا المدافع على الاسوار واجروا الامواه في خنادق الانهار ومنعوا النـاس من الهرب وتوعدوا من يفرّ بنهب املاكه . ثم وصلت الاسرى من جهة حلب واخبروهم بما عاينوا من القتل والفسق والمنكرات. فامتلأَت قلوب الناس خوفًا وغادروا اموالهم وتشتتوا في اقاصي البلاد . ثم تقدَّم سنْبغا الداوادار ونواب صفد وطرابلس وبيروت بالخلقان وهم ينادون الفرار فاخذت السكان في الفرار وتركوا السلاح وركبهم الرعب وذهب كل منهم الى مكانٍ . وبعد هذا بعث تيمرلنك ولديه مهران شاه وماردين شاه الى فتح حماة فخرج الاهلون لملاقاتهما بعوائد الضيافة . فعفوَا عنهم واقاما على المدينة نائبًا وسارا . اما اهل حماة فوثبوا على النائب وقتلوه . فلما عرفا ذلك عادا على حماة ونكباها شرّ نكبة واحرقا كثيرًا غيرها من البلدان . ثم حاصرا القلعة وانجدهما تيمرلنك بعشرين الف مقاتل فما عتَّما ان ملكاها

وفي اثناء ذلك تواترت الاخبار بخروج السلطـان من مصر فاطمأَنت الخواطر بعض الاطمئنان وامسك الناس بعضهم بعضًا وتهيَّأوا للحصار. ولما وصل السلطان الى دمشق نزل بالقلعة وفرق عليهم السلاح والغلال وشدَّدهم على القتال. اما تيمرلنك فتخوَّف من قدوم السلطان وعوَّل على الرجوع الى بلاده. ولكنَّ واحدًا من خواص

السلطان دخل عليهِ وخوَّفهُ من الاعداء وكثرتهم وشدتهم وذكر لهُ ان تيمرلنك لابد ان يستولي على الشام فتفوته مصر. فأثَّر فيهِ ذلك وخرج ليلًا من القلعة وفرَّ الى الديار المصرية وجعل طريقه على بقاع العزيز وبات ثاني ليلة بسفح جبل لبنان عند الصفصاف بين قريتي نيحا وجباع الحلاوة لئلَّا يعلم بهِ احد. ثم سار بطريق الساحل حتى دخل مصر . فلما بلغ تيمرلنك هرب السلطان داخلهُ الطمع واحاط دمشق بالعساكر من قبَّة يلبغا الى الربعة الى ميسنون فملكها وقتل اعيانها واحرقها من جميع اطرافها واحرق الجامع الامويَ بالنساء وخرَّب المساجد والمدارس والمعابد وهدم القلعة . قيل انهُ كان يجمع الاولاد ويرميهم بالخنادق لتدوسهم الخيل. والبقر. ومنهم من كان يرميهم في الآبار ويقتلهم بطرح الحجارة. ولم يخرج تيمرلنك من دمشق حتى جاء الجراد فغطى بكثرته السماء والارض وكان ظهوره في ٢٩ من آذار فأكل النبات وترك الارض عارية من كل زينة . وفي ٢٢ ايار طلع الزحَّاف من السواحل فارتعى الكروم والاشجار حتى الغابات. وعند ذلك رحل تيمرلنك عن دمشق ولم يبقَ بها ساكن يخبر عن عظمتها . وبعد الجراد ونهب الاموال والغلال ووطأة الجيش جاء الغلاء والوباء الشديد حتى صار شنبل القمح باكثر من خمسين والدخن بما يزيد على ثلاثين حتى اكل الناس عبيدهم وجواريهم بل جثث موتاهم. ولزيادة الوفيات ترك كثيرون من غير دفن كما اخبر بذلك الاسقف يعقوب من قنية وكان قاطنًا في الحفد في دير السيدة المعروف بدير المرج

وفي سنة ١٤١٣ (٨١٦ هـ) بنى الملك المؤيد (١) في دمشق المدرسة

---

(١) هو الشيخ المحمودي الذي اقامهُ الخليفة المستعين بالله اميرًا كبيرًا واتابك العساكر المصرية بالقاهرة . ولكنهُ ما لبث ان تآمر عليهِ في ثالث شعبان سنة ١٤١١ فخلعهُ من السلطنة والخلافة ودعا لنفسه بالسلطنة ولُقب بالملك المؤيد وهو التاسع والعشرون من ملوك الترك والرابع من الجراكسة بالديار المصرية . ثم بايع بالخلافة المعتضد بالله ابا الفتوح داود بن المتوكل واخا المستعين وهو التاسع والاربعون من خلفاء بني عباس والثاني عشر منهم بالديار

المؤيدة والسوق المسوب اليه . وعندما قدم الافرنج في مراكبهم ترل فقاتلهم على نهر الدامور بين صيدا وبيروت فظفر بهم . ورجع فبات في وادي القريديس على رأس نهر قرية الباروك بسفح جبل لبنان

سنة ١٤١٩ (٨٢٢ هـ) في ١٦ شباط توفي الاسقف داود بن جو سلين

سنة ١٤٣٨ (٨٤٢ هـ) كان اوجان الرابع ضابطاً زمام الكرسي الرسولي في رومية . ولشدة شوقه الى اتحاد الكنيستين الغربية والشرقية في امور الايمان امر بعقد مجمع عام في مدينة فرارة من بلاد ايطالية . وانفذ رسائلهُ الى يوحنا باليولوغ ملك الروم والى يوسف بطريرك قسطنطينية وسائر البطاركة والاساقفة في المسكونة شرقاً وغرباً . وفي ٨ من تشرين الاول تمّ اجتماعهم في مدينة فرّارة . ولكنهم بسبب اشتداد الطاعون في تلك المدينة اضطرّوا ان يرحلوا منها الى فلورنسة . وفي هذه السنة كان البطريرك يوحنا الجاجي مقيماً بسيدة ميفوق في ارض ايليج . لما وصلت اليهِ رسائل البابا اوجان بعث الاب فراجوان رئيس الرهبان الصغار في بيروت ليرفع من قبله اولاً فرض الطاعة للبابا المذكور كما يحق لمن هو متقلد نيابة السيد المسيح على الارض . ثانياً ليعرفهُ انه قابل بجميع ما يَسنُّهُ الآباء الملتئمون بروح القدس في ذلك المجمع . ثالثاً ليلتمس درع البطريركية والتثبيت على الكرسي الانطاكي . وكذلك الموارنة القاطنون في القدس الشريف وجوارهِ انفذوا مكتوباً آخر صحبة الاب فرا البرتس

وفي سنة ١٤٣٩ (٨٤٣ هـ) في ٢٢ من شهر شباط ابتدأ المجمع في مدينة فلورنسة (١)

المصرية . وكانت مدة المستعين بالخلافة نحو سبع سنين وبالسلطنة نحو ستة اشهر (راجع اخبار الاعيان ص ٤٩ و ٦٧٣ وكتاب الغرر في تاريخ سنة ٨١٧ للهجرة)

(١) ذكر صاحب الغرر الحسان ابتداء المجمع المذكور في سنة ٨٥٨ للهجرة الموافقة لسنة ١٤٥٤ المسيحية وهو خطأ صريح من النسّاخ . ولكنه اتى بجميع ما دار من المجادلات بين الروم واللاتين وبين ذلك بياناً شافياً . فعليك بمراجعته في المحل المشار اليه ص ٥٦ من النسخة الخطية التي في المكتبة الشرقية بكلية القديس يوسف في بيروت وهي منسوخة عن كتاب

وعُرضت مكاتيب البطريرك يوحنا وامَّة الموارنة الذين بلبنان والذين في القدس على البابا اوجان والآباء الاطهار الملتئمين معهُ . فثبَّتهُ بطريركًا على الكرسي الانطاكي وانعم عليهِ بدرع الرئاسة وبتاج وحلةً جميلة وقلَّده جميع الانعامات والامتيازات التي كانت للذين سلفوا قبلهُ بالرحمة على الكرسي الانطاكي . وذلك على يد وكيله الاب فراجوان رئيس الرهبان الصغار في بيروت . وكذلك بعث ايضًا برسالة أُخرى الى موارنة القدس على صورة الرسائل التي انفذها الى رؤساء البيعة اخبرهم فيها عمَّا قاسى من النصَب لاجل استمالة ملك الروم بالبولوغ ويوسف بطريرك قسطنطينية واعلمهم بارتفاع الانشقاق الذي دخل بين الكنيسة الشرقية والغربية من ٤٥٠ سنة وانه قد صار اتفاق كلي بين الكنيستين وان وكيلهم الاب فرا البرتس يخبرهم عن سائر الامور بالتفصيل . وكانت كتابة تلك الرسالة من مدينة فلورنسة في العُشر الاول من حزيران . وفي شهر تشرين قدم الاب فراجوان ورفقاؤه الى مدينة طرابلس فلما شاع الخبر بوصول التثبيت للبطريرك صار فرح وبهجة عظيمة في المدينة وبرّها . وعند ذلك قبض نائب طرابلس على فراجوان ورفقائه متوهمًا ان ملك الروم ما دخل بلاد الافرنج ولا عُقد المجمع الّا ليكونوا يدًا واحدةً في استخلاص الارض المقدسة من يد سلطان مصر . فلمَّا انتهى خبرهم الى البطريرك يوحنًا جهز اناسًا يكفلونهم ويخرجونهم . وبعد ان خرجوا ذهبوا الى دير ميفوق وقدموا لهُ رسائل البابا ودرع الرئاسة وشخصوا من هناك الى بيروت . وبعد مدة لما طلب النائب حضورهم ولم يحضروا غضب لذلك وقبض على كفلائهم فغرَّم بعضًا وقتل آخرين وكانوا من اعيان الطائفة ثم قبض على الرهبان ونكب الدير

سنة ١٤٤٠ (٨٤٤ هـ) ترك البطريرك يوحنا الجاجي دير سيدة ميفوق وسار الى دير سيدة قنوبين في ارض الجبة وسكنهُ تحت حماية المقدَّم يعقوب واولاده (١) وكان

خطي كان في مكتبة الامير عباس كنج شهاب

(١) راجع مختصر تاريخ لبنان في اخبار ولاة بشرّاي — ومن ذلك الحين صار دير

بصحبتهِ الاسقف شمعون من مشمش. ثم استقدم اليـهِ الاب فرا بترومن فرارة من الرهبان الصغار وسيَّرهُ الى فلورنسة برسائل يتشكر بهـا للبابا عما انعم بهِ عليه. وكان سفره في شهر آب من هذه السنة - وفي منتصف كانون الثاني من السنة الثانيـة اخذ جواب الرسائل وعاد مع قاصد البابا فرا انطوني من طورية من قانون الرهبان الصغار

سنة ١٤٤٢ (٨٤٦ هـ) او بالقرب منها اعتنى خليل بن مقلد مقدَّم العاقورة وبنى القبو الذي فوق عين القرية ورفع فوقه برجاً. وقبل هذا العهد بنحو الف وثلاثمائة وستين سنة اجتاز بالعاقورة أومتيان ملك روميـة وقطع الجبل الذي شرقيها ونهج الطريق الى البقاع كما هو منقور على درجة الجبل

سنة ١٤٤٤ (٨٤٨ هـ) كانت وفـاة يعقوب مقدم بشرَّاي فخلفه في المقدميَّة اولاده المقدم سيفا والمقدم قمرَ والمقدم مُزهر والمقدم زين والمقدم بدر فحكموا حكماً عدلاً واستتبَّت الراحة في ايامهم كما كانت في ايام والدهم. وكانت مدة ولاية المقدم يعقوب نحو ٦٢ سنة (١)

سنة ١٤٤٥ (٨٤٩ هـ) توفي الامير عزّ الدين صدَقة بن شرف الدين عيسى التنوخي في بيروت. وكان ذاسطوةٍ حكم من حدود طرابلس الى حدود صفد برضى متولي صيدا وبيروت ليحمي سواحل البحر من الافرنج. وكان بينه وبين الامراء اولاد الحمراء الذين نزلوا من البقاع واتخذوا السكنى في بيروت وحشة من التحاسد في الحكم

وفيها ارسل البابا اوجان اندراوس رئيس كهنـة رودس الى جزيرة قبرس ليحرض من بها من الروم والارمن واليعاقبة على الدخول في طاعة الكنيسة. وعند قدومه انفذ تيموتاوسَ مطران الكلدان بالاصالة عن نفسه والقسّ اسحاق بالنيابة عن الياس اسقف

قنوبين كرسياً لبطاركة الموارنة الى يومنا هذا ولو ان بعضهم جعل سكناه احياناً ولاسباب داعية في اماكن أُخرى من بلاد كسروان والشوف (الدر المنظوم ص ١٦٤)

(١) طالع مختصر تاريخ لبنان في اخبار مقدمي بشرَّاي . واخبار الاعيان ص ٢١٤

الموارنة في قبرس الى مدينة رومية فاقسم كلاهما قسم الطاعة وحفظ الاتحاد للكنيسة الرومانية (١)

وفي هذه السنــة قُبض البطريرك يوحنا الجاجي بشيخوخة صالحة في دير قنوبين . وكان اول من سكن دير قنوبين من البطاركة الموارنة . وفي التاسع لوفاتهِ اجتمع رؤساء الكهنة ورؤسا الديورة واعيان الشعب وانتخبوا مكانه الاسقف يعقوب ابن عيد الحدثي الذي ربي في السيرة الملكيّــة في محبسة مار سركيس شرقي دير مار يوحنا المعروف بمار ابون . وكانت لهُ الرئاسة على جميع الحبساء في جبة بشرّاي واستمد التثبيت ودرع الرئاسة من البابا اوجان الرابع وكان البطريرك يعقوب المذكور اول من رُفع الى مقام البطريركية في دير قنُّوبين بعــد وفاة البطريرك يوحنا الجاجي

وفي سنة ١٤٤٧ (٨٥١ هـ) كانت وفاة البابا اوجان الرابع فخلفه على رئاســة الكرسي الروماني البابا نيقولا الخامس . فانفذ الى البطريرك يعقوب كتابةً يلتمس فيها دعاءه ويوصيه بالامة التي اؤتمن عليها ويحرضه على ان يتشبه بمسلك سالفيهِ في الاتحاد مع الكنيسة الرومانية

سنة ١٤٥٦ (٨٦١هـ) ذكر الياس المعادي انه في هذه السنة خرج الجراد من مصر الى الفرات وارتعى كل الزروع . ثم تبعه الغلاء والقحط في برّ الشام حتى بلغ مكّوك الحنطة ٤٠٠ درهم فضةً

سنة ١٤٥٨ (٨٦٣هـ) قُبض البطريرك يعقوب الحدثي في قنوبين نهار الاربعاء في ٨ شباط فتكون مدة رئاسته ١٢ سنة وشهرًا وثمانية ايام . وفي اليوم التاسع لوفاتهِ اقيم بدله البطريرك بطرس بن يوسف بن يعقوب المعروف بابن حسّان من قرية الحدث واقام على موازرته في البطريركية الاسقف يعقوب والاسقف داود الحدشيتي . وفي هذه السنة اقام البطريرك المذكور الحوري ملكا الحبيس مطرانـًا وارسل الاب

---

(١) سيجيء مزيد بيان لهذه المسئلة في الفصل الحادي عشر من الجزء الثاني من هذا الكتاب

فرا غريفون من الرهبان الصغار الى روميـــة ليلتمس لهُ التثبيت ودرع الرئاسة واتاه بهما من البابا بولس الثاني في سنة ١٤٦٩

„ وفي سنة ١٤٦٢ (٨٦٧ ﻫ) توفّي المقدم رزق الله بن جمال الدين بن سيفا ابن يعقوب وخلفهُ ابن اخيهِ المقدم عبد المنعم ايوب بن عساف بن جمال الدين„(١)

(عن مختصر تاريخ لبنان في اخبار ولاة بشرّاي)

وسنة ١٤٦٦ (٨٧١ ﻫ) ذكر الاسقف داود الحدشيتي انه في ايام الملك الظاهر بشقدم ظهر في السماء نجم بذنب فتبعــهُ وغرة عظيمة (شوبة) حتى امحلت الزروع والحبوب جميعها . وبلغ ثمن شنبل القمح سبعين والعدس ستين والذرة والدخن والشعير خمسين ورطل الدبس اربعة عشر . وهلك في الساحل كثير من البهائم والناس لشدة الجوع . ودام الحرّ والجوع نحو سنتين وكان الناس يقتاتون من اعشاب الارض

وفي اواخر سنة ١٤٦٩ (٨٧٤ ﻫ) كانت وفاة المقدم عبد المنعم بن سيفا بن يعقوب (٢) مقدم بشرّاي فتولى المقدَّمية بعده رزق الله ابن اخيهِ جمال الدين بن سيفا (٣)

سنة ١٤٧٠ (٨٧٥ ﻫ) قدم من القدس الى جبـــل لبنان ديوسقورس اسقف اليعاقبة ويُعرف بابن ضوّ النبكي . وكان قد خالطه نوح البقوفاوي واقام عنده في القدس وتعلّم منهُ القراءة والبدعة . وعند عودته البسه اسكيم الرهبانية وجعله قسيساً . ومن اخبار هذا العصر نستدل على انهُ في دولة المقدمين واحكامهم العادلة توفرت الراحة لاهل لبنان وكثرت عندهم المدارس والكنائس . وكان في قرية حدشيت وحدها عشرون كاهناً . وفي كنائس بشراي مذابح على عدد ايام السنة . وفي الحدث ستمائة فدان (زوج بقر) وفي الحارة العليا من اهدن سبعون بغلاً . وقد احصينا اسماء من كان من النساخ في ذلك

---

(١) وذكر ذلك صاحب اخبار الاعيان في تاريخ سنة ١٤٧٢ راجع ص ٢١٤

(٢) ويروى : ابن يعقوب بن عساف بن جمال الدين كما في مختصر تاريخ لبنان

(٣) ارجع الى مختصر لبنــان في اخبار ولاة بشرّاي والى اخبار الاعيان ص ٢١٤

العهد ممن وقفنا على كتبهم فاذا هم يُنيفون على مئة وعشرة . وفي ذلك الوقت اهملوا الخط الاسترنكالي المربع وتمسكوا بالسرياني المدور (١) . وبسبب ما اشتهر بهِ لبنان اوانئذٍ من الامن والطمأنينة قصده الناس من الاماكن البعيدة مثل اولاد جمعة الذين تركوا عين حليا وسكنوا بشرّاي . واولاد شاهين الذين رحلوا من صفد الشرق (٢) وسكنوا قرية حصرون . والخوري يوحنا والقس ايليا واخوهما الشدياق جرجس اولاد الحاج حسن انتقلوا من نابلس الى حدشيت . والقس يعقوب ورفقاؤه من الذين هاجروا من الحبشة وترهبوا في دير مار يعقوب اهدن ولذلك لُقب الدير بدير الاحباش نسبةً اليهم

في سنة ١٤٧١ (٨٧٦ هـ) سافر جبرائيل بن بطرس المعروف بابن القلاعي من قرية لحفد وسكن القدس الشريف وترهب برهبانية الافرنج ثم سافر الى رومية وتأدَّب بالعلوم الرياضية والالهيَّة

سنة ١٤٧٢ (٨٧٧ هـ) كانت وفاة المقدم رزق الله بن جمال الدين بن سيفا بن المقدم يعقوب فخلفهُ في المقدمية ابن اخيهِ المقدم عبد المنعم ايوب بن عساف بن جمال الدين

سنة ١٤٧٣ (٨٧٨ هـ) توفي بطرس اسقف اهدن فأُقيم بدله الاسقف يعقوب ابن رئيس اهدن . وسكن في دير مار سركيس رأس النهر . وتوفي ايضاً يعقوب اسقف بشراي فاقيم مكانه الاسقف حزقيال رئيس دير سيدة حوقا . وجاءه بذلك براءة من البابا كسوسطوس الرابع مؤرخة في سنة ١٤٧٤ في ١١ ايار

---

(١) وفي الدر المنظوم : ولم يزل الكلدان يستعملونهُ الى هذه الغاية ويُسمَّى الخط الكبير ايضاً . وقد صدر عنهُ الخط الصغير الذي يُسمى النسطوري ايضاً لان الكلدان التابعين بدعة نسطور يستعملونهُ ما ينيف على تسمائة سنة الى الآن . وقد استعملهُ باقي السريان اعني الملكية والموارنة واليعاقبة ايضاً كما استعملوا الخط المربَّع . الَّا ان الموارنة واليعاقبة تمسكوا بخط آخر سرياني يسمونهُ بسيطاً . اه (٢) وفي الاصل : صدد الشرق

سنة ١٤٧٥ (٨٨٠ هـ) في ١٢ شباط ارسل البابا كسوسطوس الرابع الى رئيس الرهبان الصغار المقيمين بالجبل ان ينتخب كل عام من رهبانـهِ كاهناً ام اثنين من ذوي العلم ويوجّهها الى زيارة الطائفة المارونيـة لكي يحلا لهم ما لعلَّهُ يعرض لهم من المشاكل اللاهوتية . وقد كان الموارنة التمسوا ذلك منهُ برسائل عديدة

سنة ١٤٨٢ (٨٨٧ هـ) تقوّى المستراحية بالمنيطرة وعزلوا اولاد قصاص من المشيخة فانتقـل الاسقف سمعان بن ظريفة من قرية المنيطرة الى العاقورة بسبب ظلمهم . وبالقرب من المنيطرة الى نهر ابراهيم بارض افقا كان الحنفاء من قديم الزمان قد بنوا هيكلاً للاصنام يرتـكبون عنده كل فاحشة . واخبر اوسابيُس القيصري ان قسطنطين الملك الكبير امر بهدمهِ واقام مكانه كنيسة على اسم السيدة (١)

سنة١٤٨٧ (٨٩٣هـ) وقع الشقاق في جبل لبنان بسبب المقدم عبد المنعم ايوب. وتحرير ذلك ان المقدم المذكور كان في دولة عمه المقدم رزق الله تعلم القراءة عند قسيس يعقوبي .فلما توفي عمه وتولى القدمية مكانه اخذ يتردد اليهِ موسى بن عطية الذي كان على مذهب الطبيعة الواحدة . ومن حيث انهُ كان عارفاً بضعف ديانة المقدم ارسل اليهِ بعض هدايا مع قسوس من اليعاقبة في مناسبة عرسهِ . فاحبهم وبنى لهم كنيسة قرب داره على اسم برصوما . وفي تلك الايام جاء من القدس الشريف القس نوح البقوفاوي واقام بالفريديس في ارض بان . واستمال الى مذهبه بعضاً من الجهلة في الامور الدينية مثل عيسى وابن شعبان من قرية حردين وموسى واخيه حنا وولدي ابرهيم بن الحاج موسى البقوفاوي وسمْيا وابنه جرجس من لحفد وموسى من قرية موسى وغيرهم ورهّبهم وجعلهم قسوساً على يد معلمهِ ديوسقورس اسقف بيت المقدس . واخذوا يرسمون اشارة الصليب باصبع واحدة ولا يذكرون في شملاية الآباء الا ثلاثة مجامع . ولما انتهى خبرهم الى البطريرك بطرس ارسل لهم كهنة ورؤساء كهنة ينهونهم

---

(١) راجع مختصر تاريخ لبنان في تاريخ قلعة فقرا التي فوق مزرعة كفرذبيان في اعلى كسروان

عما هم بهِ . فحموا جانبهم بالمقدم الضالّ والغرباء الذين قدموا من صفد ونابلس والحبشة وكثر الشقاق في جميع الجهات حتى ان المقدم المذكور تهـدّد من يتعرض لهم بالنفي من بلاده واستلاب قنيتهِ

سنة ١٤٨٨ (٨٩٤هـ) كان تشتيت اليعاقبة من جبة بشرّاي لان الاسقف يعقوب واكابر اهدن كانوا قد انذروا القس يعقوب والاحباش المقيمين بدير القديس يعقوب دفعات كثيرة لكي يحسنوا ديانتهم . ولكن هولاء لم يمتثلوا بل اقاموا عليهم القس ابرهيم بن حبلُص اسقفًا . واذ لم يطيقوا ولايته عليهم رحلوا من هناك لوادي حدشيت تحت حماية الشدياق جرجس بن الحـاج حسن . وسكنوا في دير القديس جرجس الذي سمي دير الاحباش نسبـة اليهم . فشقّ امرهم على الشدياق جرجس الذي كان شيخ حدشيت وعلى المقدم عبد المنعم الذي كان يتدبر برأيه . ولمَّا لم يكن لهما مقدرة على مناوأة اهل اهدن استمدوا النجدة من اولاد زعزوع مقدّمي بشناتا . فجمع هؤلاء رجال الضنيـة وقصدوا اهدن صباح الاحد . ولما وصل خبرهم الى اهل اهدن وضعوا لهم كمينًا في حمينا وعندما نزل اهل الضنّية من الجبل وثب عليهم الكمين فاهلكوهم في مرجة تولا . فلما عرف اليعاقبة بذلك وقع في قلوبهم الخوف وتفرقوا . ففرَّ بعضهم الى حردين وآخرون الى كفر حورا واخرون سافروا بحرًا الى قبرص . اما القس يعقوب ورفقاؤه فرحلوا الى دير مار موسى في البرية

سنة ١٤٨٩ (٨٩٥ هـ) كانت وفاة الاسقف حزقيال ونُصب الاسقف يوسف على رئاسة كهنة بشرّاي . وكان القس ابراهيم في دير قنوبين حسن الخط محمود السيرة

سنة ١٤٩١ (٨٩٧ هـ) كانت وفاة الخوري جرجس الاهدني رئيس دير مار اطونيُس قزحيا . وكان رجلاً فاضلاً كثير الورع ونسخ الكتب السريانية الكنائسيـة فخلفهُ تلميذه القس يونان بن القس موسى المتريتي فانتقل من دير مار يعقوب بجانب متريت الى دير قزحيا

سنة١٤٩٢ (٨٩٨هـ) في ١٢ تشرين الاول استأثرت رحمة الله بالبطريرك بطرس ابن حسَّان. وفي اليوم التاسع لوفاتهِ رقي الكرسي الانطاكي ابن اخيهِ البطريرك شمعون وهو ابن داود بن يوسف بن حسان الحدثي. وهو الثالث من البطاركة في دير قنوبين . وكانت مدة رئاسة البطريرك بطرس ٣٤ سنة و ٧ اشهر و ٢٥ يوماً

سنة١٤٩٣ (٨٩٩هـ) كانت عودة القس يوحنا الماروني وجبرائيل بن القلاعي من بلاد النصارى. وكان كلاهما قد ترهبا في رهبانية القديس فرنسيس وتأدبا بالعلوم ومهرا فيها. اما القس يوحنا فقصد القدس الشريف فغرق في البحر قبل وصولهِ. واما القس جبرائيل فاخذ يخاصم بالقول والكتابة المقدم عبد المنعم واشياعهُ

سنة١٤٩٤ (٩٠٠هـ) اظهر ابن القلاعي كتاباً قرّر فيهِ دوام اتحاد الأمة المارونية بالكنيسة الرومانية منذ القديم ردًّا على من زعم ان الموارنة هم فرقة من اليعاقبة. وسمى الكتاب المذكور مارون الطوباوي. وانفذه الى حضرة البطريرك سمعان ومطارنته وارباب ديوانه وهم الاسقف جرجس صدقني من مزرعة الحدث وابرهيم بن حبلص ويوسف البشرّاني وداود الحدشيتي ويوحنا الملقب بالافرنجي وتادروس العنتاري ويوسف القبرسي من الكيزفانة مع بقية رؤساء وعلماء الطائفة لينظروا فيهِ وينادوا بهِ امام المخالفين

سنة١٤٩٥ (٩٠١هـ) كانت وفاة المقدم عبد المنعم ايوب بن جمال الدين بن سيفا البشرّاني الذي تقدم الكلام عنهُ انهُ عدل عن امانة ابويهِ. فتولىَّ المقدّمية بعده ولده جمال الدين يوسف وكان مستقيم الديانة وكان اسم زوجته بكتبيَّة وهي التي اصلحت كنيسة مار حوشب في بقاع كفرا عندما خربت حنتَّيها (١)

وفيها بنى القس بركات البقوفاني محبسة مار ميخائيل بقرب قزحيا. وكانت سابقاً مراحاً للمعزى فانفرد بها الى نهاية حياتهِ الطاهرة

---

(١) راجع مختصر تاريخ لبنان في تاريخ ولاة بشراي

وفي سنة ١٤٩٦ (٩٠٢ هـ) أُقيم جبرائيل بن القلاعي قسيساً افرنجيًا وسكن في دير الصليب في اقفسية قبرس

وفي نحو سنة ١٤٩٧ (٩٠٣ هـ) دخل القس سمعان بن الحاج يوحنا من بهران الى دير ماما ودميانُس وجدَّده بعد ان كان قد دثر . وكان ذلك برضى الخوري ابرهيم ابن عربية وابن اخيه والقس وهبه وجميع قرية البنهرانيين

وفي سنة ١٤٩٨ (٩٠٤ هـ) كان الوباء العظيم في بيروت وتوفي خلق كثير

وفي سنة ١٥٠٠ (٩٠٦ هـ) كانت وفاة الاسقف تادروس الذي كان مقيماً بدير سيدة عين طورين . وذلك نهار الثلاثاء في التاسع والعشرين من شهر آذار فتولَّى الدير مكانه تلميذه القس وهبة الراهب

وفي سنة ١٥٠٣ (٩٠٩ هـ) جاء سيلٌ عظيم ومطر عمَّ الاقطار واستمرَّ نحو ٢٧ يوماً . ومن ذلك خمسة ايام بلياليها لم يُرَ فيها شمس ولا قمر . وزادت الانهار زيادة عظيمة حتى اخذ نهر بردى في دمشق عددًا كثيرًا من البيوت والدواب والحوانيت والنهر العاصي في حماة خرَّب كثيرًا من النواعير والبساتين . ونهر الليطاني في البقاع اهلك كثيرًا من الدواب وذهب بجسر القرعون الذي كان مرتفع البناء من الحجر المتين . ونهر صيدا المعروف بالفراديس ذهب بكثير من الاشجار وخرَّب ما عليهِ من الجسور والاخشاب . ونهر الصفا ارتفع فوق الجسر ما ينيف على قامة انسان . ونهر الكلب هدم الجسر الذي عملهُ الملوك الاوائل وهاج البحر هياجاً عظيماً حتى تجاوز الميناء في بيروت . ونهر طرابلس خرَّب الحوانيت ومساكن كثيرة (١)

وفي هذه السنة وقع ايضاً الوباء . وفيها جهز الامير ناصر الدين بن حنش مقدم البقاع خمسة آلاف مقاتل على عبد الساتر بن بشاره في قرية شيحين . وكان مطر عظيم فقتل من جماعة ابن حنش نحو مائتين

في سنة ١٥٠٥ (٩١١هـ) جهز نائب الشام العساكر مع جوان بك الافرنجي

(١) راجع نفس هذا الخبر في التاريخ الاكبر في تاريخ السنة المذكورة

الدوادار الى البقاع فقُتل الداوادار وقتل معهُ ثلاثمائة نفر (١) . ثم جمع النائب العساكر وقصد التوجه بنفسهِ الى البقاع فمات قبل خروجهِ من دمشق. ودخل على نيابة دمشق سيباي الاشرفي (وفي نسخة الاشرف) وبعد قليل قبض على الامير فخر الدين عثمان بن معن من اعمال صيدا

وفي سنة ١٥٠٧ (٩١٣ هـ) في السادس من شهر تموز حدث سيلٌ عظيم في الشوف حتى خرَّب نهر الصفا الذي بين صيدا وبيروت جميع ما على جوانبهِ من الطواحين . قيل انهُ لم يعهد سيلٌ مثلهُ في ايام الشتاء. وفيها كانت وفاة الاسقف يوسف من اكيزفانة في قبرس فتولَّى بعده كرسي اقفسية الاسقف جبرائيل بن القلاعي فاقام اولاً بالمدينة في دير القديس نهرا والقديس انطونيُس كرسي الموارنة. ثم انتقل الى دير القديس جرجس طالا وساس رعيته احسن سياسة

وفي سنة ١٥١٠ (٩١٦هـ) اشتد الجور والعسف في البلاد فهجر اكثر الناس مواطنهم وتغرَّبوا الى البلدان البعيدة. واخبر القس الياس من معاد انهُ رحل من بلاد جبيل وحدها الى جزيرة قبرس ١٢٠ نفساً في مركب واحد. وكان في جملتهم الخوري يوحنا ابن الرَّطيميَّة من ترتج مع اولاده واهلهِ وكان المذكور رجلًا فاضلًا وسندًا قويًّا للطائفة في نسخ الكتب البيعية وتعليم الاولاد وحسن الرأي. وكان الروم يسمونه كروكليا بسبب الفوطة الزرقاء التي يلبسها على رأسهِ. ووقعت لـهُ معهم مجادلات كثيرة في امر الدين. ولما استأثرت بهِ رحمة الله ترك ولدين هما القس يوسف والشماس الياس. فاشتهر هذان بنساخة الكتب الكنائسية واعمال التقوى وانضمَّ اليهما الخوري لوقا بن بطرس من قريتهما وانشأ كنيسة شريفة في قرية كليبيني على اسم لوقا الانجيلي. وكذلك الخوري زكريَّا بنى كنيسة لمار ماما في قرية مطوشي. وانتقل للحاج

---

(١) وكانت الواقعة بينهم وبين الامير فخر الدين بن عثمان بن معن امير الشوف من اعمال صيدا (عن الغرر في تاريخ سنة ٩١٠هـ)

ميخائيل اخو الاسقف جبرائيل بن القلاعي من قرية لحفد الى قرية طالا وزاد على كنيسة السيدة قسماً آخر على اسم مار عبدا

وفي هذه السنة كان ضيق عظيم في جزيرة قبرس بسبب الجراد وكثرة الضرائب التي فرضها الحكام على الرعية . ولذلك اضطرَّ كثير من الذين هاجروا الى قبرس ان يرجعوا الى بلاد الشام . ولما علم البطريرك شمعون بذلك كتب الى البابا لاون فكتب البابا الى يوزدس امير البندقية ان يرفع المظالم عن الموارنة رعاياه ففعل

وفي سنة ١٥١٣ (٩١٩ هـ) توفي يعقوب مطران اهدن من بيت الرئيس بعد ان قضى في المطرنية خمسين سنة . فاقيم مكانه قرياقس من بيت حبلص وكان رجلاً مقداماً حسن الرأي والتدبير . فعُني بنسخ كتب البيعة مع الحبيس جبرائيل الاهدني . وفيها ارسل البطريرك شمعون القس بطرس الى الاب بطرس الفلورنسي رئيس رهبان القديس فرنسيس في بيروت بسبب طلب التثبيت . فارسلهُ الرئيس المذكور الى البابا لاون العاشر واصحبهُ برسالة يُثني فيها على صحة اعتقاد الموارنة وطاعتهم لكنيسة رومية ويخبره فيها عما يقاسون من ظلم غير المؤمنين بالصبر الجميل . ويعلمهُ بان بطريركهم يطلب التثبيت من قداسته على كرسي انطاكية . ولما وصل القس بطرس الى رومية وعرض الرسالة على البابا فرح فرحاً عظيماً بدوام اتحاد الموارنة مع الكنيسة الرومانية وارسل اليهِ الكتابات التي أُنفذت الى البطاركة الذين سلفوه . وكتب لهُ كتاباً يستفهمهُ فيهِ عن كيفية اقامة البطريرك الجديد وامانة طائفته والثياب التي تلبسها الكهنة في خدمة الاسرار وعن رُتبتهم في الصلاة وتقديس الميرون وغيره . وعندها رجع القس بطرس الى قنوبين وسلم البطريرك كتاب البابا

وفي سنة ١٥١٤ (٩٢٠ هـ) في الثامن من شهر آذار ارسل البطريرك شمعون القس بطرس ثانية الى رومية برسالة مطوَّلة الى قداسة البابا لاون بيَّن لهُ فيها اولاً : اعتقاده واعتقاد البطاركة الذين تقدموه على كرسي انطاكية . ثانياً كيفيَّة تقديس الميرون على الطريقة القديمة . ثالثاً نوعية اجتماع الشعب لانتخاب البطريرك الجديد .

رابعاً رتبة الصلاة . خامساً الثياب التي تستعملها الكهنة في خدمة الاسرار . سادساً ان جميع الذين تقدّموه كانوا خاضعين وطائعين لصاحب الكرسي الروماني مع جميع الشعب الذي تحت رئاستهم . سابعاً طلب منــهُ سجل التثبيت مع حلّة كاملة بصليب وخاتم واغطية للمذبح واربعة دروع للشمامسة على شبه التي ارسلها سالفهُ زخيــا الثالث واوجان الرابع . ثامناً يسأله ان يمنع مطارنة الافرنج في قبرس من التعدي على دير مار يوحنا وسائر اوقاف الموارنة في تلك الجزيرة . تاسعاً ان يواصل عنايتهُ بالامة المارونية وان يتعهدهم المرة بعد المرة بارسال معتمدين من قبله ليداوموا الاتحاد بكنيسة رومية . عاشراً ان يوصي حكام قــبرس بالرأفة على المسيحيين الذين يهربون من جور الغير المؤمنين ليستظلوا بحمايتهم وان يُنعم عليهِ وعلى شعبهِ بغفران كامل . واخيراً ان يرسل كتابة الى المقدم الياس بن يوسف البشراني يحثهُ فيها على ان يكون غيوراً على جماعته اهالي لبنان . ثم بعث مع سفيره ايضاً ست كتابات كان قد ارسلها سابقاً باباوات رومية الى اسلافهِ بطاركة انطاكية . اي الكتابة التي ارسلها البابا زخيا الثالث الى البطريرك ارميا في سنة ١٢١٥ . ومكتوب اسكندر الرابع الى البطريرك شمعون في سنة ١٢٥٦ . ومكتوب اوجان الرابع الى البطريرك يوحنا الجاجي في سنة ١٤٣٩ . ومكتوب نقولا الخامس الى البطريرك يعقوب الحدثي في سنـــة ١٤٤٧ . ومكتوب كالسطس الثالث الى يعقوب المذكور في سنة ١٤٥٥ . ومكتوب بولس الثاني الى البطريرك بطرس بن حسَّان الحدثي في سنة ١٤٦٤ . ثم ان الاب فرنسيس سوريانُس الذي كان سابقاً رئيس دير القــدس الشريف ارسل كتابة الى البابا لاون في شأن تثبيت البطريرك شمعون اذ شهد كما صرَّح البابا المذكور في رسالتهِ الى البطريرك سنة ١٥١٥ ان البطريرك وامَّة الموارنة باسرها متمسكون اشد التمسك بالامانة الارثوذكسية . وانهم يكرمون كنيسة رومية المقدسة غاية التكريم ولم يختلفوا عنها فيما يتعلق بخلاص النفوس الَّا ببعض عوائد تعمّ كهنــة الشرق قد حللها لهم الكرسي الروماني على يد غريفون الراهب

وفي سنة ١٥١٥ (٩٢١ هـ) وصل قاصد البطريرك الي رومية وقدَّم الكتابات المذكورة مع رسالتَي البطريرك شمعون والاب فرنسيس سوريانس . فلما وقف عليها قداسة البابا وتحقق امانة البطريرك وسائر الأمّة المارونية واطّلع على عوائدهم وسلوكهم المستقيم واحتمالهم للمظالم بصبر جزيل كتب اليهِ رسالة مسهبة ملخصها : انه امتلأ فرحًا وسرورًا ورفع التسابيح والشكر للحق سبحانه لانهُ صان عبيده المؤمنين من ضلال الكنائس الشرقية وبدعهنَّ وجعلهم كالورد بين الاشواك وحفظهم متمسكين من غير عيب بامانة الكنيسة الجامعة المقدسة الرومانية ومتشبثين بعوائدها مع ما يلحقهم من المظالم والخسائر والاضطهادات من اهل البدع والانشقاق وغير المؤمنين وقوّاهم على الصبر على المكاره في حب الله . وفي اول آب من شهور هذه السنة ارسل لهُ مع القس بطرس درع البطريركية مع العدد والحُلل التي طلبها وثبتهُ على الامة المارونية فيما يخص الامور الروحية والجسدية . وامرهُ ان لايستعمل في تقديس الميرون الّا زيت الزيتون والبلسم كما تسلّمت الكنيسة الرومانية من الرسل الاطهار وبحسب العهد الذي تعهد به سابقًا البطريرك ارميا وجميع الطائفة . وانهى اليهِ ايضًا ان يقدس الميرون كل سنة ويثبت به المعمّدين عند كمال اسنانهم واوصاه ان يقرّ بانبثاق الروح القدس وان يتقدّم المؤمنون لتناول القربان المقدس قلما يكون مرّة واحدة في عيد القيامة . اما بقية الامور التي طلبها منهُ فجاوبه عليها برسالة كتبت في اول شهر ايلول يُعلمهُ بها انه ارسل كتابة الى ليوناردوس لوردان امير البندقية حثهُ فيها على ان يرأف بالموارنة الساكنين في قبرس . وكتابة اخرى الي المقدّم الياس الماروني لكي يكون غيورًا على شؤون البيعة ومنتبهًا الى سياسة طائفتهِ . وكتابة ثالثةً الى مطران افقسية نهاه فيها عن التعرّض لاوقاف دير ماريوحنا وسائر اوقاف الطائفة المارونية . وكتابتين أُخريين احداهما للبطريرك والاخرى لعموم الشعب في ان تكون كنيسة مار يوحنا التي بارض افقسية وسائر اوقاف الطائفة المارونية في جزيرة قبرس تحت تدبير البطريرك . وتوعد من يخالف ذلك بالحرم القاطع ايًّا كان . وارسل ايضًا

كتابة الي الاب فرنسيس من القوة والى الاب فرنسيس سوريانُس في ان يترددا على البطريرك شمعون وطائفته ويرشداهم فيما يتعلق بامور الايمان اذا دعت الضرورة . . . . ومنح غفرانًا كاملًا ابديًا لكل من يزور كنيسة الكرسي الانطاكي في الاعياد الربانية وفي انتقال السيدة وميلاد يوحنا المعمدان وعيد القديس بطرس وبولس وعيد ارتفاع الصليب بشرط ان يعترف ويتناول ويتبرَّع بصدقة لكنيسة الكرسي . وفوّض معلمي الاعتراف ان يحلّوا التائبين من جميع الخطايا ولو محفوظة للرؤساء وان يبدّلوا النذور باعمال أُخرى صالحة ما خلا نذر العفة والرهبانية . وامر ان يكون هذا الغفران مخلّدًا لكي يستطيع المؤمنون ان يعاونوا كنيسة الكرسي ويتجلدوا على المصائب بالصبر الجزيل . ولما انتهت هذه الرسالة مع الحلل ودرع الرئاسة الى البطريرك شمعون اسدى الشكر لله لانه لم يحرم عبيده من تسلية رحمته

وفي هذه السنة لما اكمل الاب فرنسيس من القوة ايام رئاسته في مدينة بيروت وهمَّ بالرجوع الى بلاده قدم الى زيارة السيد البطريرك واقام عنده اياماً . وفي ١٤ من شهر شباط سافر الى رومية فارسل معهُ البطريرك الخوري يوسف مع راهبين ليتعلما اللغة اللاتينية ويدرسا تعليم الآباء الاطهار . وعند وصولهم الى رومية كان البابا عاقدًا مجمعًا كبيرًا في كنيسة القديس يوحنا لاتران فقابلهم بغاية المجاملة والاعزاز وامر بان تقرأ رسائل البطريرك باللاتيني والعربي على مسمع الجميع (١) وان ينزل قصّاد الكرسي الانطاكي عند الكردينال سنتاكروس في كنيسة القديس اغسطين . ثم ان الخوري يوسف استأذن الكردينال المذكور ان يقيم القداس بالسرياني فامر الكردينال بمراجعة كتاب القداس . ولما لم يكن احد في بلاد الغرب الى هذا الاوان يفهم اللغة السريانية والعبرانية اخذ تاسيوس امبروسيوس وكان رجلًا ذا همة وغيرة جزيلة يدرس اللغة السريانية على قصّاد الكرسي . والعبرانية على

(١) دُوّنت هذه الرسائل في الجلسة الحادية عشرة من اعمال المجمع المذكور (الدرّ المنظوم ص ١٥٥)

رجل يهودي ماهر . ومن ذلك الزمن جرى تدريس اللغة السريانية في بلاد الغرب

وفي هذه السنة جرى وقعة بين الغوري والصوفي اعني بين ملك مصر الاشرف قانصو وبين السلطان سليم بن عثمان ملك قسطنطينية وبلاد الروم عند مرج دابق بالقرب من حلب . وكان السبب في ذلك ان السلطان سليم ابن السلطان بايزيد من حين جلوسهِ على تخت الملك لم يكفّ عن قتال اسماعيل شاه ملك العجم حتى دخل بعساكره الى تبريز وملكها وكسر عساكر قزل باشا وانهزم من قدامهِ اسماعيل شاه . وكان بين اسماعيل شاه وبين الغوري ملك مصر محبة ومراسلة . ولما وقعت الحرب بين ابن عثمان والشاه ارسل الشاه يستشير الغوري في امره . فكان جوابه ان يتقدَّم باحراق جرن الحبّ والشعير من امام عساكره ويرسل قوماً يمنعون القوافل التي اعدها السلطان سليم عن الوصول اليهِ بالمؤن والعليق . فانقاد اسماعيل شاه الى هذه المشورة . ولما فُتحت تبريز بيع رغيف الخبز بعشرة دراهم . فسأل السلطان سليم عن تأخر الميرة فقيل لهُ ان السبب في ذلك الغوري سلطان مصر فصمم العزم حينئذٍ على قتالهِ وازالة الجراكسة عن مصر (١)

وفي هذه السنة اجتمع عسكر الروم وعسكر الجراكسة في مرج دابق وكانت الوحشة بين ملك مصر وبين خير بك والغزالي قائدي جيشهِ لانهما كتبا الى السلطان سليم لكي يدخلا في خاطرهِ . فوعدهما ان يولّي احدهما على مصر والآخر على الشام (٢)

ولما شعر الغوري بخيانة نائبيه امرهما ان يتقدَّما الى قتال السلطان سليم اول

(١) ويروى في كتاب الغرر : فلما كانت الحرب بين ابن عثمان والشاه امدَّه الغوري بالاسعاف وارسل فمنع القوافل عن الوصول الى عساكر السلطان سليم وقد قلّ الزاد حتى بيع رغيف الخبز بعشرة دراهم فلما انتصر السلطان حوّل العساكر الى قتال ملك مصر

(٢) وفي رواية الغرر: وكان في ذلك الوقت خير بك نائب حلب والغزالي نائب دمشق وكتب اليهما السلطان سليم انهما اذا نصراه على الجراكسة يوليهما الايالات المصريَّة والشامية

الجميع ليعجل بذلك منيتهما. فلما اضطرمت النار بين العسكرين فرَّ خير بك بن معهُ من الميمنة والغزالي بن معهُ من الميسرة الى ناحية السلطان سليم . فبقي الغوري في القلب . وقُتل سيباي نائب دمشق مع نائب طرابلس ونائب صفد وكُسر عسكره من غير حرب كسرة عظيمة . فلما نظر الغوري خداع نائبيهِ أُغمي عليهِ ومات من غير قتال ولا جراح (١) وغنم السلطان سليم جميع الخيل والامتعة . ثم صار الى مدينة حلب فأمَّن اهلها ودخل القلعة ونصب راياتهِ عليها . . . واقام بحلب اياماً كثيرة حتى مهَّد الملك واجرى الاحكام العادلة . ثم استولى على حماة وحمص وسار بالجيش الى دمشق فخرج اهلها الى لقائهِ وطلبوا منهُ الامان . فاجابهم الى ذلك بعد ان استولى على حصونها ومهد امورها وامر بعمارة الاكسير الاكبر وحبس عليهِ الاوقاف . ثم ارتحل بالجيش الى بلاد مصر . فلما وصل الى بلاد غزَّة عدل بنفر قليل الى زيارة القدس الشريف والخليل ثم عاد الى عسكره

وفي هذه السنة اجتمع الجراكسة بمصر وجعلوا الدوادار طومان باي سلطاناً ولقبوه بالملك الاشرف والقوا اليهِ مقاليد امورهم . فجمع العساكر وخرج الى الريدانية بظاهر مصر ونصب المدافع الكبار لقتال العساكر العثمانية . ولما درى السلطان سليم باستعدادهم مضى بعسكره من وراء الجبل المقطَّم . فقاتلهم السلطان طومان باي مع الجراكسة بشجاعة عظيمة . وجرت بينهم حروب شديدة انجلت عن كسرة المصريين واستئسار السلطان طومان باي . فصُلب عند باب زويلة وفني ايضاً من عسكر الروم خلق لا يحصى . وقتل الوزير الاكبر سنان باشا فاسف عليهِ السلطان سليم شديد الاسف . وفي طومان باي انقرضت دولة الترك التي كان بدوُّها سنة ١٢٤٨ من الملك المعزّ عزّ الدين ايبك . وجملتهم تسعة واربعون سلطاناً . وقال آخرون انهم خمسون لانهم يعدّون الاشرف قانصو تمام الخمسين مع انه لم يستولِ على القلعة .

---

(١) ويُروى : ضرب نفسهُ بخنجر وقُتل . وقيل ان واحداً من العسكر قتلهُ عند وقوع الكسرة (عن الغرر الحسان)

والبعض يعــدُّون شجرة الدرّ جارية الملك الصالح مع انها ملكت ثلاث شهور ثم خلعت نفسها

وفي هذه الحروب جرى ظلم شديد على الخلق وجُبي الخراج مرتين وكان الغلاء عظيمًا في جميع الارض . . . واما السلطان سليم فملك مصر وامر ببنيان كوشك في الروضة (و يروى : وامر ببنيان القصر المشرف على شاطىء النيل) مُشرف على بحر النيــل فضبط خراج مصر ودبر امورها . وامَّن الجراكسة وجعلهم امراءها . وولّى الامير خير بك الديار المصرية كما كان وعده في مرج دابق واستناب الغزّالي على الديار الشامية

وفي ولاية السلطان سليم الديار المصرية والشاميــة ركدت زعازع الحروب وخمدت الفتن بين الامراء . وكتب الى امراء البلدان بالامان والحضور فحضر اليــهِ الامير قرقماز بن يونس بن معن (١) والامير جمال الدين اليمني والامــير عساف وغيرهم ما خلا امراء الغرب التنوخية لانهم كانوا من حلفاء الجراكسة . فولى الامير قرقماز بلاد الشوف والامير جمال الدين بلاد الغرب والامير عساف بــلاد كسروان وجبيل وامرهم ان يحسنوا سياسة قومهم ويجـدّوا في عمران بلدانهم . ولوفرة حلمهِ رتَّب عليهم مالاً يسيرًا وجعل على بلاد كسروان سبعمائة سلطانيّ لا غير . وكان مقدار السلطاني ثُلثي القرش الاسدي واعطاهم بذلك خطًّا شريفًا . ولما عمرت البــلاد

---

(١) روى صاحب الغرر: ولما حضر الامراء امام السلطان مع خير بك والغزالي تقدَّم الامير فخر الدين بن معن فقبَّل الارض ودعا للسلطان هذا الدعاء : اللهمَّ ادم من اخترته لملكك وجعلتهُ خليفة عهدك . وسلَّطتهُ على عبادك وارضك . وقلدته سنتك وفرضك . ناصر الشريعة النيّرة الغرّاء . وقائد الأمة الطاهرة الظاهرة . سيدنا وولي نعمتنا امير المؤمنين الامام العادل والزكي الفاضل . الذي بيده ازمة الامر بادنشاه ادام الله بقاه . وفي العزّ الدائم ابقاه وخلد في الدنيا مجده ونعماه . ورفع الى القيامة طالع سعده . وبلغهُ مأمولهُ وقصده . . . اللهمَّ آمين

ولما انتهى الامير فخر الدين من ذلك الدعاء قرَّبهُ السلطان اليهِ واحبهُ وقال: مثل هذا حقيق بان يُدعى سلطان البرّ وكان كل من تولى الاحكام في ذلك العصر يُدعى سلطانًا . اه

قدم اليها الناس من كل جانب وجاء المتاولة من جهة بعلبك وسكنوا في فاريًّا وحراجل وبقعاتا . وقدم السنيّة من البقاع واستوطنوا فتقا وساحل علما وفيترون وقيع والجديدة . وجاء الدروز من المتن والجرد وسكنوا في برمانا ومزارع كسروان . وكذلك رجع النصارى النازحون من بلاد طرابلس . فان اهالي المجدل توجهوا الى عرمون واهالي يانوح ذهبوا الى كفور الفتوح . والشيخ حبيش ابن موسى بن عبد الله مخائيل انتقل بعياله من يانوح الى غزير . واما الامير عساف فكان يقيم اولاً في بلاد كسروان عند عين شقيق وكان ينزل في الشتاء في عين طورا وكانت جماعتهُ متفرقةً في الازواق على ساحل البحر . فلما شملهُ العفو من السلطان سليم انتقل الى قرية غزير وجعل بها سكناه وكان لهُ ثلاثة بنين وهم حسن وحسين وقايتبيه (١)

وفي سنة ١٥١٦ (٩٢٢هـ) انتقل الى رحمة ربهِ الاسقف جبرائيل بن القلاعي من قرية لحفد . كان المذكور على جانب عظيم من القداسة والعلم والغيرة . . . ولهُ مصنفات كثيرة منها : كتاب الناموس الكنائسي . وكتاب في المواعظ وكتاب في الاعتراف وكتاب في رئاسة بابوات رومية واخبارهم . وكتاب في تاريخ ملوكها وكتاب في اعتقاد الموارنة واتحادهم مع كنيسة رومية . وكتاب في علم الالهيات وكتاب في الايمان المستقيم واسرار حياة المسيح . ولهُ نحو خمسمائة رسالة كتبها لبني امتهِ لاجل الثبات على ايمان القديس مارون والكنيسة المارونية . وصنف من الزَجَل جملة مدائح في سر الثالوث الاقدس والتجسد الالهي وحياة السيد المسيح وامهِ الطاهرة واقفةً عند الصليب وفي طبيعتي الرب ومشيئتيهِ وعلم الايمان وانبثاق روح القدس من الآب والابن . ولهُ ايضاً كتب اخرى عن والدة الاله واخبار الرسل وقسطنطين الكبير وبدء النصرانية والمجامع الاربعة والقديس مارون الانطاكي وابراهيم الخليل والقديس نهرا السمراني

---

(١) ويروى قاديَيْه (في الغرر) وقيقباي (اخبار الاعيان) راجع اخبار الاعيان ص ٩٧ و ٢١٥ و ٣٤٦ و ٦٧٥ وطالع ايضاً الغرر الحسان في تاريخ حوادث الزمان سنة ٩٢٢هـ ص ١٢٥ الى ص ١٣٥ من القسم الاول

والقديس جرجس اللدّاوي والقديس سمعان الجبيلي والقديس ريشا الروماني والقديس شينا اللص وبربارة البعلبكيّة وفروسينة الاسكندرية واخبار كسروان وتاريخ الذين سعوا في القاء الزؤان بين الموارنة. وكتاب في اخبار رفيقه فراجوان الماروني وكتاب في الراهبة الخالعة (الشالحة) وكتاب في معرفة الافلاك والابراج والاستقصات. ولهُ ايضاً جملة زجليات في العلوم والنفس والتوبة ووجوه الزواج وغير ذلك سكتنا عن ذكرها. ومما مرّ عليك تفهم زيادة علم الاسقف المشار اليهِ وشدة غيرتهِ. وبعد وفاته اقيم بدلهُ الاسقف مارون

وفي سنة ١٥١٨ (٩٢٤ هـ) كانت وفاة الامير عساف والي بلاد كسروان وجبيل فتولّى مكانه من قبل والي دمشق ابنهُ الامير حسن. وكان كبير اخوتهِ. ثم وقعت الفتنة بين الامير قاتبيه (١) وبين اخوَيه بسبب الولاية. ففرّ الامير قاتبيه الى الشويفات مستنجداً بالامير جمال الدين التنوخي اليمني فسعى لهُ وصالحه مع اخوَيه. ثم نزل الامير حسن واخوه حسين الى بيروت فغدر بهما اخوهما الامير قاتبيه وقتلهما واستحيا الامير منصوراً ابن الامير حسن اخيهِ الى ان يرزق ولداً يخلفهُ. وحينئذٍ ضمن قاتبيه بلاد كسروان وقبض على يوسف واخيهِ سليمان ولدي حبيش ونفاهما الى مصر بسبب انهما كانا خادمي اخوَيه (٢)

وفي سنة ١٥١٩ (٩٢٥ هـ) توفي المقدم عساف البشراني وهو الياس بن جمال الدين يوسف بن عبد المنعم ايوب. ترك ولداً صغيراً اسمهُ يوحنا فتغلب على المقدمية كمال الدين بن عبد الواهب الايطيّ المعروف بابن عجرمة. فتزوج هذا بستَ الملوك بنت الشيخ علوان بن حسام الدين بن قمر البشراني وحظي بمال وافر وبنى برجاً كبيراً في قريتهِ أيطو وتولّى البلاد (٣) مما يلي الشمال

وفيها زحف الجراد على بلاد الشام وارتقى الفاكهة والحبوب وحصل من جراء

---

(١) وفي اخبار الاعيان: قيقباي. وفي الغرر: قاديه

(٢) انظر ايضاً اخبار الاعيان ص ٣٤٦ و٣٤٧ (٣) وفي رواية: حكم نصف البلاد

ذلك غلاء عظيم حتى بلغ ثمن شنبل القمح في بلاد طرابلس مئة دينار وفي بيروت مئة وخمسين . قال حمزة بن احمد بن سباط الغربي في آخر تاريخهِ . انه في هذه السنة ارتفعت الاسعار ارتفاعاً عظيماً خصوصاً اسعار الحرير والقطن والصوف والكتان وجميع اصناف الملبوس . وكذلك الحيوان حتى بيع البغـل بخمسة آلاف او تريد والحمار بالف وخمسمائة ورأس البقر بثلاثة آلاف ورأس المعز والغنم بمئتين وخمسين والدجاجة بثمانيـة عشر درهماً . وغلت ايضاً اسعار الزيت والشحم والحطب والنحاس والحديد والفولاذ . وزادت عن جاري قيمتها وبيعت حجار البنيان كل الف حجر بمئة درهم(١)

وفي سنة ١٥٢٠ (٩٢٧ هـ) كانت رسامة الاسقف جبرائيـل الاهدني ابن اخي المطران قرياقُس بن حبلص . فجعل مقامه في قرية زغرتا

وفيها توفي القس يوحنا رئيس دير مار سمعان الفريديس فجدَّ في بنيان الحابس واتفق مع اهالي قرية بان على ان يدفعوا نصف الديموس الذي يلحق مقاصب دير الفريديس وكان ذلك بحضور المطران قرياقُس والمطران الياس والحبيس يونان

وفي سنة ١٥٢١ (٩٢٨ هـ) بعد ان استأثرت رحمة الله بالبابا لاون في رومية وقام بعده ادريان السادس ارسل اليهِ البطريرك شمعون القس موسي العكاري رئيس دير حوقا والراهب الياس بن زَرْزور الحدثي ونزلا عند الكردينال برزدين سنتا كروس اسقف اسطية . ولما قدَّما لقداسة البابا رسالة البطريرك احسن استقبالهما . وفي جوابه البطريرك بتاريخ ٢٢ تشرين سنة ١٥٢٢ ذكر لهُ انه تأكـد صحة امانتهِ وامانة طائفتهِ لا من رسالته اليـهِ فقط بل من شهادة القصَّاد الذين كان انفذهم البابا لاون . . .

ولمـا رجع قاصدا البطريرك ارسل معهما اربع دروع مزركشة ودرعين حمراوَين محبوكَتين بخيوط الذهب وغفَّارتين مزركشتين احداهما مخمليـة والاخرى قرمزية وبطرشيلين وزندين مزركشين وكتونة بيضاء وتاجاً مرصعاً باللؤلؤ ومقعـداً مخملياً وغطاء مذبح مزركش بتصاوير وغطاء كأس محبوكاً بالذهب وزناراً بشماريخ وخاتماً

(٣) راجع مختصر تاريخ لبنان في اخبار ولاة بشرّاي . واخبار الاعيان ص٢١٥

وصليباً وكأسين وصينيتين من فضة وحديدة للبرشان وعصاً من فضة بخمس قطع في رأسها فضة وبلور مع كتاب ناموس افرنجي

وفي سنة ١٥٢٣ (٩٣٠ هـ) كانت وفاة الامير قاتبيه فقام بعده الامير منصور ابن اخيهِ حسن وامتد حكمهُ الى حدّ عكّار . اما طرابلس فكانت بيد النواب . وفي غياب الدولة كان يضمنها محمد اغا ابن شعيب من اهالي عرقة ومن تحت يده كان يضمن للامير منصور بلاد جبيل والبترون وجبة بشرّاي والكورة والزاوية والضنيَّة . ثم استقدم اليهِ الامير منصور والشيخ يوسف والشيخ سليمان ولدي حبيش واعطى بلاد جبيل للشيخ هاشم العجمي وبنى لابن عمهِ عبد المنعم بن سيفا برجاً كبيراً في غزير وجعلهُ دهقاناً على املاكه . وكان صاحب الوجاهة في العاقورة الشيخ مالك ابن ابي الغيث وكان صاحب همة واقدام ولما صار الى دمشق ولبث بها مدة انتقل متاولة حراجل الى تدمر التي فوق يانوح فعمروها واستوطنوها . فلما انتهى ذلك الى الشيخ مالك المذكور صار اليهم فطردهم وحمل جميع اثقالهم الى العاقورة (١)

وفي سنة ١٥٢٤ (٩٣١ هـ) في ٢٧ من شهر تموز قُبض في دير قنوبين المطران يعقوب بن عزيز الحدثي . وبعد وفاته باربعة اشهر اعني في ٢٢ من تشرين الثاني توفي المطران جرجس بن صدقني من مزرعة الحدث . وكان رجلاً باراً فاضلاً قضى اجله في قرية اليمونة وهو في زيارة الرعية . وفي يوم وفاتهِ بعد ان اقام القداس الطاهر وصلّى في الكنيسة وقرأ المزامير علم بدنوّ ساعتهِ فجمع الكهنة واخبرهم بامره واوصاهم بالرعية خيراً وامرهم ان يدفنوه في مغارة البارزة مارينة . ثم شرعوا في تجنيزه وهو في صحبتهم جاثٍ نفسه ووضع بخوراً بيده . ولما انتهت الصلاة سلم روحه بيد المولى الكريم وهو ضابط بيده سفر المزامير فحزنت عليهِ الرعية وحملوه ليلاً الى دير قنوبين . وفي ٢٤ من الشهر دفنوه قرب المطران يعقوب . وبعد ذلك بخمسة ايام قضى نحبهُ ايضاً البطريرك شمعون بن داود المعروف بابن حسّان الحدثي . وكان عمره نيفاً ومئة

(١) انظر كتاب الغرر في تاريخ سنة ٩٣٠ واخبار الاعيان ص ٩٧ و٢١٦

وعشرين سنة وكانت مدة رئاسته ٣٢ سنة وشهرًا وستة ايام. وكان صاحب فضل ومكارم وتلقى بالصبر جملة مكاره من المقدم عبد المنعم بسبب ميلهِ الى اليعقوبية. وفي النهار الرابع عشر من وفاة البطريرك شمعون اجتمعت الرعايا واختاروا المطران موسى ولد سعادة العكاري من الباردة وقلدوه رئاسة الكرسي الانطاكي. وكان الخامس من البطاركة بدير قنوبين (١)

وفي سنة ١٥٢٦ (٩٣٣هـ) ارسل البابا اقليميس السابع الاب برزدين ارطون من رهبان القديس فرنسيس الصغار الى بلاد الشرق ليزور من قبلهِ بطريرك الموارنة وامتهُ وجرجس ملك الارمن تمكيناً للاتحاد الذي انعقد في مجمع فلورنسا. واعطاه السلطان المطلق في امر الزواج والحل من جميع الخطايا ومنح الغفارين وعقد المجامع في بلاد الارمن والموارنة

وفيها قدم الجراد من جهة الجنوب وفي شهر نيسان غشَّى جميع الارض ما عدا بلاد بعلبك والجون وارتعى الحبوب والفاكهة. فلما طلع الزحَّاف في وادي حيرونا الى جبة بشرَّاي امر قرياقُس مطران اهدن ان يقيم الكهنة زياح (طواف) الشهداء وان يخرج الشعب في كل يوم ويسدّ عليهِ المعابر. فقتلوا منهُ ما لا يحصى. ثم عجزوا عنهُ لكثرته فحولوا الساقية الى معبر زريق واصطف قبالتهُ نحو من ١٥٠ نفساً فغرق منهُ ما غرق واصطيد الباقي في السلال وخلصت الجبة من اذاه. وعقبه الغلاء الشديد ولبث نحوًا من تسعة اشهر حتى بلغ القمح في طرابلس مئة وخمسين درهمًا والذرة مئة وعشرة وقلَّة الزيت مئتين وقنطار العنب (٢) خمسمائة ورطل الخبز خمسة وعشرين درهمًا واكثر الناس اكلوا الاطعمة الزفرية في مدة الصوم

وفي سنة ١٥٢٧ (٩٣٤هـ) توفي الاسقف يوسف من كفرحورا التي في ناحية

---

(١) راجع الدر المنظوم ص ١٥٦

(٢) وفي مختصر تاريخ لبنان في فصل حوادث الغلاء والجوع: قنطار الحليب وهو سهو من الناسخ

الزاوية . وفيها وجّه البطريرك موسى اطون مطران الشام الى رومية لبذل الطاعة وطلب التثبيت كما هي العادة فوقع في ايدي اللصوص البحرية وسلبوه كل ما معهُ . ثم افتدى نفسهُ ودخل رومية فقابلهُ البابا اقليميس بغاية الكرامة . وانعم عليهِ بكتابة مآلها ان كل من تبرَّع عليهِ بشيء من الصدقة ينال غفران خطاياه من السبعة (١) وفي تلك الكتابة نفسها المؤرخة في الثامن من ايلول سنة ١٥٢٨ اثبت الغفران الكامل الذي كان قد انعم بهِ ابن عمه البابا لاون العاشر على كنيسة الكرسي واعطى البطريرك ملء السلطان ليحل من انكر الدين او تزوَّج بغير مؤمنة اذا تاب عمَّا فرَّط واتمَّ القانون المفروض عليهِ

وفي نحو سنة ١٥٢٨ (٩٣٥ هـ) وقع القتال بين اولاد شعيب سكان عِرقة وبين اولاد سيفا امراء التركمان . وكان الشعيبية قد افرطوا في الجور حتى خرج السيفلية من بلاد عكار وقدموا الى الباروك تحت حماية الامير قرقماز بن معن . فانتصر لهم الامير منصور السيفلي ووجّه معهم ثلاثمائة رجل من الشوف كبسوا الشعيبية وقتلوهم وتولّوا حكومة بلاد عكار . فحنق محمد اغا ابن شعيب والي طرابلس على الامير منصور وارسل اليهِ يطلب منهُ مالاً فوجه اليهِ عبد المنعم مع ولدي حبيش ونحو خمسمائة مقاتل تكمن عند حارة الحصارنة (٢) . ولما دخل عبد المنعم وابني حبيش لاجراء المحاسبة مع محمد اغا في جامع طيلان بحضور القاضي وثبوا عليهِ وقتلوه مع ابنهِ واصلحوا امورهم مع القاضي حتى افتى لهم انهم ابرياء (٣)

وفي سنة ١٥٢٩ (٩٣٦ هـ) كانت وفاة اطون مطران الشام وقام مكانه المطران جرجس الاهدني . وفيها رحل الاسقف سركيس بن نجيم الى قبرس . قيل انه

---

(١) كذا في الاصل : ولعل الصواب من الخطايا السبع

(٢) وفي رواية الغرر : عند حارة النصارى

(٣) اقرأ اخبار الاعيان ص ٩٧ و٢١٦ و٣٤٧ و٣٤٩ . وكتاب الغرر في تاريخ السنة المذكورة

سافر اليها لتهمة اتُّهمهُ بها باطلًا اهل قريتهِ بكركي التي فوق جونية . فرشقهم بالحرم وسكن في قبرس . وبسبب ذلك خربة بكركي . وكانت من قبل قرية جامعة واهلها اصحاب اسفار

وفي سنة ١٥٣٠ (٩٣٧ هـ) كانت وفاة المطران ايليا الحدثي فخلفهُ المطران تادروس وكان ايضاً من الحدث واحد موازري البطريرك موسى في شؤون الكرسي وامور دير قنوبين . وفيها انفذ البطريرك موسى رسالةً الى البابا اقليميس على يد شلسوس يوبيلاوس الروماني . ومرة اخرى على يد اسكندر من نابولي بيَّن لهُ فيها خضوع طائفتهِ لكرسي رومية وسألهُ ان ينعم عليهِ بجهاز كامل لخدمة الاسرار الالهية وان يجعل الكردينال سنتا كروس الذي اتزلهُ بداره في رومية وكيلًا للامة المارونية . فلما انتهت الرسالة الى قداسة البابا تلقاها بالفرح الجزيل . وفي ٢٥ من كانون الثاني من السنة التابعة وجّه اليهِ جواباً منطوقه انه قد تهلل لكون العبادة والطهارة تتزايدان يوماً بعد يوم في الشعب الذي أُوتمن عليهِ . وانه اقام الكردينال برزدين سنتا كروس وكيلًا للطائفة المارونية . وانه يرسل اليهِ الجهاز الذي طلبهُ عندما يوجه اليه قاصده بطلب التثبيت

وفي سنة ١٥٣٢ (٩٣٩ هـ) لما جاهر عبد الساتر الكردي (١) والي البترون بالعصيان على الامير منصور بن عساف جهز لهُ اربعين رجلًا فقتلوه وقتلوا اباه . واقام مكانه الامير يوسف بن شخيبان الحصاراتي وصرَّفهُ في بلاد البترون لما رأى من نزاهتهِ وشجاعتهِ . ثم قتل الغادر شيخ جبيل ايضاً وشيَّخ عوضهُ اولاد الجسامي (٢)

وفي سنة ١٥٣٣ (٩٤٠ هـ) عُني القس جرجس بن حِرْواص من قرية عرجس ببناء دير مار اليشاع وتوسيعه . وانفق على ذلك ١٣٧٥٠ درهماً . هذا ما خلا الصدقات التي تبرَّع بها اهل البِرِّ . وكان المقدم حنا عبد منعم مسعفاً لهُ على ذلك . وهكذا الحاجَّة سارة رفيقتهُ في النسك اشتركت معهُ في النفقة على البنيان . وكان

(١) وفي اخبار الاعيان : عبد الستَّار (٢) طالع اخبار الاعيان ص ٢١٦ و ٣٤٧

البنّاء المعلم ابرهيم الحصروني ابن عم الخوري موسى الذي بنى المأذنة في طرابلس عند قبة النصر

وفي سنة ١٥٣٤ (٩٤١) كانت وفاة سمعان مطران طرابلس . فقام بدلهُ الراهب يوسف بن بطرس وجاءه التفويض من البابا بولس الثالث بان يبرح طرابلس لما كان يجري فيها من الخسائر

وبالقرب من هذه السنة كانت الخصومة بين مالك اليمني شيخ العاقورة وبين هاشم العجمي . لان مالك لما كبس جبة المنيطرة واحرقها مرتين اتفق عليهِ اهل الجبة مع قيسية العاقورة ونصبوا لهُ كميناً في طريق الجرد وقتلوه غدرًا . وكان لمالك اخوان حنش وحرفوش . فقدما الى الشام واشتكيا على قتلة اخيهما . فكتب النائب الى الامير منصور ان يرسل اليهِ الغرماء . وكان عبد المنعم قد تقوى ولم يقدر الامير منصور ان يخضعهُ فحرَّشهُ على قتل هاشم ابن عمه فاذعن لهُ . وقتل واحدًا من اولاد عمه ثم خرج بالرجال مع اخوَي مالك في طلب هاشم والغرماء . ففرّ هاشم الى كرك بعلبك واستجار بالامراء الحرافشة فنهبوا لاسا واحرقوها واحرقوا ايضاً بعض ضياع من الجبة فتخوَّف قيسيَّة العاقورة وهربوا الى طرابلس وجيرتها فانتهبت دورهم وأُحرقت واقفرت العاقورة . ولمَّا علم عبد المنعم بان الامير منصور ناوٍ على قتلهِ كاتب الامراء الحرافشة على قتل ابن عمهِ هاشم الذي لجأَ اليهم وتعهد لهم في مقابلة ذلك انهُ يقتل الامير منصور ويُسلمهم المقاطعات التي في يده . فاذعن الحرافشة لهُ وغدروا بهاشم وقتلوه فوق الكرك ورموا جثتهُ في البئر التي تكنى الى اليوم ببئر هاشم . واما برُّو اخو هاشم ففرّ ملتجئاً بالامراء الشهابية . واما عبد المنعم فلكي ينال غرضهُ من الامير منصور اخذ يشنع على اولاد حبيش ويسعى في هلاكهم . ولكنهم فطنوا لحيلتهِ وذهبوا ليلًا الى الامير منصور واخبروه بالمؤامرة التي كانت بين عبد المنعم والحرافشة على قتلهِ . فاذن لهم في اهلاكهِ فكبسوا داره ليلًا . وكانت بقرب سرايا الامير فقتلوه وقتلوا ١١ رجلًا من اولاد عمهِ . عند ذلك اطمأَن خاطر الامير وجعل ابا منصور يوسف واخاه ابا يونس سليمان

ولدي حبيش مدبرين عنده واطلق يدهما في تدبير حكمهِ . واما العاقورة فكانت قد اقفرت كما تقدم القول . وهجرها اليمنية الى الشام . والقيسية الى طرابلس . لكن الشيخ ايوب واخوه فضول ولدا الشماس توما اخذا السكنى عند دير مار ادنا كرسي العاقورة ورُزقا مكانة عند نائب الشام . فابرز لهما امرًا شريفًا وعادا الى قريتهما واسترجعا اهلها بعد ٧ سنين من خرابها واخذا المشيخة عليها (١)

وفي سنة ١٥٣٧ (٩٤٤ هـ) كان مقتل كمال الدين بن عبد الوهاب بن عجرمة مقدم ايطو . وكانت بينهُ وبين عبد المنعم حنا مقدم بشراي خصومة بسبب حكم البلاد . ولمَّا صار الاجتماع ذات يوم عند قرية تُسمى بلوزة سبق ابن عجرمة وجلس عند اصل الجوزة . ثم جاء مقدم بشراي فما لاقاه هذا ولا وقف لهُ . فحنق المقدم عبد المنعم حنا وطعنهُ بالرمح فقتلهُ . ثم دفن في ايطو شرقي كنيسة القديس سركيس (٢)

وفي سنة ١٥٣٨ (٩٤٥ هـ) حاصر الاتراك مدينة لامسون في قبرس فملكوا قلعتها وقُتل من الموارنة القاطنين فيها خلق كثير ونهبت بيوتهم (٣)

وفي سنة ١٥٤٠ (٩٤٧ هـ) وقع الاختلاف بين اهالي عين طورين واهالي بان بسبب دير قزحيا . وكان كل فريق يدعي بان الدير المذكور في ارض قريتهِ . ولما رُفع الامر الى القاضي حكم لاهل عين طورين وقرَّر على الدير المذكور ثلاثمائة درهم خراجًا كل سنة . فقبل بذلك اهالي عين طورين وتعهدوا بهِ . ولهذا السبب عُزل القس يوحنا بن نمرون البالني عن رئاسة الدير وتولاها الخوري يوحنا اللحفدي . ثم ان هـذا الاخير خلع نفسهُ فترأس مكانه الاسقف يوسف الحاجي . وكان رجلًا تقيًا مجتهدًا في نسخ الكتب البيعية

(١) ذكر هذا الخبر في كتاب الغرر الحسان بتاريخ سنة ٩٤٠ للهجرة ص ١٤٦ من المجلد الاول الخطي في مكتبة كلية القديس يوسف ـ راجع ايضًا اخبار الاعيان ص٩٨و٢١٦

(٢) اخبار الاعيان ص ٢١٧ ومختصر تاريخ لبنان في اخبار ولاة بشرّاي

(٣) راجع الدر المنظوم ص١٦٥

وفي سنة ١٥٤١ (٩٤٨هـ) صارت المؤامرة بين المقدم ميخائيل المتولي زوق مكائيل وبين اولاد حنش امراء فتقا على قتل الامير منصور. فساروا اليهِ الى غزير بهذه النية وكان قد اطَّلع على دخيلتهم. فمدَّ لهم سماطاً وقتلهم وهم على الطعام (١)

وفي سنة ١٥٤٢ (٩٤٩هـ) توفي الاب العابد الزاهد الخوري يونان المتريتي رئيس الحبساء. كتب عنهُ تلميذه الحبيس جبرائيل الاهدني انه خدم ربه مدة خمسين سنة بطهارة وعبادة لا مثيل لها. وقبل ان يقضي اجله بمدة اربع سنين اخذ يزيد في تنسكه وتقشفه حتى انه في جمعة الآلام كان يركع اربعة وعشرين الف ركعة الى الارض. وفي سائر ايام الصوم كان يركع حتى يجري عرقه... واما من حيث الرحمة والحنو فلم يكن لهُ مثيل يشبههُ في عصره. ولما اخذ تلميذه الحبيس جبرائيل في كتابة شيء من سيرته صرَّح بعجزه عن ذلك قائلاً: ها اني انا الحقير ارمي القلم من يدي الخاطئة لئلاَّ يقول القارئ كيف ان هذه الشجرة المثمرة اخرجت هذه الثمرة العفصة المرَّة. وشهد ايضاً تلميذه الخوري يوحنا الحفدي. انهُ لما فرغت خابئة الزيت فبقوَّة الله وصلاة معلمهِ امتلأت وطفحت حتى اخذته الحيرة والدهشة واصبح لا يعلم اين هو. فالتفت اليهِ معلمه وقال لهُ: مجد ربنا يسوع المسيح وانظر الى عجائبهِ على يد اقل عبيده. ثم اوصاه ملحًّا ان لا يخبر بذلك احداً قبل وفاته. ولما حضرته المنية ارسل الى البطريرك موسى والمطران قرياقس الاهدني يطلب منهما الحلَّة والبركة. فحضرا اليهِ كلاهما. ثم اسلم الروح بيد الخالق فشاع خبره واجتمعت الرؤساء والاخوة وتقاطر جميع اهل البلاد الى دير قزحيا ليتبركوا من جسمهِ الطاهر. وبعد ان طافوا بهِ بالبكاء والدموع دفنوه في الحبس. ويُقال ان جسده لم يزل محفوظاً الى الآن. وبعد مدة يسيرة من وفاته توفي ايضاً تلميذه الخوري يوحنا الحفدي الذي كان قد شابههُ في برارته وقداسة سيرتـه. خدم معلمه ١٤ سنة وهو يتقلب على اوجاع المرض. وفي اسبوع الآلام كان يركع ٢٦ الف ركعة. وشهـد ان معلمه الحبيس يونان ظهر

(١) راجع كتاب الغرر في تاريخ سنة ٩٤٨ للهجرة. واخبار الاعيان ص ٣٤٨

لهُ بعد موته مواجهةً في اليقظة فسلّاه ودعاه الى الحياة الدائمة

وفي سنة ١٥٤٣ (٩٥٠ هـ) كانت عودة الاب مسعد البندقي رئيس جبل صهيون الى رومية فبعث البطريرك موسي بمعيّته رسالة الى البابا بولس الثالث التمس فيها ان يأمر رئيس الرهبان الصغار فيوجّه لهُ ستة من رهبانهِ ليعلموا الاولاد اصول اللغة اللاتينية . وافهمهُ ان الباباوات لم يرسلوا احدًا الى زيارتهِ من ايام البابا لاون العاشر . كما انهُ هو ايضاً لم يتمكن من ان يرسل احدًا الى رومية بسبب شدّة الظلم والجهل باللغة اللاتينية . فتشكر البابا من حسن نواياه . وارسل لهُ جوابًا ضافيًا منح فيهِ غفرانًا مؤبدًا . وبعث برسالة الى المقدم عبد المنعم حنا البشراوي وبرسالة اخرى الى الرؤساء وسائر الشعب حثّهم فيها على ملازمة الطاعة للكنيسة وقبول المشقات بالفرح للحظوة بالخيرات الموعودة لصانعي البرّ

وفي سنة ١٥٤٤ (٩٥١ هـ) توفي الاسقف يوسف الحاجي رئيس الحبساء فخلفهُ الحبيس جبرائيل بن ستيتة الاهدني رغمًا عنهُ فاقتنى املاكًا كثيرة لدير قزحيا واكمل بناء القبو والدهليز والمجلس والطاحون التي على النهر . ثم همَّ في توسيع الكنيسة التي في داخل الشقيف ولكنهُ استصعب قطع الصخر . فتراءى لهُ معلمهُ الحبيس يونان وامره ان ينشر الصخر من غير خشية وان يقيم ثلاثة مذابح على اسم السيدة واسم مار انطونيوس واسم مار مقاريوس . فاطاع الحبيس واتم العمل في سنة ١٥٤٥ وكان قشف العيش كثيرًا محسنًا لتدبير الاخوة . وكان يركع في الصوم الكبير الف ركعة كل يوم . واما في اسبوع الآلام فلا يعلم عدد ركعاته لانه لم يكن ينقطع عنها من الصبح الى المساء . وكان لا يذوق الماء مطلقًا من بدء الصوم الكبير الى خميس الاسرار . ومع كل هذه الاتعاب لم ينقطع عن نسخ الكتب البيعية حتى امتلأ جبل لبنان من خطهِ الجميل كتبًا . واغنى كنيسة اجداده مار جرجس كرسي اهدن من جميع ما يشتهي القاري لخدمة الله

وفي سنة ١٥٤٥ (٩٥٢ هـ) انتقل اهالي قرية جاج التي في بلاد جبيل الى

بلاد كسروان لما كان فيها من الامان والعدل في ايام الامير منصور . اما الشدياق سركيس بن الخازن (١) فسار الى قرية البوار ونسخ هناك انجيلًا وريش قريان بالخط الكرشوني ثم صعد الى بلونة التي في ارض عجلتون . وذهب اولاد الجميل الى قاطع بكفيا وبيت كميد الى قاطع غزير . وفيها كان بدء المجمع المقدس المسكوني الذي انعقد في مدينة ترنتو ضد البدع التي نشأت في ايالات الغرب . حضره كرلس اغسطس قيصر الذي ارسل حلّة جميلة مزركشة لخدمة الاسرار الى البطريرك موسى العكاري مع جرجس المتطبب بن ابرهيم العاقوري . وهي الى الآن محفوظة في دير الكرسي لان اخبار البطريرك موسى وروائح فضيلته كانت قد انتشرت في العالم كله

سنة ١٥٤٧ (٩٥٤ هـ) كان مقتل عبد المنعم حنا مقدم بشرّاي . وذلك ان ست الملوك بنت الشيخ علوان لكي تأخذ ثار زوجها كمال الدين بن عجرمة مقدم ايطو اتفقت مع الشيخ حمادة ومع الصليبيَّة (وهم نصارى ملكية من عين حلية) لينصبوا لهُ كمينًا خارج البرج . فلما خرج المقدم سحرًا ليصبّح القاضي الذي كان نازلًا تحت الجوزة وثبوا عليهِ وقتلوه ودخل الصليبيَّة الى البرج وقتلوا اولاده . اما اصحاب المقدم فضربوا حمادة بالسيف وعرقبوه . فحملهُ رفاقهُ وهربوا بهِ فلما شاع الخبر في بشرَّاي لحقهم الناس الى محل يعرف بالحرائص فقتلوا حمادة وبعضًا من رفقائهِ . . . وفي مقتل المقدم عبد المنعم انقرضت دولة مقدمي بشرَّاي ابناء سيفا . وانتقلت الى العناحلة ابناء قمر . وذلك ان عزّ الدين العناحلي تزوج في سنة ١٤٣٠ بنت حسام الدين بن ايوب بن قمر مقدّم بشرَّاي فرزق منها حسام الدين وحسام الدين هذا ترك اربعة بنين وهم : موسى ورزق الله وداغر وعاشينا . ولما فرغت سلالة المقدم سيفا اتخذوا هم الولاية على جبة بشراي (٢)

---

(١) هو جدّ المشايخ آل الخازن الذين قدموا الى كسروان وكان لهُ ولدان ابو صقر ابرهيم وابو صافي ربَّاح . وسنذكر فيما يأتي مآثر هذه الاسرة الشريفة بحسب تاريخ وقوعها

(٢) مختصر تاريخ لبنان في اخبار ولاة بشرّاي والتاريخ الاكبر ص ١٥١ مج ١

وفي سنة ١٥٥٠ (٩٥٧هـ) توفي قرياقس مطران اهـدن وكان ذا مكارم واخلاق حسنة ساعد الحبيس جبرائيل على نسخ الكتب البيعية فقام بعده الراهب انطون الحصروني ابن الحاج فرحات (وامه بنت عمّ المطران قرياقس من العائلة الدويهية) ربي عند اخوالهِ في دير مار يعقوب الاحباش وتعلم اللغة السريانية والعربية والتركية. وعندما قدم السلطان سليمان الى مدينة حلب حضر اليهِ في جملة المشتكين الطرابلسيين فانعم عليهِ بخمسة مراسيم سلطانية تسجلت في طرابلس في ايام حسن بك مآلها: ان غلال الزيتون تُقسم تحت شجره فالنصف لصاحبه وربع حق وربع ظلم وان لا يتعرَّض احد للنصارى لا في امور دينهم ولا في امر زواجهم. وان ترَّم الكنائس. وانفذ امرًا همايونيًا الى قاضي طرابلس في ان لا يتعرَّض احد لبطريرك الطائفة المارونية بدير قنوبين في امر من امور البطريركية وان تكون حقوق الطائفة المارونية وكرامتها مرعيـة بوجهٍ خاص. وامر ايضًا ان يعاقب العقاب الشديد كل من تجرَّأ على مخالفة ذلك (١). وكان هذا في اوائل ربيع الاول سنة ٩٥٦ . اما البطريرك موسى فرقاه مكافأة لتعبهِ الى رئاسة الكهنوت على قرية اهدن. ولما كان مطران الملكية قد طمع على رعية الموارنة في بلاد عرقة وعكار واستبـد بمداخيلها سبع سنين حصَّل هو امرًا من القاضي واستبدَّ بمداخيل رعية الملكيـة في تلك الناحية مدة سبع سنين ايضًا (٢)

وفي سنة ١٥٥٢ (٩٦٠هـ) رقى البطريرك موسى الراهب داود بن سمعـان الحدثي الى مقام المطرنية ليكون مساعدًا لهُ في امور الكرسي بمعية المطران تادروس

(١) راجع الدر المنظوم ص ١٥٦

(٢) لا ريب ان هذه المراسيم السلطانية الناهية عن تعرّض اي كان للبطريرك تحت الوعيد بالعقاب لمن يجترئ على المخالفة تُعدُّ من اكبر الادلَّة على حسن تعلق الطائفة المارونية بالاريكة العثمانية وكفى بها برهانًا على ان رؤساءهم الروحيين يربُّونهم على حبّ الدولة المالكة . فاحرِ برجال الحكومة ان يعرفوا لهم هذه الفضيلة السامية

ثم ارسلهُ مع المطران جرجس الاهدني مطران الشام الى زيارة موارنة قبرس فتلقاهما فرنسيسكو الماروني اسقف افقسية وكرسوا معهُ عدَّة كنائس جديدة للطائفة واقاموا الراهب مرقس بن انطون من البيطوميني اسقفاً لما كان عليهِ من العبادة والسعي في بناء البيع ونسخ الكتب الطقسية . فجعل هذا اقامتهُ في قرية مطوشي

وفي سنة ١٥٥٣ (٩٦١هـ) جرى التعدّي على املاك دير قنوبين وذلك ان شوباصي سنجق طرابلس اخذ مئة وعشرين فلوري زيادةً عن الخراج المعتاد . فكتب البطريرك عريضةً رفعها الى السلطان سليمان ايام كان في حلب . فانفذ جلالتهُ امرًا همايونيًا الى قاضي طرابلس ليتبصَّر جيدًا في الدعوى ويردَّ الدراهم الى دير قنوبين . وكان ذلك في اواسط محرم من السنة المذكورة

وفي سنة ١٥٥٥ (٩٦٣هـ) ارتقى الى عرش الباباوية بولس الرابع فانفذ اليهِ البطريرك موسى رسالة يهنئهُ فيها بهذا المقام مع رجل ايطالي يُدعى غلاطيوس من بولونيا . فلما وقف البابا على رسالة البطريرك بعث اليهِ بجهاز كامل لخدمة القداس مع رسالة بتاريخ سنة ١٥٥٦ في ١٢ من تشرين الآخر

وفي سنة ١٥٥٦ (٩٦٤هـ) اضطجع بالرب الاب الطاهر والناسك الفاضل الاسقف جبرائيل الاهدني ابن ستيتة . لبث في النسك بدير قزحيا ٤٤ سنة فسُلّمت رئاسة الدير المذكور الى القس يوسف الايطي . ثم اعادوا الى الرئاسة الخوري يوحنا ابن نمرون . فاستمرَّ مدةً قليلة وخلع نفسهُ وسار الى دير مار سمعان ايطو . ثم اقاموا مكانهُ على الرئاسة الحبيس ميخائيل بن الرزّ . واقام السيد البطريرك الراهب يوسف بن جرْواص اسقفًا على دير مار اليشاع في ارض بشراي مجازاةً لتعبهِ في بنيان الدير المذكور . واما المطران موسى بن ايوب بن قمر فكان قاطنًا في دير مار ماما

وفي سنة ١٥٥٧ (٩٦٥هـ) عقد البطريرك موسى مجمعًا في نهار خميس الاسرار وقدَّس الميرون الطاهر . وكان ذلك بحضور ثمانية من المطارين ونحو اربعمائة كاهن ورزق الله مقدَّم بشراي وجمهور كثير من الشعب . وفيها بنى البطريرك

موسى باجازة من القاضي والامراء دير القديس جرجس في ارض شدرة . وهذا القديس هو الذي يدعوهُ العرب ابا بلوطة بسبب شجرة البلوط الكبيرة التي كانت قدَّام الباب . . . وفيها جاء سيل عظيم حتى لم يُبق نهر قديشا جسرًا عامرًا من اعلى الجبل الى البحر . وفي الثامن عشر من شهر آذار عصفت ريح شديدة وجاءت السماء بثلجٍ كثير حتى بلغ في الوادي ارتفاع قامة انسان واحرق توت القز والكرم مع سائر الفاكهة

وفي سنة ١٥٥٩ (٩٦٧ هـ) نهى السلطان سليمان رهبان الافرنج عن سكنى العلية الصهيونية وكانوا يسكنون فيها من سنة ١٣١٣ اي من نحو مئتين وستٍ واربعين سنة . وفي سنة ١٥٦١ سكن الرهبان المذكورون في دير المخلص بداخل المدينة . ولما كانوا مقيمين بدار ترجمانهم يعقوب بن يوحنا بن الكسَّار الاهدني امام كنيسة الطائفة المارونية المبنية على اسم مار جرجس الخضر اتفق ان واحدًا سقط في بئر الكنيسة فتخوف رهبان الطائفة وهربوا . ودفع قوم من القبط الغرامة التي حُكم بها على الكنيسة واستولوا عليها . فابرز البطريرك موسى امرًا من مصطفى باشا والي الشام الى قاضي القدس الشريف بتحرير آخر شهر محرم من شهور سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة الموافقة لسنة اربع وستين وخمسمائة والف للمسيح على ان يسمع دعوى البطريرك ويمنع القبط عن وضع يدهم على الكنيسة ظلمًا . ثم سافر البطريرك واخذ معهُ الامر المذكور مع الدراهم اللازمة لاسترجاع الكنيسة . وكان رئيسًا على رهبان القدس الاب بونيفاس . وبعد ان تفاوضا مليًّا في ذلك الشان اتفقا على ان يترك البطريرك الدعوى المشار اليها ويستبقي الدراهم . وعلى ان الموارنة يقضون امورهم الدينية عند كهنة اللاتين في كنيسة المخلص لانهم كانوا في ذلك الوقت قد اصبحوا جماعة قليلة . وكان لهم مذبح في العلية الصهيونية . واتفقا ايضًا انه اذا تقلب السلطان على رهبان الافرنج تبقى الكنيسة مستمرة بيد الموارنة . وبعد ان اتفق كلاهما على هذا الرأي عدل البطريرك عن استرجاع كنسة مار جرجس واشترى بالدراهم

دارًا كبيرةً كما هو ظاهر من رسالتهِ الى البابا بيوس الرابع التي بعث بها مع بونيفاس الرئيس عندما فرغت ايام رئاستهِ وعاد الى رمية (١)

وفي سنة ١٥٦٠ (٩٦٨هـ) انتقــل الى رحمة الله الحبيس ملكا البقوفاوي. وكان قد مضى لهُ نحو ستين سنة في النسك والزهد. اعتزل اولاً في دير قزحيا. ثم في دير مار ضومط داريًّا. ثم في كنيسة السيدة المقطوعة بالشقيف مُقابل عرجس ثم في محبسة مار ميخائيل في دير قزحيا. وكان قدوة صالحة لكل من ينظر اليــهِ لانه كان يقهر جسمه بالجوع والعطش والحفى والعري ولم يكن ينقطع عن ذكر الله ولم ينظر الى وجه امرأة. ولما كانت محبسة مار ميخائيل معدومة الماء وبسبب سقمه لم تكن لهُ قوة ليمضي فيستقي من محبسة قزحيا. سأل ربه ان يريحه من تلك المشقة فاخرج له الله من الصخرة ماء جاريًا. ولموضع برارته ونسكهِ وفضيلتهِ شرفه البطريرك بدرجة الاسقفية في هذه الحياة وجملهُ الباري بتاج المجد في الحياة الدائمة

دخلت سنة ١٥٦١ (٩٦٩هـ) ولم يرد التثبيت من رومية للبطريرك. وكان قد مضى لهُ في البطريركية ست وثلاثون سنة. ولم يكن ذلك باب التهامل بل من عدم التيسير. لانه قد كان سيَّر اولاً المطران انطون فوقع بيد اللصوص البحرية وتلفت رسائله. ثم انه ارسل غيرها دفعات عديدة مع رهبان القــدس ومع تجار الافرنج وحظي باجوبتها من اصحاب الكرسي الروماني الذين جادوا عليهِ بغفارين كثيرة وحلل للتقديس جميلة وغير ذلك. ومن حيث انه لم يُسافر احد من ابناء الطائفة الى رومية في طلب التثبيت من بعد المطران انطون لم ينعموا به عليهِ. وفي هذه السنة لما بلغهُ ان القس جرجس القبرسي عارف باللغة الافرنجية احضره اليــهِ وامره بالمسير الى رومية واعطاهُ رسائل الطاعة والخضوع مع شهادات رؤساء الكهنة وكتابة اكابر الطائفة باختامهم وخطوط ايديهم الناطقة بانهم اختاروه برضاهم وانه اهــل لهذه الدرجة المقدسة ولسياسة الرعية. وارسل معهُ ايضًا ست رسائل وست كتابات كان

---

(١) الدر المنظوم ص ١٥٦

بعث بها احبار الكرسي الروماني الى البطاركة الذين سلفوا قبله . وانفذ ايضاً عريضة تشكى بها من مطران افقسية الافرنجي بسبب تعديه على اوقاف الطائفـة . فلما وقف البابا بيوس على هـذه الرسائل بعث لهُ مع القاصد بدرع تمام الرئاسة مع حلّة كاملة لخدمة الاسرار وجاد عليهِ بغفران كامل لجميع ابناء الطائفة ومنشور امر بهِ ان لا يعـارض احدٌ الموارنة ورؤساءهم في املاكهم ووقوفهم وكان ذلك في غرّة ايلول سنة ١٥٦٢ (١)

ولا يليق بنا ان نُعرض عما اتاه القس جرجس القاصد في سفره هذا ليكون غيره على حذرٍ . وذلك ان البطريرك كان قد سلمهُ اوراقاً بيضاً مختومة بخاتمـهِ لسبب بعد البلاد حتى اذا دعت الضرورة يكتب فيها ما يوافق . ولكن القاصد المشار اليـهِ لكان طمعهِ كتب رسالة على احدى تلك الاوراق البيضاء المختومة بخاتم البطريرك مآلها: ان جرجس الاهدني مطران الشام قد انتقل لرحمة الله . لذلك يسأله أن يقيم القاصد على اسقفيـة الشام بدله وان يرسله ليحضر في المجمع الذي امر بالتئامهِ في مدينة ترنتو . اما البابا فلما اطلع على تلك الكتابة امر برسامتهِ اكراماً لطلب البطريرك . واما من جهة حضوره في المجمع فاجاب انه ليس من احتياج اليـهِ لانه غير عارف باللغة اللاتينيـة فضلاً عن انه لا يُحسن التكلم بالايطالية . وبعد ان شخص من رومية ووصل الي قبرس وجـد الاسقف فرنسيسكو قد قضى اجله فاستولى على املاكه واستمرّ يتنعّم بين جماعته متغاضياً عن القدوم الى البطريرك . ولما كانت

(١) وما قالهُ البابا في منشوره المرسل للبطريرك ما يأتي: قد علمنا من رسالتكم التوقير السامي والتكريم والتملق الذي تبجلون به كرسي بطرس زعيم الرسل وثباتـكم وثبات طائفتكم على التشبث بالايمان الذي تعلمه الكنيسة المقدسة الرومانية . فتحفك بالتهنئة لك ولطائفتك مسدين الشكر لرأفة الله من صميم فؤادنا . لانه ابقى له في هذه الامصار القاصية الوفاً عديدة لم تحن ركبها لباعال . ولم يرهبها ثقل نير غير المؤمنين لتبتعد عن الايمان المسيحي . ولم يفسدها قربها من الاراطقة المشاقين ولم يستطع ان يفصلها عن الكنيسة الكاثوليكيـة (روح الردود ص ٩)

الغفَّارة التي ارسلها البابا الى البطريرك طويلةً قطعها حتى صارت على قدره . وانتهت هذه الاخبار الى البطريرك موسى وهو مقيم في القدس بالسعي الذي تقدم ذكره . لاجل ذلك انفذ اليهِ ورقة الرباط مع بونيفاس عندما فرغت ايام رئاستهِ من القدس . وارسل مع المذكور ايضاً كتابة الى البابا تتضمَّن الشكر اخبره فيها عن حيلة جرجس القاصد وتزويره . وذلك بتاريخ سنة ١٥٦٤ في غرَّة تشرين الاول

وفي سنة ١٥٦٥ (٩٧٣ هـ) تُوفي انطون الحصروني اسقف اهدن فخلفهُ سركيس ابن القس موسى الدويهي

وفي سنة ١٥٦٧ (٩٧٥ هـ) في التاسع من شهر آذار كانت وفاة الاب الصالح البطريرك موسى العكَّاري ولهُ من العمر خمس وثمانون سنةً قضى منها في الرهبانية ستين سنة وفي الكرسي الانطاكي اثنتين واربعين سنة ونحو ثلاثة اشهر واقتنى لدير قنوبين عقارات كثيرة فحزنت الامة عليهِ حزنًا عظيماً . وبعد تجنيزه بالاكرام والاحتفاء الواجب دفنوه جالساً في مغارة البارة مارينا . ولاعتقادهم فرط قداستهِ جعلوا حُجرته التي بقرب باب السيدة كنيسةً على اسم القديسين بطرس وبولس الرسولين . وفي اليوم الثاني عشر اتّفق رأي رؤساء الكهنة واكابر الطائفة على الحبيس ميخائيل بن الرزّ من قرية بقوفا وكان الحبيس ميخائيل رئيساً سابقًا على دير قزحيا وعلى الحبسة . ولكنهُ اعتزل رئاسة الدير المذكور وانتقل الى محبسة مار بيشاي راغباً في الوحدة . فلما قضى الله بوفاة البطريرك موسى اجبرتهُ الطائفة رغماً عنهُ بتدبير الكرسي الانطاكي . وهو السادس من البطاركة في دير قنوبين . واقاموا مكانه في الحبس اخاه القس سركيس البقوفاوي . واما دير قزحيا فلما ابى الرئاسة عليهِ الحبيس ميخائيل المذكور اعادوا اليهِ الخوري يوحنا بن نمرون . فجدَّ في توسيع املاكه وابتنى لهُ طاحونًا بجنب الدير وجرَّ اليها الماء من النهر وانتشر لهُ بذلك ذكر طيّب . وبعد وفاتهِ قام بدلهُ الخوري ابرهيم الحدثي وكان شيخًا تقيًا . وبعد مدة يسيرة تُوفي فخلفَهُ القس يوسف البسلوقيتي . فاستعان بالمقدم رزق الله وتنازل عن الرئاسة وجعل مكانه الخوري يوحنا الخوري . واما

البطريرك ميخائيل فتحمَّل مشقات كثيرة وذلك لانه في حال اقامته هناك جاءت الجنود من طرابلس فنهبوا الدير واستولوا على الاواني والثياب المقدسة ووضعوا ايديهم على سائمة الدير وعلى املاكه بسبب طلب غرامة على انشاء الكنيسة الجديدة (١) عن تركة البطريرك المتوفى . فاصبح البطريرك ميخائيل في ضيق شديد لانه قد كان أَلِف عيشة العزلة وتجرَّد عن مخالطة الناس . فاضطُر من ثم ان يُرضيهم بشيء معلوم ويسترد املاك الدير

وفيها ارسل البطريرك ميخائيل الاسقف يوليوس الى زيارة الطائفة في جزيرة قبرس وامره ان يُرسل اليهِ الشماس لوقا من اسكيبِّيــة لعلمهِ انه رجل موسر فصيح اللسان وخبير بلغة الافرنج ومتعود سفر البحر . فلما حضر الى ما بين يديه رقَّاه الى مقام خوري بردوط وسيَّره برسائل الطاعة وشهادات رؤساء الامة المارونية . وكذلك ارسل معهُ كتابتين الى الكردينال اسكندر والى الكردينال قورّلس لكي يهتمَّا معــهُ بمصالح الكرسي . وذلك في الرابع والعشرين من حزيران . فلما وصل الخوري لوقا الى قــبرس وجد ان سفن الاسلام قدمت الى محاصرة الجزيرة وان النصارى تقاطروا من كل فج الى هدم سور افقسية وتجديده بالشهر المذكور . فاضطر الخوري ان يستتر في الجزيرة نحو سنة حتى ارتفع عنها الحصار . حينئــذٍ اخذ اخاه نقولا في متجر الى راوزة . ولما مثل بحضرة الحبر الاعظم لم يجرِ لهُ الترحيب المعهود ولا تمّ لهُ امر لان الرسائل كانت مختومه بخاتم جديد

وفي سنة ١٥٧٠ (٩٧٨ هـ) كان مقتل المقدم رزق الله واخيهِ عاشينا مقدمي بشرَّاي . وذلك ان المقدَّم رزق الله بن حسام الدين العخلاني تولى المقدميــة من قبل الامير منصور بن عساف . وكان جادًّا في عمار البلاد وتحصيل الاموال السلطانية . فوقعت الفتنة بينهُ وبين اخيهِ عاشينا . لان عاشينا هذا كان شابًا جاهــلاً ينهب ويقتل ولا يعفو عن سوء . وكان السواد الاعظم من الناس مقبلاً على رزق الله حاكم

(١) بياض في الاصل

الناحية . ولسبب ما كان يسمع عاشينا من توبيخ اخيه حرد وانتقل الى قرية حصرون من حيث كان تزوج . واخذ يتهدد اخاه بالقتل فصعد البطريرك ميخائيل واصلح بينهما واعاد عاشينا الى البرج الذي بناه جديداً في اسفل القرية . ولما لم يكف عن طريقته الرديئة نفرت منهُ قلوب الناس وقُدمت فيه السعاية الى نائب طرابلس انه سطا على القافلة عند المسقية وسلبها . اما رزق الله فلكي يخلص من شره اخذ يسعى في قتله وبعث فدعاه اليه الى البرج الفوقاني . وكان قد تآمر مع قوم من الضنية وجعلهم يكمنون لهُ في داخل البرج . فلما دخل عاشينا البرج وثبوا عليه وقتلوه . وعندما سمع البطريرك بذلك صعد الى بشراي وحرم رزق الله لانهُ سعى في قتل اخيه . واما صاحب القافلة التي سُلبت فطلب من المقدم ان يردّ لهُ السلَب فتبرّأ من ذلك فاستدعاهُ صاحب القافلة الى القاضي . ثم نزل المقدم مع مشايخ القرى لاجل تأدية حساب الخراج والحضور امام القاضي . ولما لم يكن عند غريمه بيّنة ولا شهود على دعواه أُجلت المسئلة الى حضور الشهود . وبعد مدة نزل المقدم الى طرابلس بسبب شؤون البلاد فرصدهُ صاحب القافلة حتى دخل الحمام . عند ذلك رشا الحارس ووسم طرف عمامة المقدم التي كانت يانساً ابيض بالسمة التي كانت على قماشه . ولما خرج من الحمام امسكهُ بيده وقال : ما يجوز لك يا مقدَّم ان تأكل رزق المسلمين . فاجاب انهُ بريءٌ من تلك التهمة . فاخذهُ ثانيةً الى قدَّام القاضي وبسبب السمة التي وضعها على عمامته اوجب الحكم عليه وامر القاضي والسنجق ان يجرّ مربوطاً باذناب الخيل فقضى اجلهُ على تلك الحالة وهو بريءٌ مما تجنّى عليه صاحب القافلة باطلًا (١)

وفيها امر السلطان سليم بالحملة على جزيرة قبرس وبعد مقتل المقدم رزق الله خرجت الشونات والمراكب من طرابلس الشام فاستولوا على الملاّحة وانتقلوا الى

(١) ذكر هذا الخبر في مختصر تاريخ لبنان بغاية من الايجاز من غير تفصيل امر التهمة التي اتهم بها المقدم ــ راجع ايضاً اخبار الاعيان ص ٢١٨

افقسية فبنوا عليها برجاً وشدّدوا الحصار. وكان ذلك من اول الصوم الكبير واستمرّ الى آخر آب. ثم نقلوا الحصار الى الماغوصة. ويقال انهُ كان فيها الف مدفع فهلك من المسلمين قوم لا يُحصى عددهم. وبسبب قلة الاقوات والبارود اضطر اهل المدينة الى التسليم بشرط ان لا يُقتل منهم احد. ولكنَّ المسلمين لم يحفظوا هذا الشرط بل قتلوا القبطان وسلخوا جلدهُ وقتلوا معهُ اربعمائة نفس. وكان وكيل افقسية رجلاً يدعى مرقس ووكيل الماغوصة نقولا والذي جرى على يدهِ هذا الفتح من المسلمين هو مصطفى باشا. وقيل ان الذين سُبوا من النصارى كانوا نحو مئة وثمانين الفاً والذين قُتلوا وأُحرقوا بالنار نحو خمسين الفاً والذين قتلوا من الموارنة نحو ثمانية عشر الفاً (١)

وفيها استولى اهل بيروت على كنيسة الموارنة وجعلوها قيصرية ولم يبقَ للطائفة الّا كنيسة مار جرجس خارج المدينة. فاجتمع الشيخ ابو منصور يوسف بن حبيش مع مشايخ بيت الدهان واتفقوا على ان تشترك طائفة الروم وطائفة الموارنة في كنيسة مار جرجس التي للموارنة خارج بيروت وفي كنيسة السيدة التي للملكية داخل المدينة

وفي سنة ١٥٧٢ (٩٨٠ هـ) وُزّع القشلق على بلاد الشام. قيل انهُ وُزّع على اهالي جبة بشراي ٢١ الف سلطاني. والسلطاني ثلثا القرش. ونهب عسكر الدولة كامل البلاد وسلبوا سائمتها واسرفوا في الظلم حتى كادت الناس تسأل الموت لنفوسها. واقفرت قرًى كثيرة مثل سبعل وبنهران ومتريت والناوس وادنيت وكفرفو وراس كيفا ونيحا وسرعل وبرّ حليون وحيرونا ورشدبين وبقرقاشا (٢). واصاب دير قنوبين مئتا سلطاني فاستخلصهُ البطريرك ميخائيل بواسطة الشيخ ابي منصور بن حبيش والامير منصور بن عساف على يد ناصرغلبي بن يوسف بن كرامة الطرابلسي من علي غلبي صاحب الولاية الشامية في اوائل جمادى الاولى سنة ثمانين وتسعمائة.

---

(١) وفي الدر المنظوم: قُتل منهم (اي الموارنة) في تلك المعمعة نحو ثلاثين الفاً عدا الذين قتلوا في لامسون حين حاصرها الاتراك سنة ١٥٣٨ (الدر ص١٦٥)

(٢) طالع ايضاً اخبار الاعيان ص ٢١٩

واصاب كذلك وقف دير راس النهر في اهدن خمسة عشر سلطاني فاشتراهُ ناصر الدين غلبي المذكور بالوكالة عن على غلبي صاحب الولاية الشامية من الشيخ شهاب الدين خطيب البرطاسية . وبعد برهة من الزمن تلفت وثيقة المبيع وبعث يحيي النائب بن محمد المولي بطرابلس الشام واخرجها من السجل المحفوظ بدمشق في اليوم الخامس من ربيع الاوَّل من شهور سنة الف وتسعٍ للهجرة وسلّمها للقس موسى الدويهي ولابن عمهِ الحاج ابراهيم . وفي هذا العصر امتد حكم الامير منصور بن عساف من نهر الكلب الى حمص وحماة . وكان يولي عليها من يشاء . وبنى سرايا في مدينة بيروت وجبيل وقرية غزير وانشأ في جوارها جامعاً ومأذنة وحمَّاماً وجنينة واسعة واجرى لها الماء من نبع المغارة الى قرية غزير (١)

سنة ١٥٧٣ (٩٨١هـ) عندما قُتل رزق الله مقدم بشرَّاي تولى المقدمية اخوه داغر وعساف بن موسى اخوهما من قبل الامير منصور . فارسل الامير قوماً كبسوا داود وموسى ولدي شلندي البشراني وقتلوهما وكان هذان من بني حمي المقدم رزق الله . ويُقال انهما عملا على قتلهِ . ثم ان ذوي قرابة شلندي ذهبوا الى طرابلس وشكوا المقدم داغر بانهُ تسبب بقتل اولاد شلندي فطيَّب صاحب السنجق خواطرهم وامر الشوباصي الذي ارسلهُ الى بشرَّاي في جمع المال ان يقتل المقدم داغرًا . ولما ان استوفى الشوباصي المذكور المال وركب حصانه وهمَّ بالعودة طعن المقدم داغرًا بالرمح فقتلهُ . وبسبب هذه الاحوال ارسل الامير منصور فقتل المقدم عساف بن موسى وسلّم جبة بشراي الى ابي سلهب القريعي وكان ذلك من غير رضى ابي منصور حبيش

وفي سنة ١٥٧٤ (٩٨٢هـ) حدث في جبة بشرَّاي خصومة بين القريعيَّة والبشرانية فقتل القريعية منهم اثنين عند العين التي تحت بقاع كفرة . فقدمت الشكاية الى غزير بسبب القتلى . اما الامير منصور فعزل القريعية بايعاز ابي منصور

---

(١) طالع اخبار الاعيان ص ٣٢٨ وكتاب الفرزم ١ ص ١٥٦

ابن حبيش عن ولاية الجبة وسلمها الى المقدم مقلّد بن الياس. وكان شريكهُ الشدياق يوسف ابو رعد المسمى خاطر وهو ابن الشدياق شاهين الحصروني من بيت مشروق. واما اهدن فكان تدبيرها مسلماً الى ثلاثة شمامسة

وفي سنة ١٥٧٧ (٩٨٥ هـ) توفي الاب الطاهر سركيس اسقف اهدن وكان قد قضى في الاسقفية اثنتي عشرة سنة. وكان صاحب رأي وغيرة على بنيان الكنائس والاديار. فخلفهُ الاسقف يوحنا بن عبيد. وكان حسن العبادة ولهُ اليد الطولى في نسخ الكتب. وأُقيم معهُ الاسقف يوسف على مدينة بيروت والمطران جرجس البسلوقيتي على الشام. وفي اليوم العاشر ارسلهُ البطريرك الى رومية مع الخوري اقليميس الاهدني بطلب درع الرئاسة على الكرسي الانطاكي. وبعد ان ركبا البحر وقعت الخصومة بين البطريرك ميخائيل وبين المطران داود وكيل الدير فانتقل المطران داود مع الخوري مارون القبرسي والقس يعقوب بن الحويص الحاقلاني الى دير حوقا. وهناك رسم من غير مشورة البطريرك القس يعقوب الحاقلاني اسقفاً. ثم جاء بالحبيس يونان واخيهِ القس يوسف ولدي علوان من قرية سمر جبيل. وكانا قد التجأا الى دير قزحيا وترهَّبا فيهِ عند ذي قرابتهما الخوري حنا الخوري فجعلهما ايضاً اسقفين. فلما انتهى الخبر الى مسامع البطريرك وجَّه رسالة الى البابا غريغوريوس الثالث عشر مؤرَّخة في السابع عشر من ايلول يعلمهُ بها واقعة الحال. ثم ارسل أمر المنع الى الحبيس يونان واخيهِ. فلما انتهى الامر اليهما أمر الحاكم بخروجهما من دير قزحيا. فحمل الحبيس يونان بالنعش الى الفراديس واقام عند القس يعقوب عصاص السمراني من بيت الزيَّات. وكان قد حبس نفسهُ في دير مار سمعان. واما اخوهُ يوسف فسار الى قرية سمر جبيل والحبيس سركيس الى عين طورين وبعد ثلاثة اشهر من ذلك الوقت نزل المقدَّم مُقلد والشدياق خاطر وتشفعوا بهم عند البطريرك فحلهم من الرباط وباركهم. ولما كان دير قزحيا خالياً أذن لهم في العودة اليهِ. واسكن معهم عشرة رهبان آخرين وجاد عليهم ببقر ومعز ومغلّ وغير ذلك

مّما يحتاجون اليهِ . ورفعاً لاسباب الفتن والشكوك امر البطريرك برضا اهل الناحية ان تكون الحبسة مستقلة والدير مستقلاً وان سكان كل من الموضعين لا يلتزم بطاعة الآخر . وحدَّدوا لكل منهما تخوماً معروفة

وفي سنة ١٥٧٨ (٩٨٦ هـ) في دخول الربيع كانت عودة المطران جرجس من رومية الى جبل لبنان مع الاب جوان باطيشتا ورفقائهما . فاحسن البطريرك ميخائيل استقبالهم واخذ منهم العدة والكتابة المرسلتين اليهِ من البابا . واوضح ان التهمة التي اتُّهم بها ما كانت الّا تجنياً . ثم جمع رؤساء الكهنة واقسم بحضورهم انهُ لا غيَّر ولا بدَّل امانتهُ ابداً . وصرّح بخضوعه وطاعتهِ لكنيسة رومية . وفي شهر تموز انفذ هو ورؤساء الكهنة وجوان باطيشتا رسائل الى الحبر الاعظم في صحة هذا الامر مع التجار الذين قصدوا بلاد النصارى في البرّ والبحر . ثم ان جوان باطيشتا استأذن البطريرك في ان يتفقّد ديورة وكنائس جبة بشرّاي فاعطاه كتابة عمومية امرَ فيها جميع الرعية ان يقبلوه اجلّ القبول وامرَ اخاه الاسقف سركيس والقس جرجس بن يونان ان يكونا في صحبتهِ ويقدما له كل ما يطلب

وفي سنة ١٥٧٩ (٩٨٧ هـ) قُدمت السعاية الى الباب العالي في الامير منصور بن عساف بسبب قتله ابن شعيب وامراء فتقا وعبد الساتر وغيرهم . فصدر الامر من السلطان بجعل طرابلس باشويّة لتنكسر شوكة ابن عساف وان يتولى سياستها ابن سيفا التركماني . وعندها هرب الشدياق خاطر الى جهات بعلبك والمقدم مقلد الى ناحية الشوف . فمات هناك عن صبي وبنت وهما جمال الدين يوسف وست البنات . ثم ان يوسف باشا كاتب الشدياق خاطر بالامان واعاده الى ولاية جبة بشرّاي وجعل الشدياق باخوس بن صادر الحدشيتي شريكه في الحكم (١)

وفي سنة ١٥٨٠ (٩٨٨ هـ) لما تحقق البابا غريغوريوس صحة امانة البطريرك

(١) راجع حوادث سنة ١٥٧٣ وسنة ١٥٧٩ وما بينهما من السنين في اخبار الاعيان ص ٢١٨ و ٢١٩ و ٣٤٨ ومختصر تاريخ لبنان في فصل اخبار ولاة بشراي وكتاب الغرر

ميخائيل وطائفتهِ امر جوان باطيشتا بالعودة الى جبل لبنان وارسل معهُ القس جوان برونا من الشركة اليسوعيــة وبعث معهما للبطريرك بدرع تمام الرئاسة مع كتابات لهُ وللمطران داود وللاسقف سركيس بتاريخ ٢٢ آذار . . . فلما وصــلا الى الجبل ودنوًا من الكرسي كان البطريرك ميخائيــل طريح الفراش . فامر اخاه الأسقف سركيس ان يجمع الاكليروس ليخرجوا الى لقائهما بالمباخر وقراءة المزامير احتراماً لمن ارسلهما . وفي يوم انتقال السيدة وهو عيــد الكرسي امر بحضور جميع الكهنة واعيان الشعب فلبس الدرع واقام القداس واقسم بالطاعــة بموجب الصورة التي رتّبها الآباء في مجمع ترنتو . وفيها كانت وفاة الامير منصور ابن عساف فقام بعده ولده الامير محمد . وبالقرب من هذه السنــة تُوفي يوسف البسلوقيتي الذي حبس نفسهُ في دير مار انطونيوس الفراديس . وبسبب سيرتهِ الملكية وشيخوختهِ النقية جملهُ البطريرك برئاسة الكهنوت . ولما دنت ساعة وفاتهِ قدم الى زيارتهِ وامر بدفنــهِ في مغارة البارة مارينة

وفي سنة ١٥٨١ (٩٨٩ هـ) انتقل الى رحمة الصالحين البطريرك ميخائيل ابن الرزّ في دير قنوبين بعد ان قضى في البطريركية ١٤ سنة ونحو ٦ اشهر تحمل فيها مشقات كثيرة . وفي النهار التاسع اجتمعت رؤساء الكهنة واكابر الطائفة واقاموا اخاه الاسقف سركيس وهو السابع من البطاركة بدير قنوبين . واما الحبس فترأَس عليهِ يوسف بن موسى اخوهما . وحضر حفلة الرسامة قاصد البابا جوان باطيشتا ورفيقــهُ جوان برونا . وبعد ذلك اشخص جوان برونا الى رومية بكتابة ممضاة من الجميع . ولما وقف البابا غريغوريوس عليها امر بان يُعطى درع تمام الرئاسة وان تكون جميع الطائفة تحت طاعتهِ في ما يختص بالروحيات والجسديات

وفي سنة ١٥٨٣ (٩٩١هـ) في ١٩ ايلول كانت وفاة الشيخ ابي منصور ابن حبيش الذي كان صاحب الكلمة والحظوة عند الامير منصور وعند ولده الامير محمد . وكان ذا سطوة وغيرة عظيمة وخلفهُ في منصب الاستشارة اخوه الشيخ ابو يونس سليمان

وفي سنة ١٥٨٤ (٩٩٢ هـ) بينما كانت الخزينة السلطانية سائرةً في جون عكار وثب عليها اللصوص فسلبوها. ولذلك صدر الامر الى جعفر باشا الطواشي بان يجمع العساكر من ساحل البحر من صيدا الى حمص على يوسف باشا ابن سيفا. فما لبث المذكور ان زحف بالجيوش واحرق بلاد عكار. وعندها رُفعت الشكاية الى ابراهيم باشا مصر الذي تولّى الوزارة انهُ ظلم البلاد فجمع الجنود من حلب والشام وقبرس في مرج عرموش بالطبول والملاعب والسناجق حتى وقع الرعب في كامل بلاد العرب. ثم قدّمت الشكايات في الامير محمد ابن عساف وفي الدروز انهم هم سلبوا الخزينة فارسل الى الامير قرقماز ابن معن ان يبعث اليـهِ الغرماء وامسك على الدروز طريق البحر والبقاع وقتل منهم خلقاً كثيرًا (١) ثم حضر الى ابرهيم باشا الامير محمد بن جمال الدين من عرمون الغرب وابن عمه الامير منذر من عبيه والامير محمد ابن عساف من غزير. واما الامير قرقماز ابن معن فهرب الى مغارة من بلاد الشوف (٢) ومات فيها عن ولدين وهما الامير فخر الدين والامير يونس. وقدم الى الوزير عقّال الدروز عند عين صوفر فباقهم وقتل منهم خمسمائة نفر (٣) والامراء الذين حضروا اليهِ بالامان اخذهم بمعيتهِ الى اسطنبول (٤). وهناك برّأوا

---

(١) وهذه عبارة ابن سباط: ثم قدمت الشكايات من جعفر باشا الطواشي والي طرابلس في الامير محمد بن الامير منصور بن عساف وفي امراء بلاد الدروز انهم هم الذين نهبوا الخزينة. فخرج ابرهيم باشا والي مصر الذي صار وزيرًا اعظم وجمع العساكر. فلما وصل مرج عرموش ارتعبت منهُ جميع بلاد العرب وارسل يطلب من الامير قرقماز بن معن خرج عسكر وامر بقطع الطرق من الساحل والبقاع عن الدروز. اه

وفي عبارة المتن بعض تقديم وتأخير من النساخ اولد تشويشاً في المعنى

(٢) وفي رواية ابن سباط: واما الامير قرقماز فلما تحقق ان الجميع صاروا اعداءه هرب الى مغارة في بلاد الشوف تحت جزين واختفى هناك مدة. فحدث لهُ مرض ومات

(٣) ويروى: ستمائة (عن ابن سباط) (٤) ويروى: وتوجه الى طرابلس وبمعيته الامراء الذين حضروا اليهِ. ثم مضى بهم من هناك الى اسلامبول (عن الغرر وابن سباط) راجع ايضاً اخبار الاعيان ص٣٤٩ و٣٥٠ و٦٧٧

نفوسهم وعاملهم السلطان مراد ابن السلطان سليم بغاية الحلم وقرَّر على امراء الغرب بلادهم وعلى الامير محمد بن عسَّاف ايالة طرابلس بتمامها دون المدينـة وعادوا الى مواطنهم مسرورين

وفي تلك الاثناء استقدم الامير سيف الدين التنوخي الى داره بالشوف ولدي اختهِ الامير فخر الدين واخاهُ الامير يونس. وفي نهاية السنـة السادسة رجع الامير سيف الدين الى عبيه بالغرب وولَّى الامير فخر الدين بلاد الشوف . اما الامير محمد ابن عساف فاخذ اليهِ عند عودتهِ الشيخ ابا قانصو محمد همام ابن حمادة واعطاه دارًا في غزير وجاء معـهُ ببنَّاء من اسطنبول واكمل السرايا في غزير. ويقال انهُ انفق عليها ١٤ الفًا وكانت من اشرف العمائر في بلاد الشام

„ وفي هذه السنة لما توفي الامير قرقماز المعني في مغارة جزين حينما كان مختبئًا من وجه ابرهيم باشـا الذي ارسلهُ السلطان سليم لقصاص ولاة لبنان الذين اتُّهموا بنهب الخزينة من جون عكار امرت السيدة نسب زوجة الامير قرقماز المذكور مدبّره الشيخ كيوان الماروني الديراني ان يخبيء ابنيها الصغيرين الامير فخر الدين والامير يونس. فخبَّأهما في بلونة عند ابي صقر ابرهيم. اولًا لانه قيسي. ثانيًا لاشتهاره بالامانة. ثالثًا للبعد عن اليمنية . رابعًا لعدم الشبهـة بمكان مخبئهما اذ هو في ولاية بني عسَّاف اليمنيين . فتربَّى هذان الاميران عند ابي صقر المذكور احسن تربية ولم يدرِ بهما احد. ولما رجع ابرهيم باشا بعساكرهِ وراقت الامور انتقلا الى عبيه الى خالهما الامير سيف الدين التنوخي فضمهما اليهِ. ولما بلغا اشدهما سلمهما ولايتهما في الشوف . وحينئـذٍ تذكرا معروف ابي صقر معهما فكتب اليهِ الامير فخر الدين يدعوهُ اليهِ فحضر فجعلهُ عنده مدبرًا وجعل اخاهُ ربَّاحًا دهقانًا (١) " (عن اخبار الاعيان ص٨١)

---

(١) ارسل اليَّ احد وجهاء بيت الخازن بعض وريقات تشتمل على نُبذ من اخبار أُسرته ومن جملة ما قال فيها: ان الامير سيف الدين التنوخي خبأ الامير فخر الدين والامير يونس ولدَي اختـهِ عند الشيخ ابي نادر خازن وان الشيخ ابا نادر المذكور كان مقيمًا اذ

وفي سنة ١٥٨٥ (٩٩٣ هـ) توفي البابا غريغوريوس الثالث عشر. انشأ مدة حياتهِ مدارس في رومية لجميع الطوائف. ولما كثرت تلاميذ الموارنة هناك قبل وفاته بسنة اقام لهم مدرسة مخصوصة واجرى عليهم الوظائف من نفس طعامهِ. فلما قام مكانهُ في الخلافة البابا كسوسطس الذي لم يكن انقص منهُ محبة للكرسي الانطاكي رتّب لهم دخلاً يكفي ١٥ عشر طالباً مع جميع من يقوم بخدمتهم (١)

وبالقرب من هذا الزمن رقد بالرب القس يعقوب عصّاص السمراني من بيت الزيّات. لبس اسكيم الملائكة بدير مار انطونيوس قزحيا وقضى حياتهُ بالنسك والقداسة في محبسة مار سمعان الفراديس. ولم يزل جسمهُ الى الان محفوظاً في مغارة مار أذَنا

ذاك بحارة البلّانة التي بقرب زوق الخراب وبعد مصير الاميرين المذكورين اليهِ انتقل الى بلونة في اسفل قرية عجلتون. غير ان ذلك مخالف لما نقلناه من وجهين الاول ان سيف الدين التنوخي خال الاميرين لم يُذكر عنهُ مطلقاً انهُ سعى في ايصالهما الى الشيخ ابي نادر خازن. ثانياً ان الذي اختبأا عندهُ هو الشيخ ابو صقر ابرهيم والد الشيخ ابي نادر لا الشيخ ابو نادر نفسهُ لانهُ كان في ذلك الوقت طفلاً. وابو نادر لم يجعلهُ الامير فخر الدين مدبراً الا في سنة ١٦٠٠ بعد وفاة ابيهِ ابرهيم

(١) وفي الدر المنظوم: ان البابا المشار اليهِ عهد بادارة المدرسة المذكورة الى آباء الرهبانية اليسوعية واستمرت تحت ادارتهم الى سنة ١٧٧٣ التي الغيت فيها هذه الرهبانية. فسلمت ادارتها الى كهنة عالمين الى ان باعها رجال الجمهوريّة الفرنساوية حين هجومهم على رومية في اواخر القرن الماضي. قال مؤلف سيرة القديس مارون المطبوعة في رومية سنة ١٧٤١ ص ١٥: ان البابا غريغوريوس ١٣ قد انشأ من فضلهِ مدرسةً في رومية للموارنة سنة ١٥٨٤ مكافأةً لثباتهم الذي لا يُغلب في استمرارهم دائماً كاثوليكيين بين الطوائف ذات البدع. وبمثل ذلك قال الكردينال نرلي في الكتاب الذي طبعهُ برومية سنة ١٦٨٥ في الفاتحة في شأن مدرسة الموارنة هذه (الدر المنظوم ص ١٥٨ و١٥٩)

اما صاحب مختصر تاريخ لبنان وهو الشماس انطونيوس فقد ذكر ان انشاء المدرسة كان سنة ١٦٨٠ وهو سهوٌ ظاهر لانَّ جمع مؤرخي طائفتنا قد وافقوا رواية العلّامة الدويهي (راجع سفر الاخبار للمطران يوسف الدبس ص ٢٠٥)

وفي سنة١٥٨٧ (٩٩٦ﻫ) عُني الخوري انطون من بيت الجميّل وبنى كنيسة مار عبدا في قرية بكفيا وصوَّرها (١) على يد الشدياق الياس الحصروني. انفق عليها الف قبرسي. هذا ما عدا اكلاف اهل بكفيا وغيرهم من المحسنين. وبعد ان تمَّ بناؤها انشأَ الخوري عيسى من بيت الخرَّاط كنيسة للملكية في القرية المذكورة. ثم ان البطريرك سركيس سلك سلوك اسلافهِ المتقدمين ورقَّى الخوري انطون الى رئاسة الكهنوت وانعم عليهِ بحلة جميلة مكافأةً لاتعابهِ. غير ان ذلك الجميل لم يصادف محلهُ لان السيد البطريرك بينما كان سائرًا في سنة ١٥٩٠ الى زيارة الرعية وتفقد احوالها تصدَّى لهُ المطران انطون في طريقهِ وهمَّ ان يمنعهُ عن الدخول الى بلاد كسروان. فاستاء البطريرك لهذهِ الفعلة وعاقبهُ بالرباط. ومن ذلك الحين اخذ البطاركة يمتنعون عن ترقية مثل هؤلاء الاشخاص الى مقام الاسقفيَّة.

وفي سنة ١٥٨٨ (٩٩٧ ﻫ) كانت وفاة الاسقف يوسف في جزيرة قبرس فاقام البطريرك مكانهُ يوحنا بن اسكيلا المعلّم من اكليرفانية

في سنة١٥٩٠ (٩٩٩ﻫ) كان مقتل الامير محمد ابن عساف القاطن في غزير. وذلك انهُ خرج بعسكر كثيف الى مقاتلة يوسف باشا ابن سيفا في عكار بسبب المال الذي بقي عنده. فوضعوا لهُ الكمين بين البترون والمسيلحة وقُتل ولم يترك ولدًا وانقرضت دولة بني عساف الذين استوطنوا بلاد كسروان من سنة ١٣٠٦ فتكون مدة اقامتهم بها ٢٨٤ سنة (٢)

وفي سنة ١٥٩١ (١٠٠٠ ﻫ) في الثالث عشر من شهر كانون الآخر انتقل

---

(١) كذا في الاصل

(٢) ذكر ابن سباط ان مدة ولايتهم على كسروان كانت مئتين واثنتين وثلاثين سنة. وهذه عبارته: وفي سنة ٩٩٩ جمع الامير محمد بن عساف رجاله وسار لطرد يوسف باشا بن سيفا في بلاد عكار. فلما بلغ يوسف باشا ذلك جمع قومه وكمن لهُ في العقبة التي بين مدينة البترون وبين المسيلحة فقتلهُ هناك ولم يكن لهُ ولد وانقطع ذكر بيت عساف وكانت مدة ولايتهم على كسروان ٢٣٢ سنة (راجع ايضًا اخبار الاعيان ص ٣٤٩)

الى راحة الصالحين اكردينال انطونيس كرافًا صاحب الفضل على الطائفة المارونية لانه هو الذى سعى في انشاء مدرستهم في رومية . ولما حضرته الوفاة وقف لها جميع تركتهِ بمبلغ عشرة الاف سكودي

وفيها كان الغلاء العظيم في بلاد الشام حتى بلغت غرارة الحنطة مئة قبرسي ومات كثيرون جوعًا

وفي سنة ١٥٩٣ (١٠٠٢ هـ) تزوج يوسف باشا ابن سيفا امرأة الامير محمد بن عساف واستولى بذلك على جميع امـلاك بيت عساف واموالهم . ثم قبض على ابي يونس سليمان وابي سعـد منصور ومُهنَّى ولدَي حبيش فقتلهما وخرَّب دارهما . فهرب ولداهما يونس وحبيش الى الشويفات عند الامير محمد بن جمال الدين . وولَّى على النيابة مكانهما اولاد حمادة فانتقل هؤلاء مع السيدة من غزير الى طرابلس ولما استكثر يوسف باشا اولاد العرب في المدينة القى الفتن بينهم وبين المستراحية فقتل الشيخ قانصو قومًا من المستراحيـة الذين كانوا في طرابلس ومن الذين في كَفرحِلدَة وصعد الى المنيطرة بجيش لاهلاك ابي جمال الدين سيالة فاصابتهُ رصاصة وقُتل فاخذ ودفن في كفتين (١)

وفي سنـة ١٥٩٤ (١٠٠٣ هـ) توفيَ الشدياق باخوس بن صادر الحدشيتي شريك الشدياق خاطر في مشيخة جبة بشراي وقام بعده ولده الشدياق فرج

وفي سنة ١٥٩٥ (١٠٠٤ هـ) اقام البطريرك سركيس في عيد ميلاد الرب يوسف بن موسى اخيهِ اسقفًا وارسله سفيرًا الى البابا اقليميس الثامن في بعض مصالح الطائفة وتهنئتهِ بعرش الخلافة . فاجلَّهُ البابا غاية الاجلال وعند عودتهِ ارسل في صحبتهِ قسيسين من الشركة اليسوعية وهما ايرونيموس دنديني وفابيوس برونا

وفي سنة ١٥٩٦ (١٠٠٥ هـ) في الثامن عشر من ايلول امر البطريرك بالتئام رؤساء الكهنة ومشايخ الجبة وعلماء الطائفة . وبعـد قراءة مكتوب البابا برهن

(١) ذكر هذا الخبر ابن سباط في تاريخ ٩٩٩ هـ وكذلك ذكره صاحب الغرر الحسان

امامهم وامام قصَّاد الكرسي الرسولي ان اخاه البطريرك ميخائيل والطائفة كلها هم ابرياء من التهم التي اتَّهمهم بها باطلًا جوان باطيشتا . ولما وقف الاب دنديني على اقرار علماء الطائفة وفحص الكتب التي كان وقف عليها ووسمها بخطهِ تحقق ان كل ما اتُّهموا بهِ هو محض تجنٍّ . ودوَّن ذلك في الكتاب الذي طبعهُ عن سفره الى جبل لبنان (١) وفي اليوم السابع بعد ذلك المجمع توفي البطريرك سركيس ابن الرزّ بعد ان قضى ١٦ سنة في البطريركية . وفي النهار التاسع خلفهُ في البطريركية يوسف ابن اخيهِ موسى الرزّ ولهُ من العمر ٤٦ سنة . وهو الثامن من البطاركة في دير قنوبين . اما الحبس فترأَس عليهِ ابن اخيهِ الحبيس سركيس وكان قد تلقى العلوم في مدرسة رومية

وفي سنة ١٥٩٨ (١٠٠٧ هـ) اشخص البطريرك يوسف الى رومية الخوري جرجس ابن يونان من قرية اهدن مع الشدياق يوسف اليان الحلبي لاجل تقديم الطاعة وطلب التثبيت . وفي السابع والعشرين من شهر ايار سنة ١٥٩٩ (١٠٠٨ هـ) ارسل اليهِ البابا اقليميس براءة التثبيت مع درع الرئاسة بمعيَّة مرسليهِ المذكورين . وفيها توفي يوحنا بن اسكيلا مطران اقسية فقام مكانهُ موسى العنيسي من العاقورة . وكان قد درس العلوم في رومية . وفيها كانت وقعة نهر الكلب بين الامير فخر الدين ابن معن وبين يوسف باشا ابن سيفا بسبب حكم بلاد كسروان . وكانت الكسرة على ابن سيفا وقُتل ابن اخيهِ الامير علي وتشتت جيشهُ . واما الامير فخر الدين فتولى حكم بيروت وكسروان سنة واحدة ثم تركها برضاه لابن سيفا وسار الى الشوف (٢)

وفي سنة ١٦٠٠ (١٠٠٩ هـ) اقام البطريرك يوسف الحبيسَ سركيسَ ابن اخيهِ مطرانًا على الشام ولبث في حبس قزحيا . وكذلك رقى الى الاسقفية جرجس

---

(١) راجع كتاب روح الردود ص ٢٥ و ١٦٠ و ١٧٤ والدرّ ص ١٧٧ وما يليها

(٢) وفي النسخة التي بيدي من تاريخ ابن سباط سهوٌ صريح لانهُ ذكر هذه الحادثة في سنة ١١٠٧ هـ الموافقة لسنة ١٦٩٥ م .

ابن عُميرة الاهدني (١) فاقام بدير مار يعقوب الاحباش. ثم انتقل الى دير رأس النهر. وكذلك ميخائيل من بيت عبيد الاهدني فسكن هذا دير مُرت مُورا. وجميع هؤلاء كانوا قد تلقوا العلوم في مدرسة الموارنة برومية. ثم اقام ايضاً موسى العرجي اسقفاً على دير مار اليشاع بشراي

وفي السنة التي بعدها عقيب وفاة موسى اسقف العاقورة اقام عليها في العشرين من تشرين الآخر الخوري بطرس ابن الخوري سابا العاقوري من بيت حليب. وفيها تجدَّدت الفتنة بين سكان الحبس وسكان دير قزحيا. فامر البطريرك بوجوب اخراج اولاد جلوان من الدير فانتقل القس يوحنا من قزحيا الى دير مار سمعان الفراديس والاسقف يونان الى دير ميفوق. وفيها ارسل يوسف باشا الحاجّ يوسف وقانصو ولدَي احمد حمادة لقتل مقدمي جاج الموارنة لانهم كانوا من حلفاء الامير فخر الدين. ولما كانت ايام الحصاد ذهبا الى جاج والتقيا بالمقدمين عند البيادر فقتلاهم وكانوا اربعةً واستوليا على اموالهم وعقاراتهم وتسلطا على مشيخة بلاد جبيل (٢)

وفي سنة١٦٠٢(١٠١١هـ) في اول جمعة من شهر حزيران كبس الامير موسى ابن الحرفوش مع جماعتهِ جبة بشراي فنهب بيوتها واخذ سائمتها لان اهلها كانوا في السواحل لحلّ القزّ. فلما بلغ ذلك يوسف باشا جمع سكمانيتهُ واهل الناحية وكانوا ينيفون على خمسة آلاف نفس فكبسوا مدينة بعلبك في يوم عيد مار يوحنا فتشتت اهلها ودخل شلهوب ابن نبعة في قلعة بعلبك مع جماعة من الحرافشة واهالي البلاد ينيفون عن الف رجل ما عدا النساء والاولاد. فحرق ابن سيفا بلاد الحدث وحاصر القلعة مدَّة خمسين يوماً ثم ملكها. وقتل ابن فاطمة ورعد بن نبعة من طبشار لانهُ كان مع الامير فخر الدين في

---

(١) ولهُ غراماطيق اللغة السريانية في اللاتينية وعليهِ مقدمات جليلة عن اللغة السريانية وقدامتها. ولهُ كتاب آخر في هندسة البناء بالعربية اقترحهُ عليهِ الامير فخر الدين المعني (سفر الاخبار ص٢٠٦)

(٢) راجع اخبار الاعيان ص ٣٥١

وقعة نهر الكلب. وقتل ابن اخيهِ الامير علياً ثم نادى بالامان . وعندما كبس الامير موسى جبّة بشرّاي دخل اثنان من جماعتـهِ الى كنيسة دير راس النهر في اهدن فضرب احدهما صورة السيدة ثلاث ضربات بالخنجر وفي حال خروجهِ يبست يدهُ وفي تلك الليلة مات (١)

وفي سنة ١٦٠٣ (١٠١٢هـ) اقام البطريرك يوسف يوحنا الحصروني ابن الشدياق حاتم الحوشبي ويوحنا ابن مخلوف الاهدني اسقفَين ليكونا مساعدَين للخوري عبد الله الاهدني في شؤون دير قنوبين. وكان الاسقف يوحنا الحصروني من تلامذة مدرسة رومية فارسلهُ سفيرًا الى البابا بولس الخامس

وفي سنة ١٦٠٥ (١٠١٤هـ) كانت وقعة جونية بين الامير فخر الدين وبين يوسف باشا وكانت الهزيمة على يوسف باشا. وما زال فخر الدين واليًا على الشوف حتى جاءه الحافظ وكان الشيخ يوسف بن الاسلماني (٢) واليًا في غزير من قبله (٣)

وفي سنة ١٦٠٦ (١٠١٥هـ) عاد الاسقف يوحنا الحصروني من رومية . وفيها كان تغيير حساب الصوم الكبير. فاحتفلت طائفتنا بعيد الرسولين في طرابلس والجبة وجبيل والبترون مع الافرنج نهار الخميس قبل جميع طوائف الشرق بعشرة ايام. ثم جرى هذا الحساب في الشام وحلب وبقيَّة المدن ما خلا جزيرة قبرس. ولاجل ذلك تركوا الحساب اليوناني الذي لاسكندر وتمسكوا بحساب ميلاد السيد المسيح (٤)

(١) راجع ابن سباط وكتاب الغرر في تاريخ سنة ١٠١١هـ واخبار الاعيان ص٢٢٠

(٢) وفي اخبار الاعيان : المسلماني

(٣) راجع كتاب الغرر الحسان في تاريخ ١٠١٤هـ. واخبار الاعيان ص٢٥٣ و٣٥٢ وتاريخ ابن سباط في اخبار بيت معن

(٤) وقد نادى بهذا الحساب في حلب المطران يوحنا بن حاتم بن شمعون بن فهد الحوشبي الحصروني الماروني. فخاصمهُ رؤساء طوائف حلب المسيحيـة. ودفعوا لواليها اربعة آلاف قرش ليميتـهُ حريقًا بالنار. فحضر الى المحكمة ودافع عن هذا الحساب فافحم خصومه وخرج من المحكمة فائزًا بالغلبة. ولابن عمه المطران ميخائيل سعادة شرح على هذا الحساب طبعهُ في رومية سنـة ١٦٣٧ وهو كاهن. اما الملكيون الكاثوليكيون فانما اخذوا في اتباع

,, وفيها وجّه البابا بولس الخامس رسالة الى البطريرك يوسف الرزي مؤرخة في ١٣ ك ٢ فمن جملة ما قال فيها: نسأل ابا الراحم الازلي ان يفيض الخيرات السماوية عليكم وعلى سائر الاخوة الاساقفة والاولاد الاعزاء الاكليروس والشعب الماروني كله. لاننا نراكم بنعمة الله مزهرين كالورد في اصقاع المشرق بين اشواك الكفرة" (عن روح الردود ص ١١)

وفي سنة ١٦٠٧ (١٠١٦ هـ) جرت حروب شديدة بين علي باشا ابن جنبلاط وابن سيفا فتولى ابن جنبلاط مدينة حلب وخرج عن طاعة السلطان. فتوجهت اليهِ العساكر العثمانية من اسطنبول بمحافظة مراد باشا الوزير. وقبل ان يبلغوا ارض حلب خرج ابن جنبلاط الى لقائهم مسافة بعيدة وكانت الكسرة عليهِ. وعاد من وقتهِ الى حلب وملأ القلعة من الميرة وحصّنها بآلات القتال وجعل بها احبابه وعياله ورجاله وولى عليها اطلي طلمش بلك باشي (١) وامره ان يتحصن بها ثلاث شهورٍ الى ان يأتيه بالنجدة من شاه العجم. وفي حال خروجهِ من ارض حلب وصل اليها مراد باشا الوزير ومعهُ احمد باشا حافظ الشام ويوسف باشا ابن سيفا سردار العساكر (٢) فشدَّد الحصار على المدينة وافتتحها. ثم نصب المنجنيقات على القلعة وكاتب اطلي طلمش حافظها ووعده باعطاء سنجقية (٣) وتعهد للآخرين باعطاء خلع كثيرة فاطمأنوا وسلموا القلعة اليهِ فقبض عليهم وقتلهم عن آخرهم وباع عيال علي باشا ابن جنبلاط وجواريهُ بيد الدلال وبيعت والدته بثلاثين قرشاً. ثم صارت المناداة على كل جنس السكمانية (٤). وكان عدد

الحساب الغريغوري سنة ١٨٥٨ ولذلك كثر بينهم من الخصام والانقسام ما اوجب غبطة السيد اكليمنضوس باخوص بطريركهم ان يتنزل عن مقامهِ. ثم رجع اليهِ بامر الكرسي الرسولي الذي لم يقبل تنزلهُ عنهُ (الدر ص ١٨٠)

(١) ويروى: ورفع اليها عياله واسبابه وولى عليها اطلي طوماش باشا (ابن سباط وكتاب الغرر)

(٢) قولهُ «سردار العساكر» زيادة غير موجودة لا في تاريخ ابن سباط ولا في كتاب الغرر (٣) ويروى ووعده بنيابة حلب (ابن سباط والغرر)

(٤) ويروى التفكجية بدل السكمانية (عن المذكورَين)

عساكر ابن جنبلاط نحو ٨٠ الف فقتلوا في مواضع مختلفة وحملت رؤوسهم الى الوزير ولم يخلص منهم الاَّ القليل . . .

ثم ان الوزير مهَّد امور حلب . واماً الامير فخر الدين فحنق عليهِ الوزير لانهُ كان من حزب ابن جنبلاط وكان معهُ في ارض عراض عندما كسر العساكر الشاميَّة . فوجَّه الامير اليه في شهر رمضان ابنهُ علياً ولهُ من العمر نحو ٩ سنين ودفع لهُ على مرتين ثلاثمائة الف قرش لكي يستعطف خاطره فعفا الوزير عنهُ وانعم على ولده بسنجقية صيدا وبيروت وغزير

وفيها صار القشلق وتفرَّقت عساكر السلطان على البلدان من حلب الى بلاد الشوف نحو اربع كرَّاتٍ . وكانت الناس في ضيق عظيم من الغلا ومن الرامية (١) التي كانت على الضياع والديورة . ودخل ابن اللقَّاش وكرم الطورزاني البيروتي على يوسف باشا وتكفَّلا لهُ امام القاضي بالقشلق فاعتزل جبَّة بشراي الى طرابلس . وفي بلاد البترون خربت حوب وبلعة ورام وتولا . امَّا الاسقف يونان السمراني والخوري عطية فتركا دير سيدة ميفوق وهربا فسلبت العساكر جميع ما وجدوا فيهِ . ودام القشلق خمسة شهور في البلدان ثم ارسل الوزير واستقدمهُ الى حلب

سنة ١٦٠٨ (١٠١٧ هـ) في شهر آب توفي البطريرك يوسف ابن الرزّ وله في البطريركية ٢١ سنة واقام في خدمته ثلاثة اساقفة وهم ابرهيم من قرية موسى وجرجس البسلوقيتي ويوحنا الاهدني . وكان لهذا دالَّة عظيمة على يوسف باشا وحصّل منهُ اوامر مختلفة في ان لا يتعرَّض لهُ احد من ابناء الطائفة لا في تغيير حساب الصيام والاعياد ولا في امور الزواج وقواعد الدين والعوائد . ولما ظهر الحساب الجديد اخذ الذين كانوا ينافقون بالدين يتظاهرون به من دون خوف . واقام الجسر الذي على نهر اهدن بين عين طورين وكفر سغاب وبنى دار مار ضومط في ارض داريا وانفق عليها مالاً كثيرًا . ولما قصد حسام الدين اليموني وهو من جملة خدم الباشا المشار اليهِ

(١) ويروى الرماية : (عن ابن اسباط والغرر) ولعل المراد بها الضريبة او البلص

ان يتزوج امرأة لا تحلّ لهُ في الناموس طعنهُ بالحرم من غير رهبة ونزلت عليهِ نار من السماء بينما كان سائرًا بالقرب من مغارة القديسة مارينة وجعلتهُ رماداً . ولشدة غيرته في ان تزيد طائفته اتحاداً مع الكنيسة الرومانية حلل اكل اللحم لرؤساء الكهنة وا كل السمك وشرب الخمر في صوم الاربعين وابطل جمعة نينوى وقصر قطاعة الرسل وقطاعة الميلاد ليجعل اعياد الرسل بطالة ويُدخل قبلها صيامات البيرمون . فما حسُن ذلك عند بولس الخامس صاحب الكرسي الروماني . وفي سنة ١٦١٠ امر بنقض كل هذه الامور في منشوره الذي ارسلهُ الى البطريرك يوحنا خليفة المذكور . لان العوائد التي كانوا متمسكين بها هي عوائد ممدوحة اتصلت اليهم من الآباء الاطهار . الّا ان الامر الذي تجري عادة الناس عليهِ يصعب ردّهم عنهُ ولا سيما في الامور الواسعة . وكانت العادة من قديم ان يجري انتخاب البطريرك في اليوم التاسع من وفاته ولكن كثرة المظالم التي نتجت من توزيع القشلق سببت فراغ الكرسي تسعة اشهر

„ وفيها ارسل البابا بولس الخامس منشوراً الى الموارنة في ٢٨ كانون الاول قال فيهِ ما ترجمتهُ : تبارك ابو ربنا يسوع المسيح اذ لم تذرْ وفرة مراحمهِ الزاخرة طوفان المياه العرمرم اي الانشقاقات المتنوعة والبدع السيئة التي عمت بلاد المشرق منذ ازمنة ولم تزل الى وقتنا مستحوذة على اكثر البسيطة تقترب منكم . بل آثر بنعمة خاصة من سبحانه صيانتكم قروناً كثيرة ثابتين على صدق الايمان الكاثوليكي حتى ذاع ايمانكم في العالم باسرهِ واثنت عليهِ الكنيسة الرومانية ام الكنائس كافة „ (عن روح الردود)

في سنة ١٦٠٩ (١٠١٨ هـ) في دخول شهر حزيران اجتمع الرؤساء واكابر الشعب واجلسوا على الكرسي الانطاكي يوحنا ابن مخلوف الاهدني وهو التاسع من البطاركة في دير قنوبين . فارسل الى رومية القس جرجس بن مارون والقس الياس ابن الحاج حنا من اهدن والشماس يوسف الكرمسدّي واقام الخوري حنا الشدراوي اسقفاً . وبسبب كثرة المظالم على الكرسي من القشلق ومن الشدياق خاطر اضطُر ان يتوجه الى ناحية الشوف ليكون تحت حماية الامير فخر الدين . ولما وصل الى ارض بريسات

طعن بالحرم الشدياق خاطر الذي كان سبباً في خروجه فترامى عليهِ اهل الناحية كي لا يعاملهُ بجهلهِ . عند ذلك حوَّل الحرم على قلعة كبيرة فوق الحدث فانشقت عاجلاً . والى اليوم تُعرف بالقلعة المحرومة . ولما حضر الى الامير فخر الدين استقبلهُ بكل اكرام . واتفق قبل ذلك الزمان ان وقعت الفتنة بين المسلمين سكان قرية مجدل معوش وكثرت القتلى من الجانبين حتى اتفقوا على بيع القرية والخروج منها . فاشتراها منهم الامير علي بن الامير فخر الدين باثني عشر الفاً دفعتها النصارى (١) فنزل البطريرك حينئذٍ في القرية المذكورة وبنى لهُ فيها كنيسة ودارًا واستمر هنالك حتى قصد زيارة القدس (٢)

وفي سنة ١٦١٠ (١٠١٩هـ) رجع القس جرجس بن مارون من رومية ومعهُ رسائل التثبيت ودرع الرئاسة بتاريخ ٨ اذار ورسالة اخرى للشعب ورسالة ثالثة في ابطال السنن التي وضعها البطريرك يوسف السالف وامرِها ان ترجع العوائد على ما كانت عليهِ اولاً . وتوعد بالحرم كل من يمنع رؤساء الكهنة من استعمال سلطانهم وكل من يتصدى لهم او يستعين عليهم بأولي السلطان والامر . واوصى البطريرك ان يبادر الى رفع الاهانة الجارية على الكهنة بطلب المال . وفيها رُسم الاسقف يوسف ابن بشارة من بيت السوق وهو ابن اخي الاسقف اقليميس الاهدني

وفي سنة ١٦١١ (١٠٢٠هـ) بعد وفاة مراد باشا تولَّى الوزارة العظمى نصوح باشا وتوجه الى ديار بكر وقدمت اليهِ الامراء والمقدمون حاملين الخدم (الهدايا) وارسل اليهِ الامير فخر الدين مع الكتخدا مصطفى خمسة وعشرين الفاً ما عدا الخيل والاقمشة . فقبلها الباشا وخلع عليهِ . ولكنهُ لم يظهر لهُ البشاشة المعهودة . ولما جاء الباشا المشار اليهِ الى مدينة حلب ارسل يطلب منهُ خدمة لحضرة السلطان فبعث لهُ الامير بخمسة وعشرين الفاً غير الاولى استعطافاً لخاطره . وخمسين الفاً لحضرة السلطان . وخمسة آلاف لعلي شاويش . واما سبب سخط نصوح باشا الوزير على الامير فخر الدين فهو لانهُ اسعف ابن الحرفوش وابن شهاب على التخلص من احمد باشا حافظ دمشق

---

(١) ويروى : وسلمها للنصارى (٢) راجع اخبار الاعيان ص٢٥٤

لما اراد القبض عليهما . ثانياً لان الخدمة التي ارسلها اليهِ كانت انقص من الخدمة التي ارسلها الى مراد باشا مع ابنه الامير علي (١)

وفي سنة ١٦١٢ (١٠٢١هـ) قدم من حلب الى دمشق الحافظ احمد باشا واخذ في تهييج الفتن فعزل الامير حمدان بن قانصو من سنجقية عجلون ونابلس وسلمها لفروخ بك . وعزل عمر شيخ عرب المفارجة عن حوران وسلمها لرشيد شيخ عرب السردية . فاستنجد هذانِ بالامير فخر الدين فارسل معهما ولده الامير علياً مصحوباً بثلاثة آلاف رجل . فغزا بلاد العرب وحوران وحارب عساكر الشام والشيخ ناصراً المحلي وظفر بهم وغنم اموالهم ودوابهم . واستقرّ الامير حمدان في عجلون والشيخ عمر في حوران . وبسبب ذلك رُفعت الشكايات من الحافظ احمد الى الباب الاعلى في ان الامير فخر الدين غزا بلاد حوران والجولان وحاصر مدينة دمشق . فجهز السلطان الفي رجل من انكشاريَّة اسطنبول وخمسين سنجقاً واربعة عشر بكلربكياً من ديار بكر واناطولية وقرمان والرُها وطرابزون ومالطة وحلب وطرابلس والشام وغيرها من الاماكن . وولَّى عليها نصوح باشا الوزير . فلما وصلوا الى دمشق توجه الى مقابلة الوزير الامير يونس ابن الحرفوش والامير احمد ابن شهاب والامير علي حاكم وادي التيم . واما الامير فخر الدين فهم ان يدخل في البريَّة من غير ان يقاتل عساكر السلطان فلم يمكّنهُ العرب من ذلك . فحصَّن قلعة شقيف ارنون وقلعة بانياس الصبيبيَّة ومغارة نيحا المسماة شقيف تيرون وملأ الاماكن المذكورة من الميرة وآلات الحرب وجعل فيها عياله واثقاله . وولَّى حسناً اليازجي حصن بانياس وحسناً الطويل حصن الشقيف . واما ابنه الامير علي فدفعهُ الى الشيخ عمر واعطاهُ اربعمائة سيماني بعلائفهم ليحفظوهُ في صدر البريَّة . وكان الشيخ عمر رجلاً شجاعاً وكانت لهُ ولأسلافهِ منذ القديم ضريبة

---

(١) قال ابن سباط ما حرفيتهُ : كان من عادة الامير فخر الدين كلما تولى وزير ان يخدمهُ بشيء جزيل من المال (راجع تاريخ ابن اسباط في سنة ١٠٢١ للهجرة وكتاب الغرر تجد فيهما بعض اختلاف وزيادة)

على الحجاج . ثم ان فخر الدين جمع اخاه الامير يونس ووالدته ومشايخ الشوف وبيت الخازن واوصاهم ان يكونوا يدًا واحدةً ليصونوا بلادهم من يد الاتراك ولا يصدقوا عهودهم لئلا يجري لهم ما جرى لجماعة ابن جنبلاط . وعند ذلك استأجر مركبين من الافرنج وجعل بهما تحفًا واموالاً جزيلة وركب البحر لعشرة خلت من شهر محرّم قاصدًا بـلاد الغران دوقا (الدوقا العظيم) ونزل بمدينة ليكورنة فاستقبله حضرة الامير ووالدته بالأكرام واخلى لهُ سرايا كبيرة ورتّب لهُ علوفة سنوية كل سنة الفي سكوت . واما حافظ احمد فولّى حسنًا باشا ابن سيفا مدينة بيروت والشيخ مظفرًا رأس اليمنية بلاد الشوف . وابن البستنجي مدينة صيدا . وزحف من دمشق الى بلاد الشوف بنحو مئة الف رجل من سيمانية ودروز وعربان ووضع الحصار على قلعة الشقيف وحصن بانياس ولبث خمسين يومًا ولم يقدر على افتتاحها . حينئذٍ امر رجاله ان يطوفوا البلاد فيقتلوا ويحرقوا . فلما انتهى ذلك الى الامير يونس كاتب الوزير في عقد الصلح فاجابهُ الى ذلك وامرهُ ان يوجّه اليهِ عقّال الشوف وعلماءهم مع للسيدة والدته لكي يتكفلوا لهُ بمايصـير القرار عليهِ . فاتفقوا حينئذٍ على ان يدفعوا لهُ مئة الف قرش فضةً . وعندها سافر الوزير الى دمشق واخذ اولئك الجماعة معهُ رهنًا الى ان يُرسل اليهِ المال المطلوب . وبعد مدة يسيرة وجّه الامير يونس الشيخ احمد ابن العكس احد دروز حفة حلب مصحوبًا بالمبلغ المذكور . ومن حيث ان الشيخ المشار اليهِ لم يوصل الدراهم كلها بل اخذ منها عشرين الفًا وهرب استأنف الوزير الركبة على البلاد ورجع الى البقاع وشتت الناس . واما الامير يونس فدخل حصن بانياس مع اربعمائة نفر من اجاويد الشوف . فارسل الوزير فرقة من العسكر لغزوِ وادي بسري فتغلّب عليهم اهل الشوف وقتـلوا منهم نحو ستمائة رجل . فلما بلغ ذلك الوزير جهز لهم ثمانية آلاف فشتتوا شملهم وقتلوا واسروا منهم . ثم اذن لهم في حريق البلاد ونهبها وبعد اربعة ايام من ذلك وصل الخبر بقتل الوزير الاعظم نصوح باشا فخـاف الحافظ وسرّح ابناء العرب وسار الى دمشق (١)

(١) ذكر صاحب الغرر هذه الامور واتى بجملة تفصيلات ملأ بها نحوًا من ثلاثين

وفيها كانت وفاة الشدياق خاطر الحصروني فقام مكانه في مشيخة جبة بشرّاي ولده الشدياق رعد . وكذلك توفي الشيخ ابو قرقماز عون ابن الخازن . وبعث الامير يونس ابن معن اخاه الشيخ ابا رحَّال خاطرًا مع رسائل الى اخيـهِ الامير فخر الدين يعلمه باحوال البلاد

سنة ١٦١٣ (١٠٢٢ هـ) وردت البشائر بان السلطان عزل احمد باشا عن محافظة الشام واعطاها الجركس محمد باشا فارسل متسلمهُ وامره ان ينادي بالامان ويرد جميع النازحين . وضمن بلاد الشوف الشيخ يوسف المسلماني احد دهاقين بيت معن . والامير يونس ابن معن كاتب اهل الشوف ان يعودوا الى اوطانهم وارسل الشيخ ابا نادر ابن الخازن والشيخ ابا ظاهر ابن حبيش ليعدًّا الاشجار ويستوفيا المال من ابن المسلماني . وكان الشيخ ابو نادر شديد الغضب حسن الرضى حزومًا منكرًا الظلم حافظًا لسر بيت معن . ولما قدم محمد باشا الى حلب وجمع العساكر ليسير بها الى مقاتلة سلطان العجم اطلق سبيل الست (والدة فخر الدين) وعلماء الشوف وارسل عفونامه ومنديل الامان الى الامير فخر الدين لكي يعود الى بلاده

وفيها كان مقتل رعد بن الشدياق خاطر الحصروني . تزوَّج ست البنات بنت المقدم مقلد وكان كثيرًا ما يتهددها بالقتل فوضعت لهُ على ما قيل سمًّا في دجاجة اكلها مع اخيها جمال الدين يوسف فماتا كلاهما . وفي جمال الدين يوسف انقرضت ذرية العناحلة ثم ان يوسف باشا ولَّى على جبة بشراي ابا عاشينا شلهوب لانه كان من بيت حسينات ابن بنت المقدم عاشينا بن حسام الدين العنحلاني . وكان لهُ ثلاثة بنين وهم عاشينا ويوحنا وميخائيل . ولانّ نعمة وداود وجرجس اولاد الشدياق خاطر كانوا يزيدون عليهِ في ضمان البلاد تآمر عليهم مع الحاج سليمان الملكي كاتب الديوان حتى ان يوسف باشا

صفحة وكذلك فعل ابن سباط . ولما كان من شأننا ان نكتفي في مثل هذه الحوادث التي جرت ببلاد الموارنة غير متعلقة بهم رأسًا بخلاصة امرها فقط اضربنا عن نقل هذه التفصيلات من مظانها

قبض على نعمة ودواد وحبسهما ثم جعل يمنيهما بالمواعيد في ان يوليهما حكم الجبة حتى استصفى اموالهما . وبعد ذلك امر بحملهما ليلاً الى قبور الغرباء فخُنقا هنالك وزُجا في بئر الازهري (١) . وقبض ايضاً على المقدم شلهوب واخيهِ جرجس وغرقهُ عند راس النهر في المدينة . ولم يزل شلهوب مقدماً على الجبة الى ان قُتل

وفي سنة ١٦١٤ (١٠٢٣ هـ) كان فرق الصوم بين امتنا وبقيَّة الطوائف خمسة اسابيع فاستغنم الفرصة بطريرك الروم ووشى بهم الى حافظ احمد نائب دمشق فقبض على القس ميخائيل والقس الياس وثلاثة من رجال الطائفة وقذفهم في السجن في ٤ نيسان . اما القس يوسف بن حليب فقدم عريضة بيّن فيها ان هذا التغيير لم يصدر منهم بل من الرؤساء واسترحم منهُ ان يجمع البطريركين ليحتج كل منهما عن طائفتهِ ويُعاقب الخارج عن الصواب . فاستحسن النائب رأيه ودعا بطريرك الروم الى ذلك فابى فامر بسجنهِ في القلعة واعطى كهنة الموارنة امرًا (بيلوردي) ان يعيّدوا كما حكم بطريركهم

وفيها في جمادى الاخرى قدم الى دمشق جركس محمد باشا الوزير فارسل اليه الامير يونس ابن معن ٢٥ الف قرش خدمةً ومئة الف لمطبخ السلطان . وتعهّد لهُ انه في كل عام يرسل خمسين الفاً لحضرة السلطان فوق المال المعتاد وطلب منهُ ان يبعث بعضاً من رجال الدولة لكي يسكنوا في حصن الشقيف وحصن ارنون . فارتضى الوزير بذلك وانعم على الامير ابن معن بسنجقية صفد وعلى عمهِ الامير يونس بسنجقية صيدا وبيروت وما يليهما . ثم سار الى حلب فشتى بها . وهناك جمع العساكر وقصد المسير الى مقاتلة سلطان العجم . وفيها اقيم جرجس بن مارون الاهدني مطراناً على افقسية قبرس

وفي سنة ١٦١٥ (١٠٢٤ هـ) امتنع يوسف اغا من ان يتسلم حصن الشقيف وحصن ارنون الى ان يُخرج منهما ابن معن اولاد العرب ويتصرف بهما الاتراك

---

(١) طالع اخبار الاعيان ص ٢٢٠

تام التصرّف . فشقّ ذلك على الامير يونس واخذ في هدمهما . ولما انتهى الخبر الى الوزير فرح جدًّا وامر بخرابهما . وفي ٢١ من شهر ربيع الاول اخذ المسلمون في تخريب الحصنين المذكورين ولبثوا في تخريبهما نحوًا من اربعين يومًا وعفى الوزير عن نصف مال الارسالية التي كان الامير قد تعهّد بها وجعلها ٢٥ الفًا لا غير عن كل عام وارسل امرًا الى يوسف باشا ابن سيفا ان يرفع يده عن بلاد كسروان وبيروت ويكفّ عن مساعدة الشيخ مظفّر وابن الامير محمد بن جمال الدين والمقدمين بيت الصواف . فلم يرتضِ بذلك ابن سيفا بل اتّحد مع الامير شلهوب بن لحرفوش ومع امراء رأس نحاش وحسن اغا وغيرهم وساروا بالفي نفس لمقاتلة آل معن . وجمع الامير يونس ابن معن وابن اخيه الامير علي والامير عليّ الشهابي نحو ثلاثة آلاف نفس والتقى الفريقان عند عين الناعمة . ونهار الاثنين ثاني شعبان كانت الكسرة على السيفلية فطردهم المعنية الى قرب الشويفات وقتلوا منهم نحو مائتي نفس . وفي النهار نفسهِ انتشب القتال بين المساعرة وبين المطاوعة في قرية عبيه وفي اغميد وفي عين دارا وفي الجميع كانت النصرة لبيت معن . وفي اليوم الثاني توجه العسكر الى اخذ بيروت فقدم لهم البيروتيون عشرين الفًا فاخذوها صلحًا وبذلوا لهم الامان . ثم ان الامير يونس اباح للعسكر ان يغزوا بلاد الغرب والجرد والمتن فنهبوا جميع ارزاق بيت سيفا وحرقوا دورهم خاصّةً دار الامير محمد جمال الدين الشويفاتي ودار المقدمين بيت الصواف في الشبانية . وعندها اخذ الامير حسن بن يوسف باشا عيال اخيهِ حسن باشا وارتحل بهم من غزير . واما الامير يونس ابن معن فارسل الشيخ ابا نادر ابن الخازن ومملوكه ذا الفقار ليسكنا في غزير ويتوليا بلاد كسروان وسائر البلدان (١)

وفي سنة ١٦١٧ (١٠٢٦ هـ) توجَّه حسين اليازجي الى صفد فقبلهُ مشايخ بيت منكر وبيت شكر ابناء علي الصغير . وفي جمادى الاولى زحف ابن معن على بلاد صفد

---

(١) اطلب تفصيل حوادث سنة ١٦١٣ و ١٦١٤ و ١٦١٥ في كتاب الغرر وتاريخ ابن سباط

بالف رجل وانشب القتال مع جماعة حسين عند الوعرة التي فوق الوقّاص . ودام القتال بينهما ساعتين فقتل حسين اليازجي وانهزم عسكرهم وغنم المغنية طبولهم وزمورهم وامتعتهم . ثم ان الامير ارسل الخدمة الى الوزير وتكفل لهُ بمال الارسالية وبالدراهم التي استدانها حسين اليازجي فجاءته الاوامر من الباب العالي بسنجقية صفد وصيدا وبيروت وتوابعها . وفي التاسع من شوال كانت عودة الامير فخر الدين الى عكا . وكانت مدة غربتهِ في بلاد النصارى خمس سنين فوجه لهُ الخدم بيت الحرفوش وبيت شهاب وغيرهم واعطى احمد آغا الذي جاء بطلب الارسالية ثلاثة آلاف وارسل معهُ ستة وثلاثين الف قرش لكمال مال الارسالية عن ثلاث سنوات . وفيها توفي الخوري ميخائيل الاهدني الذي سكن في محبسة مار ميخائيل في وادي قزحيا التي بناها اولاً القس بركة . ثم خلفهُ فيها القس موسى من اليمونة . ثم القس يعقوب من برناسا من معاملة البترون . ثم القس ميخائيل . ثم القس حنا . ثم القس ميخائيل . ثم القس جبرائيل . ثم الخوري ميخائيل وجميعهم من اهدن . وبعد وفاة هذا الاخير خلت المحبسة

وفي سنة ١٦١٨ (١٠٢٨ هـ) قدم الى طرابلس عمر باشا الباتجي (١) فضبط المدينة واما بلدانها فكانت تحت ولاية ابن سيفا ولم يعوّضهُ منها شيئاً . فاستنجد بالامير فخر الدين فجمع هذا الرجال من صفد وصيدا والشوف وغيرها . وفي شهر صفر سار بالعسكر الى نهر ابرهيم وزحف على اميون وبجعون حتى وصل الى قبولة . فلما اتصل خبره بابن سيفا رحل ليلاً الى قلعة الحصن فغنم الامير اثقالهُ والتقى بجماعة عمر باشا . اما ابن سيفا فانهُ تضيّق جداً لقلة الميرة والمدد حتى اكلت رجاله لحم الخيل . ثم ارسل يستنجد بنائب دمشق مصطفى باشا خليفة علي نشنجي احمد وبإياز (٢) محمد باشا نائب حلب فاجاباهُ الى سؤالهِ وجمعا العساكر حتى بلغا حماة وكاتبا نائب طرابلس والامير فخر الدين بان يتحوّلا عن ابن سيفا . فلم يرتدّا عنهُ الّا بعد ان اعطاهما مئة الف قرش

(١) ويروى البستنجي (٢) ويروى في الغرر : اباز باشا

واعطى الاميرَ فخر الدين تمسكات بمئة الف غيرها . وكُتبت وثائق بين ابن سيفا والامير فخر الدين انهُ لم يبقَ لكل منهما عند الآخر حقٌ ولا دعوى . وفي نهار الخميس الواقع في عشرين من ربيع الاول رُفع الحصار ورجع كلٌ الى مقرِّهِ . واما الامير فخر الدين فوضع الحصار عند عودتهِ على قلعة جبيل التي كانت تحت ولاية السيفلية فأمَّنهم على الخروج وهدمها . وكان بنيانها مشيدًا جميلًا منذ الايام القديمة . وولَّى على بلاد جبيل الشيخ ابا نادر الخازن . وفتح ايضًا قلعة سمر جبيل ولم يخربها بل ولَّى على بلاد البترون المقدَّم يوسف ابن الشاعر . ثم في العشر الاول من ربيع الثاني وصل قبجي من الباب العالي بتقرير يوسف باشا على ايالة طرابلس فدخلها واستقامت احواله (١)

وفي سنة ١٦١٩ (١٠٢٩ هـ) ارسل الامير سليمان سيفا يستنجد بالامير فخر الدين على عمه يوسف باشا فنهض الامير برجالهِ الى البترون . فلما بلغ يوسف باشا قدومه سلم لهُ . فنهض الامير الى قرية شدرا في بلاد عكار وارسل الشيخ ابا نادر برجال كسروان مع الامير سليمان لحصار سكمان يوسف باشا في حارة عكار فحاصروهم فسلموا لهم بالامان (٢)

وفي سنة ١٦٢٠ (١٠٣٠ هـ) قدم مصطفى اغا من قبل حسين باشا الوزير الى الامير فخر الدين بكتابة ان يحتال على يوسف باشا بالمال . فتوجه الى برج البحصاص خارج طرابلس . فانتقل يوسف باشا الى جبلة وحضر ولدهُ حسين وباع على رضى والده من الامير فخر الدين جميع تركة بيت عساف بمدينة بيروت ومزرعة انطلياس وحارة غزير . وبعد ان تسلم الامير فخر الدين وثيقة المبيع كتب الى ابن سيفا بتحصيل مال السلطان فامتنع عن ذلك . واستمدَّ النجدة من سليمان باشا بكلربكي دمشق ومن عربان وتركمان حمص والبقيعة . واما الامير فخر الدين فحصر طرابلس وكان معهُ من

---

(١) راجع سنة ١٠٢٨ للهجرة في كتاب الغرر الحسان وتاريخ ابن اسباط وكلا الكتابين اخبرا بالتفصيل عن هذه الواقعة . وطالع ايضًا اخبار الاعيان ص ٢٢٠

(٢) راجع كتاب الغرر الحسان بتاريخ سنة ١٠٢٩ للهجرة واخبار الاعيان ص ٨٤

السكمانية نحو ثمانمائة . وفي نهار الاربعاء ثامن شهر رمضان دخلها . ثم وضع الحصار على القلعة فلم يقدر على فتحها . ثم نازل الأبرجة وجرت بينهم مواقع كثيرة . ولما قدمت النجدة الى يوسف باشا من العربان والتركمان خرج اليهم الامير فخر الدين وواقعهم عند النهر البارد فقُتل من الجانبين عدد غير يسير . ثم وصل مصطفى اغا القبجي ومعهُ خلعة للامير ومراسيم بان ينقطع عن مطالبة ابن سيفا . وقدمت ايضاً خمسة اغربة في البحر لحماية طرابلس . فلما وقف الامير على الامر في نهار الخميس وهو السابع من ذي الحجة ترك طرابلس ورحل الى بلاده (١)

وفي سنة ١٦٢١ (١٠٣١هـ) ولي ايالة طرابلس عمر باشا عثمنجي . وفي شهر ذي الحجة وصل متسلم الى طرابلس ومعهُ كتابات الى الامير فخر الدين لكي يكون مساعداً لهُ اذا بدا عناد من ابن سيفا . فلما بلغ ذلك يوسف باشا هجر طرابلس وتوجه مع ذوي قرابته الى عكار فارسل الامير فخر الدين فطرد اتباع ابن سيفا عن جبة بشراي (٢) وولّى عليها الشيخ ابا صافي بن الخازن (٣) . وعُهدت سنجقية عجلون الى الامير حسين ابن الامير فخر الدين

وفيها خُلع مصطفى باشا الفكلي عن الوزارة وتولاها محمد باشا الكرجي وبعث اوامره الى نائب دمشق والى الامير فخر الدين يوصيهما بمساعدة عمر باشا وبضبط عقارات ابن سيفا وايراد دخلها الى اموال الخزينة واصحاب الديون . فولّى عمر باشا احمد بك على حماة وجعفر افندي على جبلة وابن معن على جبيل والبترون وبشراي والضنية وعكار . ولما جمع الامير رجال بلاده وتوجه مع الامير محمد الشهابي الى

---

(١) راجع كتاب الغرر وابن سباط في تاريخ سنة ١٠٣٠ للهجرة حيث توجد تفاصيل مهمة عن حصار طرابلس ووصف شجاعة الامير فخر الدين والشيخ ابي نادر الخازن

(٢) وفي الغرر : ارسل الشيخ ابا نادر الخازن واهالي كسروان فطردوا جماعة ابن سيفا من جبة بشرّاي

(٣) ويروى في اخبار الاعيان : فولى الامير فخر الدين الشيخ ابا نادر على بشراي واشرك معهُ عمهُ الشيخ ابا صافي وجعل مقدمي البلاد تحت تدبيرها

طرابلس نهار الاحد الواقع في الحادي عشر من جمادى الاولى خرج عمر باشا والقاضي الى لقائهِ عند برج البجصاص وخلع عليهِ. وفي اليوم الثالث ورد امر سلطاني بتقرير طرابلس وجوارها على ابن سيفا لسبب تغير الصدر الاعظم. فعندها سار عمر باشا مع الامير فخر الدين الى بيروت ومن هناك ذهبا الى الباب العالي

وفيها بعث ابن سيفا فعدّ اشجار جبة بشراي وظلم جدًّا حتى عُدّ في اهدن خمسون الفًا ومئة وخمسة وستون اصلًا ولسبب ذلك تشتت اهل الجبة في حلب والشام وغيرهما من الاماكن

وفيها حمل عاشينا بن شلهوب مقدم بشراي على دير مار توما بارض حصرون وقتل القس دانيال العكاري طمعًا في دراهمهِ. فعرف بهِ الشيخ ابو صافي ابن الخازن فامسكهُ واخذهُ الى سمر جبيل ورفع امرهُ الى الامير فخر الدين فامر باهلاكه فقتله ودفنهُ عند جسر المدفون. ثم جاء المقدم شلهوب ليحتجّ عن ابنه فقبض عليهِ الشيخ ابو نادر وكتب الى حضرة الامير انهُ من حلفاء ابن سيفا فخنقهُ وزجّهُ في المدفون وكانت مدة ولاية المقدم ابي عاشينا تسع سنين (١)

„ وفيها كان الغلاء في سواحل البحر بسبب قلة الامطار حتى بلغت غرارة القمح ستة وثلاثين قرشًا فأمر البطريرك يوحنا مخلوف الاهدني بالنفقة على الناس فكانوا يأتون ويأكلون وعند المساء يتزودون لعيالهم. وكانوا يأتونهُ بالمرضى المدنفين وبمجرّد لمس يدهِ يرجعون متعافين من امراضهم “ (عن مختصر تاريخ لبنان في فصل الغلاء والجوع)

وفي سنة ١٦٢٣ (١٠٣٣هـ) في شهر محرم خرج ابن الحرفوش الى مقاتلة ابن معن عند عنجر ومعهُ ما ينيف على عشرة آلاف من عساكر الشام والسيفلية وعربان حمص. فظفر بهم ابن معن وكان معهُ نحو خمسة آلاف مقاتل واثخن في القتل

(١) طالع اخبار الاعيان ص ٨٤ و ٢٢٠ و ٣٥٤ وكتاب الغرر ج ١ ص ٣١٢ وما يليها

والسلب . وانهزم الجميع وبقيَ مصطفى باشا والي دمشق ومعهُ عشرة انفس . فلما وصل اليهِ الامير فخر الدين وضع برقبتهِ منديلًا وقبّل ذيله واطلق جماعته واعطاهم الف قرش وارسل معهُ بلك باشي سار بهِ الى قب الياس . فخلع الباشا عليهِ وقرر عليهِ وعلى جماعته مقاطعة غزَّة والبقاع العزيز وسناجق صفد وعجلون ونابلس . ثم سار الامير بالعسكر الى بعلبك فوجد بها اكثر من ثلاثين هُريًا من اهراء ابن الحرفوش فغنمها القوم من وادي التيم الى جبة بشراي . ثم حصر القلعة فقتل من جماعته ومن البنَّائين الذين نقبوا حائطها نحو اربعين نفسًا . وبعد برهة شاع الخبر بان مرادًا باشا صاحب حلب قبض على الامير يونس ابن الحرفوش بمعرة النعمان ورفعهُ الى قلعة سلْمية . وعند ذلك سكمانيتهُ المحاصرون بقلعة بعلبك سلموها الى ابن معن في جمادى الاخرى . وفي اليوم الثامن من فتحها امر الامير فخر الدين بهدمها . قال الرواة : ان قلعة بعلبك هذه في جبل لبنان هي اقدم ما بناهُ البشر في الدنيا باسرها . اعني ان قاين ابن آدم لما اعتراهُ الارتعاش امر ببنيانها في السنة المئة والثلاثة والثلاثين وسماها باسم ابنهِ احنوخ فسكن فيها الجبابرة . ولكثرة فواحشهم ارسل الله طوفان الماء . وبعد الطوفان ارسل نمرود الجبار فرازوكي ويناذاكار فجدَّداها وسمياها بعلبك نسبة الى بعل اله الموآبيين والسمرة . ثم ان سليمان بن داود نصب فوق القلعة قبةً رسم بها دوران الشمس في ابراجها . فلقبت بمدينة الشمس . ثم ان الكفَّار اقاموا بها نُصبًا على اسم الزهرة إلهة العشق . ولما اصطبغ بالصبغة المقدسة قسطنطين الكبير امر بهدمهِ وباقامة كنيسة على اسم والدة الخلاص وارسل اليها من عندهِ اسقفًا وقومًا من شمامستهِ يخدمونها . وما زال في بعلبك كنيستان واحدة على اسم القديسة بربارة وهي بيد الروم والاخرى على اسم السيدة وهي بيد الموارنة وكان خادمها يومئذٍ الشدياق بن الياس الماروني المعروف بابن الشدياق . ولما حصر الامير فخر الدين القلعة اخذ سكمانيته خشبها وجعلوه متاريس لصيانة النقابين من الحجار الملقاة عليهم من المحاَصرين بالقلعة

وفي سنة ١٦٢٤ (١٠٣٤ﻫ) انشأ البطريرك يوحنا مدرسةً لتعليم ابناء الطائفة

بدير سيـــدة حوقة (١) ووعد الذين يفوقون غيرهم علماً وادباً أَنَّهُ يرسلهم لاتمام دروسهم في مدرسة رومة

وفيها في منتصف شوال ليلة الاحد كانت وفاة يوسف باشا ابن سيفا التركماني وهو اول باشا تولّى مدينة طرابلس · وكان اميرًا جليلاً الا انهُ احتمل مشقات كثيرة من الامير فخر الدين ... وبعد موته بسبعة اشهر كانت نهبـــة طرابلس لان الامير فخر الدين قدم من بعلبـــك الى جبة بشراي وفي عيد الرب على موجب الحســـاب العتيق دخل المدينة والحش في النهب والسلب مدة اربعـــين يوماً الى ان جاء باشا حلب · ثم قدم اغا مصطفى باشا ابن اسكندر من قبل الصدر الاعظم حافظ احمـــد وتولّى ايالة طرابلس وكان دخوله من غير رحمة لكثرة ما صدر منهُ من الظلم · فولّى الامير سليمان على عكار اما اولاد عمه السيفلية ففرُّوا الى الحصن

وفي سنة ١٦٢٥ (١٠٣٥هـ) لمّا رقي رئاسة الكرسي الروماني البابا اوربانس الثامن انفذ اليهِ البطريرك يوحنا رسالة التهنئة والخضوع مع القس يوحنا بن قرياقس الحصروني وكان سابقاً تلميذ رومية وتولى مع القس جبرائيل بن صهيون الاهدني ترجمة اللغات الشرقية عنـــد سلطان فرنسة · فرحب بهِ قداسة البابا وارسل معه لغبطة البطريرك تاجاً جميلاً وكتاباً وحلة لاجل خدمة الاسرار المقدسة وكذا رسالةً نفيسةً يمدح بها ديانة الامة المارونية ويثني على همّة البطريرك بسبب انشائهِ المدرسة بدير حوقة وجعل لها مرتباً سنويًّا دام الى سنة ١٦٣٣ · اماَّ السيّد البطريرك فاقام القس يوحنا اسقفاً مكافأةً لهُ واتخذ السكنى في دير مار جرجس في قرية بقرقاشا ولبث هناك اربعة اشهر وتوفي ممدحاً في احد الشعانين

„ اما الرسالة التي بعث بها البابا اوربانس الثامن الى البطريرك يوحنا مخلوف فهي مؤرخة في ٣٠ آب من هذهِ السنـــة وهذا بدوُّها : اوربانس الثامن الى الاخ الموقر بطرس البطريرك السلام والبركة الرسولية

---

(١) راجع الدر المنظوم ص ١٥٩

لم يذبل البتة جمال الكرمل ولم يذوِ مجد لبنان ولو مدَّ العدو الباغي يدًا خاطفةً الى جميع ما يرغب فيهِ . فانكم ايها الاخ البطريرك الانطاكي وسائر اساقفة رعيتكم الواسعة وكهنتها تحترمون سلطان بطرس الطوباوي بالكرسي الرسولي والحبر الروماني . فمن تعمد الثناء على ظفَر مكابدتكم ومستحقّ ايمانكم لزمهُ ان يستمدَّ لكم الاكليل من العلاء . فان الجحيم فغرت فاها بتلك البلاد وصبَّت على كرم الرب في المشرق تيارات سامَّة وتعاليم كفريَّة . وكانت اقاليم كثيرة اشبه بفردوس ملائكة فصيرتها مرابض للتنانين . لان الكفار من جهة ينتضون سيف الكفر واهل البدع من اخرى يصدمونكم باسلحة غادرة شيطانية . فيشدّون الحصار على نفوسكم وهي في بهرة المكر لكنكم اشبه بجبل صهيون تردرون بهول الزعازع اذ وعدهُ الرب انهُ لا يتزعزع الى الابد

„ وقال الكردينال بنديني من رسالة بعث بها الى البطريرك المشار اليهِ في ٣٠ تموز من هذه السنة ايضًا بعرض اخبارهِ عن طبع بعض كتب كنائسية « ان الاحبار الرومانيين قد اتحفوا بانعامات جليلة بمقتضى فروض وظيفتهم الرعائية الطائفة المارونية الخاضعة للايمان الكاثوليكي والكرسي الرسولي . . . . ولذا بعد البحث الجهيد في هذه الكتب ومطالعة لاهوتيين آخرين اياها عرضنا امرهـا للاب الاقدس فشملهُ سرور لا يوصف . لان الله تنازل بوافر سخائهِ ان يحفظ عندكم ايمان الكنيسة الرومانية كاملًا دون انثلام او فساد وان كنتم بعيدين عنها مسافة اصقاع وبحور قاصية ويحدق بكم من كل جانب اعداء كثيرون لهذهِ الكنيسة . ولئلا يُلحظ وقتًا ما انكم تخالفون التعليم الرسولي ولو لفظًا انتمُ الذين لا تخالفونهُ معنىً امر الاب الاقدس بتهذيب ذلك واصلاحه على اسلوب الكنيسة الرومانية „ (عن روح الردود ص١١ و٢٤)

وفي سنة ١٦٢٦ (١٠٣٦ هـ) ارسل حافظ احمد الوزير فعزل مصطفى باشا عن طرابلس وولَّى عليها عمر باشا الدفتر دار . ثم تقدمت الشكايات في ابن معن انهُ ضام الرعية ونهب طرابلس مدينة السلطان . فعُزل حافظ احمد وتولَّى الوزارة خليل باشا

فسار الى حلب مع العساكر قاصدًا الحملة على الامير فخر الدين ونهب بلاده. وعند وصوله عزل عمر باشا عن ولاية طرابلس وولي ابرهيم باشا فارسل اليهِ الامير مع عبد الله البلك باشي يعده بمال كثير وبتسليم قلعة الحصن وصافيتا وسلمية وشميمس والمرقب. ولما تم الاتفاق على ذلك قُتل الامير يونس ابن الحرفوش وتحوّلت الحملة على الشام

وفي سنة ١٦٢٨ (١٠٣٨هـ) عني القس يوحنا بن القس يوسف من قرية غسطا في تجديد وبناء دير مار شليطا فكان اول الاديرة التي انشئت في تلك البلدان وكان اخوه القس سركيس مترهبًا في دير مار انطونيوس قزحيا فانتقل الى اخيهِ (١)

وفي سنة ١٦٢٩ (١٠٣٩هـ) في الخامس والعشرين من شهر اذار اقام السيد البطريرك القس اسحق الشدراوي اسقفًا على مدينة طرابلس وكان المذكور قد تلقى الآداب في مدرسة رومية وبهر في العلوم الالهية والطبيعية

وفي سنة ١٦٣٠ (١٠٤٠هـ) في الخامس من تشرين الثاني نهار الاحد حدثت زلزلة مريعة. وفي الساعة الثالثة من الليل حلّت في قلعة سمر جبيل وهدمت البرج الاوسط من جوانبه الاربعة وخرّبت جميع ما كان في القبو التحتاني المركب على البئر. وفيها خطفت الزوبعة نوفل ابن الشيخ نادر ابن الخازن ووالدته بنت الشيخ معتوق ابن حبيش مع ستة انفس آخرين. وفي السنة الثانية بدأ الشيخ ابو نوفل بعمارة القلعة

وفي سنة ١٦٣١ (١٠٤١هـ) وزع القشلق على بلاد الشام وحصلت ثقلة عظيمة على الرعية وضاقت الاماكن من كثرة الناس. ولما قدم الامير فخر الدين من صيدا الى طرابلس خرج الناس لملتقاه الى باب الحلَق وسألوه ان يمنع القشلق عنهم وكان تدبير المدينة مسلمًا من خمس سنوات الى المتسلمين. ثم ارسل الشيخ احمد ابن حمادة قومًا يلاقونه الى مريبين ووعده بمبلغ من الدراهم على شرط ان لا يدخل المدينة فأبى

(١) وهو اول دير تجدد في معاملة كسروان بعد خرابها الذي كان سنة ١٣٠٧ كما علمت (الدر المنظوم ص ١٦١)

فقاتلوه وقتلوا قوماً من جماعته فرجع الى حماة ومن هناك عاد الى بلاده

وفي سنة ١٦٣٢ (١٠٤٢هـ) بنى الامير فخر الدين في بيروت برج الكشاف والحوش والجنينات . وفيها بنى القس يوحنا ابن الشمالي في قرية درعون من بلاد كسروان كنيسة مار انطونيوس وبنى اخوهُ القس فرح كنيسة السيدة وكان الاخوان غزيري العبادة ولهما اليد الطولى في نسخ الكتب البيعية

وفيها عُني الشيخ ابو عماد ابن الجميل مع مساعدة اهل بكفيا فهدم كنيسة مار عبدا في القرية المذكورة وعقدها قبواً بثلاثة اقسام على يد المعلم حنا الشامي وكذلك القس بشاره من بيت الخراط عُني ووسَّع كنيسة الملكة في قرية بكفيا

وفيها قدمت رهبان الافرنج الى جبة بشرَّاي لما اشتهر عنها من الامان والراحة فسكن الرهبان السيكولنتية في دير مار يعقوب باهدن والكبوشية في دير مار قبريان من القرية المذكورة واستقرُّوا مدَّة . ثم انتقلوا الى دير مار توما في قرية حصرون واقاموا سنتين ومنها رحلوا الى طرابلس . وكذلك فرنسيس من بيت جلياق من مدينة اكوينة الفرنساوي الجنس زهد في الدنيا وترك استادية قسطول وحبس نفسهُ في دير سيدة حوقة بالقرب من دير قنوبين

وفيها كانت وفاة الاسقف يوحنا الحوشبي من قرية حصرون وكان قد تلقى العلوم في مدينة رومة وترهب في رهبانية القديس عبد الاحد ونقل جزءا من كتاب مار توما اللاهوتي الى اللغة العربية ونادى بسلوك الحساب الجديد بمدينة حلب . وكان رؤساء الطوائف دفعوا اربعة آلاف قرش على حريقه فحضر الى المحكمة واحتج عن تجديد حساب الفصح والصوم ولما لم يجسر احد ان يعارض حكمتهُ خرج منصوراً . ثم انتقل الى راحة الصالحين . وكانت وفاته بمدينة رومية بدير مار بطرس (١)

وفي سنة ١٦٣٣ (١٠٤٣هـ) عُني البطريرك يوحنا بتجديد كنيسة مرت مورا في كفر زينة . وكذلك اهل كفرحاتا جددوا كنيسة مار ماما ورهبان الكرمل

(١) ولهُ كتاب عنوانهُ قطف الاسرار في اللاهوت الادبي (سفر الاخبار ص ٢٠٧)

اخذوا السكنى في دير مار اليشاع بشرّاي . وفيها كانت الحملة على الامير فخر الدين وذلك انهُ لمـاَّ رُفعت عليهِ الشكايات الكثيرة الى السلطان مراد امر كجك احمد ان يجرد الجيش للقبض عليهِ

وفي ربيع الاول الموافق لشهر ايلول خرجت العساكر من الشام يوم الاربعاء وزحفت على بلاد ابن شهاب وغزوا وادي التيم ونهبوا واحرقوا وقتلوا . ثم نزلوا الى الخان الجديد تحت حاصبيا . ولما انتهى خبرهم الى الامير علي وهو في صفد زحف برجاله من صفد مسرعاً وما بات الّا في بانياس . ثم قام ليلًا وكبس عسكر الدولة فظفروا بهِ عند الصبح وقتلوه وقتلوا رفقاءه وانهزم الباقون . ثم قدم جعفر باشا قبطان البحر بالاغربة واجتاز من مينا طرابلس الى بيروت واجتمع السيفلية واصحاب الاغراض بجيش كبير وجاؤوا مقابلهم على طريق البحر فانهزم المعنية وتشتتوا . اما الامير حسين ابن الامير فخر الدين فالتجأ مع مدبرهِ الشيخ ابي نوفل نادر الخازن الى قلعة المرقب ولحم ابن الامير يونس فرّ الى الامراء آل طربيه والامـير فخر الدين ادخل عياله الى مغارة نيحة واختبأ مع الشيخ ابي نادر وسرور آغا وابي علوان وابي صافي في مغارة جزين . واما كجك احمد فسار الى صيدا وكتب الى الامير يونس ابن معن بالامان فنزل من دير القمر الى صيدا وفي حال حضوره قتله . ثم زحف عسكر الدولة على بلاد الدروز فقتلوا خلقاً كثيرًا واستولوا على جميع الحصون وولّوا الامير عليّ ابن علم الدين اليمنيّ على بلاد الشوف . ثم القوا الحصار على قلعة نيحة اي شقيف تيرون وامسكوا الامير حسيناً من قلعة المرقب مع الشيخ ابي نوفل الخازن وارسلوهما الى الوزير الى حلب . وبعد حصار قلعة نيحة ومغارة جزين كشفوا قناة الماء المنحدر الى قلعة نيحة فافسدوه بروث البهائم وملكوا القلعة (١) . ثم استحضروا قوماً ليقطعوا الصخر من فوق مغارة جزين ومن اسفل وفي غاية جمادى الاخرى بلغوا الى المختبئين فيها . عند ذلك كجك احمد اوثق الامـير فخر الدين واولاده منصورًا وحيذر وبلك مع مدبريه ابي نادر الخازن

(١) ويروى : في كتاب الغرر : فافسدوه بالدماء وكروش البهائم

ويوسف اغا. وسار بالجميع مسرورًا مؤيدًا الى الشام . . . امَّا الشيخ ابو نوفل فهرب بجيلة من حلب واماً والده ابو نادر فكفله الامير علي اليمني واخرجه من قلعة الشام . وكذلك سرور اغا كفله يوسف اغا. واماً الامير فخر الدين واولاده فسيقوا الى اسطنبول . ولما وقف بحضرة السلطان احتجَّ عن نفسه انه ما جمع الرجال الا باوامر مخصوصة من الوزراء والنوَّاب ولا قتل الَّا العصاة على السلطان . وان القلاع التي استفتحها انما اخذها من العصاة وكسبها الى السلطنة فاستصوب قوله حضرة السلطان . امَّا علي ابن علم الدين اليمني فقبض على وجهاء بيت معن وقتلهم وسلب مقتنياتهم . ولمَّا توجه الى قرية عبيه من بلاد الغرب ودعاه الامراء التنوخية للغداء في السراية التي تحت القرية غدر بهم وقتل الامير يحيي العاقل والامراء محمودًا وناصر الدين وسيف الدين . ثم كبس البرج الذي فيهِ اولادهم الصغار وقتلهم ثلاثتهم ولم يترك لهم ذكرًا يخلفهم . فلمَّا علم بذلك الامير ملحم ابن الامير يونس ركب على اليمنية في المقيرط فوق قرية مجدل معوش فظفر بهم وقُتل من الفريقين نحو ٤٠٠ نفس من جملتهم كاخية كجك احمد . فانهزم ابن علم الدين الى طرابلس ومن هناك الى الشام واستعان بدولة الشام واخذ صحبته نحو ٥٠٠ نفس . ولمَّا وصل تحت قب الياس برز سيد احمد ابن ابي عذرة الى مقاتلتهم باربعمائة من رجال العرقوب . فقبض عليهم عسكر الدولة وقتلوهم عن آخرهم . ثم رجع الامير ملحم والذين بقوا معه واختفوا في الشوف . وتجدَّدت الشكايات الى الباب العالي على الامير فخر الدين بان ابن اخيه ملحماً جمع الرجال وقتل كاخية كجك احمد وفتك بالعسكر وقصد ان يحاصر الشام . عند ذلك امر السلطان بقتل فخر الدين واولاده. وتقلّد السيفلية ايالة طرابلس واليمنية بلاد الشوف . وفي ايام فخر الدين ارتفعت رُؤُوس النصارى وعمروا الكنائس وركبوا الخيل بسروج ولفُّوا شاشات بيضاء وكورًا ولبسوا طوامين وزنانير مسقطة وحملوا القسي والبنادق المجوهرة . وقدم المرسلون من الافرنج وسكنوا الجبل وكان اكثر عسكره من النصارى ومدبريه وخدَمه موارنة (١)

(١) اطلب هذا الخبر في كتاب الغرر الحسان ص ٤١٨ . وراجع ايضاً اخبار الاعيان

وفي اواخر هذه السنة في ١٥ من كانون الاول استاثرت رحمة الله بالعالم الفاضل البطريرك يوحنا مخلوف الاهدني. وكانت وفاته في قرية كفر زينة من زاوية طرابلس وحمل ليلًا الى دير قنوبين. وكان لين الجانب كريم الاخلاق كثير الصدقة تنسك في دير قزحيا مدةً. ولمكان فضله وغيرته اقامه البطريرك يوسف الرز اسقفًا وجعله مساعدًا لهُ في قنوبين. فلما توفي خلفهُ على الكرسي الانطاكي وجدَّد لهُ املاكًا كثيرة في جبة بشرّاي وفي زاوية طرابلس .. اما رؤساء الكهنة فلم يستطيعوا الاجتماع في اليوم التاسع لانتخاب خلفه بحسب جاري العادة لسبب ما كان من الاضطهاد والبحث بسبب قتل الامير فخر الدين. وفي ٢٧ من كانون الاول انتخبوا البطريرك جرجس بن ميخائيل عميرة الاهدني وهو العاشر من البطاركة في دير قنوبين

وفي سنة ١٦٣٤ (١٠٤٤هـ) تولّى ايالة طرابلس قاسم باشا ابن يوسف باشا. وعندما جاءه الامر بالسفر الى بلاد العجم اوعز الى قومهِ بالركوب فلم يطاوعهُ مدبراه حسن اغا ويوسف اغا. وبعد ان سافر مرحلتين او ثلاثًا اشتدَّ عليهِ الخوف فتظاهر بالجنون وفرَّ وعاد العسكر الى المدينة. وعند ذلك اجتمع الاعيان وولّوا مكانه ابن اختهِ الامير عليًّا ابن الامير محمد فقام بتدبير المدينة شهرين. ثم ركب عليهِ خالهُ الامير عساف بن يوسف باشا والجأه الى الفرار من طرابلس الى بيروت. وهناك اتفق الامير علي السيفلي مع الامير علي ابن علم الدين الدرزي اليمني وصارا يدًا واحدة مع حسن اغا وخرجا بالرجال على طريق الجرد واستوليا على بلاد جبيل والمنيطرة. فزحف عليهما الامير عساف مع بيت حمادة واحرقوا جبيل والمنيطرة وقتلوا ابا جمال الدين سيّالة وابن اخيهِ من بيت المستراح. ثم ان المقدم زين الدين ابن الصوّاف ارتبط مع الامير علي السيفلي وسارا برجالهما الى قرية اعال (١) التي على نهر رشعين. فذهب الامير

في انقراض تنوخ واهلاك بيت معن واختباء فخر الدين والقبض عليهِ وما رُفع عليهِ من الشكايات الى السلطان ص ٨٠ و٢٤٧ و٣٣٠ وما يليها

(١) ويروى: ابعال او ايال (عن الغزر)

عساف مع مشايخ بيت حماده قاصدين ان يفتكوا بهما فظفر بهم الامــير علي ابن الامير محمد وقتل الشيخ كنعان بن قانصو حمادة مع جماعة كثيرة من اتباعهم ونزل بروؤس القتلى الى طرابلس. وتولى حكم المدينة وجبيــل والبترون . وبسبب كثرة الحكام والاغراض كثر الظلم وكلّفوا الرعايا بدل المال مالين وقبضوا على الرؤساء في القرى لكي يعلموهم عن عقارات بيت معن وبيت الخازن وغيرهم. وكان القس يوحنا ابن بهينا الاجبعي مترئساً على دير القديس مار مارون فُمعه صُن) في قرية كفرحي فوشى به اهل بقسميَّة الى ابن سيفا حتى قبض عليهِ واهانه وسامه ما هو فوق طاقتهِ. فترك الدير من ثم وارتحل. ومن ذلك الوقت خرب الدير وخربت ايضاً بقسميَّة التي كانت لطائفة الملــكية (١)

„ ثم جدد البطريرك يوسف اسطفان بناء ما كان منهدماً في الدير المذكور نحو اواسط القرن الماضي واسكن فيهِ بعض رهبان ثم صار مدرسة خصوصية في ابرشيــة جبيل والبترون سنة ١٨١٢ واخذت تترقى حتى صارت اليوم من المدارس الكبرى الزاهرة في سورية “ (الدر١٣٥ص)

وفي سنة ١٦٣٥ (١٠٤٥هـ) تولّى ايالة طرابلس مصطفى باشا النيشنجي (٢) ففوَّض ولاية جبيل والبترون والضنية (٣) الى الامــير علي السيفلي وعهد بعكار والحصن وصافيتا الى ذوي قرابتهِ . وجبة بشرَّاي للشيخ ابي كرم يعقوب ابن الريس الياس الحدثي وللشيخ ابي جبرائيل (٤) يوسف الاهدني. وكان هذا الاخير عادلًا في الحكم. ولمـا امره السلطان بالزحفة على الشاه الذي استولى على مدينة ازوان (٥) عهد بمحافظة البرّ الى الامير عساف فشقَّ ذلك على ابن اختــهِ الامير علي. فكبس

---

(١) اطلب ايضاً ابن سباط وكتاب الغرر بتاريخ السنــة المشار اليها. واخبار الاعيان ص٢٢١ (٢) وفي تاريخ ابن سباط والغرر: البستنجي (٣) ويروى: حكم جبيل والبترون . وقد اقتصر على ذلك ابن سباط وصاحب الغرر (٤) ويروى: ابي جبر (ابن سباط) (٥) وفي ابن سباط: ارزون

قرية اميون ونهبها وزحف بجميته المقدم ابن علي الصوّاف . واذ ذاك جمع خاله الرجال وانتشب بينهما القتال في ارض عزقيه (١) في طرف الزاوية فانكسر الامير علي وانهزم الى بلاد الدروز . وكان اهل بيته في برج سير (٢) فكبسهم الامير عساف وارسلهم الى عكاً (٣) واستولى على بلاد جبيل . ثم ان الامير علياً جاء بنجدة من بلاد الدروز وكبس خالهُ في قرية اعناز (٤) من بلاد الحصن . فظفر بهِ الامير عساف وقتل من جماعتهِ مقتلة كبيرة . ونزل بالرعية مشقة عظيمة من هذه الاحوال . وفيها سافر الشيخ ابو نادر ابن الخازن وولده نادر واخوه ابو خاطر (٥) الى بلاد الغران دوكا وعادا بعد سنتين من سفرهما . وفيها في شهر آب كانت وفاة القس نصرالله ابن شلاق العاقوري في رومية . وكان المذكور قد ربي بمدرسة رومية واقام ببلاد النصارى الى نهاية حياتهِ والف بعض تصانيف في رتب الكنيسة الرومانيــة (٦) وخلف ثروة عظيمة واوصى ان تبنى بها مدرسة لابناء طائفتــهِ وجعل وكيلهُ في ذلك القس جبرائيل الحصروني ابن عواد وكان انشاء المدرسة في مدينة رافنة (٧)

(١) وفي الغرر: عرقة . وفي ابن سباط : غرفة

(٢) . وفي ابن سباط والغرر: قرية سير (٣) ويروى : عكار (الغرر)

(٤) ويروى : اعاز (ابن سباط والغرر)

(٥) وفي اخبار الاعيان : ابو خطّار عبد الله . وهذه عبارته : لما بلغ بني الخازن امر السلطان بقتل الامير فخر الدين واولاده خافوا . فتوجه الشيخ ابو نادر وابنهُ الشيخ ابو نوفل نادر واخوه الشيخ ابو خطار عبد الله الى بلاد توسكانة ونزلوا عند الدوكا العظيم في بلادفلورنسة» والدوكا المذكور الموصوف بالغران اي العظيم هو فرديناندو الثاني دوك توسكانة وكان من اسرة مدسيس المشهورة . ولهُ رسالة وصاة في الشيخ ابي نادر الخازن في ان يكون معفياً من النول محفوظاً بالاكرام كلما اراد السفر الى اوربا هو او غيره من عائلتهِ . والرسالة المذكورة محفوظة الى الآن بصورتها عند الشيخ بطرس كنعان الخازن وقد رأيتها رأي العين ونقلتها الى العربية ولولا ضيق المقام لاثبتها هنا

(٦) ولهُ ايضاً ترجمة سفر ايوب من السريانية الى اللاتينية ومقالات اخرى (سفر الاخبار ص ٢٠٨) (٧) ثم بطلت هذه المدرسة ونُقل تلاميذها الى مدرسة الموارنة في رومية سنة ١٦٦٤ (الدر المنظوم ص ١٦٠)

وفي سنة١٦٣٦(١٠٤٦هـ) قصد احمد الشمالي اغا الانكشارية في الشام مقاتلة الامير علي ابن علم الدين لابائهِ تأدية مال السلطان. واتفق على ذلك مع سنجق صفد ومتسلم بيروت والمقدم مراد ابي اللمع والامير عساف السيفلي. فانهزم الامير قدامهم بعيالهِ ورحل معهُ يمنيّة بلاد الغرب والجرد والمتن والشحار والشويفات بعيالهم وماشيتهم. وكانوا نحو سبعة آلاف فدخلوا بلاد كسروان وانهزمت من قدامهم القيسية حتى جازوا قرية بكفيا. ثم تكاثر عليهم القيسية وكسروهم في مرحلاتا (١) وقُتـل الشيخ ابو فارس ابن حبيش. ثم جرت بينهم وقعة ايضاً في المروج وقتـل بها الشيخ حمزة ابن القاضي. ثم طردوهم من بلاد كسروان فانهزموا الى بلاد عكار. وساروا على طريق الجرد واجتمعوا مع رجال الامـير علي ابن سيفا في عرقة (٢). واما عساكر الدولة فذهبوا في طريق الساحل حتى وصلوا الى طرابلس ومنها خرجوا لقتالهم عند النهر البارد فانهزموا من امامهم. ثم لحقوهم بين المّول فوق برج تيبب في ارض الجون فـكسروهم وسبوا نساءهم واخذوا ماشيتهم واموالهم. وفي تلك الاثنـاء دخل طربوش (٣) البدوي بالصلح بين الامير عساف وبين ابن اختهِ الامير علي. وعُقد الصلح بينهما في قرية المنية وعادا مع ابن علم الدين الى بيروت. وفي هذه الغضون ظهر الامير ملحم ابن معن وجمع الرجال. فانهزم ابن علم الدين واستولى مكانه على بلاد الشوف. وفي غرّة تشرين الاول وقع في ارض الزاوية والضنية برَد كبير بلغ وزن الواحدة نحو الاوقية. وبعـد ذلك امسكت السماء عن المطر الى نهاية كانون الاول فغلت الاسعار وبيع شنبل القمح بقرشين ونصف. وفي تشرين الاول ورد الخبر باشتباك القتال في بلاد العجم بين كجك احمد باشا وبين الشاه وان الشاه استأسره وقتـل من عسكره خمسين الفاً. وفي اثر ذلك قدم قبجي من الباب العالي بطلب ذخيرة لحضرة السلطان مراد. فأُقفلت طرابلس وأُبطل البيع والشراء لشدة القحط. ثم

(١) ويروى في الغرر: مرحاتا. وفي ابن سباط: مراحتا

(٢) وزاد صاحب الغرر وابن سباط: الخراب (٣) ويروى: طرويه وطروبه

جاء مرضي اغا المتسلم من قبل مصطفى باشا كاتاجاج في ٢٧ من تشرين الاول ونادى بالامان وكتب بلاد عكار على الامير عساف . وجبيل والبترون على الشيخ علي والشيخ احمد ولدَي قانصو . واما ابناء حرفوش فجمعوا رجال العربان والسكمانية لكي يسترجعوا بلاد بعلبك فخرجت عليهم عساكر الشام بجمع كبير وذبحوا منهم مذبحة هائلة

وفيها قدم متسلم برجال احمد باشا (١) الى ايالــة طرابلس ولما انتهى الخبر الى مصطفى باشا ارسل فردّه الى حماة وبعث مدبره وهو علي اغا مع اناس من قومه لكي يجتمع في قرية بقرزلة مع الامراء السيفلية والمشايخ الحمادية . فلم يذعن السيفلية بالعصيان على الدولة العلية . فوقع الخلف بينهم وقتلوا الشيخ احمد حمادة وعليًّا اغا المذكور وجميع من كان معهُ في عيد رمضان . وعندها هرب مصطفى باشا ليلًا ودخل المتسلمُ المدينة مع الامير عساف والامير علي

وفيها كانت الواقعة في قرية اهمج بين بيت حمادة والامير اسماعيل ومحمد بن يوسف اغا في شهر حزيران بسبب ولاية جبيل والبــترون . ثم تولى حكم جبيل والبترون ابن يوسف اغا

وفي سنة ١٦٣٧ (١٠٤٧هـ) كان الاسقف بولس واخوه القس سمعــان من سر جبيــل مقيمين بدير مار انطونيوس قزحيًا . وكان في محبسة مار ميخائيل القس حنا بن اسحق ابن البرّي من قرية غسطا . فأَوقع الشيطان فتنة عظيمة بينهم بسبب الماء والخراب . وكان الامير عساف بن يوسف باشا قد انتقل في شهر رمضان الموافق لكانون الثاني الى جبيل فرفع لهُ ابن البرّي عريضة تشكّى بها على رهبان قزحيا . فوجه اليهم بُلُكباشي مع ابي موسى سعيد بن دُغيم (وهو رجل مَلَكي من مزرعة عكار) في طلب دراهم . فلما لم يتمكنوا من ارضائهِ ارسل فأَخذهم الى نفس جبيل وشرع يعاقبهم . فشدَّ رأس الاسقف بحبل حتى طارت احدى عينيهِ . ثم شكَّ القصب تحت اظافيره حتى تقفَّعت يداهُ وربط اعضاء تناسلهِ بالاوتار . واخذ السكمانية يضربون

(١) وفي ابن سباط : قدم متسلم محمد باشا

الاوتار المذكورة حتى استجرّوا منهُ اربعة آلاف قرش. الا ان الذين فعلوا ذلك لم يلبثوا حتىْ حلّ بهم غضب الرب سريعاً فان ابن دُغيم مُني بمرضٍ ولبث مدة سنة يتغوَّط من فمه حتى مات. واما الامير عساف فاتفق مع جماعة الامير ملحم بن يونس ابن معن ورجال الامير عساف آل مدلج الحياري وزحف على ابن اخته الامير عليّ. وكان قد انضم اليهِ ابن علم الدين وسكمانية برجال احمد فطردهم الامير عساف الى جبل الكلبية (١) الى كفر طاب بارض حماة الى الحصين في اطراف بلاد صافيتا الى مصيات الى خريبة الجانطوا. وفي اثناء ذلك وصل الخبر ان برجال احمد (٢) عُزل عن ايالة طرابلس وتولاها شاهين باشا. وعند ذلك تفرّقت العساكر (٣) فتوجه الامير ملحم الى بلاد الشوف والامير عساف الى البقيعة. وعندما وصل شاهين باشا الى البقيعة رُفعت لهُ شكايات كثيرة في بيت سيفا انهم خرَّبوا بلاد السلطان. اما الامير عساف فاستعطافاً لخاطر الباشا اهداهُ خيلًا وذخيرةً فخلع على مدبّره وامَّنهُ. ولما ركب فرسه وهمّ بالحضور اليهِ كان يرى مار انطونيوس ممسكاً بلجام فرسه قائداً اياهُ الى حيث يشاء. فاشار قوم على الامير ان لا يسمع كلام شاهين باشا ولا يواجههُ. وكان يقول اطردوا عني هذا الراهب الذي سلب عقلي ولا يدعني ارجع. فلما وصل الى امام شاهين باشا امر برفعه الى قلعة الحصن. وفي اليوم الثاني نهار الاربعاء امر بتعليقه على البوابة بثيابه. ثم نادى شاهين باشا على رفقائهِ فقتلوا منهم مقتلة كبيرة وسلبوهم خيلهم ومتاعهم ولم ينجُ منهم الا القليل. ثم وقف في خدمته الامير اسماعيل بن موسى الكردي من راس نحاش والشيخ عليّ حمادة وامرهما

(١) ويروى: انتقل الامير عساف الى بلاد جبيل وصار الاتفاق بينهُ وبين الامير ملحم بن يونس ابن معن وارسلا رجالها وآل مدلج الحياري الى عكار فطردوا الامير علي بن علم الدين والامير علي ابن سيفا وهزموهم الى جبال الكلبية (ابن سباط وصاحب الغرر)

وهذه هي الرواية الصحيحة بلا شك وعندي ان الناسخ اهمل شيئاً فخرجت عبارة المؤلف كما ترى

(٢) وفي ابن سباط: محمد باشا. وكذا في الغرر

(٣) وفي نسخة: فرجع عسكر ابن معن

بالحملة على بيت سيفا واتباعهم . فقبضا على قاسم باشا المجدوب وعلى كثير من الاطفال والنسوان . ثم فتشوا القرى والديورة . وهرب الامير علي مستجيرًا بعلم الدين وتشتت السيفلية وبادوا من ايالة طرابلس (١)

وفيها تولى بلاد الشوف الامير علي ابن علم الدين اليمني من قبل نائب الشام وطرد مشايخ بيت الخازن والحبيشية الى بلاد جبيل

وفي سنة ١٦٣٨ (١٠٤٨ هـ) قدم السلطان مراد الى مدينة حلب بعساكر وافرة قاصدًا بغداد . فملكها وامر بالزينة : اما ابن علم الدين فخاف من قدومهِ فالتجأ الى متاولة بلاد بشارة . فكبسهم الامير ملحم في قرية انصار وقتل منهم كثيرين وكان ذلك في شهر آب (٢) . ثم ان ابن علم الدين جمع سكمانية الشام الذين ارسلهم المتسلِّم وزحف بهم على الامير ملحم . فظفر من قدامهم وهرب ايضًا من اوطانهم اهل الشوف والغرب والمتن والجرد . وخلت بلاد الدروز (٣) . وعندما قدم السلطان الى حلب كانت كنيسة الموارنة في باياس قد خربت والتي في حلب قد احترق سقفها مع الدرابزين . فالتمس منهُ الموارنة تجديدها فاذن لهم في ذلك عن طيبة خاطر (٤) . وعندها جدد موارنة حلب كنيسة مار اليـاس وبنى الارمن كنيسة باياس واتفقوا على ان تكون الطائفتان مشتركتين

وفيها في الثالث عشر من تشرين الثاني توفي بدير قنوبين المطران عبد الله الاهدني .

---

(١) اطلب هذه الحادثة في ابن سباط وكتاب الغرر بتاريخ سنة ١٠٤٧ هـ

(٢) وهذه عبارة ابن سباط : وكان الامير ملحم ابن معن في وادي التيم فارسل الى رجال الشوف وسار بهم الى بـلاد بشاره وكبس ابن علم الدين في قرية نصار فهرب ابن علم الدين وارسل الى متسلم الشام فارسل لهُ عسكر سكمان وزحف بهم على الامير ملحم . اه

(٣) ويروى : وخربت الشوف والغرب والمتن والجرد وخلت من القيسية

(٤) وقد انعم عليهم ببراءة سلطانية اثنى فيها على ولائهم للدولة وشدة تعلقهم باذيال الاريكة السلطانية . ولم تزل نسخ البراءة المذكورة محفوظةً اما اصلها ففُقد

وكان قد مضى لهُ ستّ وثلاثون سنة في الرئاسة وخدمة الكرسي . وكان رجلَ رأيٍ وحزم . وجدد املاكاً كثيرة لدير قنوبين . فرُسم على كرسي اهدن القس الياس ابن حنا من عائلة الصراصرة . وفي شهر شعبان جاء من قبل الشوام ابن يوسف اغا وعلي ابن زين الدين وحسن آغا بامرٍ شريفٍ منطوقه ان تسلخ بلاد جبيل والبترون وجبة بشراي عن ايالة طرابلس وتلحق بولاية الشام وحكومتها

وفيها عُين احمد آغا الشمالي والياً على صيدا وبيروت فقتلهُ ابن علم الدين في ارض خلدة (١)

وفيها في شهر حزيران توفي في رومية الحبيس سركيس ابن الرز مطران دمشق ولهُ من العمر ست وثلاثون سنة . وكان قد درس في رومية ونسك في محبسة دير قزحيا وعُني بطبع الشحيم ووقف تركتهُ لاجل اسعاف الطائفة . وكان كثير الرحمة محبوباً من رؤساء الكنيسة الرومانية (٢)

وفي سنة ١٦٣٩ (١٠٤٩هـ) عُزلَ محمد باشا (٣) ابن درويش عن ايالة طرابلس وتولاها محمد باشا الارناوط . وكان مدبرهُ مصطفى بك ابن الصهيوني . اما الامير علي ابن علم الدين فكبس مشغرة ونهبها ثم نزل الى بيروت وسكن فيها

وفي هذه السنة ذهب اصحاب المقاطعات الى مواجهة محمد باشا الارناوط وهم : اسماعيل الكردي ومقدّمو بيت الشاعر ما عدا السيفلية وابا كرم الحدثي شيخ الجبة

وفي سنة ١٦٤٠ (١٠٥٠هـ) كانت الحملة في ١٦ من نيسان على ابي كرم الحدثي شيخ الجبة بسبب عدم حضورهِ الى مقابلة الباشا . فقبضوا على ابن عمه سعد

---

(١) اطلب ابن سباط وكتاب الغرر في تاريخ هذه السنة

(٢) ولهُ ترجمة نسخة الكتاب المقدس العربية الى اللاتينية وتهذيب النسخة العربية المذكورة وطبعها مع النسخة اللاتينية الدارجة (سفر الاخبار ص ٢٠٦)

(٣) وفي ابن سباط وكتاب الغرر ومختصر تاريخ لبنان : شاهين باشا

وجرى بلاءٌ وضيق عظيم على الديورة والقرى من عسكر الدولة الذين ذهبوا لاجل التفتيش عنهُ وعن اولادهِ واتباعه واملاكه. ثم ان ابا كرم المذكور نزل الى المدينة من تلقاء نفسه وذهب الى الارناوط على يد القاضي فامر برفعه الى القلعة. وبعد مدة انزلهُ وطوَّفهُ على الجمل بالمدينة وعذبهُ. ثم عرض عليهِ الاسلام لينجو فأَبى فأُميت على الكلَّاب

وفي هذهِ السنة مشى عسكر الدولة على الامير سليمان ابن سيفا في عكار فظفر بهِ ونهب عكار. وكان مع الامير سليمان حميدان ابن الشاعر من قرية فاريًّا وهو احد ذوي قرابة الشيخ علي ابن حمادة فنزل هذا الى المدينة يطلب الخَرْج من يمين الدين كاتب ديوان الباشا ووكيل الخَرج. فأَبى ان يعطيهِ فقتل يمينَ الدين وولده مصطفى في التاسع والعشرين من تموز. ولاجل ذلك حنق زلفي اغا كاخية الارناوط وجمع الرجال ومشى بهم على حميدان فنهب قريةِ حردين وكفور العربة (١)

وفيها توفي القس يوحنا ابن القس يوسف محاسب وهو الذي بنى دير مار شليطا في ارض كسروان

وفي سنة ١٦٤١ (١٠٥١هـ) مشى والي طرابلس على بيت حمادة فطردهم من وادي علمات ومن بلاد جبيل. وقُتل محمد ياغي ابن قمر الدين وصعب بن حيذر وبعض اتباعهم وتولَّى بلادهم الامير علي ابن علم الدين (٢)

وفي هذه السنة كانت وفاة الشيخ ابي جبرائيل يوسف ابن الشماس جرجس الاهدني. وكان قد قضى عشر سنين في مشيخة جبة بشراي فخلفهُ اخوهُ الشدياق ابو ذيب حنا. فتآمر على هذا مشايخ بيت حمادة ومصطفى بك الصهيوني وارسلوا محمدًا العرَّاك فقتله في قرية زغرتا. فتولَّى حكم الجبة المقدم زين الدين ابن الصوَّاف

---

(١) لم يذكر ابن سباط ولا صاحب الغرر مقتل يمين الدين وولده

(٢) طالع ايضًا كتاب الغرر مج ١ ص ٤٤٤ وابن سباط بتاريخ هذه السنة

وكان معهُ ابو عون ابن جمعة من بكفيا (١) . وفيها استرجع الخوري بطرس خادم الكفرِيَّات في قبرس كنيسة السيدة التي كان قد غصبها الروم منذ ست عشرة سنة وسبب ذلك هو ان جماعةً منهم كانوا قد خدعوا القس جرجس خادم الكنيسة وآخرين من ذوي قرابتهِ حتى لحقوا بالروم والحقوا بهم الكنيسة ايضاً . اما الخوري بطرس فحصَّل من العلماء فتوى بان الكنيسة لم تكن للقس جرجس بل للطائفة المارونية . ثم ابرز خطَّاً شريفاً من الباب العالي واعادها الى الطائفة وانفق على ذلك مالاً جزيلاً . وكان الخوري المذكور صاحب سطوة وغيرة شديدة

وفي سنة ١٦٤٢ (١٠٥٢هـ) وردت الاوامر الشريفة من الباب العالي الى محمد باشا الارناوط والي طرابلس في ان تكون صيدا وبيروت تحت ولايتهِ . فولَّى عليها مدبره زلفي اغا . وكان الامير ملحم ابن معن في بلاد الشوف والامير علي ابن علم الدين في بشتودار من بلاد البترون . اما الامير علي فكبس الشيخ سرحان حمادة في قرية غبالة من فتوح جبيل ونهب القرية وقبض على خمسة من اولاد سرحان وذوي قرباه وقتلهم (٢) . وجرى ضيق عظيم على اتباع الشيخ سرحان بسبب شدة البحث عنهُ . وكان مع الامير علم الدين الامير اسماعيل الكردي والمقدم علي ابن الشاعر وبعض من بيت حمادة

وفيها بنى الارناوط القصر على نهر رشعين ورمى شاشات وبوابيج على الرعايا (٣) وكانوا يدفعون ثمن الشاش اربعين قرشاً وثمن البابوج عشرين . وكانت تلك السنة شديدة على الناس لزيادة المال والتسخير في بناء القصر وكثرة البلص والمحال دود القز

وفي سنة ١٦٤٣ (١٠٥٣هـ) اشترى الاسقف يوسف العاقوري من الشيخ ابي

---

(١) راجع اخبار الاعيان ص ٢٢٢

(٢) وفرَّ الشيخ سرحان الى الامير ملحم (ابن سباط) . وذكر صاحب الغرر هذه الحادثة بتاريخ سنة ١٠٥١ للهجرة

(٣) قولهُ : ورمى الخ كلام من اصطلاح اهل ذلك الزمان وهكذا وجدتهُ في مختصر تاريخ لبنان وتاريخ ابن سباط . والمراد انهُ اجبرهم على مشترى ما ذكر

حبيش ارض مار يوحنا حواش في ارض درعون من ناحيـــة كسروان . وانشأ كنيسة جميلة على اسم السيدة وديرًا لاسكان البنات الناسكات حتى بلغ عددهنّ نحو الثلاثين . ورأّس عليهنّ الحاجّة رفقة بنت القس حنا ابن محاسب

وفي سنة ١٦٤٤ (١٠٥٤هـ) عُزل عن ايالة طرابلس محمـــد باشا الارناوط وتولاهـــا حسن باشا (١) . وكان الشيخ ابو رزق الله البشعلاوي (٢) كاخية عنده. وكان اهل البلاد قد ارسلوا بعضاً من قبلهم الى الباب العالي ليتظلموا مما جرى عليهم من الجور واتوا بكاتب ليقيّد عدد الرجال والاشجـــار والبيوت والخانات . ولما ان سافر الكاتب المذكور ابطل الباشا جميع ما كانوا عليهِ وزادهم ضيماً حتى الجأهم الى الفرار من مواطنهم . وكان الرجل منهم لشدة ضيقته يبيع الشنبلين والثلاثة من الحنطة مع اربعة من الشعير بقرش واحد

وفي هـــذه السنة في الخامس عشر من ايار ليلة العنصرة . كانت وفاة الحبيس فرنسيس الفرنساوي الاصل من بيت جلياق من مدينة اكوينة . فهـــذا حبًا لخلاص نفسه زهد في الدنيا وترك استادية قسطول . وفي سنة ١٦٣٢ قدم الى جبل لبنان فحبس نفسه اولاً في سَيدة حوقة ثم انتقل الى اهدن الى دير مار يعقوب الاحباش ثم سار الى دير مار سركيس في راس النهر . وكان ذلك في رئاسة ابن عميرة والاسقف الياس . ولما خرج هذا من الدير وسكن في اهدن انتقـــل الحبيس الى دير مار اليشاع بشراي . وكان قبل ذلك بسنة قد انتقل اليهِ الاب شيلستين الكرملي . فلبث عنده مدة يسيرة من الزمان ومضى الى الراحة التي لا زوال لها بعد ان صار قدوة صالحة لاهل البلاد وبلغ اجلّ المراتب في الورع والصوم والسهر وتلاوة الكتب وقهر الجسد والتفكر في الالهيات (٣)

---

(١) وفي الغرر : حسين باشا (٢) وفي ابن سباط : الشدياق رزق البشعلاوي . وكذا في الغرر (٣) راجع ما قاله المؤرخ دي لاروك المبعوث من قبل عظمة الملك لويس الرابع عشر لتفقد احوال الكاثوليك في سورية في كتابه المطبوع بباريس سنة ١٧١٦

وفي التاسع والعشرين من تموز كانت وفاة البطريرك جرجس ابن عُميرة الاهدني العالم البارع المدقق المحقق . تأدب اولاً عنـد خالهِ القس يعقوب الدويهي في اللغة السريانية . ثم شخص الى المدرسة الرومانية فتعلم اللغات ومهر بالعلوم الطبيعية والالهية . الّف الغراماطيق الكلداني اي النحـو السرياني في اللغة الرومية (اللاتينية) وبرهن عن قدامة هذه اللغة واسبقيتها على سائر لغات الدنيا . ولما رجع الى اهله رُقّي الى درجة رئاسة الكهنوت على كرسي اهدن ولبث في تلـك الدرجة ثلاثاً وثلاثين سنة . ثم اختير بعد وفاة البطريرك يوحنا ابن مخلوف لتدبير الكرسي الانطاكي كمـا كان قد اعلمهُ الحبيس فرنسيس الذي تقدم ذكره . فا كمل عمره بشيخوخة صالحـة وقضى في رئاسة انطـاكية عشر سنين وسبعة اشهر (١) . وفي الخامس من شهر آب خلفهُ في الكرسي يوسف ابن حليب اسقف صيدا وهو الحـادي عشر من البطاركة في دير قنوبين . وفي هذه السنة رُقّي الى رئاسة الكهنوت يوسف ابن عميمة الكرمسدي على مدينة دمشق وميخائيل ابن سعادة الحصروني على مدينة طرابلس . وكان كلاهما مساعدَين للبطريرك في شؤون الكرسي وكانت رسامتهما في دير مار يوحنا حراش

وفي سنة ١٦٤٥ (١٠٥٥هـ) انتخب السلطـان ابرهيم اولاد الحسامي مشايخ جبيل انكـشاريّة . فدُقّت لهم موسيقى السلطان وبادروا الى ترميم سور المدينـة وقلعتها (٢) . وفي هذه السنة ارسل البطريرك الجديد الى رومية القس عبد المسيح ابن الطويل الحدثي والشدياق بطرس ابن مخلوف الغسطاوي . لكي يرفعا بالنيابة عنهُ واجب الطاعة والتهنئة للبابا زخيا العاشر ويطلبا منهُ التثبيت وان يتكرم على الطائفة بطبع الشحيمة بحرف دقيق مع الغراماطيق السرياني الذي الّفهُ البطريرك جرجس . وفي شهر

---

(١) قال المؤرخ دي لاروك في كتابه المطبوع في باريس سنة ١٧١٦ في الفصل الذي عقده عن مشاهير الموارنة : الرابع جرجس عميرة بطريرك الامة . كان ايضاً من مشاهـير اللاهوتيين ومضطلعاً بفهم اللغة السريانية . اهـ راجع ايضاً ص ١٨٤ من هذا الكتاب

(٢) طالع ايضاً اخبار الاعيان ص ٢٢٢

ايلول من السنة الثانية اعطاهما البابا جميع ما طلبا وارسل الى البطريرك التثبيت ودرع الرئاسة مع جهازٍ كامل لخدمة الاسرار

وفي سنة ١٦٤٦ (١٠٥٦هـ) عُزل حسن باشا عن ايالة طرابلس وعاد اليها محمد باشا الارناوط فاتخذ كاخية لهُ ابن الصيهوني والحاج قمر الدين . وكانت تلك السنة ليّنة على الناس . ثم جاء شهر نيسان بارداً جداً فضُرب شجر الجوز والكرم والتوت وامحلت الغلال حتى اتى نصف رطل البزر في بعض اماكن برطلي فيالج (شرانق) . وفشا المرض في الماشية والسائمة . وقبل هذا الآن كانت تقسم غلال الزيتون ويُعطى النصف للفلّاح ويُؤخذ ربع للسلطنة وربع مظلمة فحوّل ذلك الى خراج . وكان ضمان مال طرابلس وايالتها بثلاث كرات تُعطى للسلطنة ففرضوا على كل فدّان وعلى رأس الانسان اربعة وعشرين قرشاً وعلى مئة الزيتون خمسة قروش وعلى مئة التوت اربعة ونصف . فجرى من ذلك ضيم شديد على الرعية فهجروا مواطنهم واقفر بعض القرى بتمامها (١)

وفي سنة ١٦٤٧ (١٠٥٧هـ) عُزل الارناوط وتولّى طرابلس محمد باشا الصوفي وقبل ان يكمل السنة استردّها الارناوط وفرّق قدوميّة وعيديّة على جميع النواحي . وكان شنبل الحنطة بقرش ونصف فصار الناس في وجل عظيم (٢)

وفيها في اول تموز كانت وفاة الشيخ ابي نادر ابن ابي صقر ابن الخازن مدبر الامير فخر الدين ابن معن . تولّى بلاد كسروان وجبيل والبترون وبشراي والمرقب . وكان ذا غيرة على امور الدين فخلفهُ ولده الشيخ ابو نوفل نادر وزاد غيرة ومكارم على والده وابتنى كنيسة وعين لها كاهناً يقيم القداس فيها دائماً (٣)

---

(١) اقرأ تاريخ ابن سباط في سنة ١٠٥٦ للهجرة . اما صاحب الغرر فذكر ذلك في سنة ١٠٥٤ للهجرة . وروى كلاهما (محمد باشا) بدل حسن باشا (٢) راجع كتاب الغرر مج ١ ص ٤٤٥ وتاريخ ابن سباط في سنة ١٠٥٧ هـ (٣) قد إختلف ابن سباط وصاحب الغرر في تعيين سنة وفاة الشيخ ابي نادر فذكرها الاول في سنة ١٠٥٤ للهجرة وذكرها الثاني

وفي سنة ١٦٤٨ (١٠٥٨هـ) في الرابع والعشرين من شهر آب· كانت رسامة القس جرجس ولد حبقوق البشعلاوي اسقفاً على قرية العاقورة· فسكن في دير قنوبين· وفيها في الثالث من تشرين الثاني كانت وفاة البطريرك يوسف ابن المطران يوسف ابن حليب العاقوري· دُفن بقريتهِ في كنيسة مار بطرس المنقورة في الشقيف· وكان رجلاً شجاعاً ورعاً محباً لمحاضرة العلماء شديد الغيرة على امور الدين وبنيان الكنائس· لبث بالرئاسة على صيدا وبلاد الشوف ثماني عشرة سنة· وعلى الكرسي الانطاكي ثلاث سنين وثلاثة اشهر · ولاقى مشقة كبيرة من صهره قرقماز لانهُ جحد ديانته وبلا ابناء الطائفة بمدينة دمشق بالخسائر والتشتيت· وفي التاسع من دفنته وهو اليوم الثالث عشر من تشرين الثاني اجتمع الرؤساء واعيان الشعب بدير قنوبين واختاروا الاسقف يوحنا من بيت البوّاب من قرية الصفرة في الفتوح واقاموه مكانه وهو الثاني عشر من البطاركة في دير قنوبين

„ قال البابا زخيا العاشر في براءة تشييده لمدرسة راقنة في ٦ تموز من هذه السنة: اننا لاعتبارنا حق الاعتبار كون طائفة الموارنة سكان لبنان حافظت منذ قرون كثيرة على الايمان الكاثوليكي مطيعةً للكنيسة الرومانية المقدسة بين امم الكفار والمبتدعين المحدقين بها· لم نرَ ما هو انفع لهذه الطائفة وصيانة الايمان الارثوذكسي فيها على نقاوتهِ من ان يتهذب صبيان هذه الطائفة وشبانها في هذه البلاد بالتقى والعلوم الالهية والبشرية التي تُعوزهم وسائط الانكباب عليها في تلك الديار" (عن روح الردود ص١٢)

وفي سنة ١٦٤٩ (١٠٥٩هـ) عُزلَ الارناوط وتولى ايالة طرابلس صهره عمر بك· فاتخذ كاخية لهُ اولاً الشيخ حسن ذيب بن علي حمادة· ثم عزلهُ واسترد ابن

في سنة ١٠٥٧ هـ وهو الاصح· الا انهما قد اتفقا في التعبير وهنا كلاهما بالحرف: وفي هذه السنة توفي الشيخ ابو نادر بن ابي صقر الخازن كاخية ابن معن· وكان بعد قتل الامير فخر الدين قد انتقل الى محله في بلاد كسروان واستمرّ فيها· اهـ انظر ايضاً اخبار الاعيان ص ٨٦

الصهيوني وابا رزق البشعلاوي ومشيّخ اخاهُ وابا صعب على جبة بشراي (١)

„ وفي هذه السنة بعث الملك لويس الرابع عشر ببراءة للطائفة جدد فيها حماية الامة الفرنسية لها باسمهِ واسم امهِ. وهذا نص البراءة المذكورة بالحرف:

لويس بنعمة الله ملك فرنسة ونافرّة. على كل من يقرأ كتابنا هذا سلام

نُعلم كل واقف على كتابنا هذا انهُ بعد استشارة الملكة النائبة عنّا في الملك سيدتنا المحترمة ووالدتنا كنا قد اخذنا ووضعنا كما ناخذ الان ونضع بواسطة هذا الكتاب الممضى بخط يدنا تحت حمايتنا وكنفنا الخصوصي السيّد البطريرك الكلي الاحترام وجميع الاساقفة والاكليروس والعوام من النصارى الموارنة الذين يسكنون خصوصاً في جبل لبنان. فنودّ ان يستشعروا بمفعول مساعدتنا. ولذلك ننهي الى حبيبنا السيد دي لا هيوَنتلي احد اعضاء مجالس الشورى عندنا وسفيرنا في الشرق والى جميع من يخلفهُ في مقامه ان يسعفوهم عموماً وافراداً بعنايتهم وحمايتهم سواء كان ذلك لدى باب عزيزنا وصديقنا الاكمل السلطان الاعظم او في كل محل آخر حيث تقتضي الضرورة. بحيث لا تجري عليهم اقلّ معاملة سيئة. بل ينبغي ان يكونوا بعكس ذلك قادرين على ان ينجزوا اعمالهم ويتصرّفوا بمقتضيات مراتبهم الروحية بكمال الحرّية والاختيار. ونأمر قناصل ونوّاب قناصل الدولة الفرنساوية المقيمين في مواني وفُرَض المشرق وفي غيرها من الاماكن المنصوبة فيها الراية الفرنساوية في الوقت الحاضر وفيما يأتي من الزمن ان يساعدوا بكل مقدرتهم السيد البطريرك المشار اليهِ وجميع الموارنة المذكورين سكان جبل لبنان. وان يُركبوا في المراكب الفرنساوية او غيرها كل مارونيٍ يريد ان يأتي الى بلاد النصارى اما لدرس العلوم او لغاية اخرى من غير ان يطلبوا منهم الا النول الذي في وسعهم ان يدفعوه. وينبغي ان يعاملوهم بكل حلم ومحبة ممكنة. ونطلب ونلتمس من السادات العظام الفخام باشوات ومستخدمي الحضرة العلية السلطانية ان يسعفوا ويساعدوا حضرة رئيس اساقفة

---

(١) ذكر ذلك ابن سباط بتاريخ سنة ١٠٦٠ للهجرة الموافقة لسنة ١٦٥٠ المسيحية

طرابلس وجميع الاكليروس والشعب المـــاروني ٠ ونعدهم من قبلنا اننا نسلك هذا المسلك في كل رجل من امتهم يصل الينا في حقه كتاب وصاة منهم

أُعطي في سن جرمـــان في مدينة لاي في ٢٨ نيسان ١٦٤٩ وهي الســـادسة لملكنا (١) (عن رحلة لمسافر لبناني طبعت في باريس سنة ١٨٨٠)

وفي سنة ١٦٥٠ (١٠٦٠هـ) ولّى عمر باشا على بلاد البترون الامير ملحماً ٠ واستوفى المال الشيخ ابو نوفل الخازن ٠ وفي هذه السنة كانت الواقعة في وادي القرن وذلك ان ابن علم الدين اغرى بشيرًا باشا والي ايالة الشام بالزحفـــة على ابن معن فالتقت عساكر الشام والمعنية عند وادي القرن وكانت الدائرة على عسكر الشام (٢)

وفي سنة ١٦٥١ (١٠٦٢هـ) عُزل عمر باشا (٣) عن ايالة طرابلس فتولاهـــا حسن باشا فسلّم امورهـــا بيد الشيخ ابي رزق البشعلاوي فاتفق المذكور مع الامير اسماعيل الكردي والمقدم علي ابن الشاعر على بيت حمادة وولّى على بلاد عكار حسناً اغا ابن ابي دية لكي يستوفي مالها من تحت يد ابن معن ٠ ثم تقوّى عليهِ ابن الصهيوني وصار كاخية ٠ وولى ابا شاهين عليّ ابن العجّال من بشنّاتة حُكم جبة بشراي ٠ ثم صارت الحملة على ابي رزق واتباعهِ ٠ واما الشيخ سرحان فطرد حسناً اغا من عكار ٠ وفيها في الثالث من ايار توفي الشيخ يونس بن سليمان ابن حبيش ٠ وفيها اهتمّ يوسف الياس الاهدني وفتح جانب القلعة الشرقي في قرية زغرتا فاضافهُ الى الكنيسة وبيّضهُ وكرسهُ لكثرة الناس المقبلين عليهِ

---

(١) راجع الدر المنظوم ص ١٨٦ وسفر الاخبار ص ٣٠٧ — ان هذه الحماية التي جاد بها ملوك فرنسة على الموارنة ليست ناتجة الا عن محبة بين كلتا الامتـــين مذهبيةٍ تبذل مثلها الدولة العلية العثمانية لأهل الاسلام اذا وُجدوا في فرنسة او غيرها من الممالك

(٢) راجع ابن سباط والغرر بتاريخ سنة ١٠٦١ واخبار الاعيان ص ٣٣٨

(٣) وفي تاريخ ابن سباط : محمد باشا وهو غلط بيّن من النسّاخ ٠ اقرأ اخبار الاعيان ص ٢٢٣

وفي سنة ١٦٥٢ (١٠٦٣هـ) رجع محمد باشا الارناوط الى ايالة طرابلس وفوَّض اموره الى الشيخ ابي رزق وولّاه على البلدان ونُودي له بشيخ المشايخ ودقت له الموسيقى. فحسده اكابر البلاد وقالوا لا يجب ان ينقاد المسلمون الى رجل نصراني. وفيها سكن الرهبان اليسوعية في قرية عين طورة من ساحل كسروان —

„ وكانت سكناهم في المحل الذي اعطاهم اياه الشيخ ابو نوفل نادر الخازن وهو دير مار يوسف. وللرهبان اليسوعية مجموع تاريخي يسمَّى بالرسائل البانية (Lettres édifiantes). طُبع في باريس سنة ١٧٠٨ اخبروا فيهِ عن كيفية سكناهم في ذلك المحل وهذا معرب ما قالوه:

« ان السفينة التي ركبها الاب فرنسيس لمبر مع رفيقيهِ هاجت عليها ريح شديدة فالقتها في ناحيــة قريبة من قرية تدعى عين طورة. فلما ابصر سكان هــذه القرية ان السفينة تقترب من جهتهم ظنوا ان فيها لصوصاً بحريّة. فاسرعوا بدون ان يفحصوا عما كان من امرها وقبضوا على الاب لمبر ورفيقيهِ وآخرين غيرهم من المسافرين وجاءوا بهم الى والي البلاد

« وكان الوالي وقتئذٍ السيد ابو نوفل الماروني المشهور. وكان ذا استقامة طار صيتها في الآفاق حتى ان لويس الرابع عشر اختاره مع كونه من رعايا الحضرة العليــة السلطانية ليكون قنصلاً على شعبه الافرنسي وبعث اليهِ بالفرمان المؤذن بذلك

« فامام هذا السيد مثل الاب لمبر ورفيقاهُ وبعد السؤال علم انهم ليسوا لصوصاً بحريّة بل هم مرسلون بعثت بهم العناية الالهية اليهِ. فاتاهم عنده واكرم ضيافتهم ووهب لهم محلاً من املاكه في احدى جهــات لبنان المدعوة كسروان. وامر ببناء بيت ومعبــد في ارض مناسبة لذلك وقد انفق هو نفسه ما اقتضاه هــذا العمل وكان يُسرّ عند رؤيتهِ الفوائد الجمة التي تنجم عن هذه الهبة. ولم يفتر المؤرخة عن اداء الشكر له

« وما زال السيد ابو نوفل مدة حياته اعظم محامٍ عنا وأجلّ متفضل علينا حتى

ان رسالتنا في عين طورة لا تنسى ابدًا ان تأسيسها مِنَّةٌ منهُ. ولعمري ان فضله قد عم هذه البلاد

«كان هذا السيد ممثلًا لدى اللبنانيين ما لطوبيا البار من الشهامة والفضائل وقد خطت لهُ ايدي الشكر على صفحات القلوب ذكرًا لا تمحوه الايام ولا يُبليهِ الدهر. ولا يزال ابناء وطنهِ يستمطرون عليهِ وابل الرحمات. ولما كان هذا السيد مفقود المثيل وقد طالما ادهشت فضائله الشرقيين الذين لا يزالون الى يومنا هذا يتحسرون عليهِ نادبين فقده رأيت من الواجب ان أُوقف الغربيين على بعض اخباره فاقول:

«ان هذا الرجل العظيم كان كثير الاعتبار عند شعب لبنان الماروني وهو وان يكن من قوم شرفاء لم يتولوا بعد الاحكام فقد كانت فيهِ صفات تؤهلهُ الى ذلك اذ انهُ كان شريفًا في اعمالهِ سمحًا كريمًا بما يفوق الوصف. وكان يُعرف في كل هذه البلاد باحكم الناس. ولا غرو انهُ كان ثاقب الفكر محكم الرأي لم يأتِ شططًا في الامور جامعًا بين المهابة واللطف يُرهب القلوب ويستميلها اليهِ معًا. ولما وقفت مشيخة البندقية على ما ازدان بهِ من الدراية قدّرتهُ حق قدره والتمست منهُ ان يكون قنصلًا لها. فهذا الاعتبار والثقة اللذان حازهما لدى الغربيين لم يجرّا اليهِ ريبة في اعين مولاه امير الدروز. بل انهما صيراهُ احبّ اليهِ واعظم قدرًا عنده. وقد كان هذا رغمًا عن اختلاف المذهب يعدهُ ابًا لهُ ويركن الى اشاراته منزلاً اياهُ منزلة عظيمة. وقد فوّض اليهِ ان يأخذ لنفسه الاموال الاميرية من النصارى ويقضي فيهم. وكانت صفاته القلبية تفوق كثيرًا صفاته العقلية. فهو وان كان واليًا على شعبه بانتخاب مولاه ومترفعًا عنهم بمقامه فقد كان مقتربًا منهم بحنوه وابًا لهم برأفتهِ. وكان ذا دراية يجعل الناس يخشون السلطة ولا يكرهونها ويحبب اليهم النير الذي كان يضعهُ عليهم. وقد تفرّد برأفته على الفقراء حتى خُيِّل ان ذلك سجية فيهِ. فكان يقري ليس الشرفاء من مقاطعتهِ فقط بل وابناء السبيل ايضًا ويكرم ضيافتهم ويشرك الفقراء في ذلك وكان يعدّهم ابناهُ الاعزاء. ويشفق على مصابهم فيسارع في قضاء حوائجهم ويسأل

عنهم ويتولّى لوازمهم ويسدّ فاقتهم . وكان وثيق التمسك بعروة الدين شديد الغيرة على نموه وكثير الاخلاص لكل من دعي مسيحيًّا . وكان كل ما سمع احدًا يتكلم عن الاضطهاد الذي يقاسيه النصارى يتنفس الصعداء ولا يقوى على ان يكفكف دموعه . وكان يقول للائميه في فرط حنوه كانَّ هذا ضعف منهُ : الا ان المسيحيين اجمع هم اخوتي أفليس من العدل ان اشاركهم في مشقاتهم . ثم يردف كلامه قائلًا : بلى اني استودعهم في قلبي واشعر في بيتي مع بعد امكنتهم بالمشقات التي يقاسونها في سجن قسطنطينية

« فلم يكن لنا نحن اليسوعيين قط صديق مخلص الحب نظيره . وكان مبنى محبته على اعتباره الخاص لجمعيتنا . وفضلًا عما كان يولينا من النعم فكثيرًا ما كان يحث الشعب على اعتبار كلمة الله والمرسلين المبشرين بها . فمثل هذا السيد الممتاز بالسجايا والسلطة صار كسنَّة يسلك بها جميع مجاوريه . اما مقامه الخصوصي فكان في مجلتون ومنهُ كان يأتي مرارًا الى عين طورة فيتجاذب اطراف الاحاديث مع اباء الرهبانية ويطلع على نجاح اعمالهم ونمو الديانة . ولو استطاع اتباع ميله لشرّفنا اكثر من ذلك بزياراته . ولكنهُ لم يكن يجسر على ترك الجبل الا نادرًا خوفًا من ان يقع في ايدي الاعداء فيُوقعون بهِ ضررًا لانهم كانوا ذوي بأس وقدرة في المدن وعالمين انهُ هو الحامي عن الديانة المسيحية

«فلما ملأ ذكر السيد ابي نوفل انحاء بلاده كلها اضطرم احد شرفاء الاتراك المقيمين بالقرب من الدروز رغبةً في رؤيته . فوجه اليهِ رسولاً يسألهُ ان لا يردّ طلبته وان يوافيه في موعد جعلهُ لهُ ليراهُ . فخاف السيد ابو نوفل ان يكون ذلك خديعة او حيلة نُصبت لهُ ففعل ما يفعلهُ الرجل العاقل وهو انهُ استعفى برقَّة من هذا اللقاء وبعث اليهِ برسالة تنبئ بفرط ذكائه ورقَّة اخلاقه وهي :

« ايها السيد . انت تودّ لجهلك بي ان تراني . اما انا فلا اودّ لمعرفتي بنفسي ان يراني احد . ولا غروَ انني لست اهلًا لما تولينى من الاعتبار . ومع هذا فكثيرًا ما آثر

فيَّ عظم شوقك الى روئيتي حتى انني لم ارَ بدًّا من الاتيان بما استطيع ان اسرَّك بهِ بعض السرور . فاذا كنت لا تراني حقيقــةً فانك تستطيع قلما يكون ان تمثلني في ذهنك فهاك اذًا شكل رجل كثيرًا ما سمعت بهِ :

«انني رجل فوق الربعة كبير الرأس قصير العنق حادّ النظر نافر العينين عريض الجبهة كثّ اللحية زاهي اللون قصير الانف كبيره . لكن ذلك لا يجعل منظري قبيحًا وربما قال بعض من رام مدحي انني ذو هيبــة ووقار . اما ما اعلمهُ حقيقةً فهو ان صورتي اشبه كثيرًا بصورٍ منقوشة على البسط او على دنانير قديمة تركها الرومانيون في بــلادنا . هذه صورتي كما هي فاحكم اذًا ايها السيد هل يحسن باحد ان يشتاق الى روئيتي او هل يحسن بي ان اشتاق الى ان يراني احد . فاشير عليك بالَّا تُتعب نفسك بمعاناة الاسفار حبًّا بروئيتي فبذلك عناء باطل

„وهكذا ردّ السيد ابو نوفل سؤاله ويتبين من هذه الرسالة انهُ كان جامعًا بين مرّ الجدّ وحلو الفكاهة „ . اه

وفي سنة ١٦٥٣ (١٠٦٤ﻫ) في اول يوم من نيسان قبض محمد باشا الارناوط على الشيخ ابي رزق . وسبب ذلك انهُ قدم الى دارهِ بعض مشايخ من بيت حبيش ومعهم امتعة كثيرة وكانوا يريدون ان يتبضعوا ليزوّجوا واحدًا من اولادهم (١) .

(١) ان اصل بيت حبيش كما علمت في ص ١٥٣ من هذا الكتاب من قرية يانوح التي بقرب قرية المغــيرة في جبة المنيطرة . قال صاحب مختصر تاريخ لبنان : انهُ لما وقعت العداوة بينهم وبين اهالي العاقورة وخربت يانوح توجه جدّهم الى قرية غزير بارض كسروان . ولما قدم بيت عساف الى غزير ارتفعت منزلة المشايخ المذكورين عندهم وكانوا مدبرين (كواخي) عند عساف واولاده من بعده الى ان انقرضت دولتهم . ولما تولى بيت سيفا مكانهم لم يزل بيت حبيش مدبرين عندهم . ولــما انقرضت دولة بيت سيفا تولى الشيخ ابو منصور حبيش قرية غزير من بيت معن واستمرت بيده وبيد اولاده من بعده فقويت شوكتهم وتعاظمت سطوتهم شرقًا وغربًا . واقتنوا املاكًا غير قليلة في غزير وبلاد جبيــل والفتوح وصاروا من مزاويج بيت الخازن . وتوجه منهم قوم الى بــلاد الغرب ونالوا من ملوكها التفاتًا وحظوة ثم جاؤوا الى غزير وهم بها الى اليوم . اه

فدخل اصحاب الاغراض على الباشا وافهموه انهم قدموا بقصد ان يأخذوه بعيالهِ الى بلاد ابن معن . وعندها امر بالقبض عليهِ وعلى اولاده وعلى الذين نزلوا بداره فرفعوهم الى القلعة واوثقوهم بالزناجير وكان عددهم تسعين نفساً . ثم نكبوا داره واستباحوا املاكه . وبعد قليل وردت البشائر بعزل محمد الارناوط وقدوم قرا حسن فتوجَّه الى حماة لاجل تحصيل المال واخذ ابا رزق والمرابيط فسجنهم في سرايته في حماة . ثم دعاه الى محاسبته بالمال واثبت عليهِ اثني عشر الفاً . ولما قدم قرا حسن الى حماة نزل في سراية محمد باشا الذي اجرى الحساب بينه وبين ابي رزق فكان ما بقي عنده تسعة اكياس فدفعها عنهُ ابن الصهيوني فاطلق الباشا سبيله وسبيل المرابيط . ولما همَّ قرا حسن ان يفوّض اموره الى الشيخ ابي رزق وصل قبجي من الباب العالي في طلب رأسهِ . فاشار عليهِ حسن باشا وابن الصهيوني ان يخلص نفسه بالاسلام . فاذعن لقولهما رغماً عنهُ وتشهَّد في اواسط حزيران امام القاضي واعطى القبجي الف قرش فرجع راضياً . ثم انهُ دخل طرابلس بمعية حسن باشا فولَّاهُ على جبلة واللاذقية . وعندما اراد السفر الى اللاذقية لجباية مالها اوصى اخاهُ ابا صعب ان ينتقل بعيالهِ الى ولاية ابن معن فشقَّ انتقالهم على حسن باشا . واما ابو رزق فلكي يدفع عنهُ كل ظنّ تزوج بامرأة يوسف باشا (١) . وفيها كانت وفاة الاسقف يوسف ابن عميمة الكرمسدي . وفي نهار عيد انتقال السيدة أُقيم مكانه يعقوب الرامي على كرسي دمشق (٢) وأُقيم ايضاً يوسف الحصاراتي رئيس دير حوقة اسقفاً على جبيل

وفي سنة ١٦٥٤ (١٠٦٥ هـ) تولَّى ايالة طرابلس محمد باشا الكبري بدل حسن

---

(١) اطلب كتاب الغرر وابن سباط في تاريخ سنة ١٠٦٢

(٢) لما خربت رام تفرَّق اهلها في البلاد . والذي اعرفه ان قوماً منهم قدموا الى قرية من كسروان ويلقبون هناك بيت القاموع . وقدم الآخرون الى فالوغة احدى قرى المتن ويسمون هناك بالرامية . وكان في هؤلاء كاهن فاضل ورع يُدعى الخوري شاهين فانتقل بعيالهِ الى قرية شرتون بامر من مطران الاسقفية وقام بخدمة النفوس احسن قيام واجله . ومن نسله طابع ومحشي هذا الكتاب

باشا فنصب المقدم علي ابن الشاعر على ولاية البترون . وولى على جبة بشراي الشيخ احمد ابن عيادة (١) واقام الامير اسماعيل الكردي والحاج سعد بن علي حمادة في خدمته بالمدينة . ولكثرة اتباعهما الذين كانوا يطوفون بالاسواق نفرت الانكشارية منهم فطردهم ابن الباشا الى اطاريف الزاوية . فقتلوا ابا يزبك عبد الله ابن الشمَّر العاقوري في ارض عرادات وسلبوا شاشات القوَّاسة وسلاحهم . وفيها ارسل الامير ملحم ابن معن ثلاثين الفًا مع محمد آغا ابن القهوجي الى بشير باشا الوزير فانعم عليه بسنجقية صفد . وفيها كان الطاعون الشديد مات فيهِ خلق كثير من جملتهم الشدياق موسى ابن القس ايوب البشراوي في قنوبين . ظهرت لهُ السيدة قبل وفاتهِ ورأى رؤًى كثيرة كما شهد به كثيرون . وفيها انشأ القس جرجس ابن القس رزق الله من قرية بجّة بمساعدة اهالي بيت شباب كنيسة مار جرجس بجدق . سقط عن سطحها اثنان على الصخرة فلم ينلهما ضرر بشفاعة القديس (٢)

وفي سنة ١٦٥٥ (١٠٦٦ هـ) كانت رسامة الاسقف جرجس من بيت شوخ من قرية عرجس ليكون مسعفًا للبطريرك في امور الكرسي وكذلك الاسقف ابرهيم السرّاني بدير قزحيا

وفيها عُني القس يوسف ابن القس اصاف من قرية عرامون وبنى كنيسة مار عبدا هرهريا في طرف فتوح جبيل . ثم كنيسة السيدة قبوًا . ولبس اسكيم الرهبانية هو واخوته اندراوس وانطونيوس ويوحنا . ثم تبعتهم اختهم رفقة (وكانت تنسخ الكتب

(١) هذا ما رأيتهُ في مختصر تاريخ لبنان : لما تغيرت الاحوال والحكام في الجبة ذهب عمدة تلك الناحية الى سرحان ابي حمادة وسألوه ان يوجه اليهم واحدًا من عائلته ليتولى حكم جبة بشراي . فوجه معهم ابن عمهِ الشيخ احمد ويكنى بابي زعزوعة لانهُ كان شابًا . واتفق اهل البلاد مع الشيخ سرحان على ان الشيخ احمد يتولى بلادهم كما يشاء ويعاقب المذنبين بما يشاء ولكنهُ لا يحق لهُ ان يتدخل في ثلاثة امور : الدين والعرض والدم . فحضر المذكور سنة ١٦٥٤ واجرى كل عدل ورحمة وارضى اهل البلاد . اه

(٢) اطلب سنة ١٠٦٥ للهجرة في ابن سباط

البيعية بالسريانية) . ثم تبعهم ابواهم وبمشورة مطران الرعية (وهو الاسقف جرجس حبقوق) تركا العالم ووقفا جميع مالهما واملاكهما للدير واحبا الفقر واتفق الجميع على ان يكونوا تحت طاعة القس يوسف الى نهـاية حياتهم . واصبحوا قدوة صالحة لجميع الناس في الرهبانية والسيرة المحمودة والتقوى والعبادة

" اول من بنى دير مار عبدا هرهريا هو الخوري يوحنا وابوهُ الحاج ميخائيـل الذي رحل في القرن السادس عشر من مجدل العاقورة الى عرامون كسروان وجعلاهُ بيتًا لفقراء العائلة الراغبين في الانقطـاع عن العالم من رجال ونساء . ويروى عن الخوري حاتم الذي كان رئيسًا على الدير المذكور في سنة١٧١٧ انهُ وجَد تاريخًا في قناة من جبة بشراي مآلهُ : ان القس يوسف بنى مع كنيسة السيدة في دير مار عبدا حُجَرًا للرهبان محيطة بسطح الكنيسة على هيئة محصنة لما كان من جور الامم الغريبـة . وكان قد انشأ قبلًا دير سيدة الحقلة جنوبي دير عرامون . وكان دير سيدة الحقلة ودير مار عبدا هرهريًا مشتركين . ولسبب منازعة حدثت بين المستخدمين لحراثة الاملاك فُصل كل دير عن الآخر . وكان ذلك بمصادقة القاصد الرسولي وبطريرك الطائفـة ومطارينها . وجُعل مجرى نهر القطين ونهر فرح حدًّا بين الديرين (١)

وفي سنة ١٦٥٦ (١٠٦٧هـ) انحطّ مراد باشا عن الوزارة واعطى الختم محمدًا

---

(١) وفي سنة ١٨٣٠ اعتنى الخوري عبدالله اصاف واسترضى جميع اقاربه لاجل احالة دير مار عبدا الذي كان مشتملًا على رهبان وراهبات الى مدرسة عامة لتهذيب ابناء الطائفة المارونية بموجب صك من عائلة بيت اصاف جميعهم يحتوي على بنود تلاحظ عموم حقوقهم في المدرسة المذكورة كما كانت قبل الاحالة. واثبت ذلك السيد الذكـر البطريرك يوسف حبيش بشهادة جميع المطارين . والتعليم الجاري في المدرسة على موجب الصك هو علم السرياني والعربي واللحن والطقوس ثم الفصاحة والفلسفة والهندسة وعلم الفقـه ثم شرح الكتب المقدسة واخيرًا علم اللاهوت النظري والادبي باللغة اللاتينية والعربية

ولكل مطران من مطارين الطائفة حقّ في ان يبعث اليها بطالبين من اسقفيتهِ . وقد خرج من المدرسة المذكورة كثير من الكهنة العلماء اتوا الطائفة بفائدة كبيرة

باشا والي مدينة طرابلس . فنصب محمد آغا الطباخ عليها وجعل على صيدا وبيروت اسماعيل اغا وعلى صفد بشتق محمد آغا . وولّى المقدم فارس بن مراد ابن ابي اللمع جبة بشراي . وفيها في الخامس والعشرين من شهر تموز رسم البطريرك يوحنا الاسقف جرجس ابن الحاج رزق الله من قرية سبعل ليكون مسعفاً له في قنوبين

وفيها كان متولياً قنصلية الطائفة الفرنساوية في مدينة حلب فرنسيس فيكات . وكان محموداً في الشرق لكرمه وعبادته وغيرته على امور النصرانية . فطلب من البطريرك يوحنا ان يرفع اندراوس اخيجان الى رئاسة الكهنوت وكان المذكور يعقوبي الاصل . فتبع الكنيسة الجامعة وتأدب في مدرسة الموارنة في رومية . فرسمهُ البطريرك اسقفاً في عيد الرسولين بطرس وبولس . وانفذه الى القنصل في حلب بشرط ان لا يتعاطى امور الموارنة مطلقاً (١) . فقبلهُ القنصل بالاكرام . ولما خرج شمعون بطريرك اليعاقبة لزيارة الرعية وكّلهُ موضعهُ وسُمي ديونيسيوس (٢) . وفي هذه السنة في الثالث والعشرين من كانون الاول كانت وفاة البطريرك يوحنا الصفراوي من بيت البوّاب في دير قنوبين . وكان رجلاً طاهراً لا غشّ فيهِ صاحب قناعة ورضى وبشاشة لا تعرف الكدر . ربي منذ صباهُ بالتقوى والسيرة النسكية حتى وصل الى اجلّ مراتب الاتضاع . وكان مدمناً على صلاة المسبحة وملازماً الصوم خدم في رئاسة الكهنوت اثنتي عشرة سنة

---

(١) كان انفاذه الى حلب بمعية مؤلف التاريخ البطريرك اسطفان الدويهي وهو كاهن فاعانهُ بالمواعظ والتبشير حتى عاد على يده كثير من السريان اليعاقبة الى الايمان الكاثوليكي ولما توفي اغناطيوس بطريرك اليعاقبة سنة ١٦٥٩ رقي اندراوس كرسي البطريركية وارسل صورة ايمانه الى الكرسي الرسولي سنة ١٦٦٥ فثبتهُ البابا اسكندر السابع (روح الردود ص ٥٢)

(٢) كان القنصل المشار اليه مشيراً للملك وقنصلاً لفرنسة وهولندة في نواحي طرابلس وبيروت وجزيرة قبرس وكرمانية وحلب وما يتعلق بها وقد وقفت لهُ على امر سمى فيهِ الشيخ ابا ناصيف الخازن ابن الشيخ ابي نادر نائب قنصل في بيروت وما يتعلق بها. وذلك في تاريخ ٢٨ حزيران سنة ١٦٥٥ والرسالة المذكورة محفوظة عند الشيخ بطرس كنعان الخازن

وفي البطريركية ثماني سنين وشهرًا واحد عشر يوماً . وكان في ايام الامير ملحم ولد الامير يونس الذي حكم احكاماً عادلة . ونقلوا عنهُ انهُ لما توجه الى بلاد الشوف اكرمهُ الامير ملحم اكراماً زائدًا واجلس ولديه من حواليه . ولما كان في ساحل علما في منزل الشيخ ابي ياغي ابن حبيش عند المساء دخل عليهِ القس مُرهج ابن نمرون. ووجده ملقىً على الارض ورأى نورًا خارجاً من وجهه يضيء كل المنزل . وشهد عنهُ القس الياس الراهب ابن عويطا وكان معلم اعترافه انهُ في ليلة بيرمون عيد الميلاد توفي وخرج منهُ نورٌ جزيل . ولما كانت الليلة باردة وكان ابو راشد من غبالة قائمًا بخدمتهِ وضع منقل نار بالقرب من فراشهِ فتوهم انهُ طارت عليهِ شرارة من النار واحرقت الفراش . فتقدم الى الابريق لكي يطفئ النار فانقلعت اذن الابريق في يده فسقط على الارض منكسرًا ففرَّ هاربًا . ثم تحقق ان ذلك النور لم يكن ماديًا . وعند وفاتهِ اجتمع الاخوة والكهنة ورؤساء الكهنة ودفنوه بالوقار في مغارة البارة مارينة

وفي سنة ١٦٥٧ (١٠٦٨هـ) في اول يوم من كانون الثاني ارتقى الى رئاسة الكرسي الانطاكي البطريرك جرجس ابن الحاج رزق الله من قرية سبعل من زاوية طرابلس عندما اجتمع الرؤساء واعيان الشعب في اليوم التاسع لوفاة البطريرك يوحنا . وكان الثالث عشر من البطاركة في دير قنوبين . فوجه رسائل الطاعة وطلب التثبيت الى البابا اسكندر السابع مع الاب يوحنا الكرملي الملقب بالقديسة ترازية . وكان مقيمًا في دير مار اليشاع بشراي . وعند وصوله الى رومية مات فاضطرَّ البطريرك الى تجديد المكاتبة وتأخر تثبيته الى سنة ١٦٥٩ . وفيها في غرَّة تموز ظهرت حيَّات كثيرة في باب جعيلة بارض بسكنتا . وكانت عند شروق الشمس ترفع رؤوسها من شقوق الارض فقتلوا منها اكثر من ثلاثة آلاف حية بموضع صغير بقدر بيدر الحنطة

«وفي هذه السنة بعث لويس الرابع عشر الى الشيخ ابي ناصيف الخازن بهذه الرسالة وهي مكتوبة على رَقّ محفوظة الى اليوم مؤرخة في غرَّة ايار وهذا نصها :

الى السيد الشيخ ابي ناصيف . بما انهُ من اللازم الضروري لخير التجار الفرنساويين

المتعاطين فنّ التجارة في بـيروت ان يكون لهم نائب قنصل . وبما انهُ بلغني ان لك غيرة شهيرة خصوصيـــة نحو الشعب الفرنساوي ونحو كل اسم مسيحي احببت ان اكتب لك ما يأتي : انك تسرّني جدًّا اذا شئت ان تستخدم السلطـــة التي لك في البلاد لانتخاب نائب قنصل وان تمدّ الاكليروس الفرنساوي بالمساعدة التي طالما قد تنازلت الى بذلها . ومع اني اعد نفسي بما تقدم ارجوا المولى القدير ان يحفظـك ايها الشيخ ابا ناصيف ويرعاك بانظاره المقدسة » (١)

„ وفيها كتب البابا اسكندر السابع ايضاً الى الشيخ حيذر الخازن الرسالة الآتية وهي مؤرخة في ١٦ آب : الى الابن الحبيب والرجل الشريف حيذر الماروني امير عجلتون

ايها الابن الحبيب والرجل الشريف السلام والبركة الرسولية

من الواجب ان يُتحف الحـبر الاعظم والسدة الرسولية بوســام الشرف والنعم الجليلة اولئك الذين يبدون بشهامة نفس دلائل الايمـان والتقوى . ولما كنا نود ان نظهر لك حبنا لما انت عليهِ من الايمان الصادق . ولما تبديه من الميل للسدة الرسولية ومن الاعمــال الحميدة التي تستحق بحق كل مدح والتفات . . . . فنجعلـــك ونقيمك بالسلطان الرسولي كافليارًا من الشرطة الذهبية . ونضمك برضى الى عدد هذه الشرطة . ونأذن لك ان تتقلد القلادة الذهبية والسيف وان تستعمل المهماز الذهبي وان تتمتع بحرّية بجميع ما يتمتع بهِ ويستعملهُ اصحاب هذه الشرطة وبما يمكن ان يتمتعوا بهِ ويستعملوه من النعم والاعفاآت التي يبيحها القانون او العادة . . . . „ (ترجمت عن الصورة الاصلية المحفوظة عند الشيخ بطرس كنعان)

وفي سنة ١٦٥٨ (١٠٦٩هـ) ورد امرٌ بتقرير الطباخ على ايالة طرابلس فولّى

---

(١) قد تقدم القول في ص ٢٢٩ ان فرنسيس فيكات قنصل فرنسة العام وجه كتابة الى الشيخ ابي ناصيف الخازن يقيمه فيها نائب قنصل في بيروت . وهنا يلتمس منهُ ان يستخدم سلطته لايجاد نائب قنصل فاشتبه علينا الامر . وعليهِ فينبغي ان يكون الشيخ المذكور اما انهُ رفض هذا المقام نظرًا الى كونه من رعايا الدولة العلية ايدها الله . او انهُ رضي بهِ ثم اعتزله بعد مدة

المقدم فارس بن مراد على عكار. وعلى الجبة والبترون المقـدم عليا باشا وابن الشاعر على يد ابن معن. واستوفى المال الشيخ ابو نوفل ابن الخازن (١) . واما الحاج حسن ابن الشاطر فقبض عليهِ ونهب بيته واخذ منهُ نحو عشرين الف قرش. وفيها توجه الامير ملحم الى صفد لجباية المال . فمرض في عكا ونُقل الى صيدا . وعنـد انكساف القمر في السادس عشر من ايلول قضى اجله . وحزن عليهِ الشعب لاجل عدله وحلمه . فاقام لهُ اولاده مناحة استمرَّت نحو ثلاثة اشهر (٢) . وفي هذه السنة عاد الى بلاده القس سركيس ابن الجمري الاهـدني من فرنسة وكان قد مضى لهُ في الكهنوت ثلاث وعشرون سنة . فقُـدّم على يد الشيخ ابي نوفل الخازن الى رئاسة كهنوت الشام (٣)

وفي سنة ١٦٥٩ (١٠٧٠هـ) حضر الى ايالة طرابلس قبـلان باشا مأمورًا في قطع دابر بيت حمادة بسبب عيثهم في البلاد . فهربوا حينئذٍ بعيالهم ومواشيهم الى كسروان . فهدم الباشا دورهم بوادي علمات . ثم نزل بالعسكر الى جبيـل وضبط الحنطة التي كانت للكسروانيين بمبلغ ثمانية آلاف قرش . وولّى المقدم فارس بن مراد على بلاد عكار بكفالة روم احمد. وجاور اغلي على بلاد جبيل . والمقدم قانبيه ابن الشاعر على جبة بشراي . ولسبب عيث بيت حمادة وفسادهم تشتت الرعايا وتأخر مال الدولة فقبض لذلك على جاور اغلي وقتله وعلى روم احمد واخذ منهُ ثلاثة عشر الفًا كانت تأخرت من ضمان بلاد عكار (٤)

---

(١) ذكر في الغرر ان الذي جبى المال هو المقدم ابن الشاعر

(٢) اطلب سنة ١٠٦٩ في الغرر

(٣) كانت العائلة الخازنية تنتخب ثلاثة مطارين فابرشية بعلبك يكون انتخابهـا من مشايخ بيت قانصو . وابرشيـة دمشق من مشايخ بيت ابي ناصيف . وابرشية حلب من مشايخ بيت ابي نوفل . لان الاساقفة لم يكونوا قبلًا يقطنون في المدن كما يتبين ذلك من مطالعة التواريخ الا ان هذا الحق كان لهم قبل انعقاد المجمع اللبناني

(٤) ذكره صاحب الغرر بتاريخ سنة ١٠٦٩ للهجرة

„وعثرت على براءة من الملك لويس الرابع عشر مؤرخة في شهر آذار من هذه السنة . فاليك معرّبها :

لويس بنعمة الله ملك فرنسة ونافرّة الخ

قد تحققنا كل ما يديه السيد ابو نوفل نادر الخازن امير الموارنة والكافليار الروماني الشديد التمسك بعرى الايمان الكاثوليكي الرسولي الروماني القاطن في بلاد الشام من مواصلة العناية والاهتمام لاجل صيانة تاج هذه المملكة حتى انه يصرف اكثر اوقاته في ما يعود بالشرف والنفع لسلطنتنا . اذ شهد رعايانا الذين يأتون بلاد المشرق بحسن معاملتهِ لهم وحمايتهِ اياهم ومساعدتهم في ما يصون حياتهم ويحفظ تجارتهم ولاسيا في غيرته على نشر وتوسيع نطاق الديانة المقدسة . والحق يقال ان اياديه لم تزل متوالية على ناشري عرف البشارة بكلمة الله . ولذلك نعلن لجميع ارباب الحكومة باننا قد شملنا السيد ابا نوفل الخازن واولاده وورثتهُ بالنعم والامتيازات نظرًا الى استحقاقهم ومتّعناهم بها في رسالتنا هذه دون التزام بدفع شيء او حق لنا او لمن يخلفنا من الملوك . . . . وهنا نصدر امرنا لجميع الامراء ارباب المناصب في مملكتنا ولخواص بطانتنا واصحاب الحقوق والمراتب في باريس وجميع الحكام والولاة العموميين في فرنسة . . . لكي يساعدوهم ويعاونوهم في كل ما قلناه ونُعلن لهم آمرين بان السيد ابا نوفل الخازن واولاده وورثته يعتبرون كاشراف فرنسة وان كل واحد منهم يحق لهُ ان يتمتع بالنعم والامتيازات والاعفاآت كالذين هم حقيقة مولودون وقاطنون في مملكتنا ويحق لهم ان يقتنوا املاكًا منقولة وثابتة ويتقلدوا الرتب والوظائف ولهم ان يتصرفوا بالاملاك التي ملكوها التصرف التام وان يخصصوها بوصية وان يُعمل بتلك الوصية بدون معارض ولا منازع ولا مضاد ولا مانع من ذوي السلطة وغيرهم كأنهم ولدوا في مملكتنا . ولما كانت اعمال السيد ابي نوفل الخازن تستحق كل المكافأة وافضل النعم حملتنا على مجازاته مع ولدَيه السيد ابي قانصو والسيد نوفل اللذين تأكدنا انهما سالكان مسلك والدهما ومتشبهان به

باعمالهما الحميدة . وذلك امر جعلهم اهـلًا لهذه النعم والامتيازات والاعفاآت التي لم تـكن لاحد غيرهم ولهذا قد سلمناهم كتاباتنا هذه بمل‌ء سلطاننا وبارادة ملوكانية باننا قد وهبناهم ومتعناهم بمـا ذكر ونهب وننعم بذلك ايضاً بخط يدنا ونود ان نولّي السيـد ابا نوفل نادرًا الخازن واولاده وتخولهم الحقوق لاي وظيفة كانت في اي مكان كان كانهم مولودون في بـلادنا ولوارثيهم حق التصرف بالميراث المتروك كالمورثين مبطلين كافة الخصومات والمضادات التي تعارضهم لان فى ذلك اعظم مسرتنا ونبطل ايضاً ونلاشي جميع الامور والسنن والاحكام التي تضاد لما ذكر في كتاباتنا هذه الحاضرة . ولكي يكون ذلك معلوماً لدى سكان مملكتنا ومقررًا فقد اثبتنا امرنا هذا بوضع خاتمنا »   (نقلت عن صورة الفرمان الاصلية)

وفيها كانت وفاة الياس اسقف اهدن ابن الحـاج حنا من عائلة الصراصرة . كان رجلًا عابدًا غيورًا على امور الدين . ربي في دير قزحيا وسكن في القدس نحو عشرين سنة وشخص الى رومية بأمر البطريرك بمعية الاسقف جرجس بن مارون . خدم رئاسة الكهنوت عشرين سنة بغاية التقوى فخلفـهُ القس سركيس الدويهي وسكن في دير مار سركيس راس النهر . وفيها رُفعت الشكايات الى الباب العالي في الامير علي والامير منصور الشهابيين وبعض اغاوات الشام انهم منعوا مرتضى باشا عن الدخول في المدينة

وفي سنـة ١٦٦٠ (١٠٧١ هـ) ارسل محمد باشا ابن الكـبري الوزير الاعظم بسبب الشكايات التي قُدمت الى الباب العـالي في بيت شهاب وبيت حمادة ولده احمد باشا الى نيابة الشام . ومحمدًا اغا الارناوط الى صيدا وبيروت . واثبت قبلان باشا على ولاية طرابلس . ولما وصل ابن الوزير الى الشام كاتب والي القدس وطرابلس وغزّة وسنجق صفد وابن طربيه البدوي بالمسير على بني قيس . فتوجه اليهِ الامير علي ابن علم الدين وولداهُ الامير محمد والامير منصور وابن الصهيوني والمقدم علي ابن الشاعر . اما ابن الشاعر والامير علي ابن علم الدين فماتا في الشام . ثم ان احمد باشا زحف بمقدار

خمسة عشر الفًا الى سعسع فكاتبهُ الشهابية وعرضوا عليهِ مبلغًا من المال فأبى. حينئذٍ توجهوا بعيالهم وبنحو ستمائة رجل الى قمهز في اطراف كسروان حيث كان بيت حمادة. اما ابن الكبري فسار الى وادي التيم وهدم دور بيت شهاب في حاصبيا وراشيا وبيوت مدبريهم وقطع نحو خمسين الف شجرة توت في وادي التيم ومرجعيون والبقاع واعطى ولاية وادي التيم لاولاد علم الدين مع المقدم زين الدين وابن اخيهِ عبد الله ثم سار الى اسفل قب الياس وكاتب الامير احمد معن واخاه قرقماز بطلب الشهابية والحمادية وكان المعنية قد انتقلوا من بعقلين الى عين زحلتا بنحو سبعة آلاف فجاوبوه ان بيت شهاب وبيت حمادة لم يدخلوا بلادهم. فارسل اليهم يطلب منهم اربع كرّات ثم اتفقوا في آخر الامر على ان يؤدُّوا كرَّتين يدفعونها لهُ في مدة اربعة شهور. وارسلوا اليهِ قاسمًا امير الشويفات وشرف الدين مقدّم حمانة ليكونا رهينة عنده الى ان يتم ايراد المال. فرضي ابن الوزير بذلك وفي شهر جمادى الاخرى فُرقت العساكر. ولما عاد الى الشام اخذ معهُ ابن احمد بك والي غزَّة فقتلهُ وفرض على اهله كرة ونصف اخرى واخذ كذلك من بيت طربيه اربعين الف قرش. اما قبلان باشا فتوجه من الهرمل الى طرابلس وكاتب الامير اسماعيل الكردي بالامان فانتقل بعيالهِ من صور الى طرابلس فقبض عليهِ وقتله على الجسر لانهُ اجتمع مع المعنية عند عين زحلتا

ومن حيث ان المعنية تأخروا عن ارسال الدراهم التي جرى عليها الاتفاق خرج ابن الكبري بالرجال الى المرجة ثم الى مرج برغوت ثم الى مرجعيون ثم الى قب الياس. فحضر اليهِ والي غزة ووالي طرابلس وابن طربيه واولاد علم الدين. واما المعنية والشهابية والحمادية فاجتمعوا في قمهز واتفقوا على ان يتفرق الرجال. وان يتوجه السكمانية واللاوند الى الامير عساف الحياري. وان الامير قرقماز والامير علي ابن شهاب مع اخيهِ الامير منصور يسيرون في خمسين رجلًا الى جهة حلب ويختبئون هناك. وان يفرّ الامير احمد ابن معن الى غابات كسروان وجبيل. وبعد هذا تفرَّقوا. حينئذٍ سرحان ابن عماد شيخ الباروك مع مشايخ الشوف كتبوا الى ابن الوزير يعلمونهُ

ان الامراء انهزموا من جميع تلك البلدان ولا علم لهم اين توجهوا . وانهُ لا يليق خراب بلاد السلطان بل ينبغي ان يقيموا ولاةً على البلدان ويفرضوا عليهم شيئاً معلوماً لاجل نفقة العسكر . فاستحسن ابن الوزير رأيهم وولّى الشيخ سرحان ابن عماد على بلاد الشوف واولاد ابن علم الدين على الغرب والجرد والمتن . وولّى على كسروان محمداً اغا . ووزّع على كل مقاطعة عشرين الفاً عدا المال المعتاد . ثم جعل صيدا باشويّةً وسلمها الى علي باشا الدفتر دار

ولما انتهى اليهِ الخبر بان الامير احمد ابن معن توجه صوب قمهز امر قبلان باشا ان يسير بخمسة آلاف في بلاد جبيل والبترون وكسروان والشوف للتفتيش عنهُ من غير ان يجري ضرر على الفلّاحين . فأخذ قبلان باشا صالح اغا الكاخية وبنيامين وسار الى عين صنين الى الجوزات الى قمهز الى المنيطرة فاحرق دور بيت ابي اللمع وبيت الخازن وبيت حمادة وبيت معن ومدبريهم وقطع اشجارهم . وارسل اولاد علم الدين واصحاب الاغراض ففعلوا كذلك في وادي علمات وداسوا غابة مشمش والحفد وارض جبيل والبترون وجبة المنيطرة والعاقورة . فلما علم ابن الوزير ان الخراب ملمٌّ بالرعية شتت العساكر وعاد الى الشام (١)

وفي سنة ١٦٦١ (١٠٧٢هـ) حدث الطاعون في بلاد الشام فهلك بهِ خلق كثير وكان الناس في وجل عظيم من الوباء والمظالم (٢)

وفي هذه السنة تعدى علي باشا الدفتر دار على كنيسة مار جرجس التي في خارج بيروت فاخذها وجعلها جامعاً . وفيها ايضاً حفر قومٌ من متاولة برج بيروت حفيرة في جنوبي بئر القرية فوجدوا ناووساً وكان جسد المدفون فيهِ محفوظاً من الفساد ووجدوا على رأسهِ تاجاً وفي يده كأساً وصينيةً فطمروه في التراب وبنوا عليهِ حائطاً . قيل ان تلك البئر كانت في القديم بئر الكنيسة

---

(١) ذكر هذا الخبر في الغرر وابن سباط باختلاف قليل عن هنا (٢) راجع ابن سباط بتاريخ هذه السنة

وفي سنة ١٦٦٢ (١٠٧٣ هـ) عُزل علي باشا الدفتردار عن صيدا وتولاها محمد باشا فكاتب الامير احمد والامير قرقماز بالامان وان يذهبا الى كاخيته ليردهما الى ولاية بلادهما وارسل كاخيته مع سبعة انفس ليجتمع بهما عند عين مزبود . فنزل الاخوان مع رجالهما . فلما سقاهما القهوة امر السكمانية بضربهما فقتل الامير قرقماز واما الامير احمد ففرّ واختفى (١) . وعند ذلك سلم محمد باشا حكومة البلاد الى الامير محمد ابن علم الدين والشيخ علوان من قيسية البارك

„ وفي هذه السنة في غرّة كانون الثاني وجه الملك لويس الرابع عشر الى الشيخ نادر ابي نوفل الخازن الفرمان المؤذن باقامتهِ قنصلًا على بيروت وهذا معربه : لويس بنعمة الله ملك فرنسة ونافرة على كل من يقف على كتابنا هذا سلام

بناء على المعاهدة المعقودة بين ملوك فرنسة اسلافنا وبين السلاطين العثمانيين المقرر فيها امورٌ عديدة منها انتا نستطيع ان نقيم قناصل في جميع مدنهم لتستتبّ الحرية للتجار الفرنساويين وغيرهم ممن يرغب ان يتجر تحت لواء فرنسة . . وحيث ان التجارة اتّسعت جدًّا في حلب ولم يعد في امكان القنصل هناك ان يقوم بما تقتضيهِ مهمات التجار المتعددين الذين يتجرون في سورية . اقام المرحوم والدي السعيد الذكر قنصلًا آخر في صيدا . . وهذا سهّل معاملات التجارة في سورية ووسعها . ولما كان للتجار مكان مناسب جدًّا لتجارتهم وهو بيروت حيث يمضون فيبيعون ويبتاعون وجدنا موافقًا ان نقيم نائب قنصل فيها . وبما ان كلًّا من قنصل حلب وصيدا يدّعي بان ثغر بيروت تابعٌ لقنصليتهِ اضطرنا الحال ان نصدر امرنا الى صديقنا وعزيزنا السيد نادر ابي نوفل ليتقلد زمام قنصلية بيروت تسهيلًا للتجارة ومقتضياتها . . . . فلاجل هذه الاسباب وحيث ليس من واسطة لتوسيع نطاق التجارة الّا بان نفرز قنصلية

---

(١) قيل ان الامير احمد كان بجانب الشيخ ابي قانصو الخازن فدافع عنهُ اشد المدافعة حتى تمكن من الهرب وكان قد اصابته جراحة في عنقه وعاش من بعدها زمانًا طويلًا لا يقدر على تحريك رأسه

صيدا وحلب فبرسالتنا هذه الممضاة بخط يدنا اعلمنا ونعلم اثبتنا وثبت اردنا ونزيد باختيارنا وما لنا من ملء السلطة الملوكانية ان نخص بانعامات كهذه من نشاء . وعليهِ فمن الآن نرغب ان يتقلد زمام قنصلية بيروت شخص خصوصي غير خاضع لقنصلية حلب وصيـــدا ولاجل القيام بهذه المهمة ينبغي ان نقيم شخصاً غيورًا على خدمتنا ومحباً للخير العام . واذ رأينا انه لاجل هذه الغاية لا يمكننا ان ننتخب شخصاً احسن من السيد ابي نوفل (يؤيد قولنـــا العناية التي بذلها لرعايانا ولكل من يعترف بالديانة الكاثوليكية الرومانية في سورية . وهذا الذي حملنا على ان ننعم عليهِ بالفرمانات التي تجعله من الفرنساويين رعايانا) . اقمناه وسلطناه ونقيمه ونسلطـــهُ بهذه المكاتيب الحاضرة قنصـــلًا على الشعب الفرنساوي والتجار الذي يتجرون في بيروت تحت لواء فرنسة . ومن الآن يتعاطى السيد ابو نوفل متعلقات هذه القنصلية ويخلفهُ بعد موته السيد نوفل ولده . وله ان يتمتع بالشرف والسلطـــة والامتيازات والحقوق والمنافع والمحاصيل والرواتب المختصة بهذه القنصلية كما يتمتع بها قناصل الشرف ويحق لهُ ان يُنيب عنهُ مدة غيابه نائب قنصل في بيروت بشرط ان يكون فرنساويًا ويكون هو نفسه مسؤولاً عنهُ قانونيًا . . . . واثباتًا لما تقدم قد ختمنا هذا الفرمان بخاتمنا وفيهِ نطلب من اعظم اعزائنا واجل اصدقائنـــا حضرة السلطان المعظم ومن الباشاوات العظام وسائر مستخدمي الحضرة العلية ان يساعدوه اذا مست الحاجة وبعد مماته ولده نوفلًا ونائب القنصل المعين منهما ويأذنوا لهم في استعمال الحقوق المختصة بالقنصلية كما اننا نفعل مثل ذلك بكل من يعينونه هم لمثل هذا المقام وتصل لنا في حقه كتب وصاة منهم " . اه

وفي سنة ١٦٦٣ (١٠٧٤هـ) اشتدّ الغلاء في بلاد الشام بسبب الجراد الذي ارتعى الزروع وبلغ شنبل الحنطة في طرابلس اربعة قروش وكيلة الارز نحو قرش ورطل الخبز في حلب نحو نصف قرش

وفيها كانت وفاة الاسقف اسحق الشدراوي في مدينة جبيـــل وهو احد الذين

درسوا في مدرسة الطائفة برومية فنالوا شهادة المعلمية في العلوم الالهية والطبيعية · الف كتاب النحو السرياني وطبعه · ونقل من اللغــة الرومية (لغة اهل رومية وهي اللاتينية) الى العربية كتــاب المناجاة بين المعلم والتلميذ · وجدّ في الوعظ والانذار وفي تعزيز النصرانية ببلاد كسروان

وفيها كانت رسامة المطران جبرائيل بن حنــا خليفة الاسقف يوسف البلوزاوي على مدينة حلب

وفي سنة ١٦٦٤(١٠٧٥هـ) في الخــامس عشر من تموز استأثرت رحمة المولى في مدينة رومية بابرهيم الحاقلاني · كان قد تلقى العلوم في مدرسة رومية وجُعل ترجمانًا عند ملك فرنسا وباباوات رومية · ولهُ تصانيف كثيرة في النحو السرياني وتواريخ العرب والرد على المبتدعين في بلاد الغرب · وكان لهُ ذكر طائر في بلاد اوربا

„ قال المسيو دي لاروك في فصل مشاهير الموارنة ما يلي : الخــامس عشر هو ابرهيم الحاقلاني الذي ذاعت سمعته واشتهرت تآليفه عند العلماء الذين لا يجهلون ما نال من الاعتبار والالتفات عند مشاهير الاكليروس واهل العلم المتفقهين في اوربا · كان معلمًا للعربية والسريانية في رومية وباريس ثم استخدم من بعد جبرائيل الصهيوني (الاهدني من عائلة كرم) على انجاز طبع التوراة مع الاب ميخائيل لاجي · واشهر تأليفاته هو ترجمة تأليف ابن الراهب المعنون بالتاريخ الشرقي طبعهُ في باريس سنة ١٦٥١ واضاف اليهِ عدة مقالات في تواريخ العرب · ولهُ ترجمة اخرى للقوانين العربية المنسوبة عند الشرقين الى مجمع نيقية · وطُبعت ايضًا هذه الترجمة في باريس · ولهُ كتاب التنقيح على ميمر عبد يشوع في المؤلفين الكنسيين اهداهُ الى الكردينــال انطون بربارين وطبعهُ في رومية سنة ١٦٥٣ · ولهُ ايضًا كتاب الانتصار لافتيشيُس ردًّا على سلدان احد كهنة الانكليز وخطأَهُ فيهِ هتّجر في جملة مواضع من تاريخهِ عن المشرق وطُبع ذلك الكتاب برومية سنة ١٦٦١ · وقد ذكر المسيو هربلوت ان الحاقلاني ايضًا ترجم من العربية الى اللاتينية « مرآة الدنيا » وهو كتاب في اللاهوت الادبي · اما بعض

اللاهوتيين الالمان وغيرهم فقد طعنوا فيهِ طعناً اليماً. وما كان ذلك ليحط من قدره لانهُ حامى عن الدين والحقيقة وردَّ مزاعم المبتدعين. ولذلك نهض الاب رينودوت (وهو من اكبر العلماء العارفين بهذه الامور في عصرنا) لحامى عنهُ في المجلد الخامس من كتابهِ «دوام الايمان» في الصفحة ٣٨٣ وما يليها (١) (انتهى بتصرف) ،،

وفي سنة ١٦٦٦ (١٠٧٧ هـ) سلم البطريرك جرجس بموجب طلب اولاد الطائفة من سكان الشام كنيستهم الى الرهبان السيكولنتية لكي يقوموا بخدمتها بشرط ان لا تتغير عوائد الطائفة في شيء.

وفي سنة ١٦٦٧ (١٠٧٨هـ) كانت الواقعة عند برج بيروت بين القيسية واليمنية فقتل من اليمنية المقدم عبدالله بن قانيه ابن الصواف. وكانت الدائرة على اليمنية فانهزموا الى بلاد الشام. وتولَّى الامير احمد ابن معن بلاد الشوف والغرب والجرد والمتن وكسروان وارسل فاحضر بيت شهاب من مدينة حلب وكانوا في الجبل الاعلى (٢)

وفي سنة ١٦٦٨ (١٠٧٩هـ) يقول صاحب هذه التواريخ اننا توجهنا الى القدس الشريف وبعدما تبركنا بزيارة تلك المواضع المقدسة مع والدتنا واخينا الحاج موسى وعدنا بالسلامة الى لثم ايدي السيد البطريرك جرجس في دير قنوبين اتفق انهُ رفعنا الى درجة المطرانية على اقفسية قبرس. وكان ذلك في الثامن من شهر تموز. وامرنا ان نخرج الى زيارة الرعايا الذين في ايالة طرابلس وجزيرة قبرس. ولئلا نكون

---

(١) وزاد في سفر الاخبار: ولهُ غرامطيق سرياني وترجمة الكتاب الخامس والسادس والسابع من تآليف ابولوت في الهندسة من العربية الى اللاتينية بطلب فرديناندو الثاني دوك توسكانة. ومختصر في الفلسفة الشرقية وترجمة قوانين القديس انطونيوس الكبير ومواعظه واجوبتهُ من العربية الى اللاتينية وطبعها في باريس سنة ١٦٤٦

(٢) اطلب سنة ١٠٧٥ للهجرة في الغرر وص ٨٧ و ٣٤٢ في اخبار الاعيان — وقد حضر هذه الوقعة الشيخ ابو نادر الخازن وغيره من ذوي قرابتهِ وابلوا فيها بلاء حسناً

عبيداً بطالين اشغلنا نفوسنا بسياسة الشعب وبجمع هذه الاخبار لاجل افادتنا وقصد الاطلاع على احوال البلدان التي نحن مقيمون بها ...

وفيها قدم من بلاد فرنسة اربعة انفس تجرّدوا عن العالم وقصدوا خدمة الباري في محابس جبل لبنان . فاختار بعضهم السكنى في دير مار أسيا في قرية كفر سارون والبعض في دير مار ابون بارض الحدث والبعض في دير مار انطونيوس بجوار قنوبين وامر البطريرك بان يسير معهم قوم ليصلحوا تلك المواضع ويقطعوا عنها الغابات والمياه وان يأخذوا من دير الكرسي ما يحتاجون اليهِ لقوت اجسادهم . وفيها كانت وفاة الاسقف سركيس ابن الجمري في مدينة مرسيليا في اواخر شهر ايار

وفي سنة ١٦٦٩ (١٠٨٠هـ) في الثالث عشر من شباط كانت وفاة الاسقف ميخائيل ابن سعادة الحصروني في مدينة طرابلس وبموجب وصيته حملوه ودفنوه في مغارة القديسة مارينة بجوار قنوبين . وكان المذكور ممن ربي في المدرسة الرومانية واستمرَّ على رئاسة الكهنوت ستاً وعشرين سنة بغاية الطهارة (١) . ثم اقيم القس يوحنا التولاوي مطراناً على صيدا

وفي سنة ١٦٧٠ (١٠٨١هـ) في الثاني عشر من شهر نيسان حضرت الوفاة البطريركَ جرجس ابن الحاج رزق الله من سبعل في دير مار شليطا مقبس . وكان رجلًا شجاعاً صاحب مكارم وتحمل مشقات كثيرة من قبل الحكام وساس الكرسي الانطاكي ثلاث عشرة سنة وثلاثة اشهر (٢) . ولاشتداد الوباء لم يتيسر للرؤساء ان يجتمعوا في النهار التاسع من وفاته . فتأخرت رسامة الجديد الى ان توفي بالوباء القس انطونيوس ابن الرز الذي كان قيّماً على دير قنوبين . وحينئذٍ في النهار الاربعين اعني في العشرين من ايار اجتمع الرؤساء واعيان الشعب واجبرونا على

---

(١) الَّف وهو كاهن شرحاً للحساب الغريغوري طبعهُ في رومية سنة ١٦٣٧ (راجع ص ١٨٥ من هذا الكتاب وص ٢٠٧ من سفر الاخبار) (٢) ذكر عنهُ دي لاروك انهُ كان مضطلعاً في جميع لغات الشرق وكان بارعاً على الخصوص في علم الحقوق الكنسية

القيام مقامه. فصرنا في مقام الرابع عشر من البطاركة في دير قنوبين وارسلنا القس يوسف الحصروني برسائل الطاعة وطلب التثبيت الى رومية

وفي سنة ١٦٧١ (١٠٨٢ هـ) اقمنا القس لوقا القبرسي مطرانًا على اقفسية قبرس. فاتخذ هذا سكناهُ في الجزيرة. وفيها استنجد الامير علي ابن الحرفوش بنائب الشام وهزم اولاد عمه الامير عمر والامير يونس والامير شديدًا فنهب املاكهم واحرق دورهم وتولّى بلاد بعلبك

„ وفي هذه السنة أُحيلت مقاطعات كسروان وبكفيا وغزير الى عهدة الشيخ ابي نوفل الخازن وذريته بموجب فرمان عالٍ صادر من لدن حضرة السلطان سليم العثماني المُشير وهذه ترجمته:

دستور مكرم مشير مفخم نظام العالم مدبر امور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الانام بالرأي الصائب... وزيري باشا المتصرف بايالة الشام الشريف ادام الله تعالى جلاله وقدوة القضاة والحكام معدني الفضل والكلام قاضيَي بيروت وصيدا زيد فضلهما..

انت ايها القاضي ببيروت قدمت الى ديواني الهمايوني بدار السعادة معروضًا بان رعايا مقاطعات كسروان وبكفيا وغزير التابعة قضاء بيروت المذكور حضروا الى مجلس الشرع الشريف وبيَّنوا ان مال نواحيهم هو ثمانية وعشرون الف قرش. ولحد تاريخهِ هو جارٍ دفعهُ الى طائفة الامناء. غير ان الامناء المذكورين يأخذون منهم اموالًا بما يزيد عن المرتب حتى صار ذلك موجبًا لخرابهم. وانهُ اذا أُحيلت المقاطعات المشار اليها الى عهدة شيخها الشيخ ابي نوفل الخازن واولاده تعمر المقاطعات المرقومة... وحيث لا طاقة لهم على جور وظلم الامناء... اعطيتهم اعلامًا بالرجاء في اعطاء امري الشريف بان تكون العهدة بذلك للشيخ المذكور واولاده. فقد صدر فرماني باجراء العهدة على الوجه المشروح. وامرت انهُ بوصول حكمي الشريف... ينبغي على اهل المقاطعات المذكورة ان يدفعوا الى الشيخ المذكور واولاده سنويا مبلغ الثمانية والعشرين الفًا المار ذكرها.. فهكذا اعلموا واعتمدوا علامتي الشريفة تحريرًا في اليوم الخامس عشر من شهر صفر الخير سنة الف

واثنين وثمانين ،، (ترجم عن اصله التركي المحفوظ عند الشيخ بطرس كنعان)

وفي سنة ١٦٧٢ (١٠٨٣ هـ) لما وقعت كنيسة مار شليطا مقبس جددها الخوري سركيس على يد البنّاء القس جرجس الاميوني الماروني. وبجانبها من الشمال بنينا دارًا لسكنى البطاركة اذا عرض توجههم الى ذلك الجانب

وفي سنة ١٦٧٣ (١٠٨٤هـ) عُزل محمد باشا عن ايالة طرابلس . فتولاها حسن باشا وارجع لمشايخ بيت حمادة مقاطعاتهم . ولم يكلفهم تسافير ولا استعجالات . فاخذهم الطمع وتأخروا عن اداء المال وقتلوا اناسًا من عشاش على نهر رشعين واكثروا من العيث والفساد والنهب . ـ وفيها عُني الشيخ ابو فارس واخوه الشيخ ابو ناصر ولدا الحاج ابي منصور الاهدني كاتب الامير احمد ابن معن فهدما كنيسة السيدة وعمراها قبوًا في دير القمر . ـ وفيها انشأ المطران جبرائيل البلوزاوي ديرًا جديدًا على نهر الكلب في ارض طاميش من قاطع بيت شباب على اسم السيدة (١)

،، وفي هذه السنة وجه البابا اقليميس العاشر مع يوسف الحصروني رسول غبطة المؤلف الى رومية رسالة الى الشيخ نوفل الخازن عنوانها : الى الابن الحبيب والرجل الشريف نوفل امير الموارنة حرضهُ فيها على السعي دون انقطاع في نشر الايمان الكاثوليكي سعيًا على آثار اجداده الى ان قال :

وعليهِ فلما كان من واجباتنا ان نخص بالاعتبار وبدلائل الحب الرسولي جميع الذين يسعون في تأييد الديانة الكاثوليكية رأينا ان نوجه اليك ما يعرب عن انعطافنا في هذه الفرصة المتوجه فيها ولدنا الحبيب يوسف الحصروني ليعلم الشعب الماروني قدر اجلالنا لما تبديه من شهامة النفس في الاعمال التقوية . . . ،، (عن رسالة البابا المحفوظة الى اليوم عند الشيخ بطرس كنعان الخازن)

وفي سنة ١٦٧٤ (١٠٨٥هـ) استمر حسن باشا على ايالة طرابلس فصرَّف الشيخ سرحان في بلاد جبيل والبترون . ولما ذهب اليهِ الشيخ احمد بن قانصو ليأخذ ولاية الجبة

(١) ذكر ذلك صاحب النرر في سنة ١٠٨٢ للهجرة اي قبل هذا العهد بسنتين

قبض عليـهِ بسبب ما كان حادثًا من الخراب والعيث وقبض ايضًا على الشيخ محمد ذيب بسبب تأخره عن اداء مال الضنية وارسل ابرهيم آغا الى الجبة. وكان صاحب الكلمة عنده ابو كرم بن بشاره الاهدني وابو شديد غصيبي بن خيروز البشراوي

وفيها توجه الى زيارة القدس سفير ملك فرنسة (١). فاشترى كنيسة مار يوحنا بعين كارم وسلمها لرهبان القدس. وعند عودته صعد الى جبل لبنان وبحضوره رسمنا في الخامس من تموز المطران بطرس ابن مخلوف من قرية غسطا على كرسي افقسية

وفي سنة ١٦٧٥ (١٠٨٦هـ) نُصب على ايالة طرابلس حسن باشا. وعلى صيدا اسماعيـل باشا. وعلى دمشق حسين باشا. فنادى والي طرابلس بالركوب على بيت حمادة لسبب تأخر المال. وفي الخامس والعشرين من ايار سيَّر اليهم الكاخيـة بتسعمائة رجل مع بنيامـين واصحاب الاغراض فطردوهم حتى الى عين النقير فوق افقا وفرق بينهم الليل. وفي ٢٧ تموز احضر الشيخ احمد وابن محمد عيادة بن قانصو وابن حسن ذيب وامر اولاد عمهم وغيرهم ان يقتلوهم. فلما شاع خبر قتلهم وثب اتباعهم على بلاد جبيل فنهبوا وقتلوا واشعلوا النار في حصرايل ونهبوا قرى البترون واخذوا سائمة حصرون في الجبـة وقصدوا بذلك ان يكثروا الخراب في البلدان لكي يتأخر اهل البلاد عن تأدية الاموال السلطانية في اوقاتها. ثم وثب ايضًا المقدم قاتبيه ابن الشاعر مع ضامني البلدان على مشايخ القرى فامسكوهم وحبسوهم في جبيل. وعنـد هذه الاحوال صدر الامر من الباب العالي بان يكون والي دمشق مع والي صيدا نجدة لوالي طرابلس على العصاة. وفي اوائل تشرين الاول اجتمع النواب من الشام وطرابلس وصيدا بنحو خمسة آلاف نفر تحت قب الياس قاصدين الزحفة على

(١) وقد وقفت لهُ على رسالة لطيفـة بعث بها الى الشيخ ابي نوفل الخازن في ٣ آذار من هذه السنة عند وصوله الى صيدا اثنى فيها اولاً على حسن تمسكهِ بالدين والآداب وسعيه في نشر الاسم المسيحي وسأَلهُ ان يجمع لـهُ شيئًا من الحجارة التي توجد عليها صور اسماك او طيور او غـير ذلك من النباتات والاشجار والايقونات. اما امضاؤه في ذيل الرسالة فهو: اوتيسه دي نونتل سفير دولة فرنسة لدى الباب العالي

ابن معن وبيت حمادة . وحينئذٍ كاتبوا ابن معن بان يسلمهم العصاة . وكتب اليهِ والي صيدا سرًّا ان لا يدخله الخوف . فاجتمع اولاد العرب والامراء الشهابية في دير القمر وكانوا نحو اربعة آلاف نفس . وجاوبوا النواب ان بيت حمادة اجتازوا بهم ولم يمكثوا في بلادهم . وكتبوا الى اسماعيل باشا بان دعوى حسن باشا على بيت حمادة ناتجة عن تأخر عشرين كيساً من مال الدولة لا غير فيتكفل لهُ ابن معن باداء المال المتأخر بشرط ان يخرج لهم رهائنهم المحبوسين في قلعة طرابلس . ولما وصلت الرهائن الى صيدا دفع اسماعيل باشا العشرين كيساً ورجعت العساكر . وفيهـا رقّينا كاتبنا القس يوسف الحصروني الى رئاسة كهنوت مدينة طرابلس وكان ذلك في ديرمار شليطا مقبس

وفي سنة ١٦٧٦ (١٠٨٧هـ) ورد الامر بتقرير حسن باشا على ايالة طرابلس فولّى الحاج حسن ابن الحسامي وابا حيدر النمس على بلاد جبيـل . والحاج باز بن ابي رعد ومرعب ابن الشاطر على بلاد البترون . وابا كرم بن بشارة على جبة بشراي . ووزّع الاعلام على جميع المقاطعات خوفاً من بيت حمادة . ثم ورد اليـهِ الامر بالمسير على تركمان البجدلة فمات مرعب ابن الشاطر في القلعة . اما الشيخ حسين بن احمد فقتل الحاج بازًا بارض لحفد وقتل الشدياق انطون اخا المطران في وادي حيرونا واحرق دير مار اليشاع ودار اولاد ابي خيروز في بشرّاي . ولما عاد حسن باشا من السفر وعلم بمـا جرى من الخراب في مدة غيابه تكدر وزحف بالرجال الى جهة بلاد جبيل . فقتل شيخ البرابرة وقبض على الشيخ حسن ابن الحسامي وعلى مشايخ بجعـاز وغرزوز . فغرّمهم لانهم صرّفوا بيت حمادة ثم امر بحريق قرى وادي علمات وهي فرحت وعلمات ومشان وطورزيّا والحصون واهمج وجاج وقرى جبة المنيطرة . وهي كفرحيال والمغيرة ولاسا والمنيطرة وافقا . ولما ان رجع العسكر جاء مشايخ بيت حمادة واحرقوا قصوبا وتولا وعبد الله وبسبينا وسغار وشبطين . وكانت السنة شديدة على الفلاّحين بسبب عسكر الدولة وابناء العرب وفشوّ الطاعون والجدري (١)

(١) راجع حوادث هذه السنة والتي قبلها في ابن سباط وكتاب الغرر اذ فيها بعض زيادات

وفي ١٦٧٧ (١٠٨٨ هـ) توفي في اسطنبول ابن الكبري فتولى الوزارة مكانه مصطفى باشا. فبدّل النواب في جميع الايالات وارسل محمدًا باشا الى طرابلس. فكتب بلاد جبيل على الشيخ سرحان والبترون على ولده الشيخ حسين وجبة بشرّاي على الشيخ حسين بن احمد وامرهم بان يؤمّنوا الرعايا ويردوا النازحين

وفي هذه السنة تحرك الجراد بسبب كثرة القيظ في الشتاء. وفي اول آذار عمّ الطيّار جميع المقاطعات من سواحل البحر الى دمشق. ولم يزل طائرًا نحو اثني عشر يومًا حتى ارتعى جميع ما كان من الخضرة. ثم انه غرز في السواحل وفي نصف تموز انتشر الطيّار. فاتاه السمرمر من البقاع وانسكب عليهِ البرَد فضرب الاشجار واهلكه في قضيب المسقية. واجتمع الجراد في بعض الاماكن كالتلال حتى اتخذت فيهِ الوحوش اوكارًا لكثرتهِ. وفي التاسع من ايار هبت ريح السموم فبقيت سبعة ايام واهلكت دود القزّ في السواحل

وفيها في الثامن عشر من ايار انتقل الى رحمة ربه الاسقف ابراهيم بدير قزحيا وفي النهار التاسع اقمنا ولده القس يوحنا اسقفًا على البترون وولّيناه على الدير المذكور

„ وقفت على رسالة للمركيز دي نونتل الذي مرّ ذكره في سنة ١٦٧٣ وجهها الى الشيخ ابي نوفل الخازن وآخر من ذوي قرابتهِ وعنوانها: الى السيدَين الشريفين امير عجلتون وامير درعون. فبعد ان مدح صفاتهما وديانتهما قال: وهذا معروف من الحماية والمحبة التي تخصّان بها المرسلين ولاسيما الآباء اليسوعيين والاب نو الذي اوصيكما به بنوع خصوصي نظرًا لفضله الشخصي ولاعمالهِ الخيرية في بلادكما وقد كلفتهُ ان يقدم لكما اعتباري. وعن يده يمكنكما ان تبلغاني كل ما يتعلق باشغالكما في قسطنطينية وقد فوضت اليهِ ان يبلغكما دلائل محبتكما عندي“

وفي سنة ١٦٧٩ (١٠٩٠ هـ) تولى ايالة صيدا خليل باشا ابن كيوان. اما محمد باشا فصرف مشايخ بيت حمادة في مقاطعاتهم واطلق ايديهم فيها. وفي هذه السنة في الثالث عشر من شهر آب حضرت الوفاة الشيخ ابا نوفل نادرًا ابن الخازن.

وكان قد تقـدم جميع اهل عصره نخوة ومكارم . خلص نفسهُ من يد الحافظ ومن يد ابن علم الدين حين امسكاه مع ابن الامير فخر الدين . واسترجع املاكهُ بامر شريف بعد ان صارت بكليكاً . وفي سنة ١٦٥٦ اكرم عليهِ البابا اسكندر السابع بكاڤليارية رومية وان يتقلد طوقاً وسيفاً ويستعمل مهاميز من ذهب (١) . وفي سنة ١٦٥٩ انعم عليهِ سلطان فرنسة بقنصلية بيروت وتصرَّف كذلك بقنصلية البندقية . وكان امراء بلاد الشام وقناصل الافرنج يحبونه كثيرًا . وكانت كلمتهُ نافذة بكل مكان

«« اما عمر الشيخ ابي نوفل وان كان طويلًا فقد حُسب عند قومهِ قصيرًا لما كان لهُ عندهم من الايادي البيضاء . مات وهو طاعن في السن موت الابطال اثر وهنٍ عراه في شيخوخته ولقي الموت وهو ثبت الجنان وعند النفس الاخير جدَّد روح الايمان والعبادة وقبل الاسرار المقدسة بانتباه عجيب واسلم نفسه بيد الههِ ورقد بسلام رقاد الابرار . اما اوجاعه عند موته فلم تكن مرة لان الله رأى افعالهُ الحسنة في مدة حياته فلم يقضِ بوجوب ذلك عليهِ

وكثيرًا ما كان عُفاته وهو حي ينشرون فضله عليهم اما بعد موته فلم يستطيعوا ستر ذلك بل نشروه باعظم بيان وقد كان الحزن عليهِ شديدًا والاسف شاملًا والدموع غزيرة وقال اهل بلاده ان موتهِ سبقته حوادث غريبة الا ان فضائله تكفل لهُ بالثناء اكثر من هذه التقاليد غير الثابتة . وعند موته علت حالاً اصوات ذويه بالبكاء كعادة البلاد وبعثوا رُسلًا ينعونه الى كل القرى المجاورة . وقد حضر مأتمه اكثر من الف . اما اهل الاكليروس فجاؤُوا جميعًا واما الغرباء فكانوا يأتون عصابات وحالما يقربون من بيت الفقيد يرفعون اصواتهم بالعويل فيجاوبهم ذوو قرابتهِ القائمون

(١) لم اقف على صورة البراءة المؤذنة بجعلهِ كافليارًا ويجب ان تكون على صورة البراءة التي وجهها البابا اسكندر السابع لمثل هذا الغرض الى الشيخ حيذر (راجع صر ٢٣١ من هذا الكتاب)

في الباب لملاقاتهم بمثل ذلك. ولم يزالوا يفعلون هذا حتى واروا جسده بالتراب. اما الفقراء الذين تركوا اعمالهم وجاؤوا يندبون المحسن اليهم فكنت ترى الكآبة بادية على وجوههم. وفي اليوم الثالث والسابع واليوم الثلاثين أُقيمت الصلاة عن نفسهِ بحضرة جم غفيرٍ وكلهم رأوا ان ذلك غير كثيرٍ للقيام بشكره. ولكي يتزلوا في السعادة الابدية من لم يكن لهُ همٌّ في حياته الا بان يجعلهم سعداء على الارض (عن مجموع للآباء اليسوعيين يسمى بالرسائل البانية (Lettres édifiantes)

وقال دي لاروك: وممن امتاز بين الموارنة الشرفاء والاغنياء هم آل الخازن. واعظم ثروة للموارنة هي كونهم اغنياء بالايمان كما قال الرسول وهم على يقين من ذلك لان السيد ابا نوفل نادرًا عميد هذه العائلة وامير الشعب الماروني لا يعتبر ثروته كديانتهِ الكاثوليكية او كالاسم المسيحي الذي حامى عنهُ بكل غيرة. ولذلك ميّزه الكرسي الرسولي اعتبارًا لتقواه واستحقاقه بلقب اميرٍ وجعله كافليارًا رومانيًّا مع ولدَيه السيدَين ابي قانصو وابي ناصيف. وهكذا الملك المتمسك بعروة الدين المسيحي ومشيخة البندقية ميزاه ايضًا باقامتهِ قنصلًا لفرنسة والبندقية في سورية. وقال في موضع آخر: نسلم ايضًا بما قالهُ مرهج ابن نمرون في كلامهِ عن فضل السيد ابي نوفل عميد الشعب الماروني الذي نظرناه مرارًا في سورية وتلقَّينا منهُ ما يدل على ميله الخاص الى الفرنساويين ولاسيما الى العلماء لان هذا السيد باقتفائه أَثر الامير نادر ابيه المشهور بالعلوم وبالفروسية كسب شهرة عظيمة وعلى الخصوص في فن التاريخ فهو الذي كتب تاريخ الامير فخر الدين الشهير وما جرى في ايامه من الحوادث،،

وفيها في كانون الاول كانت وفاة السيد الاجل صاحب القدر والمحل ذي الحسب السامي والنسب النامي الامير ملحم خلف الامير احمد ابن معن ولهُ من العمر اثنتا عشرة سنة

وفي سنة ١٦٨٠ (١٠٩١ هـ) انتقل محمد باشا من طرابلس الى صيدا فتولى مكانه آخر باسمهِ فصرَّف بيت حمادة في مقاطعاتهم. وفي الحادي عشر من شهر نيسان

توفي الاسقف يوحنا التولاوي ودفن في بعبدات. فاقمنا مكانه على صيدا القس بطرس ابن القس ابرهيم الاهدني كاتبنا وقلّدناه مصالح الكرسي

وفي سنة ١٦٨١ (١٠٩٢ هـ) قل المطر في شهري تشرين وكانون وظهر شهاب في الفضاء بين الجنوب والشمال فمكث نحو شهر وغاب عند ظهور هلال شباط. وفي الخامس عشر من كانون الآخر زُلزلت الارض ثم جاء الربيع باردًا ووقع البَرَد الكثير واضرّ بالاشجار. وقيل ان وزن البَرَدة بلغ اوقيةً وثلثًا فهلك كثير من البهائم وبادت الزروع. ثم جاء بعد ذلك الوباء وبقي نحو ثلاث سنين في ايالة طرابلس الا انه كان خفيفًا. وفيها في السابع والعشرين من تشرين الاول كانت وفاة سركيس البردوط ابن محاسب رئيس دير مار شليطا مقبس. وكان رجلًا عابدًا دينًا سمحًا. فادخل سيرة النسك في بلاد كسروان واقتنى للدير عقارات كثيرة وكتب بخط يده مجلدات عديدة وكان يعطي الفتاوى بامر الرؤساء وكانت لهُ هيبة وكرامة عند جميع الناس حتى صار قدوة صالحة لكل الرهبان بالخضوع والعبادة والرحمة والمحبة. وكان كل يوم يصلي المسبحة ويقرأ بعض فصول من الكتب العتيقة والجديدة ولا يقيم القداس الا قريبًا من الظهر. ولما طعن في السن ترك الرئاسة لابن اخيهِ القس حنا. وكان يسير صباحًا الى القفر وينفرد هناك للصلاة وقراءة الكتب ويتغذّى بكل ما يقدم لهُ .

وفي سنة ١٦٨٣ (١٠٩٥ هـ) اراد المشايخ الحبيشية ان يبيعوا من الرهبان الكبوشيين كنيسة مار الياس التي بنوها في اسفل القرية فمنعناهم عن ذلك وسمحنا لهم ان يسكنوا مدة خمس وعشرين سنة

وفيها كانت وفاة الاسقف بطرس ابن القس ابرهيم الاهدني في السادس من ايار بينما كان في زيارة الرعية في جهة الشمال. فحملوه من البهلولية الى وادي صفرة ولهُ من العمر اثنتان وخمسون سنة. وفي السادس من حزيران في عيد العنصرة اقمنا بدلهُ على مدينة صيدا القس يوسف ابن مبارك من رهبان مار سركيس ريفون

وفي هذه السنة في غرَّة ايلول رحلنا الى دير القمر بسبب ما كان من جور ولاة بشراي وعدم الاتفاق بين مشايخ كسروان وضمناً من حضرة الامير احمد ابن معن قرية مجدل معوش واقمنا هناك سنتين فاصلحنا كنيستها مع غيرها من المساكن وحينئذٍ جاء اهالي الجبة الى حضرة الامير برسائل الخضوع من اولاد الشيخ احمد اقسموا بها انهم لا يعودون فيبدّلون او يغيّرون شروطهم معنا فرجعنا معهم

وفي سنة ١٦٨٤ (١٠٩٦ هـ) قتل مشايخ بيت حمادة ابا نادر شيخ مزرعة عكار وابن اخت الباشا في حلبا. وبعد عزل الباشا عن طرابلس نزلوا فاخرجوا رهائنهم بالسيف من القلعة وكبسوا قرية عشقوت في بلاد كسروان ليلًا وقتلوا من اهلها احد عشر نفساً. وبسبب ذلك ورد الامر الى الامير احمد ان يتولى جميع مقاطعاتهم فانتقل الامير بخمسة آلاف الى غزير وارسل فكبسهم ففروا الى بلاد بعلبك فاحرق ايليج ولاسا وافقا والمغيرة وقطع املاكهم ثم رجع الى بلاد الشوف ولم يقبل ان يتولى مقاطعاتهم كما امره والي طرابلس

وفي سنة ١٦٨٥ (١٠٩٧هـ) جدّدنا كنيسة مار عبدا على نهر الكلب بعد ان كانت قد دثرت من زمان طويل وبنينا بجذائها دارًا والحقناها بدار مار شليطا في مقبس

وفي سنة ١٦٨٦ (١٠٩٨هـ) دخل الخريف والشتاء من غير ان يسقط المطر. فكثرت دبّابات الارض والفار والدود. فظهر في صوم النصارى الفرفور وكان كثيرًا يشبه الجراد في السواحل والجبال فارتعى الزهور وامات النحل. وكثر الصرصر في سواحل البحر حتى اهلك دود القز وكذلك الحرقوص رعى نبات الزرع والذرة في مواضع كثيرة. واغار الفار على دود القزّ في الجبال حتى اضطروا ان ينقلوه من البيوت الى الاكواخ. وكذلك الدودة نزعت قشور الدوالي والسنديان في الاودية وفيها قُرّرت ايالة طرابلس على علي باشا النخيلي (١). فجاءه الامر بالركوب على

---

(١) ويروى النكدي

عرب النجدلة فهاج بيت حمادة وتفرقوا في كل موضع فقتلوا ابا داغر شيخ حردين وعليّ ابن رعد شيخ الضنية وغيرهما . فقبض الكاخيــة على اثني عشر نفراً من اتباعهم فاماتهم على الخازوق . ولما رجع الباشا الى طرابلس جاءهُ الامر مع عبد الله غلبي ابن ميخائيل الافرنجي ان يُغير على الامير شديد ابن الحرفوش بسبب انه خرَّب قرية الرأس واحرق قلعتها . وفي اوائل تشرين جمع المقدم قاتيه ابن الشاعر وابا فاضل رعدًا وابن دندش وكتب الى الامير بشير الشهابي ان يوافيه بالرجال وساروا جميعاً الى بعلبك . ولما فرّ الامـــير شديد الى بلاد جبيل عند مشايخ بيت حمادة نزل الى العاقورة فاحرقها واحرق من ضياعهم نحو اربعـــين ضيعة وقطع اشجارها ودكوا الى الارض دار الشيخ حسين في ايليج وقبر الامير عمر في طورزية وظفروا بالامتعة التي كانت مخبوءة في مغارة قنات . وفي العشرين من تشرين الاول عنـد ما كان العسكر نازلاً عند عـــين الباطية كبسهم بيت حمادة ليـــلًا وقتلوا منهم خمسة واربعين نفساً واخذوا كسبهم وانهزم يوسف وجاء مع جماعتـــهِ الى بعلبك وعاد الدروز والعربان والتركمان الى بلدانهم . وكذلك ابن الحسامي داخلهُ الخوف وفرّ الى بيروت بعيالهِ . فنزل الباشا الى جبيـــل ونـكبها . ولما رجع الى طرابلس نزل اهل الاغراض واشعلوا النار في قلعة جبيـــل ونـكبوا المدينة (١)

وفي سنـــة ١٦٨٧ (١٠٩٩هـ) اخذ طرابلس حسين باشا فقبض على الشيخ يونس وعلى اخويه عبد الله ورزق واولادهما بسبب دعوى والدهما ابي رزق البشعلاوي فاضطر يونس ان يطلب الاسلام ليخلص الاطفال . وفي نهار الاربعـــين وهو التاسع والعشرون من شهر ايـــلول هربوا ليلًا مع عشرين نفساً الى قاطع كسروان تحت حماية ابن معن وانجدهم الشيخ ابو قانصو فياض بواسطة ابنـــه حصن وبالرجال وحملوهم بسلامة . وهناك اظهر يونس صحة ديانتهِ

وفي سنة ١٦٩١ (١١٠٣هـ) ضمن بـــلاد طرابلس محمد باشا فاطلق ايدي

---

(١) اطلب التاريخ الاكبر مج ١ ص ٤٧٣

مشايخ بيت حمادة في مقاطعاتهم . فاعطى الشيخ حسين بن سرحان بلاد جبيل والبترون وولى ابنهُ الشيخ اسماعيل على الكورة والحاج موسى بن احمد على الجبة واولاد حسن على الضنية . وفي هذه السنة في السابع والعشرين من كانون الثاني كانت رسامة الاسقف يوسف الشامي على بيروت

وفيها كان مقتل ابي موسى زعرور في وطا الجوز من بلاد كسروان . وذلك في الثامن والعشرين من ايلول . وفي السابع عشر من تشرين الاول حضرت الوفاة الشيخ ابا قانصو فياض ابن الخازن فلذلك كبرت شوكة بيت حمادة فقتلوا حنا الاسود في الكورة ونهبوا العاقورة وغلال اهل كسروان في ميناء جبيل . وكان الشيخ ابو قانصو سمحاً كريماً محباً للعلماء شجاعاً شديد البأس . وبعد اربعة اشهر توفي اخوه الشيخ ابو نادر خاطر في الثامن من شباط . وفيها كانت وفاة المطران يوحنا بن جلوان السمراني رئيس دير قزحيا فاقمنا مكانه الخوري يوحنا بن حبقوق من قرية بشعلة في الثامن من شهر ايلول . وفيها انتقل الى ربه ابو فياض ابن المقدم يوحنا حريره

وفي سنة ١٦٩٢ (١١٠٤ هـ) كان الشتاء قليل الامطار فقل ماء الينابيع وفشا الجدري والحصبة والجرب والوباء . ثم جاء الجراد فعمّ السواحل والجبال

وفيها في حزيران في منتصف رمضان خُلع محمد باشا عن ايالة طرابلس . وقدم علي باشا فسموه اللقّيس واعطى مشايخ بيت حمادة مقاطعاتهم . اما محمد باشا الذي عُزل عن طرابلس فجعل قائمقام . وكاتب عليًّا باشا بالزحفة على بيت حمادة وان يرسل اليهِ ثلاثة عشر رأساً من اعيان بيت قانصو وان تكون بلاد بعلبك تحت تدبيره . وعند ذلك غيَّر الحكام وولى على عكار والهرمل هزيماً اغا ابن دندش وعلى جبيل حسناً اغا ابن الحسامي . وعلى البترون المقدم قانتيه ابن الشاعر . وعلى الزاوية وجبة بشراي الشيخ ميخائيل بن نحلوس ابن اخت ابي كرم . وعلى الضنية الشيخ ابا فاضل رعداً . ثم كاتب الامير احمد ابن معن ان ينجده بالرجال . فقدم المشايخ الخوازنة بنحو الف رجل اليهِ فوق جبيل . فلما شعر بهم الحمادية انهزموا صاعدين على طريق

العاقورة قاصدين ان يذهبوا الى بلاد بعلبك . فاتّبعهم الرجال وهلك منهم نحو مئة وخمسين نفساً في الثلج . ولما وصلوا الى قرية كفرزان (١) اوشك عسكر الدولة ان يبيدهم عن آخرهم لولا ان يعفو عنهم الخوازنة فقادوا الجيش الى جهة أُخرى وعادوا الى مواطنهم معتذرين بان ابن معن لم يأذن لهم في الخروج عن حدود ايالة طرابلس .

فاحرق علي باشا قرية نيحا وقبض على نحو ثلاثة عشر الف رأس من ماعز العصاة . ثم سلّم مقاطعة بعلبك الى احمد الكردي ومقاطعة جبيل الى حسن اغا النوري ورحل بالعسكر عن بعلبك . واما حاكمها فكاتب الحاج ياغي ابن حمية وعشيرته بالحضور . فحضروا اليهِ فباقهم وقتل منهم سبعة عشر نفساً وارسل الحاج ياغي وولده حيذر الى علي باشا فقتلهما عند مخاضة نهر رشعين في الزاوية . ثم انه جهز حسناً اغا واحمد امير الأكراد واسماعيل اغا ابن دندش للمسير على بلاد جبيل . فقبضوا على الشيخ حسين بن سرحان وعلى ابن اختهِ حسن ذيب وعلى سبعة من رفقائهم فقتلوهم بين قمهز ولاسا

وفي سنة ١٦٩٣ (١١٠٥ هـ) ارسل السلطان احمد خاتم الوزارة الى علي باشا وولى موضعهُ على ايالة طرابلس مملوكه ارسلان باشا ابن احمد اغا ولد المطرجي محافظ سنجق لاذقية . وانفذ الى الامير احمد ابن معن يعرض عليهِ ان يتولى المقاطعات التي بيد المشايخ الحمادية ويكفّ اذاهم عن ايالة طرابلس فامتنع ابن معن ولذلك ولى على بلاد جبيل الامير حسين ابن صعب الكردي من راس نحاش وعلى بلاد البترون المقدم قانتيه ابن الشاعر . ولما توجه الى اسطنبول سار بخدمتهِ الامير احمد الكردي والامير موسى ابن الامير علي ابن علم الدين اليمني . واما ارسلان باشا فسيَّر محرّماً اغا مدبره للتفتيش عن بيت حمادة بطريق الجرد . ووجّه امراء الأكراد ومقدمي بيت الشاعر على سواحل جبيل . فلما وصلوا الى بلاد الفتوح ونزلوا تحت عين قبعل بالامان قصدهم اولاد الشيخ حسين وكانوا مختبئين في بتاتر وكبسوهم ليلاً بنحو مئتي رجل

(١) ويروى : قرية الفرزل

فظفروا بهم وقتلوا منهم اربعين نفساً . وكان بجملة القتلى الامير حسين الكردي واولاد عمهِ الامير يوسف دازادار قلعة جبيل والامير احمد قلاوون والامير عبد الخالق . ومن بيت الشاعر المقدم منصور وابن اخيه مصطفى بن قاتبيه . وما زالوا يطردونهم الى نهر ابرهيم . فلما عرف بذلك ارسلان باشا قدم الشكايات عليهم الى الباب العالي وعلى ابن معن الذي لجأوا الى بلاده . وسار بالعسكر الى نهر ابرهيم ولبث هناك مدة شهرين الى ان جاءه الجواب . وذلك ان علياً باشا الوزير ابرز فرماناً في ابن معن واعطى براءة للامير موسى اليمني في ان يتسلم مقاطعاته السبع وهي : الشوف والجرد والمتن والغرب وكسروان واقليم جزين واقليم الخروب . وامر درسن (١) محمداً باشا (٢) التفنجي ومصطفى باشا والي صيدا واسماعيل باشا اليسير محافظ الشام واحمد باشا كوزدلار والي غزة وارسلان باشا والي طرابلس ومتسلم حلب ان يجمعوا العساكر ويركبوا على الامير احمد ابن معن . فاجتمعوا نحو ثمانية عشر الفاً وخمسمائة في وطا عرجوش في البقاع . وحضر اليهم المشايخ القيسية والنكدية والعمادية وسيد احمد ابو عذره من اليزبكية والشيخ حصن من الخوازنة . فلما عرف ابن معن اختبأ وعندما علموا انه قصد بلاد الشهابية جالت العساكر في حاصبيا وراشيا وشحار المتن وكسروان . ثم اجتمعوا في وطا عرجوش وارسلوا الامير موسى ابن علم الدين بالعسكر وملكوه سرايا ابن معن في دير القمر والمقاطعات التي بيده . ثم تفرقت العساكر وبعد خمسة اشهر ظهر ابن معن في وادي التيم فاشتد الخوف على ابن علم الدين . وفي الشهر الخامس من اقامتهِ انهزم الى صيدا وقابل مصطفى باشا الوزير السابق المعزول وسألهُ النجدة . وفي ذلك الوقت توفي السلطان مصطفى بن سليم وجلس على تخت السلطنة مكانه السلطان مصطفى ابن السلطان محمد . فكتب اليهِ مصطفى باشا المعزول وتشكى لهُ من الامير احمد ابن معن ودفع لمطبخ السلطان مئتي كيس . فارسل لهُ خطاً شريفاً واعاده الى مقامه ففرح به كل البلاد . ولما كان التفنجي في البقاع دخل الشيخ حصن بن فياض

(١) وفي اخبار الاعيان درسي باشا ص ٨٨ (٢) ويروى احمد باشا

الخازن على ارسلان باشا وشفع عنده في بلاد كسروان وسأَلهُ ان يمنع العساكر عن الدخول اليها وعن سلبها . وبعد ان تفرقت العساكر وجهه ارسلان باشا الى بــلاد جبيل ليستوفي من اهلها ربع المال الذي كان باقياً عندهم وهناك حمى جميع من لجأَ اليهِ من امراء وعوام بني قيس

„ وفي هذه السنة التمس الشيخ حصن الخازن المذكور قنصليــة فرنسة على ثغر بيروت فاعطيت لهُ بموجب فرمان من الملك لويس الرابع عشر مؤرخ في ١١ حزيران سنة ١٦٩٧ وهذه حرفيتــه : لويس بنعمة الله ملك فرنسة وناڤرة وكنت بروڤنسة وصوكلك وكل ما يتعلق بها على كل من يقرأ كتابنا هذا سلام

لما احببنا ان ننعم على الامير حصن الخازن بعد ان قبلنا عريضته التي رفعها الينا طالباً ان يتقلد وظيفة قنصل على فرضة بيروت كما كان ابوه وجده من قبله سنداً الى الخط الذي بيدهما من قبلنا في اول كانون الثاني سنة ١٦٦٢ . وبعد ان علمنا ما هو عليهِ من الغيرة لخدمتنا اقمناه قنصلاً على فرضة بيروت المذكورة المتعلقــة بقنصلية صيدا التي نرغب ان تكون منفصلة عنها الى صدور امر جديد وفوضنا اليهِ بهذا الخط الممضى من يدنا تلك الوظيفة . . . فلهُ ان يقوم بها مدة حياتهِ آمرين ان تــكون لهُ علامات الشرف والسلطــة والامتياز والانعام والاعفاء وكل ما يتمتع به قناصل الشرف . ولهُ ان يقيم عنده نائب قنصل على شرط ان يكون هذا فرنساوياً ويكون هو المسؤول عنهُ بنفسه . ونأمل من محبنا واميننا المشير في مجالسنا سفيرنا في الشرق السيد شتريب دي كرنيران ان يرفع الامير حصناً الخازن الى وظيفة قنصل بناءً على ما هو ظاهر من حسن تصرفاتهِ واستقامة سلوكه وتدينــه بالديانة الكاثوليكية الرسولية الرومانية غير ملتفت الى امرنا بالخلاف باذلاً لهُ كل مساعدة وحماية معلناً لكل ربَّان وتاجر تحت لواء فرنسة ان يعرفهُ قنصلاً بقطع النظر عن الاوامر الصادرة في ١١ آذار سنة ١٦٨٥ الناطقة بان لا يقام رجلٌ اجنبي على تلك الوظيفة . لكنهُ بالنظر الى خاطر الامير حصن قد تعدينا تلك الاوامر وتعداها بتفويضنا اليهِ ادارة

تلك القنصلية . ونطلب من الباشاوات العظام الحاكمين حالياً ومن الذين يحكمون بعدهم في ثغر بيروت ان يمتعوا الامير حصناً المذكور بالراحة والسكينة وان يصدوا كل من يعارضهُ في القيام بها ويبذلوا لهُ كل مساعدة وعناية . ولذلك قد ختمنا بخاتمنا هذا الخط الصادر من فرسالية في ١١ حزيران سنة ١٦٩٧ وهي الخامسة والخمسون من ملكنا » (عن الصورة الاصلية المحفوظة على رق عند الشيخ حصن قانصو الخازن)

« وارسل اليهِ بون شرتران مع الفرمان الرسالة الآتية :

ايها السيد الشريف — تلوت على مولاي الامبراطور الكتاب الذي وجهتهُ اليَّ في شهر كانون الاول سنة ١٦٩٥ منفذاً مع رسولك مَرْماكون فاكراماً لخاطرك شاءت عظمتهُ ان تفصل فرضة بيروت من قنصلية صيدا لاجل تقليدك زمام قنصليتها وستجد في طيه الفرمان الذي يخولك السلطة لتتمتع بالامتيازات والانعامات الخاصة الممنوحة لقناصل الامة الفرنساوية . وتيقَّن اني مستعد لاستمالة جلالتهِ الى مواصلة الحماية لك » (عن تاريخ دي لاروك)

وفي سنة ١٦٩٥ (١١٠٧هـ) في العاشر من تشرين الثاني لبس اسكيم الرهبانية الثلاثة الذين قدموا من حلب وهم القس جبرائيل حوّا والشماس عبد الله بن عبد الاحد ويوسف بن البتن فامرناهم ان يقيموا بدير مُرت مورا في اهدن (١)

كانت سنة ١٦٩٦ (١١٠٨هـ) قليلة الامطار فنضبت العيون والانهار وبطلت الطواحين وتحرك الجراد وغلت الاسعار حتى بيع شنبل القمح في بعض الاماكن باربعة قروش وقلة الزيت بسبعة ونصف وكيلة الارز بقرش . اما ابن معن ففرض الاسعاف على بلاده ولكن ارسلان باشا زاد المال حتى تشتت كثير من الرعايا لشدة الغلاء والظلم

---

(١) قد افردنا لتاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية وابتداء تأسيسها ومؤسسيها الخ فصلاً مخصوصاً في آخر هذا القسم فراجعهُ هناك

وفي سنة ١٦٩٧ (١١٠٩ هـ) جاءت ارسلان باشا امارة الحاج · فتولى ايالة طرابلس اخوه قبلان باشا فقبض على الشيخ يونس بن ابي رزق البشعلاوي · وفي الحادي والعشرين من ايار رفعهُ على الخازوق بعد ما عرض عليهِ الاسلام فامتنع · وفي الخامس عشر من ايلول كانت وفاة الامير احمد ابن معن وبهِ انقرضت الدولة المعنية العادلة· وكان حينئذٍ فضلي اغا الحوالي في دير القمر من قبل حسين باشا والي صيدا فختم الخزينة واثاث ابن معن وارسل فاخبر الباشا بامره · حينئذٍ جهز قاضي المدينة والمفتي ونقيب الاشراف وعلماء صيدا فذهبوا الى دير القمر وضبطوا جميع تركتهِ وبقي عليهِ من المال المفروض ستون كيساً وستون غيرها عن الدفعة لطبخ السلطان · وعند ذلك اجتمع اعيان بلاد الشوف من امراء ومقدمين ومشايخ فاختاروا الامير بشيرًا الشهابي مكانه وتكفلوا بالمال الباقي عليهِ فصرَّفه حسين باشا وارسل الى الباب العالي يخبر بامره· وفي السادس من تشرين الثاني انتقل الى رحمة الله مخائيل الغزيري مطران الشام ودُفن في دير طاميش

وفي اواخر السنة المذكورة ورد الامر من الباب العالي بان يكون الامير حيدر ابن موسى الشهابي محافظاً على المقاطعات التي كانت بيد الامير احمد ابن معن لانهُ ابن ابنته · وكان ذلك على يد الامير حسين بن فخر الدين امير الشوف· وان يكون الامير بشير وكيلهُ في الحكم لكونه قاصرًا ابن اثنتي عشرة سنة لا غير · فوقع الامر بيد الحاج ارسلان باشا حين رجع من امارة الحاج· لان حسيناً باشا كان قد جُعل نائبًا في مصر· فاحتج الحاج ارسلان عن الامير بشير انهُ كفوٌ ولا يليق احد غيره وانهُ قام برضى اعيان المقاطعات · وفي اوائل شهر شوّال وردت البراءة من الوزير الى الامير بشير ناطقةً بتخويلهِ محافظة كل المقاطعات التي كانت بيد ابن معن

„ والظاهر انهُ في تلك الايام جرى ظلم شديد على الرعية من قبل الحاكم الجديد كما يظهر من الرسالة الآتية التي وجدتها في كتاب دي لاروك موجهة من الملك لويس الرابع عشر الى المسيو دي كستنيار مشيره في مجالسه وسفيره الخارق

العادة في قسطنطينيـة وهذه ترجمتها: ان يوحنا مرمكون الكافليار الماروني رسول الاميرين ناصيف وحصن ومطران اقفسية رئيس الديانة الكاثوليكية الرومانية في مدة تغيب البطريرك اسطفان اتاني بتحارير من لدن الموما اليهم يطلبون بهـا حمايتي لهم من الجور الذي يقاسونه من حين ولاية الامير موسى ابن علم الدين على بلادهم خلفاً للامير احمد ابن معن. ويلتمسون مني ان اقلدهم قنصلية ثغر بيروت فيتمكنون بذلك من رفع لواء وشعار فرنسة ويتمتعون بالانعامات والامتيـازات المختصة بقناصل الامة الفرنساوية وبهذا يخف عنهم الاضطهاد الذي يتحملونه. وبما اني عزمت على السعي بقدر ما استطيع في تحسين احوال الذين استنـاروا بنور الانجيل في اي بلد من البسيطة كان. كتبت اليك لتعلم اني اريد ان تصغي لمـا يعرضهُ لك الرسول المشار اليهِ بصدد خير ونمو الديانة المسيحية ...،،

،، وللملك لويس رسالة ايضاً وجهها في هذه السنـة الى الشيخ حصن جواباً عن عريضتهِ في التماس القنصلية وهي : ايها السيد العظيم. ان رسولك يوحنا مَرمكون الكافليار الروماني قدم لي الرسالة التي وجهتها اليَّ في شهر كانون الاول سنة ١٦٩٥ وبها تطلب مني ان اقلدك قنصلية بيروت. فاجيبك اني لما كنت موقناً بانك تحسن القيام بالحماية التي امنحك اياها وتساعد رعاياي الذين يتعاطون التجارة في سورية وددت ان افصل اكراماً لخاطرك فرضة بيروت عن القنصليـة العامة وامرت ان تُبعث اليك الفرمانات التي تخولك السلطة ليس فقط بان تنشر الراية الفرنساوية على باب قصرك كما كان لابيك وجدك بل تمتعك بالانعامات والامتيازات الممنوحة لقناصل الامة الفرنساوية وقد سلمت لرسولك عدة رسائل لسفيري في قسطنطينيـة وللقناصل المجاورين لك امرتهم بها ان يبذلوا وسعهم في نفوذ اعمالك وطمأنينة شعبك (١) ،،

---

(١) وتوجد ايضاً رسائل اخرى مختلفة موجهة من ملوك فرنسة او من كبار الدولـة الفرنساوية وغيرها الى الاسرة الخازنية في شؤون مختلفة اضربنا عن ذكرها هنا فراراً من التطويل واملاً بان ندرجها كلها في تاريخ العيال المارونية الذي عقدنا العزم على نشره ان شاء الله

" بعد انقراض دولة المعنيين تقوّت اليمنية واخذوا يضطهدون القيسية ولاسيما بيت الخازن الذين كانوا مدبرين عند المعنيين . وفي تلك الاثناء حضر والٍ من قبل الباب العالي برًّا فاخذ الشيخ ابو نوفل الخازن يقدم له ما يحتاج اليهِ العسكر من قوت وغيره من حلب الى جونية ومنها الى صيدا . ولما قابله الشيخ ابو نوفل في جونية وكان قد قدَّم لهُ حصانًا من جياد الخيل اكرمه اكرامًا زائدًا وامرهُ ان يطلب ما يشاء . فسأَلهُ ان تكون خلعة والي دير القمر عن يده فوعده بذلك . ولما انتهى الوزير الى صيدا وجَّه اليهِ حاكم دير القمر قومًا من حاشيتهِ مصحوبين بالتقادم والخيل الجياد وطلبوا منهُ الخلعة بحسب العوائد فلم يقبل التقادم ولم يرضَ ان يقابلهم وارسل كاخيتهُ يقول لهم : ان الوزير لا يعرف حاكمًا في دير القمر ولايعطيه خلعة الّا ان يكون الشيخ ابو نوفل الخازن راضيًا بهِ فهو يطلب لهُ الخلعة وتُسلَّم اليهِ وبخلاف ذلك لا يكون . وعند ذلك رجعوا خائبين واخبروا الحاكم وبقية اصحاب المقاطعات فذهب قوم منهم الى الشيخ ابي نوفل ليعقدوا معهُ الصلح ويسترضوه . وبعد ان اقاموا عنده في عجلتون اياماً حضر معهم اخيرًا الى دير القمر فاكرموه اكرامًا كثيرًا ثم طلبوا منهُ ان يأخذ التقادم من الخيل والمال ويتوجه الى صيدا ليستحضر الخلعة فاجابهم انهُ يكفيهم مؤونة التقادم وانه يستحضر الخلعة من غير ان يكلفهم شيئًا . وحينئذٍ قدم معروضًا الى والي صيدا وارسل كاخيته به وللحال ارسل الوالي قبجيًا من قبله واصحبه بالخلعة وامره ان يسلمها الى الشيخ ابي نوفل ليُلبسها ايٍّ من اراد ان يوليه على دير القمر " (عن كتاب خطي لا اعرف مؤلفهُ)

وفي سنة ١٦٩٨ (١١١٠هـ) تولى ايالة طرابلس ارسلان باشا واخوه قبلان باشا ايالة صيدا . ولما كان الشيخ مشرف بن علي الصغير قد قتل قومًا من عسكر الدولة وقصد العصيان استنجد عليهِ قبلان باشا بالامير بشير فجمع هذا نحو ثمانية آلاف رجل وكبسهُ في المزرعة . فقبض عليهِ وعلى اخيهِ الحاج محمد وعلى الحاج حسين المرجية واسلمهم بيده . وامر قبلان باشا على الفور برفع حسين على الخازوق وان

يُضيق على مشرف واخيهِ بالحبس وقلد الامير بشيرًا محافظة ايالة صيدا من طرف بلاد صفد الى جسر المعاملتين . ورُزق حظوة ليس فقط عند حضرة قبلان باشا بل عند اخيهِ ايضًا . وشفع في بيت حمادة وارجعهم الى مواطنهم وضمن كل خراب واذى يحدث منهم

وفي سنة ١٦٩٩ (١١١١هـ) بيع رطل الحرير الشامي ببلاد الشوف بعشرين قرشًا واما في طرابلس فبيع الرطل الترّك بعشرين وقلة الزيت بخمسة وربع

وفي سنة ١٧٠٣ (١١١٥هـ) عُزل السلطان احمد ابن عثمان في قسطنطينية وقُتل الوزير الاعظم واغا الانكشارية وشيخ الاسلام وجمهور من ارباب الدولة وغيرهم بلغوا اكثر من اثني عشر الف قتيل . وتولى تخت السلطنة ابن اخي السلطان احمد ولقب بمحمود . وفي حال جلوسهِ على الكرسي وجَّه القبجية الى جميع جهات ملكهِ لكي يتفقدوا احوال الرعية فوصل قبجي الى طرابلس وكان حاكمًا بها ابرهيم باشا ابن اسماعيل باشا ابن العظم . فلما سمع (القبجي) بالمظالم التي اجراها على عباد الله هيج الجمهور عليهِ وعلى الذين كانوا معاونيه في بابه . وفي اواخر تشرين الاول كسروا ابواب الحبس واطلقوا المسجونين وحصروا الباشا في السرايا ليسلمهم معاونيه الذين كانوا في بابه . فقتل الترجمان بيده ورماه اليهم فجرّروه عريانًا في كل اسواق طرابلس . ثم قتلوا ايضًا مشد السقي الحاج درويش ورموه ايضًا خارج البلد . وقتلوا ايضًا قاسمًا اغا تفكجي باشي ونهبوا بيته وبيت السيد عبد الرحمن الذي كان قاضيًا في طرابلس . ونهبوا كذلك بيت الترجمان عبدي اغا الذي قُتل . اما اليهودي الذي كان في الديوان فطلبوه باجتهاد ليقتلوه ففرّ ولم يقعوا بهِ ولكنهم نهبوا بيته ودكوه دكًّا . ثم خرجوا في طلب ابن الزركلي الكاتب فما ظفروا بهِ . وقتلوا ايضًا ثلاثة تفكجية من جماعة قاسم وبعضًا غيرهم . وبعد ذلك امنوا الباشا وردّوه لسراياه بعد ما كان قد فرَّ خوفًا منهم . وكان ذلك بواسطة مصطفى اغا ابن خضر واشترطوا عليهِ ان لا يتعاطى شيئًا الّا استيفاء المال السلطاني . . . . وبعد خمسة ايام من هذا الاضطراب هدأت

الامور وامن الناس وانكسرت شوكة الباشا واعرض عن البلص وظلم عباد الله . اما الذين كانوا يعاونونهُ في بابه وخلصوا من القتل فلم يزل اهل البلاد يترصدونهم

وفي نهار الاحد في التاسع عشر من تشرين الثاني وصل قبجي آخر الى طرابلس من قبل الدولــة العلية . وفي حال وصوله رفع ابرهيم باشا الى القلعــة واقفل سرايا الحكومة واوقف عليها حرّاساً . ثم نزل الى سرايا الحريم واخرجهنَّ بالمآزر الزرق . ودخل فاستولى على جميع المال . قيــل انه اخذ نحو الفي كيس من الدراهم نقدًا ما عدا الامتعة والخيــل والاثاث والبغال والسلاح والنحاس واللؤلوء والحجارة الكريمة وغير ذلك مما يفوق الوصف . وكان كله مما سلبه قهرًا وجورًا من عباد الله

وفي اثناء ذلك انعم السلطان محمود على عبد الرحمن افندي محصــل حلب باشوية طرابلس وارسل اليهِ ثلاثة اطواخ والكرك (كذا) والسيف الى حلب . فللوقت وجه متسلمهُ حسناً اغا الى طرابلس . وعند وصوله أمن خواطر الرعايا ونادى بالامان والاطمئنان . وصار الفلاَّح يــنزل الى طرابلس آمناً على نفسهِ . وارخص الاسعار ومهَّد الامور التي كانت متبلبلة من ظلم بيت العظم . وكذلك فعلوا باسماعيل باشا في الشام وباخيه سليمان باشا والي صيدا وبياسين بك ابن ابرهيم باشا والي اللاذقيــة من قبل ابيهِ واسعد بك ابن اسماعيل باشا والي حماة وحسن بك اخي اسماعيــل باشا حاكم المعرّة . هؤلاء جميعهم سجنوهم واخذوا اموالهم السلطنة . وولوا على صيدا احمد باشا ابن عثمان باشا ابي طوق

وفي هذه السنة كانت الفتنة بين الشيخ عبد السلام ابن الشيخ اسماعيل حمادة وبين بيت الشيخ احمد حمادة حكام جبة بشراي . فقدم الاول الى جبة بشراي بنحو مئتي رجل وهزم بيت الشيخ احمد الى الهرمل . واقام في الجبة شهرًا وخمسة ايام . وحضر اليهِ البعض من اعيان الجبة خوفاً من اذاه وهرب البعض الآخر . فحنق هو من ذلك ووزَّع جملة دراهم على قرى الجبة . ولما لم يكن معهم ما يعطونهُ اخذ طاسات النساء وسلاح الرجال والحنطــة ومؤونة الفلاح . وكتب الى طرابلس يلتمس الولاية على

الجبة. ولكن بما ان السنة كان قد بقي منها اربعة اشهر لم يعطوه الولاية قبل ان يستكملوا استيفاء المال من بيت الشيخ احمد. وكتب اليهِ اعيان طرابلس والمتسلم الجديد رسائل حسنة وبيلوردات موافقة ووعدوه بولاية الجبة في السنة الجديدة. وكان قد اختبأ في دير سيدة حنطورة الذي في ذيل جبة بشراي بعض من اتباع الشيخ احمد. فنزل اليهم وقلب على الدير صخورًا ثقالًا حتى هدم منهُ جزءًا كبيرًا. اما الذين كانوا في داخلهِ ففرّوا الى ناحية الكورة ولم يتضرّر احد منهم في شيء. لانهم كانوا متاولة على مذهبهِ ولكن الخراب والخسارة حلاً على الدير فقط. انتهى

مختصر تاريخ الرهبانية اللبنانية (١)

١ في حالة الرهبان الاولين قبل القديس انطونيوس الكبير ابي الرهبان الى حين ابتداء الرهبانية سنة ١٦٩٥

اعلم ان السيرة الرهبانية كانت مجهولة قبل ظهور هذا القديس الذي ولد سنة ٣٥٢ وتوفي سنة ٤٥٧ غير ان بعضًا من اهل العبادة كان ينفرد كل منهم في مكان خاص. ولما شاء الله ان يضم شمل هذه السيرة الملكية دعا هذا القديس العظيم واسَّس عليهِ هذا البناء الكبير تأسيسهُ على اسطوانة تحمل اثقال التجارب واضطهادات الشياطين بما يفوق الطبيعة البشرية وقدرتها. وكان اذ ذاك في سن الثلاثين سنة كما كتب القديس اثناسيوس الكبير. ثم حاز قوةً على قهر الشياطين وطردهم ليضم شتات السيرة الرهبانية فابتنى ديارات كثيرة وجمع فيها رهبانًا مشتركين في المعاش وكان يدبرهم بالعمل والقول وليس لهُ رسوم مدوّنة الا بعض رسائل متضمنة نصائح روحية وبعض اقوال واجوبة في بستان الرهبان وهي مكتوبة باللغات اليونانية واللاتينية

(١) انما اثبتنا هنا تاريخ الرهبانية مع انه يؤدي بنا الى الخروج عن الحدّ الذي التزمناه لانها ظهرت على عهد المؤلف رحمه الله وهو اول من اثبت قوانينها ونشط الداخلين فيها ووثق عزائمهم وزيّن لهم هذه الطريقة الكمالية

والسريانية والعربية وغيرها . ولكنهُ عندما كثر الرهبان صنف كثيرون بهذه اللغات رسوماً وقوانين للسلوك بموجبها مثل باخوميوس ومقاريوس وباسيليوس وغيرهم الذين كتبوا باللغة اليونانية والقبطية وكذلك الاباء الذين كتبوا بالسريانية كالقديس افرام والاب غريغوريوس وابرهيم النفتري ويوحنا الافمي ويوحنـا المعروف بالشيخ الروحاني واسحق اسقف نينوى وغيرهم . والذين كتبوا باللاتينية كالقديسين اغوسطينوس وبناديكتوس رئيس الرهبان الغربيين ويوحنا كاسيانوس وغيرهم من الآباء المشهورين بالعلم والقداسة كقول السمعاني في رسالتهِ المدونة باول كتاب رسوم وقوانين الرهبانية اللبنانية المقدم ذكرها المطبوع عربياً ولاتينياً برومية سنة ١٧٣٥ . اه . فاشتهر خبر قداسة انطونيوس في المسكونة كلها فزاره القديس اثناسيوس وكان يطلب دعاءه لهُ في ضيقاتهِ من الاريوسيين وكان الملك قسطنطين الكبير يراسله ويطلب بركته ودعاه وبعد ان عاش هذا القديس مئة وخمس سنين استدعاهُ مولاه للسعادة الابدية جزاء لاتعابه سنة ٤٥٧ كما تقـدم . وخلف تلامذة كثيرين والمشهورون منهم ايلاريون الكبير ومقاريوس وبولس البسيط . فمقاريوس مع امّون وباخوميوس وغيرهم اسّسوا الرهبانية في مصر . وايلاريون ومار ابون اسّساها في بلاد سورية . فاولهما صار ابًا لرهبان فلسطين والثاني للرهبان السريانيين والكلدانيين وكان معاصرًا لانطونيوس كقول سوذومينوس . والبعض اقتفوا رهبان فلسطين وسورية في بلاد بنطوس وكبادوكية ومقدّمهم ورئيسهم الاب القديس باسيليوس معلم المسكونة كقول السمعاني بالرسالة المذكورة . ومن هؤلاء انتشرت الاديار شرقًا وغربًا اذ ان هـذا الزرع الالهي الذي القاهُ القديس انطونيوس في حقل البيعة قد نمى واخصب وامتد طولًا وعرضًا واولد بنين في كل جيل وجيل من كل سبط وقبيل وظهر منهم قديسون كثيرون لا يُحصى عددهم كالكواكب الساطعة في سماء البيعة المقدسة . وهؤلاء هم آباونا السعداء الافاضل افرام ويعقوب واسحق وسابا وبيمين وانوب واغاتون وارسانيوس وباخوميوس وكليماكوس وبيشامي ومارون ونستير وسرابيون وابرام وامون وذوسيا

وجرجي وتاوادورس ويوسف وموسى والدمشقي وانسطاسيوس وبميو واشعيا وروحانا وسمعان وغيرهم الذين لا يحصون . ولبث هذا الزرع ينمي ويطول الى ان جاء المحَال وبذر ما بينهم الزوأن وذلك عندما انشقَّ النصارى الشرقيون عن بيعة الله الجامعة فذبلت حينئذٍ زهرة هذه الرهبانية المقدسة وانتثرت اوراقها كما ذكر كل ذلك المطران جرمانوس فرحات بمقدمتهِ على تاريخ الرهبانية . لان البعض من رهبانها (كما قال السمعاني) حادوا عن الايمان المستقيم والبعض عدموا النظام الرهباني لمخالطتهم المبتدعين ولتواني روسائهم وتغافلهم عن حفظ الكمال وتركهم القراءة والكتابة وتلاوة الكتب الروحية والنسكية . الا ان الله ما شاء اضمحلال هذه الرهبانية بالكلية (كما يقول فرحات) بل ابقى لها بقيةً لم تجثُ ركبها لباعال الصنم وهو ان الأمّة المارونية ثبتت وحدها في الشرق متحدة بالكنيسة الرومانية الجامعة . ولم تزل بين شوك المبدعين والمشاقين تنادي : امانة الكنيسة الجامعة امانتي . فثبتت رهبانية مار انطونيوس هذه مزهرة في بنيها مخصبة في دياراتها الشامية . وقال السمعاني : وخصوصاً في دير مار مارون اول اديار سورية الثانية وقد غار رهبانه غيرةً للرب فجاهدو جهاداً حسناً عن المجامع المقدسة المسكونية واستغاثوا بالبابا القديس هرميسدا وخلفائهِ اصحاب السدة الرسولية واثبتوا بتعليمهم وسفك دمهم الشعب المجاور لهم بالاتحاد الكامل مع نائب السيد المسيح وخليفة بطرس السليح . واما الاديار التي سكنها آباؤنا القدماء المشهورون بالامانة الرسولية والعبادة الحقيقية في الديار الفونيقية والبلاد اللبنانية الوارد ذكرها في التواريخ فهي دير مار مارون بارض كفرحيّ (١) ودير السيدة بقرية يانوح . ودير سيدة ميفوق في وادي ايليج(٢) . ودير سيدة كفتون(٣) . ودير مار الياس . ودير مار سمعان ودير مار اليشاع . ودير السيدة في قرية لحفد . ودير السيدة فوق هابيل . ودير مار

---

(١) وقد صار فيما بعد على اسم مار يوحنا مارون اول بطاركة طائفتنا المارونية ثم تعين اخيراً مدرسة لابرشية جبيل والبترون سنة ١٨١٢ (٢) وفيما بعد نقل من محله كما هو الآن بين بلادَي جبيل والبترون (٣) وهو الان بيد الرهبان الروم

قبريانوس كفيفان وديرمار جرجس الكفر من اعمال جبيـل ودير مرت مورا ودير مار سركيس باهدن ودير مار توما ودير مار اسيا بارض حصرون . ودير مار سركيس القرن بارض حردين ودير مار ميخـائيل شارية بقرية عينطورين . ودير مار يوحنـا المعروف بدير مار ابون ودير سيدة حوقة ودير سيدة قنوبين (الذي هو الان كرسي بطريركية الموارنة) . ودير مار انطونيوس قزحيا في الوادي اللبنـاني المقدس ودير مار شليطا مقبس بناحية كسروان وغيرها في هذه المقاطعات . والبعض من هذه الديورة كان مسكناً للاساقفة والبعض للبطاركة مثل دير مار مارون كفرحي ودير سيدة يانوح ودير سيدة ميفوق ودير سيدة هابيل ودير مار جرجس الكفر ودير سيدة قنوبين المشهور بايامنا هذه . وبعض رهبان هذه الاديرة ارتقى الى درجة الاسقفيـة ومنهم من ترقى الى سمو المرتبة البطريركية . ولما دثرت الديار الساحليـة والجبلية وانتقلت جماعة من المؤمنين من جبل لبنان ومن معاملة جبيل والبترون الى نواحي كسروان وما يجاورها يميناً وشمالاً شرقاً وغرباً وقلّ عدد الرهبان في الديورة المارّ ذكرها فبطاركة طائفتنا القديسون ومطارنتها وكهنتها الطاهرون ورهبانها ومشايخها المسيحيون اخذتهم الغيرة الالهية واعتنوا بانشاء اديرة جديدة وهي قائمة بعصرنا هذا . مثل دير مار سركيس ريفون ودير مار يوحنا حراش ودير مار عبدا هرهريا ودير سيدة الحقلة ودير مار جرجس بجردق ودير مار انطونيوس بقعاتا وغيرها . ففي هذه الاديرة لم يزل الرهبان والراهبات متعبدين لله تعالى مهتمين بخلاص نفوسهم معتنين بفائدة بني ايمانهم روحاً وجسداً . انتهى قول العلامة السمعاني بالرسالة المقدم ذكرها . واما فيما بعد فقد تحوّل بعض هذه الاديرة مدارس للعلوم كما هو معروف كمدرسة عين ورقة سنة ١٧٨٩ (١) ومدرسة مار

(١) قال صاحب مختصر تاريخ لبنان : ان البطريرك يوسف اسطفان الصالح الذكر لما رأى افتقار الطائفة الى العلوم اللازمة للكهنة وجه عنايتهُ الى اقامة مدرسة على طريقة مدرسة رومية لاجل اتقان العلوم العالية . وجمع اخاه المطران بولس وسائر عشيرته واقنعهم على ان يجعلوا دير مار انطونيوس مين ورقة المخصوص جم مدرسة عمومية للطائفة المارونية وبعد ان اتفقوا جميعاً على ذلك كتبوا وثيقة بحضور مطارين الطائفة واعيانها وكان ذلك سنـة

عبدا هرهريّا سنة ١٨٣٠ ومدرسة ريفون سنة ١٨٣٢ ومدرسة الرومية سنة ١٨١٧ هذا وجميع الاديرة المقدم ذكرها كان كل دير منها قائمًا بذاتهِ لهُ عوائد تخصهُ ورئيس خاصّ بهِ لا يشترك ديرمع غيره (ويسمى رهبانه عبّادًا) وبهذا النوع (يقول السيد فرحات بمقدمة تاريخه المار ذكره) كان نموّ هذه الرهبانية الشريفة وجيزًا في اولادها

٢ تأسيس الرهبانية اللبنانية

ولما احب الله ان يضم هـذه الاديار المتفرقة تحت قانون واحد ورئيس عام واحد ليكون ذلك اقوى بالافادة والنمو دعا من مدينـة حلب القريبة من انطاكية ثلاثة انفار متقين الله جدًا سالكين بموجب وصاياه حافظين شريعتـه مشهودًا لهم بالصلاح من كل من لهُ معرفة بهم وكانوا من الامة المارونية ذوي ثروة وحسب شبانًا في اسنانهم اسم الاول منهم جبرائيل حوّا والثاني عبـد الله بن عبد الاحد قرا ألي والثالث يوسف بن البتن. فحركهم الله لما فيهم من الشجاعة والبراعة الى ان يشدّدوا رهبانية مار انطونيوس ويرتبطوا بنذر ذي اربع قوى اي الطاعة والعفـة والفقر الاختياري والتواضع. فخرجوا من حلب بهذا الروح والعزم اي ليكونوا رهبانًا نساكًا

١٧٨٨ . وفي سنة ١٧٨٩ نقلوا منها الراهبات وفرقوهنّ في الاديار وجمعوا اليها الطلّاب من كل الاسقفيات واقاموا لهم اساتذة ومرشدين واخذوا يعلموهم ويهذبوهم . وقد نشأ في هذه المدرسة تلامذة كثيرون ينيفون على خمسين تلميذًا من حين افتتاحها الى هذا الوقت اي سنة ١٨١٨ وقام منهم كهنة كثيرون افادوا الطائفة فائدة عظيمة بارشادهم ووعظهم وتعليمهم لانهم كانوا يوجبون ذلك عليهم بنذر شبيه بنذر تلامذة رومية . واما التعليم الجاري بها على موجب الوثيقة فهو علم السرياني والعربي والفصاحة والمنطق وعلم اللاهوت الادبي والنظري . ولما اشتهرت هذه المدرسة اخذت الغيرة بعضًا من الناس لاقامـة مدارس أخرى فأنشئت من ثم مدرسة الرهبان اللبنانيين في دير البنات ومدرسة مار يوحنا مارون ومدرسة مار جرجس في الرومية وبهذه الطريقة تفقه كهنة الطائفة بالعلوم ولاسيما علم اللاهوت . وبعد وفاة هؤلاء المطوّبة انفسهم واجسادهم جرى على آثارهم ابن اخيهم السيد الجليل مشيد ومشدّد اركان اللغة السريانية بالمدرسة المذكورة اعني به المطران يوسف اسطفان . ولم يكن باقل غيرة من اعمامه المشار اليهم لانه قاسى نصبًا جزيلًا في اكمال تدبير هذه المدرسة على موجب نية مؤسسيها . اه

منفردين عن العالم باسكيم القديس انطونيوس الكبير. وكان خروجهم سنة ١٦٩٣ وبعد زيارتهم الاماكن المقدسة حضروا الى جبل لبنان مقرّ الديورة والنساك ومثلوا في اول شباط سنة ١٦٩٤ بين يدي السيد البطريرك اسطفان الدويهي في دير قنوبين وقد كان رجلًا مملوءًا حكمة وقداسة واظهروا له قصدهم بالترهُّب وطلبوا منهُ الاذن والعون على اقامة رهبانية يكون لها قانون واحد يشملها جميعها على طريقة واحدة وان يُجعل رئيس لكل دير منها ورئيس عام على جميعها. اذ لم يرضهم ترتيب الرهبان الذين كانوا حينئذٍ في لبنان لان اديرتهم لم تكن متحدة هكذا مع بعضها كما تقدم. ولما تأكد عنده عزمهم سُرَّ بذلك جدًّا وشكر سعيهم ولبَّى دعوتهم وابقاهم عنده. وفي اليوم العاشر من تشرين الثاني سنة ١٦٩٥ البسهم اسكيم الرهبانية في كرسيهِ دير قنوبين المذكور وذلك على سبيل التجربة دون نذر. وانعم عليهم بدير مرت مورا حذاء اهدن احدى قرى لبنان وكان خرابًا فاصلحوه واقاموا عليهِ رئيسًا جبرائيل حوًّا وهو رئيسهم الاول. وهكذا شرعوا في تأسيس هذه الرهبانية تحت لواء القديس انطونيوس فاشتهر صيتهم بالفضيلة والقداسة وكانوا قدوة للمؤمنين وانغير المؤمنين يقصدهم الناس من كل جهة ليترهبوا عندهم. ثم جُعل رئيسهم قسًّا وشرعوا يجمعون لهم قانونًا من وصايا ابيهم القديس انطونيوس وتلاميذه. ولما اخذوا سنة ١٦٩٦ دير مار اليشاع النبي في سفح الوادي المقدس حذاء قرية بشرَّاي اقاموا عليهِ رئيسًا عبد الله قرا ألي بعد ان رُسم قسًّا. وكان رجلًا مفعمًا حكمةً وفضيلة ذا عقل ثاقب وعلم راسخ وهو قد صار المؤسس الاخص لهذه الرهبانية ولاسيا حينما عزل الرهبان سنة ١٦٩٩ بمجمعهم العام (وهو الاول) من الرئاسة العامة القس جبرائيل حوًّا (١) واقاموا عليهم رئيسًا عامًا القس عبد الله المذكور الى ان أُقيم اسقفًا على بيروت سنة ١٧١٦ ونمت الرهبانية في ايامهِ. وهو الذي شرح القانون بكتاب سماه « المصباح اللبناني في شرح القانون الرهباني» ولهُ تآليف غيره منها: قانون راهبات دير حراش وكتاب

(١) صار اخيرًا اسقفًا على قبرس سنة ١٧٢٣

الافراميات . وخلفهُ القس جبرائيل فرحات الشهير بالتقوى والعلم الذي كان تبع المؤسسين بعد سنتين وترهب عندهم الى ان أُقيم اسقفًا على مدينتهِ حلب سنة ١٧٢٥ ودعي جرمانوس ولهذا المطران تأليفات كثيرة تغني شهرتها عن تفصيلها . ولقّب هؤلاء الرهبان رهبانيتهم اولاً « بالحلبية » لان مؤسّسيها رهبان حلبيون . وفي سنة ١٧٠٦ لقبها الاب عبد الله المذكور برضى السيد البطريرك يعقوب عوّاد « باللبنانية » لانها نشأَت في جبل لبنان (ولو انها فيما بعد امتدّت خارجًا عنهُ) . انتهى ملخصاً مما ذكره فرحات بتاريخهِ مع بعض زيادات . هذا ما كان من تأسيس هذه الرهبانية ومؤسسيها

٣ في تثبيتها

واما تثبيت هذه الرهبانية فكان اولاً من البطريرك اسطفان الدويهي الاهدني المقدم ذكره سنة ١٧٠٠ التي فيها نذر رهبانها الطاعة والعفة والفقر الّا ان النذر الرابع ايّ التواضع لم يبرزوه الّا في سنة ١٧٠٥ عندما اخذوا صورتهُ من الرهبان الكرمليين الحفاة . ثم تثبتت ثانيًا من البطريرك يعقوب عوّاد الحصروني ولبثت هكذا الى ان ثبت قوانينها الحبر الاعظم البابا اقليميس الثاني عشر بموجب براءة رسولية بتاريخ سنة ١٧٣٢ مدرجة باواخر كتاب القوانين والفرائض المقدم ذكرها وذلك لرفع التهم عنها وصيانتها من القذف الباطل كما طلب رئيسها العام حينئذٍ وهو الاب ميخائيل اسكندر الاهدني الذي حضر بنفسه الى رومية باسمهِ واسم مجمع رهبانهِ . وبعد اجتماعهِ مع السيد السمعاني وجمعهما مع القانون الفرائضَ والرسوم المختصة بهذه الرهبانية عرضاها لقداسته وبعد الامر بفحصها اثبتها (كما تقدم ذكره) السمعاني بقدمتهِ المشار اليها وقداسته ببراءة التثبيت

٤ في قسمتها الى حلبية وبلدية

ان هذه الرهبانية المؤسسة والمثبتة هكذا قد مكثت على الاتحاد والتومدة نحو خمسين سنة اي من حين تأسيسها سنة ١٦٩٥ الى سنة ١٧٤٤ وكان بلغ عدد

اديارها ١٧ ديرًا للرهبان ودير واحد للراهبات واربعة اناطيش . فلاجل بعض اسباب صوابية رُفعت حينئذٍ لمجمع انتشار الايمان المقــدس صدر اخيرًا مرسوم من لدن السعيد الذكر البابا اقليمس الرابع عشر للسيد البطريرك يوسف اسطفـان الغسطاوي وحضرة الاب لويس بستيا القاصد الرسولي ورئيس القدس الشريف بــهِ يأمرهما بان يجمعا الرؤساء ويرفعا المخاصمة . فحضر الجميع الى دير حريصة وهناك تمّ الاتفاق بين الاب لويس الحلبي الرئيس العام على الحلبيين والاب عمنوئيل الرشماوي الرئيس العام على البلديين مع مدبريهما وجرت القسمة بموجب وثيقة ممضاة من السيد البطريرك والقاصد الرسولي مع الشروط اللازمة . وقد اثبتت قداسته هذه القسمة ببراءة رسوليـة بتاريخ ١٩ تموز سنة ١٧٧٠ متضمنة الوثيقة المرقومة وهكذا انقسمت هذه الرهبـانية بين حلبية وجبَلية او بلدية وهذه تغلَّب عليها لقب لبنانية فقط

٥ عدد الاديار وتاريخ اخذها

قد تقدم القول ان الاديار التي كانت وقت القسمة ووقعت عليها هي ١٧ ديرًا للرهبان (على ان دير مرت مورا اهدن كان قد تُرِك) ودير واحد للراهبات واربعـة اناطيش . فتعين منها للرهبان الحلبيين ستــة اديرة وهي : دير مار اليشاع الذي اخذته الرهبانية سنة ١٦٩٦ . ودير سيدة اللويزة سنة ١٧٠٧ . ودير مار بطرس كريم التين سنة ١٧١٢ . ودير مار اليـاس شوية سنة ١٧٢٨ . ودير مار انطونيوس برومية العظمى وهو خلف دير مار بطرس ومرجلين الذي كان البابا اقليميس الحادي عشر بناه ووهبــه للرهبانية بواسطة الاب جبرائيل حوًّا الذي سافر الى هناك واستخدمهُ قداسته بمصلحة قضاها فكافأه بهذا الدير سنة ١٧٠٧ (١) . ودير مار انطونيوس كفرحمل (وهذا تُرك

---

(١) ويتبعهُ الانطوش الذي جُدّد بناؤه في مدينة تشيشلياتو بهمة القس جبرائيل القرداحي النائب العام برومية والمتولي مداخيل الدير المرقوم — وكان البطريرك اسطفان الدويهي ارسل القس المذكور سفيرًا الى رومية فبعثهُ مجمع انتشار الايمان المقدس الى مصر لمخاطبة مطران القبط بالرجوع الى الايمان وبعد عودتهِ احسن البابا اقليميس الحادي عشر على رهبانيتهِ بدير

فيما بعد) . وانطوش دير القمر ونصف انطوش بيروت . وتعين للرهبان البلديين احد عشر ديرًا ودير واحد الراهبات (لانهم اكثر عددًا اذ كانوا مائة وتسعين راهبًا والحلبيون واحدًا وستين منهم واحد وعشرون من غير حلب) وهي : دير مار يوحنا رشميا الذي اخذته الرهبانية سنة ١٧٠٦ . ودير مار انطونيوس صير سنة ١٧٠٧ . ودير مار انطونيوس قزحيا سنة ١٧٠٨ . ودير سيدة طاميش سنة ١٧٢٧ . ودير سيدة مشموشة سنة ١٧٣٦ . ودير مار الياس الراس للراهبات سنة ١٧٣٧ . ودير مار يوسف البرج سنة ١٧٤٢ ودير مار انطونيوس حوب سنة ١٧٤٩ . ودير مار موسى الحبشي سنة ١٧٥٣ . ودير مار جرجس الناعمة سنة ١٧٥٣ . ودير مار ميخائيل بنابيل سنة ١٧٥٦ . ودير مار مارون بيرسنين سنة ١٧٦٠ . ثم انطوش طرابلس سنة ١٧٣٤ . وانطوش صيدا سنة ١٧٤٦ . وقسمة انطوش بيروت الذي اخذته الرهبانية سنة ١٧٣٥ وقسمتهُ في ٢٤ اذار سنة ١٧٧٠

هذا ما عدا بعض اديار اخر كان جددها البلديون وقت الاختلاف فلم تقع تحت القسمة وهي : دير سيدة ميفوق . ودير مار قبريانوس كفيفان . ودير سيدة المعونات المعروف بدير البنات . ودير مار الياس الكحلونية . وكلها أُنشئت سنة ١٧٦٢ . ثم دير مار الياس مطوشي في قبرس سنة ١٧٣٧ . ودير مار ساسين بسكنتا للراهبات سنة ١٧٥٦ . ولما نمت هذه الرهبانية البلدية بعد القسمة جددت اديرة أُخرى بعضها من مشترى الرهبانية وبعضها مفصولة من بعض اديرتها وهي هذه : دير مار انطونيوس البادواني النبع سنة ١٧٨٥ . ودير مار عبدا معاد سنة ١٧٩٥ . ودير مار سركيس وباخوس قرطبة سنة ١٨١٥ . ودير مار مارون عناية سنة ١٨١٤ . ودير مار انطونيوس الجديدة سنة ١٨٤٩ . ودير مار جرجس عشاش سنة ١٨٤٩ . ودير مار روكس مراح الميرسنة ١٨٤٦ . وكان بنيانه سنة

القديسين بطرس ومرشلين في رومية سنة ١٧٠٧ فجعلوه ديرًا ومدرسة لهم سنة ١٧٢٥ . ثم باعوا هذا الدير بامر البابا بناد كتوس الرابع عشر واشتروا بثمنهِ محلًّا آخر بالقرب من دير مار بطرس في السلاسل وجعلوه ديرًا ومدرسة كالسابق على اسم مار انطونيوس ابي الرهبان (سفر الاخبار ص ٢١٢)

١٨٥٦ . ودير الخلص بجنين وكان قبلًا في رعيات على اسم مرت تقلا سنة١٨٤٩ . ودير مار يوحنا مارون قبيع سنة ١٨٤٩ . ودير مار شليطا القطارة سنة ١٨٥٢ . ودير مار جرجس جنين في عكار سنة ١٨٥٣ . ودير مار يعقوب النصيبي الحصن سنة١٨٦٢ . ودير مار سمعان القرن للراهبات سنة ١٨٦٤ ودير سيدة النجاة بصرمة سنة ١٨٧٦ . ودير مار ميخائيل بجرصاف سنة١٨٨٢ . وكان قبلًا مدرسة لتعليم الاولاد . ودير سيدة النصر نسبيه غسطا سنة ١٨٨٠ .

وكذلك جددوا اناطيش ومدارس لخدمة الرعايا او لتعليم الاحداث القراءة البسيطة وقواعد الديانة الكاثوليكية وهي : انطوش جبيل سنة ١٧٦٢ . انطوش زحلة سنة ١٧٦٩ . انطوش دير القمر سنة ١٧٨٢ . انطوش معلقة زحلة سنة ١٨٠٨ . انطوش يافا سنة ١٨٥٥ . انطوش بعلبك سنة ١٨٥٨ . انطوش ابلح سنة ١٨٦٠ . انطوش مجدلون ١٨٦٨ . انطوش حوش الامراء في البقاع

واما المدارس فهي : مدرسة عجلتون سنة ١٧٥١ . ومدرسة وادي شحرور سنة ١٧٨٥ . ومدرسة بان سنة ١٨٠٦ . ومدرسة العبادية سنة ١٨٣٠ . ومدرسة راس المتن سنة ١٨٣٧ . ومدرسة الشبانية سنة ١٨٣٩ . ومدرسة غبالة ١٨٥٥ . هذا ما عدا مدارس المتين وبسكنتا والفريكة وحمانا وكفرحيال وبصا وتنورين ووادي جزّين وعودين عكار وصغبين

وما عدا هذه المدارس فانه معين في بعض الاديرة كهنة لتعليم اولاد القرى المجاورة . فتكون جملة اديرة الرهبانية البلدية اللبنانية اربعة وثلاثين ديرًا منها ثلاثة للراهبات . واثنا عشر انطوشًا وسبع عشرة مدرسة . واما المدارس لتعليم الرهبان قواعد اللغتين السريانية والعربية وما يلزم لدرجة الكهنوت من علم اللاهوت الادبي فكانت غالبًا منذ القديم في ديرَين اي دير كفيفان ودير بيرسنين . واما مدرسة اللغات والعلوم السامية فهي بدير مار موسى الحبشي موقتًا . ومدرسة علم الاصول السريانية والعربية وما يلزم للكهنوت في دير قزحيا . هذا ويوجد من كهنة هذه الرهبانية في المدارس

والاناطيش والقرى لخــدمة الرعايا وتعليم الاولاد نحو ثمانين كاهناً

وهكذا الرهبان الحلبيون جدَّدوا بعض اديرة ومحلات وهي : دير مار عبدا في دير القمر ودير مار ضومط فيترون بكسروان . ودير مار شليطا القراقــير بزاوية طرابلس . ودير مار الياس في مصر . ودير مار نوهرا في بيت شباب . ودير مار ضومط في فيترون ايضاً الساعي في تشييده الاب سابا دريان العشقوتي الرئيس العام الحالي على هذه الرهبانية مدرسةً لتعليم ابنائها اللغات والعلوم المطلوبة . وانطوش في وادي ابي زريدة . ومدرسة عبيه في الشوف . وانطوش مصر . وانطوش بورت سعيد . وانطوش شبرا في القاهرة . وانطوش الزقازيق . ودير مار شليطا في مزرعة كفرذبيان . وانطوش مار انطونيوس البادواني في القنيطرة . وانطوش سيدة الوردية في مدينة ليڤرنو بايطالية . ومدرسة سيدة النجاة في وطا نهر الكلب . فيكون مجموع اماكن هذه الرهبانيــة اثني عشر ديرًا وعشرة اناطيش وست مدارس

٦ الرؤساء العامون الذين تولوا الرهبانية منذ نشأتها الى الآن

ان الرؤساء الذين ساسوا الرهبانية قبل القسمة ستة وهم: ــ١ جبرائيل حوا الحلبي ترأس سنة ١٦٩٧ وهو الذي اخذ دير رومية ثم ارتقى الاسقفية كما تقدم . ٢ــ الاب عبد الله قرا ألِّي من سنة ١٦٩٧ الى سنة ١٧١٦ التي بها أُقيم اسقفاً على بيروت . وفي ايامهِ اخذت الرهبانية دير رشميًا ودير اللويزة ودير صير ودير قزحيــا ودير مار بطرس كريم التين . ٣ ــالاب جبرائيل فرحات من سنة ١٧١٦ الى سنة ١٧٢٥ التي بها ارتقى الى الاسقفية على حلب كما سبق . ٤ ــالاب ميخائيل اسكندر الاهدني من سنة ١٧٢٥ الى سنة ١٧٣٥ وهو الذي توجه الى رومة بشأن تثبيت القانون والفرائض و بزمانهِ اخذت الرهبــانية دير طاميش ودير مار اليــاس شوية وانطوش طرابلس وانطوش بيروت . ٥ ــ الاب توما اللبودي الحلبي من سنة ١٧٣٥ الى سنة ١٧٤٢ التي فيها توفي وهو الذي أُرسل الى رومية بشأن تثبيت المجمع اللبناني . وبزمانهِ اخذت الرهبــانية دير مشموشة ودير مار اليــاس الراس ودير مار يوسف البرج . ٦ الاب

ارسانيوس عبد الاحد الحلبي من سنة ١٧٤٢ الى سنة ١٧٤٤ التي فيها ظهر الاختلاف

والذين ساسوا الرهبان البلديين مدة الاختلاف وبعد القسمة هم:

١ الاب يواكيم الحاقلاني بلقب نائب من سنة ١٧٤٤ الى سنة ١٧٤٧ (ومنها الى ١٧٥٣ ترأس على الجميع الاب مارون درعوني) وبهذه المدة اخذت الرهبانية دير حوب ودير مار موسى الحبشي ودير الناعمة

٢ الاب جرجس قشوع الغسطاوي من سنة ١٧٥٣ الى سنة ١٧٥٧ وفي ايامه اخذت الرهبانية دير مار ميخائيل بنابيل

٣ الاب اقليميس مزرعاني من سنة ١٧٥٧ الى ١٧٦٣ وفي رئاسته اخذت الرهبانية دير مار مارون بيرسنين وانطوش جبيل مع الاديرة التي لم تدخل بالقسمة المقدم ذكرها

٤ الاب عمنوئيل الرشماوي من سنة ١٧٦٣ الى سنة ١٧٦٩ وفي مدة رئاسته تمت قسمة الرهبانية سنة ١٧٦٨ كما تقدم وتجدّد انطوش دير القمر وانطوش زحلة

٥ الاب مرقس الكفاعي لبث مدة اربعة مجامع مقطعة اولها سنة ١٧٦٩ وآخرها سنة ١٧٩٣ وهو الذي انشأ دير معاد وبنى كنيسة دير بيرسنين وفي عهده اخذت الرهبانية دير البنات وصارت قسمة انطوش بيروت وسُمح باقامة معبد فيه

٦ الاب عمنوئيل الجميّل ترأس مدة خمسة مجامع اولها سنة ١٧٧٨ وآخرها سنة ١٨٠٨ وهو الذي بنى كنيسة دير النبع وفي عهده اخذت الرهبانية انطوش معلقة زحلة وهو الذي اشترى عمار الامير اسعد شهاب لدير بيرسنين

٧ الاب شربل مدلج سنة ١٧٨٤ وفي زمانه اخذت الرهبانية دير النبع ومدرسة وادي شحرور

٨ الاب سمعان الخازن ترأس مدة مجمعين من سنة ١٧٩٩ الى سنة ١٨٠٥ وهو الذي بنى كنيسة دير طاميش وفي ايامه اخذت الرهبانية مدرسة بان

٩ الاب اغناطيوس بليبل وهذا قام اولًا نائبًا عامًا سنة ١٨١٠ لوفاة الرئيس

العام الجميّل ثم رئيساً عاماً مدة سبعة مجامع متواصلة اي من سنة ١٨١١ الى سنة ١٨٣٢ وفي زمانهِ نجحت الرهبانية نجاحاً عظيماً كما هو مشهور واشترى املاكاً كثيرة للاديرة منها ديرمار سركيس قرطبة الذي بناه بتمامه . ودير مار مارون عنايا الذي بناه اولًا صغيرًا ارضيًّا وجهز لهُ املاكاً ودراهم لتكبيره

١٠ الاب مبارك حليحل الذي قام سنة ١٨٣٢

١١ الاب عمنوئيل المتيني ترأس مدة ثلاثة مجامع وبنى كنيسة دير بنابيل واهتم ببناء دير قبيع واشترى لهُ بعض املاك وعُني كذلك بمدرسة راس المتن ومدرسة الشبانية ومدرسة العيادة لاجل خدمة بعض الامراء آل مراد الذين تنصروا بواسطته وبنى اخيرًا حذاء مدرسة المتين مدرسة جميلة لتعليم اللغات

١٢ الاب عمنوئيل الشبابي ترأس مدة مجمعين وهو الذي جدد الممشى الشرقي بدير النبع ونقل دير عنايا العتيق الى حيث هو الآن وبنى اقبيته كلها مع كنيسته

١٣ الاب سابا العاقوري سنة ١٨٤٥ وهو الذي بنى في دير عنايا الممشى الشمالي واعطى املاك الوظيفة التي في عجلتون ونهر الصليب مع المطحنة لدير مار روكس مراح المير الذي جعلهُ ديرًا جديدًا

١٤ الاب لورنسيوس الشبابي ترأس مدة ثلثة مجامع اي سنة ١٨٥٠ وسنة ١٨٥٦ وسنة ١٨٥٩ وفي زمانه نقل دير الجديدة وكان ارضيًا وبنى اقبيته كلها مع جملة قلالٍ وبعض كنيسته وبنى دير مار شليطا القطارة بكماله وجزءا من دير مار يعقوب الحصن واشترى لهُ بعض املاك وبنى دير مار روكس المقدم ذكره متمماً مع كنيستهِ وبئرٍ حذاءه كما هو الآن . واصلح بناء دير النبع وسعى ببناء مطحنة سلطانية في نهر الكلب لدير مار الياس الراس ودفع من اكلافها ثلثين الف قرش

١٥ الاب افرام البشراني ترأس مدة اربعة مجامع متواصلة اي من سنة ١٨٦٢ الى ١٨٧٥ وفي عهده اشترى دير راهبات مار سمعان القرن وكنَّ عابدات وبناهُ جديدًا مع كنيسته واشترى لهُ جملة املاك . وبنى مدرسة بان مع كنيستها

وكذلك كنيسة دار الجـديدة والبناء الجديد بدير كفيفان

١٦ الاب مرتينوس الغسطاوي ترأس مدة خمسة مجامع متواصلة اي من سنة ١٨٧٥ الى سنة ١٨٩٠ وفي ايامهِ بُني اطوش المعلقـة وكنيسة اطوش بعلبك · وانشأَ ديرسيدة نسبيه في غسطا مع كنيسة كبيرة وبناهُ متيناً جميـلًا واشترى لهُ املاكاً كثيرة ولم يكن شيئاً لكونه مبنيًّا ليكون مدرسة عمومية

١٧ الاب يواصاف الحاجي النائب العام الحالي الذي أُقيم نائباً عامًّا في ٣ نيسان سنة ١٨٩٠ الحالية

٧ في بعض افراد الرهبانية الذين تميّزوا بالقداسة والفضل

لا ينكر انهُ قد قام من الرهبانية قوم افاضل قديسون تعطرت البـلاد كلها بعرف سمعتهم وطيب قداستهم كالاب موسى البلوزاوي والاب انطونيوس البـاني والاب عمنوئيل الجميّل والاب مرقس الكفاعي الخ الَّا انا حباً بالاختصـار نقتصر على ذكر شيء من ترجمة الاب نعمة الله الحرديني الشهير بالسيرة الفاضلة والطهارة الملائكية والعبادة الحارة وعلى الخصوص لسرّ القربان المقـدس · حفظ هذا الاب المطوّب الذكر قوانين الرهبانية ادقّ حفظ فضلًا عن انهُ كان يصوم كل ايام السنة وأُقيم مدبّرًا مدة ثلثة مجامع بغير ارادتهِ · وكان متوقّد العقل سريع الفهم مضطلعـاً بمعرفة الكتب الروحية وعلم اللاهوت غيورًا على نجاح الرهبانية وحفظ قوانينها · وبعد وفاتهِ التي كانت سنة ١٨٥٨ لم يزل الناس يتقاطرون لزيارة ضريحهِ في دير كفيفان لنوالِ الاشفية والمعونات · وقد اجرى الله بشفاعتهِ كرامات عديدة تدل على قداستهِ وقد كُتبت هذه الحوادث كل منها في وقتهِ بكتاب منفرد مع ترجمة حياته بالتفصيل

٨ فيما اذا كانت الرهبانية خاضعة رأساً للحبر الاعظم ام لبطريرك الطائفة ام تحت سلطة اسقف الابرشية

الواضح من نص المجمع اللبناني ومن الفرائض ان الرهبانية بعد خضوعها العمومي للحبر الاعظم رأساً وبنوع خصوصي للسيد البطريرك اذ أُعطى لهُ في الفرائض المذكورة

حقوق كثيرة على هذه الرهبانية فضلًا عما هو مرسوم فيها (عد ٢ باب ٩ قسم ٢ في الخضوع لرؤساء الكهنة) حيث قيل هكذا : ثانياً بعد اكرام الاحبار الرومانيين فليكرّموا اهم الكنيسة الانطاكية والسيد البطريرك الكلي الاحترام المتولّي رعاية طائفتنا ورهبانيتنا من قبل الكنيسة الرومانية المقدسة وليكونوا لهُ خاضعين بودّ خاص وخضوع متميّز بمنزلة اب خصوصي ويطيعوا كل مراسيمه واوامره غير المضادّة الايمان الكاثوليكي والاحبار الرومانيين الخ . ومن بعد السيد البطريرك توجب هذه الفرائض في الباب والقسم المذكورين على الرهبان الاعتبار والاكرام والخضوع للمطارين المتولين الاسقفيات ولاسيا في ما يلاحظ خدمة الرعايا الروحية وتوزيع الاسرار المقدسة على العالمين وان لا يستعملوا ذلك دون اذنهم واجازتهم

٩ في الاساقفة الذين قاموا من الرهبانية قبل القسمة وبعدها

اما الذين قبل القسمة فهم الثلاثة الاولون المقدم ذكرهم : الاول المطران عبدالله قرا الي (١) الذي أُقيم مطراناً على مدينة بيروت في ١٧ ايلول سنة ١٧١٦ . والثاني جبرائيل بن حوا الذي أُقيم مطرانًا على جزيرة قبرس سنة ١٧٢٣ والثالث جرمانس فرحات الذي أُقيم مطرانًا على حلب سنة ١٧٢٥ (٢) وكانت اقامتهم كلهم من يد السعيد الذكر البطريرك يعقوب عوّاد . ثم البطريرك طوبيا الخازن الذي تفرّد بالغيرة على الطائفة . والمطران يواصاف البسكنتاوي . ولهذا تآليف عديدة منها الخلاصة الفلسفية وهي تشتمل على الفلسفة بجميع فنونها وابوابها

---

(١) ورأيت لهُ كتيباً يخبر فيهِ عن كيفية ابتداء الرهبانية الحلبية منقولاً عن النسخة الاصلية الموجودة في مكتبة الموارنة برومية بخط يده . وفي الكتيب المشار اليهِ تفاصيل عديدة عن احوال البلاد بتلك الايام

(٢) قد كان بودّي ان اذكر شيئًا من ترجمة هذا المطران الذي مات ولم تمت مآثره واعماله التي تفضل بها على الطائفة باسرها . ولكنني ارجيء ذلك الى كتاب آخر في ترجمة مشاهير الموارنة انشره مطبوعاً اذا وفق الله في اثناء العام القابل

الّفها في العربية وتبع فيها طريقة القديس توما اللاهوتي ويوجد منها نسخة في المدرسة المارونية للرهبان الحلبيين برومية غير مطبوعة

اما الذين ارتقوا الى درجة الاسقفية بعد القسمة فمن الرهبان الحلبيين : المطران ارسانيوس عبد الاحد مطران بعلبك او دمشق . والمطران ارسانيوس شكري مطران حلب . والمطران جرمانس ذياب . والمطران نستير الحابي . والمطران مبارك من زوق الخراب . والمطران اسطفان الخازن الثاني مطران دمشق . والمطران امبروسيوس نطين الدرعوني مطران ادنة وكانت رسامتهُ في مدرسة البرو باغندة في رومية من يد رئيس المجمع الكردينال فرنكي سنة ١٨٧٥ ولم يخرج عن الرهبانية

واما الذين من الرهبانية البلدية بعد القسمة فهم : المطران يواكيم الحاقلاني والمطران عبد الله نستير الطرابلسي مطران عرقة . والمطران عبد الله بليبل مطران قبرس . والمطران طوبيا عون مطران بيروت

وهذا آخر ما استطعت جمعهُ من تاريخ رهبانيتنا اللبنانية مأخوذًا عن اوثق المصادر المطمأَن الى صحتها . والرهبانية المشار اليها صارفة عنايتها اليوم الى تخريج ابنائها في العلوم واللغات اللازمة لارباب الكهنوت وجادَّة في انشاء مراكز جديدة في المدن الكبيرة وفتح المدارس الابتدائية لابناء الطائفة اقدرها الله على عمل الخير ونفع امَّتها بما في وسعها



قد وقفنا على بعض زيادات فاحببنا اثباتها اتماماً للفائدة (١)

"لما ظهر المسلمون وامتدت ولايتهم في سورية تركوا بيروت ومدن وطننا البحرية من قيصرية الى طرطوس ولم يرجعوا الى فتحها الا بعد ان فتحوا دمشق وحمص وحماة واورشليم وحلب وانطاكية. وكان افتتاحهم لهذه المدن في خلافة عُمر ابن الخطاب. الّا ان ولايتهم لم تتمكن حينئذٍ بها لانهم لم يتصلوا الى ان يقهروا المردة سكان لبنان. وقد ذكر العلامة السمعاني في الكتاب الرابع من مكتبة الناموس القانوني والمدني (ص٣٩٤) ان المسلمين أبقوا حينئذٍ والياً للمردة من طائفتهم كما كانوا ابقوا بطرس الشريف المسيحي والياً في بلاد العرب البحرية وبنتليون في الاراضي المقدسة والياً على بعض اماكن. وعزّز السمعاني كلامه بشهادة ابي الفرج بن العبري في القسم الاول من تاريخه السرياني. وهكذا بعد مدة وجيزة استولى المردة على كل ما كان من الجبل الاسود الى حدّ اورشليم. وكانت لهم مواقع عديدة مع العرب كما ذكر ذلك تاوفان وشدران وغيرهما ونقله عنهم كثيرون منهم نطاليس اسكندر في تاريخ القرن السابع (رأس ٥ فصل ٤) حيث قال: واخيراً رجع العرب ممزقين بملاحم كثيرة وقد كان المردة سكان لبنان هشموهم من جهة اخرى فعقدوا الصلح مع الملك على ثلاثين سنة بشرط ان يدفعوا للروم كل سنة ثلاثة آلاف ليرة ذهباً وخمسين عبداً وخمسين جواداً اصيلاً. وبعض المؤرخين المذكورين ينسبون رجوع العرب عن حصار قسطنطينية من نحو سنة ٦٦٧ فصاعداً الى غزوات المردة في سورية. وما زال المردة يُضعفون ولاية العرب في وطنهم وما جاوره سنوات عديدة الى ان اضعف قوتهم يُستتيان الاخرم خاصةً باخذ اثني عشر الف مقاتل منهم. قال نطاليس في المحل المذكور نقلاً عمّن ذكرنا: ان يُستتيان الاخرم في بدء ملكهِ عقد الصلح مع عبد

(١) ربما كان في بعض هذه الزيادات شيء مما مرّ سابقاً الا اننا وددنا اثباته بحرفيتهِ لانهُ لا يخلو من فائدة جديدة

الملك سلطان العرب بشرط ان يستتيان يكبح المردة سكان لبنان ويمنع غزواتهم. اما عبد الملك فيدفع لهُ كل يوم الف ذهب وعبدًا وجوادًا . ولكي يقوم يستتيان بشروط الصلح اخذ من لبنان اثني عشر الف مقاتل من المردة وهدم بذلك سورًا للمملكة حصينًا . انتهى قول نطاليس ملخصًا . وقد برهن العلامة السمعاني عن كل هذه الامور بايضاح واسهاب في مؤلفهِ مكتبة الناموس القانوني والمدني في الكتاب الرابع المشار اليهِ (١) (عن سفر الاخبار ص ٢٢)

امراء لبنان مع تعيين سني ولايتهم

هم يوسف وكسرى وايوب والياس ويوسف ويوحنا ملكوا من سنة ٦٢٨ الى سنة ٦٧٥ . ثم يعقوب الى سنة ٦٩٥ . وابرهيم ابن اخت القديس يوحنا مارون الى سنة ٧٢٨ . وبطرس الى ٧٥٦ . وموسى الى ٧٩٠ . وجرجس ويوحنا الى ٨٩٠. وحنا واندراوس وموسى الى ١٠٢٠ . وعساف الى ١٠٥٠ وجرجس الى ١٠٩٠ وموسى وبطرس الى ١١٩٠ وباخوس ويعقوب الى ١٢١٥ . وشمعون الى ١٢٣٩ . وابنهُ يعقوب الى ١٢٩٦ . وابن اخيهِ اسطفان الى ١٣٥٢ . وموسى ويوحنا الى ١٣٩٩ . ويوسف العبدلي الى ١٤٠٠ . وفيها انتقلت الامارة من بلاد جبيل والبترون الى الجبة وذلك عند قدوم تيمرلنك الى فونيقي . وكان امير لبنان الى سنة ١٤٧٠ . وملك بعد هؤلاء عبد المنعم بن عساف بن يعقوب الى ١٤٩٤ . ثم ابنهُ يوسف الى ١٥١٩ . ثم تولى كمال الدين بن عبد الوهاب بن عجرمة من ايطو فقتلهُ يوحنا بن يوسف امير بشرّاي سنة ١٥٤٧ . ثم تولى عاشينا وقتلهُ المسلمون في طرابلس سنة ١٥٧٥ . وفيها سار المسلمون الى افتتاح قبرس وتولى الامارة ابن اخيه عساف بن موسى واخوه داغر الى سنة ١٥٧٧ . وتولى خاطر الحصروني الايبوذياكن الى ١٥٩٤ . ثم ابنهُ رعد ١٦١٢ ثم مقلد ١٦١٤ ثم ظهر ابو نادر الخازن في بلاد كسروان وولد لهُ اولاد نالوا الحظوة عند الامراء

---

(١) راجع ص ٦٣ و ٦٨ و ٧١ و ٧٢ الخ من هذا الكتاب

وانتشرت اخبارهم شرقاً وغرباً حتى ان ملك فرنسة لويس المعظم بعث الى الشيخ ابي نوفل نادر يجعلهُ كمولود في فرنسة. وكان ذلك على يد السيد المطران سركيس الجمري (عن رسالة للخوري يوسف مارون الدويهي — راجع ايضاً ص ٦٨ من هذا الكتاب)

بعض وقائع المردة واخبارهم مما سهونا عن ذكره في محله

في سنة ٧٥٨ (١٤١ﻫ) لما قدم الخليفة ابو جعفر المنصور العباسي الى دمشق سار اليهِ من بلاد المعرَّة الامير منـذر بن مالك واخوه الامير ارسلان بجماعة من عشيرتهما. وكان قد بلغهُ قوة مردة لبنان ومنعهم ابناء السبيل من المرور في الطرق المجاورة بلادهم وان غزواتهم قد اتصلت الى حماة وحمص وغيرهما. ولم يتمكن المسلمون من بلادهم لسطوتهم وتحصنهم في الجبال. فاستحسن ان يُقيم بعض العشائر في البلاد الخالية المجاورة بلادهم. وكان مهتمًّا بمن ينتدبه لهذا الامر. فلما رأى ما هم عليهِ من الحماسة والقوة امرهم بالسكنى في بلاد بيروت الخالية. ولما سار من دمشق على طريق الرقَّة ذهبوا معهُ مسافة يومين واتوا منازلهم ونادوا بالرحيل في عشائرهم. فرحلوا جميعاً لشدة ما كان حالاً بهم من قحط البلاد ومضايقة بني أُمية من قبلُ. فنهض الامير ارسلان امير الجيش بسوابق العشيرة الى وادي التيم ونزل في الحصن المعروف بحصن ابي الجيش منتظرًا قدوم اخيهِ بباقي العرب„

وفي سنة ٧٥٩ (١٤٢ﻫ) قدم الامير منذر بباقي العرب ونهض الاميران برجالهما ونصبا مضاربهما جنوبيَّ جبل المغيثة. فكانا يجوبان البلاد بعشائرهما ثم يرجعان الى المغيثة. ثم تفرقا هما وعشائرهما في البلاد فعمروا جبال بيروت الخالية وتركوا البداوة واستوطن الامير منذر بن مالك حصن سرحمور وسكن ارسلان في سن الفيل والامير حسَّان بن خالد بن مالك في طردلا والامير عبد الله بن النعمان بن مالك في كفرا والامير فوارس بن عبد الملك بن مالك في عبيه وتفرق باقي المقدمين وعشائرهم في البلاد وكانوا اثني عشر مقدماً واخذوا يغزون المردة. ولما قدم الخليفة المهدي بن المنصور العباسي الى دمشق سار اليه الامير منذر واخوه الامير ارسلان فاكرمهما لما

علم من شدة بأسهما على الاعداء . وقد جرى بينهما وبين المردة مواقع عديدة اشهرها موقعة نهر الموت التي سُمّي ذلك النهر بها لكثرة القتلى فيهِ . ومنها موقعة انطلياس التي قُتل فيها من الفريقين اكثر من ثلاثمائة رجل . وكانت النصرة فيهما لهذين الاميرين وانكفأ المردة عن ساحل بيروت ،، (عن اخبار الاعيان ص ٦٤٦)

،، وفي سنة ٧٨٥ (١٦٩ﻫ) حُكي انه لما همّ المهدي بالخروج الى ماسبذان تقدم الى حسنة حظيّته ان تخرج معهُ . فارسلت الى توفيل بن توما النصراني المنجم الرهاوي وهو رئيس منجمي المهدي قائلة لهُ : انك اشرت على امير المؤمنين بهذا السفر فجشّمتنا سفرًا لم يكن في الحساب . فعجّل الله موتك واراحنا منك . فلما بلغتهُ رسالتها قال للجارية التي اتتهُ بها : ارجعي اليها وقولي لها ان هذه الاشارة ليست مني . واما دعاؤكِ عليّ بتعجيل الموت فهذا شيء قد قضى الله به وموتي سريع فلا تتوهمي ان دعوتكِ استجيبت . ولكن اعدّي لنفسكِ ترابًا كثيرًا . فاذا انا متّ فاجعليهِ على رأسكِ فما زالت متوقعةً تأويل قوله منذ توفي حتى توفي المهدي بعد عشرين يومًا . وكان توفيل هذا على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى . ولهُ كتاب تاريخ حسن . ونقل كتابَي اميروس الشاعر على فتح مدينة ايليون في قديم الدهر من اليونانية الى السريانية بغاية ما يكون من الفصاحة (عن ابن العبري ص ٢١٩) ،،

،، وفي سنة ٧٨٧ (١٧١ﻫ) توفي الامير ارسلان بن مالك في سن الفيل . وجرت لهُ وقائع عديدة مع المردة وغيرهم ،،

،، وفي سنة ٧٩١ (١٧٥ﻫ) دهم المردة الامير مسعودًا في سن الفيل فحاربهم وهزمهم وقتل منهم مقتلة كبيرة واحرق بعضًا من قراهم السفلى ،،

،، وفي سنة ٨٠٤ (١٨٩ﻫ) ارسل هارون الرشيد منشورًا الى الامير ثابت بن نصر الخزاعي امير الثغور الشامية ومناشير اخرى الى باقي عمّال الشام ان يطلقوا التنبيه في البلاد بالرحيل الى لبنان لتشتد قوة امرائه على اهل العاصية ،، (عن اخبار الاعيان ص ٦٤٧ وما يليها)

„ قال ابن القلاعي في رسالتهِ الى البطريرك شمعون : لما قدم الافرنج الصليبية الى نواحي طرابلس سنة ١٠٩٩ كان البطريرك يوسف الجرجسي قاطناً اذ ذاك في دير سيدة يانوح في جبة المنيطرة (الى سنة ١١٢٠) فانفذ قصاداً الى رومية في طلب التثبيت من الحبر الروماني مع قصاد غودفريد ملك اورشليم وسنة ١١٠٠ ارسل لهُ البابا بسقاليس الثاني براءة التثبيت مع تاجٍ وعصا وكان الافرنج يقيمون القداس في كنائس الموارنة وكذلك الموارنة يقيمون القداس في كنائسهم (١) "

„ وفي سنة ١١٨٧ (٥٨٣ هـ) لما حضر الملك صلاح الدين يوسف الايوبي لفتح بيروت وطرد منها الافرنج لقيه الامير حجي الى خلدة وسار معهُ . ولما فتح الملك بيروت جعلهُ مكان ابيه واخوته وعدد لهُ القرى المسلمة اليهِ ملكاً لاجل صدق خدمته وقيامه على الاعداء "

„ وفي سنة ١١٩٣ (٥٨٩) كتب الملك نور الدين الايوبي الى الامير حجي بن كرامة كتاباً مضمونه الترغيب والحث على الجهاد وانه قد اقطعه ناحية الغرب جميعها وانه يخلف اسلافه على الطاعة السلطانية . وفي اثناء ذلك ارسل الملك جيشاً للغارة على بيروت وكتب اليهِ رسالة اخرى مضمونها انه ارسل الى الافرنج يلتمس منهم ان يجيروه على عوائده ويعدهُ بكل جميل . وقد جرى للامير حجي حوادث كثيرة مع الافرنج " (عن اخبار الاعيان ص ٢٢٥ و ٢٢٦)

وفي سنة ١٢٠٩ (٦٠٦ هـ) كانت وفاة البطريرك بطرس الذي كان قاطناً في دير سيدة هابيل . واختير بعده البطريرك ارميا من قرية عمشيت من بلاد جبيل وسكن في دير سيدة يانوح (٢)

وفي سنة ١٢١٥ (٦١٢ هـ) عقد البابا زخيا الثالث مجمعاً عاماً في كنيسة القديس يوحنا اللاتراني برومية حضره اربعمائة واحد عشر اسقفاً من الشرق والغرب . . . .

---

(١) راجع الدر ايضاً ص ١٥١ (٢) سيأتي مزيد بيان لاخبار البطريرك ارميا في الفصل الثامن من الجزء الثاني

وفيها كاتب ملوك النصارى ليسيروا بالجيوش الى نجدة المسيحيين بارض الشام . وحضر في هذا الجمع البطريرك ارميا المعظم فثبتهُ البابا زخيا بطريركاً على كرسي انطاكية ولم يلبسهُ درع الرئاسة برومية لانه كان ارسلهُ اليهِ سابقاً قبل وصولهِ الى هناك . ومنحهُ جملة امتيازات بموجب كتابة مؤرخة في اليوم الثاني عشر من كانون الآخر . وفي اليوم السادس عشر ودّع البابا وآباء الجمع وعاد الى لبنان . ولما اقام القداس في هيكل مار بطرس وقف القربان فوق رأسهِ في الهواء ولذلك مثلوا صورته في الهيكل المذكور وهي باقية الى يومنا هذا (١)

فصلٌ

في اثبات ان بطريرك الموارنة هو البطريرك الانطاكي

„ لا نكير ان الموارنة قد اقاموا عليهم منذ سنة ٦٨٥ بطريركاً انطاكياً يثبتهُ الكرسي الرسولي المقدس وذلك من حين انفصالهم عن باقي الامم المسيحية الشرقية ولقبوه دائماً ببطرس اكراماً للقديس بطرس زعيم الرسل المؤسس الاول لكرسي انطاكية بنوع انهم يلحقون دائماً اسم بطرس باسمهِ الاصلي كقولهم مثلاً : يوسف بطرس البطريرك الانطاكي . ولما كانوا من البطريركية الانطاكية كما ذكر البابا بناديكتوس الرابع عشر في خطابهِ بقوله : « انكم تعلمون ان الموارنة هم مسيحيون سريان مختصون بالبطريركية الانطاكية لاقامتهم بنواحي سورية وسواحل فونيقي وجبالها وبلاد فلسطين وقبرس ومصر وغيرها من البلاد الشرقية واكثرهم يسكنون في جبل لبنان » سُمي بطريركهم دائماً باسم البطريرك الانطاكي على كامل طائفتهم اينما وُجدت كما تشهد براآت الاحبار الرومانيين القديمة جداً والمحفوظ اكثرها الى الان في خزانة بطريركيتهم . وقد اوضح ذلك مجمعهم اللبناني المثبت من الكرسي الرسولي (قسم ٣ رأس ٦ ع ٤ ص ٣٩٢) بقوله :

(١) ولما دثرت تلك الصورة جُدد زخرفها بامر البابا زخيا العاشر سنة ١٦٥٥ (عن سفر الاخبار ص ٧)

ان بطاركتنا القدماء منذ انفصال امتنا المارونية عن سائر الامم لقبوا دائماً بيطاركة انطاكية. ثم استعملوا السلطان البطريركي على المطارنة والاساقفة والاكليروس وشعب الامة المارونية كله في ابرشية انطاكية وفي الشرق باسره الى يومنا هذا. ولم يزالوا يستعملون هذا السلطان. والاحبار الرومانيون لم ينكروا عليهم ذلك قطّ بل انهم في كتاباتهم الرسولية لقبوهم دائماً بيطاركة انطاكية وقلدوهم سلطاناً مطلقاً على الامة المارونية في كل النواحي الشرقية الخ. وقد تمكنت هذه التسمية ببطاركتهم خاصّة بعد ما اخذ المسلمون يطردون الافرنج من انطاكية وما يليها منذ سنة ١٢٤٥ الى سنة ١٢٦٦ التي فيها اخذ الاسلام انطاكية. فانهزم هؤلاء الافرنج الى جبل لبنان حيث قبلهم بطريرك الموارنة الانطاكي بغاية الترحيب وعرض امرهم على الكرسي الرسولي فاثنى على عملهِ هذا واوصاه بهم وان يحسبهم من شعبهِ وسماه بالبطريرك الانطاكي. وقد صرَّح بذلك البابا بناديكتوس الرابع عشر في اوائل خطابهِ المار ذكره حيث قال: ولا يخفى على علمكم ايضاً انهُ في اواخر القرن السابع لما انتشرت بدعة القائلين بمشيئة واحدة في السيد المسيح وافتسدت اهل البطريركية الانطاكية جزم الموارنة حينئذٍ لكي يحفظوا امتهم ويصونوها سليمة من الفساد ان ينتخبوا لهم بطريركاً يُثبت من الحبر الروماني ويستمد منهُ درع الرئاسة. ولما مرَّت قرون عديدة وملك المسلمون انطاكية وطردوا منها اللاتين ولَّى هؤلاء اللاتين الكاثوليكيون فارّين الى جبل لبنان وهناك قبلهم بطريرك الموارنة قبولاً وداديًّا. وعند ذلك شرَّفهُ اسكندر الرابع الحبر الروماني باسم البطريرك الانطاكي ولم يزل البطاركة متمسكين بهذا الاسم حتى اليوم مع انهم نصبوا كرسيهم ثابتاً في جبل لبنان. وقال الاب بياجيوس في مؤلفهِ المسمى سورية المقدسة (كتاب اول رأس ٣٣ ص ٢٥): اقيم ايليا من الطائفة اللاتينية عوضاً عن ريناريوس الذي توفي سنة ١٢٤٣ وكانت ايامه تعيسة لان المدينة الانطاكية اصبحت فريسة لبندقدار سلطان مصر الشديد القسوة. ومن ثم لم يعد يرتقي لاتيني او افرنجي الى ذلك الكرسي ولم تعد

المدينة الى رونقها الاول وصارت كانها خاليـــة من الاكليروس . اما الشعب المؤمن فلجأ الى اعالي جبل لبنان التي يسكن فيها الموارنة الكاثوليكيون . وسمعان الذي كان يسوس تلك الطائفة في ذلك الوقت بصفة بطريرك تلقى القطيع التائه بكل مودة وكتب الى اسكندر الرابع للحبر الروماني الاعظم يخبره بحال اولئك المسيحيين المطيعين للكرسي الرسولي فاجابهُ جوابًا لطيفًا ولقبهُ بالبطريرك الانطاكي واستعمل هذا اللقب خلفاؤه . ومن المعلوم ان البابا اسكندر الرابع كان في اواسط القرن الثـــالث عشر ومثله البطريرك سمعان الثاني بهذا الاسم . ثم ان البابا لاون العاشر الذي جلس على كرسي القديس بطرس في ١٥ اذار سنة ١٥١٣ وقضى نحبهُ في غرة كانون الاول سنـــة ١٥٢١ انفذ رسالة الى البطريرك سمعان للحدثي وهو الرابع بهـــذا الاسم بها يوصيهِ لينظر في امر كل المؤمنين الذين بالشرق وذلك ليقينهِ ان بطريرك الموارنـــة هو بمفرده بطريرك انطاكية . . .

ولما كان القس موسى العكاري الذي خلفهُ في البطريركية سفيره الى البابا ادريانس السادس . . اتاه في عودتهِ من رومية برسالة من البابا المذكور بتاريخ سنة١٥٢٢ يقول فيها : ايها الاخ الموقَّر بطرس البطريرك الجالس على كرسي انطاكية . ومن ثم قد كان بطريرك الموارنة يقيم كهنة واساقفة من جميع الطوائف المسيحية بالشرق ومن اللاتينيين ايضًا ولم يعترضهُ الكرسي الروماني بشيءٍ من ذلك مطلقًا مع علمهِ بهِ بل اثبتهُ ايضًا . لان البطريرك سمعان الحدثي اقام مطرانًا على الموارنة سكان قبرس سنة ١٥٠٧القس جبرائيل القلاعي الحفدي الذي كان مارونيًا وصار لاتينيًا بترهبه سنة ١٤٧١ برهبانيـــة القديس فرنسيس بالقدس . . . وكذا البطريرك يوسف الرزي اقام القس يوحنا فهد الحوشبي الحصروني الماروني تلميـــذ مدرسة الموارنة في روميـــة مطرانًا مساعدًا لهُ في الكرسي البطريركي سنـــة ١٦٠٣ مع انهُ دخل رهبانية القـــديس عبد الاحد وصار لاتينيًا . وكذا البطريرك يوحنا الصفراوي اقام القس اندراوس اخيجان السرياني مطرانًا على السريان سكان حلب سنة ١٦٥٦ . وكذا البطريرك

اسطفان الدويهي اقام الاب يوليان راميز من رهبان القديس فرنسيس مطراناً على صور سنة ١٦٩١ ولما احتج عليهِ رهبان القديس فرنسيس ورفعوا الامر للمجمع المعروف بالسينودوس حكم الكرادلة ان للسيد البطريرك استطاعة على ذلك فاضطر الرهبان المذكورون ان يلجأوا الى الصمت كما يتبين من الدفتر المطبوع برومية بالمطبعة الحبرية سنة ١٦٩١ . وقد شهد المعلّم دومينيك ماكري في كلامهِ عن البطريركية بقولهِ : ان في رومية اربع كنائس بطريركية مخصوصة بالبطاركة الاربعة متى عُقد مجمع عام في رومية وهي : كنيسة القديس يوحنا لاتران للبابا. وكنيسة القديس بطرس لبطريرك قسطنطينية. وكنيسة القديس بولس لبطريرك اسكندرية . وكنيسة مريم الكبرى لبطريرك انطاكية الذي هو كاثوليكي وحده وهو رأس ومدبر الامة المارونية المتعلقة بالكنيسة الرومانية اشدّ التعلق. وكنيسة الصليب المقدس لبطريرك اورشليم. وكذلك دي لاروك في كتاب رحلتهِ الى جبل لبنان وسورية (مج ٢ ص ٢٣٢) يسمي الكنيسة المارونية الكنيسة الاولى في المشرق بقوله : ان هذه الكنيسة يمكن ان تدعى كنيسة الشرق الاولى بسبب كاثوليكيتها وبسبب البطريركية الانطاكية التي هي كرسيها الآن. ولدينا على ذلك شهادات اخرى كثيرة عدلنا عن ايرادها حبّ الاختصار . ولا فائدة لقول من يقول ان المؤرخين الروميين لم يذكروا القديس يوحنا مارون وخلفاءهُ بين بطاركة انطاكية لانهُ لم ينتخب بطريركاً من اساقفة كرسي انطاكية الذين كانوا خاضعين لملك الروم بل من الاساقفة الذين كانوا يسوسون المردة اي الموارنة ولم تكن لهُ ولا لخلفائه البطاركة ولاية الاَّ على الموارنة واعمالهُ جرت في جبال لبنان دون تعلق الاَّ بالطقس السرياني وبروؤسين سريان. حتى انهُ لما اخذ ملوك الروم ينتخبون في قسطنطينية بسلطانهم بطاركة على انطاكية وبعضهم يقيم بقسطنطينية فان الموارنة لم يقرُّوا بهم ولم يحسبوهم بمنزلة رعاة لهم بل اخذوا من اواخر القرن السابع يقيمون لهم بطاركة خصوصيين يثبتهم الحبر الروماني ويعطيهم درع كمال الرئاسة كما مرَّ . ولذلك لم يحصهم المؤرخون الروميون

في جملة بطاركة انطاكية. وقد اتى بالبرهان على ذلك العلاَّمة السمعاني في مكتبتهِ الشرقية (مج ١ رأس ٤٣ في الحاشية ص ٥٠٣) وفي تأليفهِ المشتمل على الشرائع الشرقية الكنائسية والمدنية (مج ٤ كتاب ٤ فصل ٢٠) . وفي تاريخ ايطالية (مج ٢ ص ١٠٠٦) وكذا غيره من العلماء والمؤرخين

فيتلخص مما اوردناه ان بطريرك الطائفــة المارونية يسمى بالبطريرك الانطاكي منذ انفصال هذه الطائفة من باقي الطوائف المسيحية الشرقية وهو بطريرك انطاكية الحقيقي لانهُ خليفــة البطاركة الانطاكيين الكاثوليـكيين دون انقطاع باثبات الكرسي الرسولي المقدس. وقد صرَّح بذلك المجمع اللبناني (قسم ٣ راس ٤ ص ٣١٩ وما يليها وقسم ٣ راس ٦ ص ٣٩٤) حيث ذكرهم باسمائهم واحدًا بعد آخر منذ سنة ٦٨٥ الى البطريرك يوسف ضرغام الخازن الرابع بهــذا الاسم (عن الدر ص ١٨٣ وما يليها) »

صورة المجمع المنعقد سنة ١٥٩٦

بحضور الاب ايرونيموس دنديني اليسوعي (١)

في الثامن عشر من ايلول التأم امام البطريرك الشريف السادات المطــارنة المكرَّمون (لان الآخرين تأخروا عن الحضور) اعني الحبيس يوسف القاطن في دير قزحيــا. والمطران يوسف المقيم بدير مار انطونيوس . والمطران موسى المتوكل على بشرَّاي. ثم الاسياد الشدايقة : الشدياق يوسف الملقب بخاطر من قرية حصرون والشدياق فرج من حدشيت الخ. وايضاً كثير من الكهنة بحضور ايرونيموس دنديني اليسوعي القــاصد الرسولي من قبل الفافا اقليميس الثامن باسمه . اولًا قرئت الورقة

(١) ذكرتُ صورة هذا المجمع نقلًا عن كتاب خطي منسوخ سنة ١٦٧٢ بقلم ميخائيل من قرية بسبعل يتضمن عدا هذا المجمع كتاباً آخر في اللاهوت يُدعى قطف الاسرار تأليف المطران يوحنا الحوشي من قرية حصرون (راجع ص ١٨٢ و٢٠٣ من هذا الكتاب) وقد اشار الى هذا المجمع الخوري يوسف مارون الدويهي في رسالته وذكر شيئاً منهُ

الرسولية . وبعد ذلك اظهر البطريرك تغيظهُ لاجل المجمع الذي عُقد في السنين السابقة . وانكر ان ذلك المجمع جرى برضاه او برضى اخيهِ البطريرك ميخائيل . وفي الآخر حرم بعض اغلاط أُتهم بها هو وطائفته وحرم جميع قائليها وهي :

١ مقالة الطبيعة واحدة

٢ المشيَّة الواحدة والفعل الواحد

٣ ان روح القدس ينبثق من الآب وحده

٤ ان الصلب واقع على الثالوث الاقدس كله

٥ ليس مطهر

٦ ليس من خطيئة اصلية . ولكن الانفس قبل الدينونة لا تتلذَّذ ولا تتعذَّب بل تكون في مواضع لا تقاسي فيها عذابًا ولا ترى خيرًا

٧ للانسان ان يجحد الامانة بلسانه بعد ان يعتقدها في قلبهِ

٨ سرّ التثبيت ليس منفصلًا من العماد

٩ يخلط مع الزيت والبلسم بعض اشياء في عمل الميرون

١٠ يجب ان يقدس جسد المسيح في الخمير

١١ ان الموارنة لا يقدسون زيت الميرون يوم الخميس الكبير لاجل مسحة المرضى بل ان اي كاهن كان يباركه

١٢ ان صورة جميع الاسرار عندهم هي بنوع الطلبة

١٣ ان الامرأة تُطلق ويستطيع الرجل ان يأخذ امرأة اخرى بحياتها اذا كانت زانية او مريضة بمرض لا يستطاع شفاؤه

هذه الاغلاط كلها فحصت واحدة واحدة وكل واحد بيَّن رأيه وامانته ورأي طائفته وامانتها في الزمان الحاضر والماضي فكانت امانتهم هكذا : ١ً ان في المسيح اقنومًا واحدًا الهيًا وطبيعتين ومشيئتين وفعلين الهيًا وانسانيًا ٢ً ان روح القدس ينبثق من الاب والابن كمن مبدإٍ واحد ٣ً ان التقديسات توجد في كتبهم

على نوعين وان الصلب والولادة والموت تُنسب الى الاقنوم الثاني لا الى الثالوث جميعه ٤ً ان المطهر موجود ولاجل ذلك تقام الطلبات والقدّاسات لراحة انفس الموتى وتعطى الصدقات للفقراء ٥ً ان جميع الناس يولدون بالخطية الاصلية ولاجل ذلك لا يربح الخلاص الاطفال الصغار الذين يموتون بغير عماد ٦ً ان الانفس الماضية من هذه الحياة فاما ان تمضي الى سعادة السماء واما الى شقاء الجحيم الابدي واما الى عذاب المطهر ٧ً لا يستطيع احد ان ينكر الامانة في فمهِ لان الانجيل يقول كل من انكرني امام الناس انكره انا امام ابي الذي في السماوات ٨ً ان سرّ التثبيت هو منفصل عن العماد وخادمهُ المخصوص هو الاسقف ويعطى فيهِ روح القدس وامتلاء النعمة التي بها نتقوى ونثبت في الاعتراف بالامانة ٩ً لا يجب ان يختلط بعمل الميرون شيء الّا الزيت والبلسم اللذان يدلّان على وجود طبيعتين بالمسيح ١٠ً ينبغي التقديس دائماً على الفطير ١١ يجب ان يمسح المرضى المدنفون بالزيت الذي يقدسهُ الاسقف يوم الخميس الكبير ١٢ ان صورة الاسرار التي يستعملونها ليست مختلفة عن عادة كنيسة رومية ١٣ ان عقد الزواج لا ينحل الّا بالموت ولو أُذن بعض المرّات بطلاق الفراش والمساكنة لان الانجيل: يقول من طلق امرأة واخذ اخرى فقد فجر ومن أخذ مطلقة يفجر ايضاً . . . . ثم ثبتوا هذه القوانين الآتية برضى الجميع ١ً ان سرّ العماد ضروري جدًّا لكل احد لاجل الخلاص ويجب ان يعمد الصغار عاجلًا اي بعد عشرة ايام او اثني عشر يوماً من ولادتهم ويجب ان يكون عند الكاهن الذي يعمد دفتر يكتب فيهِ اسمه واسماء المعمدين مع كفلائهم ٢ً يجب على الاساقفة ان يثبتوا الصغار مرّة واحدة قلما يكون في السنة لكي يفعلوا ما تسلموه من السيد المسيح الراعي الاول العظيم ٣ً ينبغي ان يحضر الكفيل (العرّاب) عند التثبيت ٤ً في وجوه القرابة الروحية الحاصلة في العماد والتثبيت ينبغي ان يُجرى فيها على قوانين مجمع ترنتو ٥ً ان القائمين برعاية شعب الله ينبغي ان يكونوا غزيري العلم والمعرفة ٦ً ان بعض الخطايا محفوظ حلها للاساقفة ٧ً من حيث ان جسد

المسيح لا يمكن ان يعطى للصغار من غير عبثٍ باللياقة يجب على الكهنة من الان وصاعدًا ان لا يعطوه الّا لمن ادرك سنّ التمييز ٨ً يجب على جميع الكهنة ان يقيموا القداس بالكتاب المطبوع برضى سيدنا الفافا ولا يستعملوا كتابًا آخر من غير ان يحضروه الى البطريرك ليصححهُ على الكتاب المطبوع ويختمه بخاتمه ٩ً ليس موافقًا ولا لائقًا ان يقدس الكهنة وهم حفاة كما جرت عادة بعضهم بقصد التوغل في العبادة ١٠ يجب ان لا يلمس الكاهن باصبعيهِ شيئًا بعد كلام التقديس. ١١ يجب ان يوضع الماء المبارك القديم الاستعمال في البيعة في كنائسنا وتُهيأَ لهُ مواضع او آنية لائقة ليتبرَّك بهِ جميع الشعب. ١٢ يجب ان تحفظ من اليوم وصاعدًا ايام الاعياد وتُعلم لجميع الشعب ويكون من جملتها عيد الثالوث الاقدس وعيد جميع القديسين ١٣ يجب ان يكون عند البطريرك والاساقفة في جميع الاماكن المخصوصة الكتب المقدسة اي العهد العتيق والجديد. ١٤ من حيث ان وجود كتب المبتدعين والمنشقين يجلب مضرَّة عظيمة يجب ان تحفظ مثل هذه الكتب في خزانة البطريركية ولا يُؤذن في قراءتها الّا للكهنة والمتعلمين علم اللاهوت الذين يفرقون بين الحق والباطل . . .

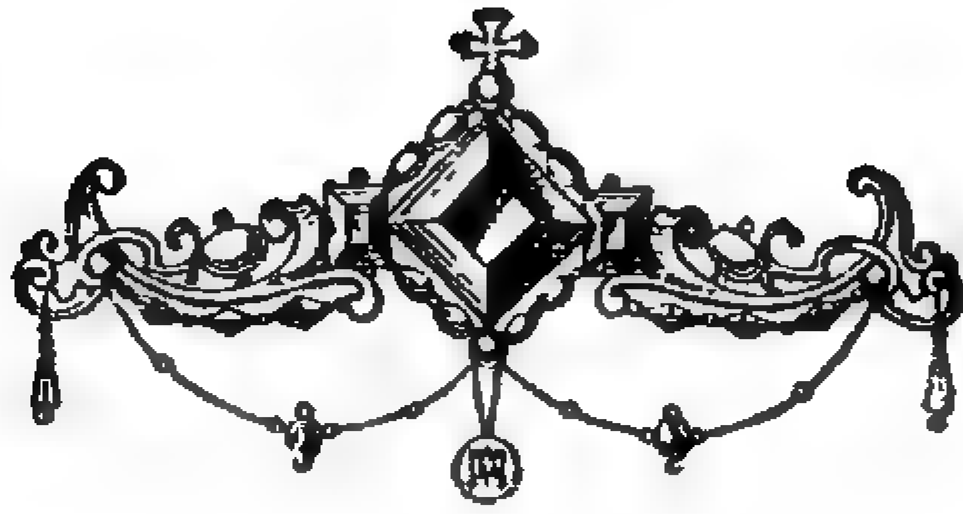
ثم قُرئت هذه القوانين جميعها دفعة ثانية بصوت عالٍ مفهوم على آباء المجمع فثبتوها والتمسوا من الفافا ان يثبتها لهم ووعدهم القسيس ايرونيموس دنديني ان يجتهد في تثبيتها وعند ذلك تفرق آباء المجمع في اليوم العشرين من شهر ايلول سنة ١٥٩٦

ومن حيث ان البطريرك سركيس توفي في اليوم السابع بعد ذلك المجمع عقد خليفته مجمعًا ثانيًا بحضور القس ايرونيموس دنديني قاصد الكرسي الرسولي واثبت فيهِ ستة قوانين نذكر منها القانون الرابع والخامس

القانون الرابع : يجب ان تُغذَّى نفوس المسيحيين المسلَّمين لعنايتنا بكلمة الله . . ويجب ان تحدد المواضع التي ينبغي فيها على كل واحد ان يبشر بكلمة الله في ايام الآحاد والاعياد الكبيرة. ولا يجسرنَّ احد ان يفعل ذلك في كنائسنا ان لم يكن مُرسلًا من قبل البطريرك او اسقف الموضع

القانون الخامس : لا يجب ان يتجرَّد احد لخدمة الله ويشغل نفسه بامور الدنيا ولا يليق ان يجبي الكهنة مال المسلمين (لانهم اقيموا كهنة ليهتموا بخير النفوس لا بامور الدنيا)

وبعد ذلك يذكر جدول الاعياد التي تجب بطالتها وهي ثلاثون عيدًا . وفي ختام المجمع اورد الخطايا المحفوظ حلها للبطريرك والمحفوظ حلها للاسقف وذكر في الآخر امضاآت جميع الاساقفة والكهنة الذين حضروا المجمع المذكور . اه



الجزء الثاني

في ردّ التُهم ودفع الشُبه

بعد ان تكلمنا عن القديس مارون الجليل واخبرنا عن اصلهِ وقداستــهِ وعن الرهبان والناس الذين اقتدوا بسيرتهِ الفاضلة وسمّوا مارونيين نسبةً اليــهِ وجب ان ندفع الشبه التي اتى بها المعترضون طعناً في قداستهِ وفي اتباعهِ . وما نقصــد بذلك الا بيان وجه الحقيقة وتمحيص الصدق من البــاطل . وها نحن اولاء نشرع في ايراد اقوال المؤرخين واحداً بعد آخر بحسب ترتيب الاقدمية ملحقين كل قول بالرد عليهِ . والله الموفق الى الصواب

الفصل الاول

في رد قول سعيد بن بطريق الزاعم ان مارون الراهب كان فاسد العقيدة بقوله ان في السيد المسيح مشيئة واحدة وفعلًا واحدًا وذلك على عهد موريق ملك الروم اي في اواخر القرن السادس

ان سعيد بن بطريق كان رجلًا ملكي المذهب يتصل نسبهُ بآل فسطاط مصر انشأ كتابًا على طريقة المؤرخين بدأه من كون الدنيا وانتهى بهِ الى سنــة ٩٣١ للمسيح الموافقة لسنة ٣٢٠ للهجرة وهي السنة التي افضت فيها نوبة الخلافة الى محمد القاهر بن المعتضد وفيها رُقي المؤرخ المذكور الى رئاسة كرسي البطريركية على اسكندريّة وسمي بالوضع الرومي افتيشيوس وتأويله في العربي سعيد . وفي معرض اخبــاره عن دولة موريق ملك الروم يقول (١) : وكان في عصر موريق رجل راهب اسمهُ مارون يزعم ان لسيدنا المسيح طبيعتين ومشيئــةً واحدة وفعلًا واحدًا فافسد مقالة الناس واكثر من تبع مقالته اهل مدينة حماة وقنسرين والعواصم وجماعة من الروم فدُعي الناس التابعون لدينهِ والقائلون بمقالتــهِ مارونيين نسبة اليهِ .

(١) وذلك في ص ١٩١ من المجلد ٢ من تاريخه

فلما مات مارون بنى اهل مدينة حماة ديرًا بحماة وسمّوه دير مارون » . واتى المؤرخ المذكور لاجل اثبات مدعاه باربع بينات : الاولى هي ان كل من تبع مذهب المشيئة الواحدة او انتصر لهُ يسمَّى مارونيًّا كسرجيوس وبيروس وبطرس وبولس اساقفة قسطنطينية وقورش وبطرس من اساقفة اسكندريَّة (١) ومقدونيوس وجورجيوس ومقاريوس اساقفة انطاكية فهؤلاء المذكورون سماهم جميعًا مارونيين يريد بذلك انهم تبعوا بدعة مارون . الثانية ان هرقل الملك لما كان مارونيًّا نهض عليهِ قوّاده ووزراؤه وبطشوا بهِ . الثالثة ان انوريوس بابا رومية تبع مقالة مارون وان البابا يوحنا الذي خلفهُ حرم مارون واتباعه لتمسكهم بالطبيعتين والمشيئة الواحدة . الرابعة ان المجمع السادس الملتئم في قسطنطينية عُقد تزييفًا لبدعة مارون واتباعهِ

وبسبب اقدمية المؤرخ المشار اليهِ وكتابة تاريخه باللغة العربية الشائعة في بلاد الشرق وقع قوله موقع القبول عند الناس ونقل عنهُ كل مؤرخ بعده تصدَّى لذكر الامة المارونية من روم وافرنج وسريان . ومن جملة المقلدين جرجس بن العميد فانهُ يقول في الباب المئة والرابع والستين هكذا : كان في ايام موريق راهب يقال لهُ مارون يزعم ان للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة واقنومًا واحدًا وتبعهُ على مقالتهِ اهل حماة وقنسرين والعواصم وجماعة من الروم فسمي تابعوه مارونيين نسبة اليهِ . فلما مات بني اهل حماة ديرًا على اسمهِ وسموه دير مارون » . وبمثل ذلك قال غليلمو الفرنجي اسقف صور فانهُ ذكر في تاريخ سنة ١١٨٠ مسيحية ما يلي : ان امة من السريان القاطنين بلاد فونيقي في سفح جبل لبنان بالقرب من مدينة جبيل اصابهم الضلال وفساد العقيدة زهاء خمسمائة سنة وتمسكوا بمقالة رجل مبدع يسمى مارون وهم ينتمون اليه ويسمون مارونيين . وبهذا انفصلوا عن جماعة المؤمنين وامتازوا بامور تخصهم

فهذه الامور لو انها جرت في ايام سعيد المذكور او في بلادهِ لكانت تستوجب منا ان نقبلها ونصدقها ولكن لما كان وجود سعيد بعد موريق باكثر من ثلاثمائة سنة ولم

(١) وفي رواية : من بطاركة الاسكندرية

يسبقهُ في هذه الفترة مؤرخ تعرَّض لما ذكره اصلًا وجب ان تكون شهادته مردودة واخباره مرفوضة . ومن المعلوم ان القضايا الخبريَّة تحتمل الصدق والكذب كما يظهر من مفهوم حدها ولاسيما هذه القضية فانَّ وجه كذبها صريح . وذلك لان القضية اما ان تكون منقولة من فلان عن فلان عن فلان الخ الى من حدثت عنهُ بشرط ان يكون النقلة اثباتًا يوثق بهم فمثل هذا النقل مصدق بالاجماع . واما ان تكون منقولة من فلان عن فلان عن فلان الى ان تنتهي الى ناقل صادق مركون اليهِ . ثم ينقطع التسلسل عن الذي حدثت القضية عنهُ . وهذا تصديقه ارجح من تكذيبهِ بشهادة الثبَت المنتهي اليهِ التسلسل . واما ان تكون منقولة من فلان عن فلان عن فلان ثم ينقطع التسلسل وتتبلبل الرواة . فهذا النقل غير مصدق الَّا قليلًا . والحال ان نقل سعيد في مدّة هذه الثلاثمائة سنة خالٍ من جميع الامور المذكورة وما كان خاليًا منها فهو غير مصدق . وعليهِ فان نقل سعيد غير مصدق . فينبغي ان يحمل قولهُ على سبيل الزور والهذيان كما اقر بريسيوس الراهب الكبوشي في الحواشي العربية المزيدة على تاريخ الكردينال بارونيوس في سنة ٤٠٦ مسيحية قائلًا : لا يوجد ابدًا في تواريخ البيعة القديمة ولا في المجامع الكبار والصغار انهُ قام رجل مبتدع في عصر ما يسمى مارون . وليس من عادة اهل التواريخ ان يغفلوا امرًا مثل هذا كما انه ليس من دأب المجامع ان تسكت عن ذكره وذكر بدعتهِ وحرمهِ بل ذكرت دائمًا جميع المبتدعين فردًا فردًا . ونحن لم نجد شيئًا من ذلك لا في المجامع ولا في التواريخ . فهذا نقفور الملكي المذهب في تواريخهِ اليونانية عدَّد جميع اصحاب بدع الشرق فردًا فردًا ولكنهُ لم يأتِ بذكر مارون ولا الموارنة مطلقًا . وان قيل ان ذلك موجود في المجمع السادس من النقل العربي وفي تواريخ سعيد بن بطريق وغيره من الملكية ومن نقل عنهم قلنا ان ذلك زيادة من زياداتهم على المجامع . لان المجامع الرومية التي منها نقلت العربية ليس فيها شيء من ذلك جميعه . فظهر اذًا ان ذلك من فضول الملكية المتأخرين وتزويراتهم . انتهى كلام بريسيوس . ومن حيث ان هذا الفصل يضيق

عن ردّ جميع التهم التي اتّهمنا بها ابن بطريق افردنا لردّ كل تهمة فصلًا مخصوصاً . ولذلك نشرع الان في تمحيص خبره عن ابينا القديس مارون فنقول :

زعم سعيد ان مارون الراهب كان في عصر موريق ملك الروم وانهُ انشأ القول بالمشيئة الواحدة فلما مات دفنهُ اهلُ حماة في حماة وبنوا لهُ ديرًا هنـاك وسموهُ دير مارون . هذا قول سعيد بن بطريق ولكن الحقيقة تقتضي خلافه لان موريق المذكور خلف طيباروس في السلطنة سنة ٥٨٦ وفي اليوم السـادس عشر من ملكه وثب عليهِ فوقا فقتـلهُ وتولَّى المملكة مكانه . واما دير مارون الذي بحماة فان برقوبيوس القيصري يشهد في كتابهِ الخامس ان يُستنيان جدَّد بناءهُ قال : ان يُستنيـان جدَّد فوق حماة مارستانًا للفقراء مع اسوار دير مار مارون » . فينتج من هذا امران احدهما ان مارون المبني ديره في حماة ليس مبتدعًا لسبب اعتناء الملوك المؤمنين بهِ . الثاني ان الدير المذكور لم يُبنَ في عهد موريق بل قبله بمدة طويلة لان يُستنيـان تقدَّم موريق وملك بينهما اثنان وهما يُستين وطيباريوس . وشهادة بروقوبيوس اصدق من قول سعيد لان بروقوبيوس كان في عصر يُستنيان وقد كتب ما كتب عن خبرة ومعاينة . واذا كان يُستنيان الملك جدَّد اسوار دير مار مارون نتج عن ذلك ان بناء الدير هو اقدم منهُ بازمان كما هو ظاهر

واما سبب خراب اسواره فمذكور في الفصل السابع من الجزء الاول من هذا الكتاب

واما من جهة وفاة القديس مارون وبدء ذلك الدير الذي بناه اهل حماة فقد شرحنا امرهما شرحًا كافيًا في الفصل الثالث من الجزء الاول ايضًا . وعليهِ فان وفاته لم تكن في عصر موريق ملك الروم بل قبله بنحو مئتي سنة لان يوحنا فم الذهب الذي كان يراسله رقد بالرب سنة ٤٠٧ وتودوريطوس الذي كتب سيرته وشهد انهُ لم يدركهُ حيًّا تولىّ كرسي قورش بعـد قالسطينوس . والحال ان قالسطينوس انتُدب من الكرسي القورشيّ الى رئاسة الكرسي الروماني سنة ٤٢٣

هذا وان قداسة القديس مارون ثابتة ايضاً عند الروم كما يتبيَّن ذلك من كتبهم لانهم يذكرونهُ اولاً في سنكسارهم في اليوم الرابع عشر من شباط ويصفونهُ بكل قداسة وفضيلة . ثانياً لانهم يذكرون في العشرين منهُ وفي الثاني والعشرين سيرة القديس يعقوب من مدينة قورش وترجمة البار تلاسيوس وغيرهما ويقولون انهم تتلمذوا للانبا مارون الالهي . ثالثاً لانهُ يظهر من نصوص التواريخ البيعية انهُ لما كانت سنة ٤٥٧ جلس لاون الملك على تخت السلطنة خلفاً لمرقيان الذي عقد المجمع الرابع فارسل رسائله الى التلاميذ المذكورين والى سمعان العمودي والى بارادات الذين شاع ذكرهم في سورية وانتشر عنهم عمل العجائب الباهرة واستفهمهم عن صحة المجمع الخلقيدوني . فاجابوه كلهم مثبتين صحته وانهُ التأم بروح القدس ويستحق كل كرامة . وعليهِ فان سعيد بن بطريق قد ضلَّ ضلالاً بعيداً لان القديس مارون معروف بالقداسة في البيعة باسرها كما ان رهبان الدير الذي بُني على اسمهِ لم يحيدوا قط عن صحة الامانة . هذا ولو سلمنا لسعيد المذكور ان مارون كان في عصر موريق الملك لما صحَّ انهُ انشأ مقالة توحيد المشيئة لان الآباء الذين عقدوا المجمع السادس في سنة ٦٨٠ اثبتوا ان هذه البدعة لم تنشأ قبل التئامهم الّا بنحو ستّ واربعين سنة . اذ ان سعيداً نفسه يقول في اخباره عن خلافة عمر بن الخطاب : ان رأي الكنيسة مكث غير متفق نحواً من ستّ واربعين سنة . والحال ان موريق المذكور قُتل قبل التئام المجمع السادس المشار اليهِ بثمانمائة وسبعين سنة

واما كنيسة الموارنة فقد اوضحنا في الكتاب الاول انها ما نشأت قبل المجمع السادس بل بعده بنحو اثنتي عشرة سنة اي لما ان عاد البطريرك يوحنا الانطاكي من رومية وعصى امر يستنيان الملك الذي كان تابعاً لمذهب المشيئة الواحدة واصدر الامر الى عساكر الروم بالزحفة عليهِ فكل من اطاعهُ سمي ملكياً وكل من عصاه سُمي مارونياً اخذاً من اسم دير القديس مارون الذي فيهِ ترهَّب البطريرك واليهِ التجأ بعد عودتهِ من رومية . ولم يكن ذلك في عهد موريق الملك بل في عهد امارة موريق القائد الذي

زحف بجيوش الروم الى سورية. واما امانة البطريرك فقد وضح انها كانت مهذبة ولذلك نصبهُ الكردينال رسول الكرسي الروماني اسقفاً على البترون ليشدد اللبنانية في طاعة ام الكنائس

ولما انعقد المجمع السادس كان قد رُقي الى درجة الاسقفية. ولم يكن امرهُ مستوراً لكن شائعاً لان امتهُ كانت في قتال دائم مع جيوش معاوية بن ابي سفيان. وعندما صار الاتفاق على شروط مع الملك قسطنطين مذكورة في التوريخ المطوّلة واطمأنت الخواطر شرقاً وغرباً أمر الملك بالتئام المجمع السادس كما ذكر المؤرخون. الاّ ان سعيد بن بطريق لما قصد ان يبرئ جماعته من بدعة المشيئة الواحدة بدَّل اسم يوحنا مارون البطريرك باسم مارون الراهب واسم موريق القائد باسم موريق الملك. وبلبل التواريخ وشوَّش ترتيب الازمنة ليفوز برغيبتهِ وما كان ذلك لينيلهُ رغيبةً لان شمس الحق لا تخفى. فقد تبيَّن لك اذاً انهُ لا حقيقة لما قال بان القديس مارون كان في عصر موريق او انشأ مقالة المشيئة الواحدة (١)

الفصل الثاني

في ابطال دعوى سعيد بن بطريق الزاعم ان قورش الذي جُعل سنة ٦٣٠ بطريركا على اسكندرية كان مارونياً وان سرجيوس وبيروس اسقفي قسطنطينية ومقدونيوس ومقاريوس اسقفي انطاكية كانوا ايضاً موارنة على مقالة المشيئة الواحدة

ان سعيداً المذكور في معرض كلامهِ عن خلافة عمر بن الخطاب اخبر عن قورش بطريرك قسطنطينية (٢) هكذا: وكان قورش يقول ان لسيدنا يسوع المسيح

---

(١) راجع الدرر ايضاً ص ١٣٠ حيث اثبت عن القديس مارون انهُ يستحيل ان يكون منشئاً لبدعة المشيئة الواحدة

(٢) ويروى اسكندرية

طبيعتين ومشيئة واحدة وفعلًا واحدًا واقنومًا واحدًا. وهذه هي مقالة مارون». واخبر ايضًا عن سرجيوس بطريرك قسطنطينية ومقدونيوس بطريرك (١) انطاكية وبيروس بطريرك قسطنطينية ايضًا انهم جميعًا كانوا مارونيين. وان مرتينة الملكة لما نفت هذا الاخير قام مكانه بولس ومات ايضًا مارونيًا . واخبر سعيد المذكور ايضًا في معرض كلامهِ عن خلافة عثمان ان سرجيوس ومقاريوس اسقفي انطاكية وبطرس اسقف قسطنطينية كانوا جميعهم ايضًا موارنة . والحال ان كلمتي مارونيتس ومونوتوليتس نعم انهما متشابهتان (٢) ولكن بينهما فرقًا بيّنًا . لان معنى مارونيتس التابع لمارون ومونوتوليتس التابع لمذهب المشيئة الواحدة فمعناهما اذًا مختلف.

واذ قد عرفت ذلك نقول : ان كلام ابن بطريق عن هؤلاء انهم كانوا على مقالة مارون وهم محض لان لفظة مارونيتس لا يُفهم بها التابع لمقالة المشيئة الواحدة الّا ان يكون مارون تابعًا لهذه المقالة وهو خطأ . لاننا قد اثبتنا في الفصل المتقدم ان مارون الذي دُفن في حماة والذي بنى اهل حماة الدير على اسمهِ لم يكن رجلًا مبتدعًا بل هو رجل بارّ مستقيمة ديانته. ثانيًا ان قوله بانهم كانوا مارونيين لا صحة لهُ لان ذلك غير معروف عنهم وليس لهُ من أثر في قصص البيعة وفي مصاحف المجامع وفي الرسائل المجمعية لا عند الروم ولا الافرنج ولا القبط ولا باقي الطوائف باسرها التي تقدمت ابن بطريق في التواريخ والاخبار. مع انهم لو ذكروا شيئًا من ذلك لكانوا اصدق من سعيد لتقدم زمانهم على زمانهِ. وعليهِ فان تسميتهُ لهؤلاء مارونيين هو تجنٍّ محض لا حقيقة لهُ. انظر الى التئام المجمع السادس لما حقق الآباء الاطهار عن المبتدع الاول لهذه البدعة ودققوا عمَّن اشاعها وانتصر لها فانهم امروا باحضار رسائلهم وقوانينهم واعتقاداتهم وتصانيفهم المحرقة . وكان الامين على خزانة كتب الكرسي القسطنطيني رجلًا شمَّاسًا يسمى جيورجيوس فاحضر اليهم اولًا رسائل تاودوروس الفاراني وقورش الاسكندري وسرجيوس القسطنطيني وجميع مصنفاتهم في امر المشيئة الواحدة

(١) وفي نسخة : اسقف (٢) وفي نسخة هذه الزيادة : في اليوناني

فرأوهم ينتسبون الى لفظة مونوتوليتس وقد عرفت معناها . فأمر الآباء حينئذٍ بان ترفع صورهم واسماؤهم من البيعة . ثم اتوا برسائل بيروس وبولس وبطرس فرأوها مخالفة لصحة الامانة ولذلك حرموهم جميعاً . ثم اوعزوا الى جيورجيوس الامين بالفحص عما كتبهُ توماس ويوحنا وقسطنطين الذين تولوا رئاسة المدينة بعد المذكورين وحلّفوه الايمان القويّة بالّا يكتم عنهم شيئاً مما يظهر لهُ . فافرغ المذكور جهده في البحث عن رسالة لهم تتضمن القول بالمشئة الواحدة فلم يجد لهم شيئاً منافياً الامانة فقبلهم المجمع ولم يأذن في حرمهم . واخذ الآباء بعد ذلك يفحصون كتاب صفرونيوس اسقف اورشليم الذي أَلّفهُ في الايمان فاثبتوه اذ لم يجدوا فيهِ شيئاً منكرًا . ثم امروا باحضار نسخ المجامع وقراءتها علناً فلما بلغوا الى المجمع الخامس عثروا برسالة باسم مِنّا بطريرك قسطنطينية منفذة الى ويجيليوس بابا رومية ورأوا ايضاً رسالتين اخريين من ويجيليوس المذكور الى يُستنيان الملك وزوجته تاودورة ووجدوا كلًّا من هذه الرسائل منافياً للايمان الصحيح فانكروا ذلك واستدعوا الامين المشار اليهِ وحلفوه الايمان المعظمة ان يفيدهم الافادة الصحيحة عن ذلك . فاقسم لهم انهُ لم يزد عليها ولا انقص منها شيئاً . وبعد الاستقصاء البليغ توصلوا الى معرفة ناسخها وواضعها في المكتبة والذي كُتبت بحضوره والذي نقلها الى اللاتيني ثم الى اليوناني فامروا حينئذٍ بحريقها وحرم الذي زوّرها

ثم ان الاباء بالغوا في تفتيش الكتب والميامر والكراريس والرسائل ولم يهملوا شيئاً لا كبيرًا ولا صغيرًا مما يتعلق بامر المشيئة الواحدة . كما انهم بحثوا بحثاً عنيفاً عن المبتدعين لهذه المقالة والتابعين لها والتابعين لتابعيها والمتنصرين لها سواء كانوا رؤساء كهنة ام كهنة ام شمامسة ام رهباناً ام عالميين كما هو مذكور في الجلسة الثانية عشرة والثالثة عشرة . وبعد هذا التدقيق والتحقيق لم يجدوا لمارون عيناً ولا اثرًا ولا كتاباً مضادًا ولا رسالة ولا قانوناً ولا ميمرًا ولا شيئاً آخر مما يخالف صحة الامانة . فاذا كان مثل هؤلاء الآباء الممدوحين الذين افرغوا الوسع باستقراء وتتبع ارباب هذه

المقولة ومن احتج عنها بوجه ما فهل يمكن ان يصدق عنهم انهم اغفلوا ذكر المبتدع الاصلي مع ان جل القصد من اجتماعهم انما هو البحث عن منشئها الاصلي كما يتبين ذلك من سؤال قصّاد الكرسي الروماني ومن جواب مقاريوس الانطاكي واتباعه على ما هو مدوّن في فاتحة الجلسة الاولى · ويظهر من نهاية المجمع عند حرمهم للمخالفين ان منشئ هذه البدعة هو سرجيوس اسقف قسطنطينية · وكذلك قالوا في الجلسة الثالثة عشرة ان سرجيوس المذكور ابتدع هذه المقالة الشنيعة وادخل هذا التجديف في الكنيسة الكاثوليكية · واما الروم فذهبوا الى ان قورش اسقف اسكندريّة هو الذي اتى بهذا التجديف اولاً واستدلوا على ذلك بما ورد في المجمع السادس من النقل العربي حيث قيل : وكان سبب التئام هذا المجمع رجل يسمى قورش كان اسقفاً على اسكندريّة في عهد هرقل الملك · وكان المذكور مصري الاصل · فعرض ان التقى بهِ راهب يسمى صفرونيوس في بلاد مصر وكان قورش يكره خطابه رأساً ولكن الضرورة ألجأتهُ الى ان يجادلهُ في امور الامانة · فافحمهُ الراهب المذكور وافسد قياساته ونقض عليهِ نتائجها واظهره مخالفاً مبتدعاً · ولكن قورش المذكور لم ينفك عن مقالته وألّف اقوالاً مخالفة وانفذ رسائله لكي يستميل الناس الى رأيه · وادّعى ان في المسيح عملاً واحداً الهيّاً وانسانيّاً واستشهد على ذلك بكتاب ديونيسيوس · ولما انتهى ذلك الى الراهب صفرونيوس المذكور الذي صار اخيراً اسقفاً على اورشليم انكر عليهِ زعمه وبيّن مخالفته لرأي الكنيسة الجامعة · لان العمل الواحد يدل على وجود طبيعة واحدة اذ ليس من طبيعةٍ الّا ولها عمل مخصوص بها · واتبع رأي الروم الاوائل جماعة الملكية عند ما ترجموا الى العربي رسالة يوحنا البابا المنفذة الى قسطنطين وهرقل الملكين بقولهم : كان رجل اسمه قورش احدث مقالة فاسدة لم يعرفها آباؤنا الماضون وجعل للمسيح مشيئة واحدة

واما مرتينوس البابا فانهُ قد احسن التدقيق في المجمع اللاتراني عمن ابدع رأي المشيئة الواحدة اولاً فظهر ان منشئها الاصلي هو تاودوروس الفاراني بدليل انهُ

راسل قورش حينما كان اسقفاً على باسندوس سنة ٦٢٥ ليستفهمهُ عمًّا اذا كان في المسيح مشيئة واحدة ام مشيئتان وعمل واحد ام عملان . ويستدل على صدق هذا الرأي من رسالتهِ التي انفذها الى سرجيوس اسقف الرشانة وهي مدونة في الجلسة الثالثة عشرة من المجمع السادس . ولذلك لما حرم الاباء هؤلاء المبتدعين كان اول من وقع الحرم عليهِ تاودوروس كذا في الجلسة السادسة عشرة والثامنة عشرة . وفيهِ نظر لان المشهور عن تاودوروس الفاراني انهُ كان يعتقد بالطبيعة الواحدة لسابق زعمه ان جسد المسيح كان خيالاً وعليهِ فان اعتقاده بالمشيئة الواحدة مسبب عن فساد هذا الرأي فهو لاحق اذًا بالامة اليعقوبية القائلة بالطبيعة والمشيئة . وبهذه العلاقة التي هي بينهما كانا يطعنان في القائلين بالطبيعتين والمشيئتين . واما قورش فكان يعتقد باثنينية الطبيعة ووحدة المشيئة . وزعم انهُ لو كان ذا مشيئتين لوقع فيهِ التضاد والكثرة بخلاف ما اذا كان ذا مشيئة واحدة فلا خوف من ذلك لان المشيئة الواحدة تستلزم وحدة الاقنوم . وعليهِ فبينهُ وبين تاودوروس الفاراني عموم وخصوص من جهة لانهما يتحدان في المشيئة ويفترقان في الطبيعة وهذا وجه النظر

واما الامة اليعقوبية والنسطوريّة واتباع ابوليناريوس وتاودوروس الفاراني فلكل منهم بدعة منفردة . لان اليعاقبة هم اصحاب الطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة . والنسطوريّة يزعمون ان الطبيعتين اتحدتا بالمحبة . وابوليناريوس انكر العقل والروح وتاودروس زعم بان جسد الرب خيال . وكان قورش يدافع عن مقالتهِ في كل مصر ولما تولى كرسي اسكندريّة صرَّح بعقيدته تلك في المجمع الذي عقده سنة ٦٣٣ واما الآباء الملتئمون في المجمع السادس فانهم يذمُّون مقالته ويطعنون في سرجيوس اسقف قسطنطينية الذي كان يعقوبي الاصل ثم عضد قورش وحركه على التمسك بمقالته في وحدة المشيئة وكاتب انوريوس اسقف رومية ليستميلهُ اليها . وفي سنة ٣٩ بعد الستمائة عقد مجمعاً في قسطنطينية لاجل اثباتها وزيَّن لهرقل الملك حتى ابرز ذلك المنشور الفاسد الذي أَلَّفهُ باسمه وأَمر ان يُعلَّق على حائط الكنيسة ليعتقده

كل من رآه وارسل صورته الى اسحق عامل هرقل في بلاد ايطـاليه ليعرضهُ على سيبارينا البابا لكي يثبتهُ و ينادي بصحته· ولما امتنع البابا عن اثباته هجم عليهِ الشرط واماتوه مهانًا وسلبوا خزائن الكنيسة وارسلوا كرادلته واهل ديوانه الى المنفى · ولم يزل سرجيوس وخلفاؤه في البطريركية مصرّين على رأي المشيئـة الواحدة الى حين التئام المجمع السادس· ولما نظر الآباء فيـهِ الى شدة كفر سرجيوس وسوء معتقدهِ الذي ابتـدعهُ تاودوروس الفاراني اولاً وناظر فيـهِ قورش الاسكندري اخيرًا رشقوه بالحرم

وهكذا لما تولى البابا مرتينوس رئاسة الكرسي الروماني أمر بالتئام الآباء فبحثوا عن هذه البدعة وعن مبتدعها وحرموا هؤلاء الثـلاثة المذكورين مع المنشور الذي انتشر باسم هرقل الملك · وكذلك الاباء المائة والخمسة وعشرون الذين جمعهم البابا اغاتون فانهم يثبتون برسالتهم التي انفـذوها الى المجمع السادس ان تاودوروس الفاراني وقورش الاسكندري وسرجيوس القسطنطيني احدثوا في البيعة هذا التعليم الفاسد · وهكذا يقول ايضًا اغاتون المذكور في رسالتهِ الى قسطنطين وهرقل وطيباريوس ملوك الروم وقد وردت اسماء هؤلاء الثلاثة في جملة اماكن من المجمع السادس · وفي نهاية المجمع المذكور جدَّدوا حرم هؤلاء الثلاثة وكتبوا في جوابهم لاغاتون البابا عنهم وعن منشور الملك المذكور بانهم محرومون ايضًا · وهكذا الرسالة التي انفـذها لاون البابا الى قسطنطين المشار اليهِ يثبت فيها ذلك المجمع ويحرم مبتـدعي هذا التعليم الحديث · ولما التأم المجمع السابع المسكوني دوَّن الرسالة التي حرَّرها طراسيوس اسقف قسطنطينية وانفذها الى رؤساء الكهنة والكهنة الذين في انطاكيـة واسكندرية واورشليم وكذلك صورة الاقرار بالايمـان التي كتبها تاودوروس اسقف اورشليم · فان هذين الاسقفين يلعنان في مقالتَيهما المذكورتين مقالة هؤلاء الثلاثة ويسمونها بالجفنة الصادومية والنبتة العمورية التي انبتت عنقود المرارة · وصورة المجمع السادس المنقولة من الرومي الى العربي وتوجد في كنائس دمشق وطرابلس وحلب

وغيرها عند الملكية يُذكر في نهايتها ان هؤلاء الآباء حرموا ولعنوا سرجيوس وبيروس وبولس وبطرس اساقفة قسطنطينية وقورش الاسكندري الذي جعلهُ هرقل الملك بطريركاً وتاودروس اسقف فاران

والنتيجة ان هؤلاء الملحدين المذكورين تُعقب اسمائهم باللعنة والحرم في كل موضع جرى فيهِ ذكرهم في مجمع او رسالة او سنكسار او تاريخ . اما مارون فلم يجرِ لهُ معهم ذكر مطلقاً . ومن هنا نتحقق ان زعم سعيد بن بطريق في ان مارون انشأ هذه المقالة وان سرجيوس وقورش ونظراءهما تبعوه على بدعتهِ هو زور محض بل هو مضاد ايضاً لتسليم البيعة الجامعة ونص مجامعها المقدسة

الفصل الثالث

في رد قول ابن بطريق الزاعم ان هرقل الملك كان مارونياً ولذلك وثب عليهِ قواده وقتلوه سنة ٦٤١

ان سعيداً المذكور لما زعم ان البطاركة الذين تقدم ذكرهم كانوا موارنة فاكمالاً لكذبه زعم ان هرقل كان ايضاً مارونياً قال : انهُ في السنة التاسعة من ملك هرقل خرج من مدينة قسطنطينية متوجهاً نحو بيت المقدس ليتفقد الاماكن التي هدمها ملوك الفرس فلما جاء حمص امتنع اهلها من قبولهِ وقالوا لهُ انت ماروني مخالف لديننا وكانوا ملكية . فتركهم وذهب عنهم الى دير مارون ووقف لهُ قرًى كثيرة وضياعاً . وبمثل هذا اخبرت تواريخ المجامع التي عند الملكية وهذه حرفيتها : كان ابتداء الهجرة في اول سنة من ملك هرقل وكان مارونيًا فاتفق لهُ انهُ مرَّ في مدينة حمص فلم تفتح لهُ ابوابها وقالوا لهُ : اما من حيث الطاعة فنحن نؤدي لك ما يحق للملوك على رعاياهم واما من حيث فتح المدينة فليس بمسموح لك فيهِ لانك ماروني تعتقد المشيئة الواحدة . فلما سمع ذلك منهم ولَّى عنهم مغضباً ولم ينتقم منهم خوفاً من ان يتهمهُ جنده بسوء . وبمثل ذلك قال جرجس بن العميد وهذا نص كلامه : ان هرقل

الملك عند مروره بجماة دخل دير مارون وصلّى فيهِ وانعم بمال جزيل لبنائه لانهُ كان مارونياً . الا ان هذا القول معتلّ من وجوه شتى . اولاً ان قول سعيد عن هرقل انهُ بعد رجوعه من فارس قدم الى حمص مجتازًا باورشليم فيـهِ تناقض . وذلك ان بدء ملك هرقل كان في السنة العاشرة بعد الستمائة فينتج منه ان قدومه الى حمص كان في السنة التاسعة عشرة بعد الستمائة ضرورةً . والمعروف من التواريخ الصادقة ان هرقل الملك لم يكن دخل في السنة المذكورة بلاد فارس . وكذلك البحث عن المشيئة والمشيئتين لم يكن نشأ في العالم ولا تمسك بهِ ملك ولا بطريرك . ثانيًا ان قول سعيد عن اهل حمص انهم لم يفتحوا لملكهم ابواب المدينة زعم مردود اذ لا يتصور عقل ان مدينة صغيرة قليلة السكان تستطيع ان تعصي ملكًا مثل هذا شديد القوة غزير الجيش والرجال غزا بلاد فارس وافتتح قلاعها وعفى معالمها واخذ من كسرى مَلكها مباءة مُلكها قهرًا وطاولهُ في الحرب سبع سنين متوالية وجاوله فيها بعزَمات متتالية الى ان استنقذ منهُ الصليب المكرم وعاد عنهُ مرفوع الرأس والعلَم . ثم زحف على بلاد الشام بجيوشه الكثيرة ليستنقذها من ايدي المسلمين فتستتبّ الراحة فيها للمؤمنين . فكيف يُسلّم اذًا ذو عقل سخيف فضلًا عن عاقل حصيف ان مثل هذه المدينة الحقيرة تقاوم ملكًا هذه صفتهُ وكيف لا تقابلهُ بالكرامة والبشاشة وقد رجع ظافرًا منصورًا وهي التي قبلتهُ فيما بعد اي عندما ولّى من حرب العرب خائفًا مذعورًا كما اخبر سعيد نفسهُ عن ذلك في كلامه عن خلافة عمر بن الخطاب . واما قولهُ انهُ عدل عن الانتقام من اهل حمص خشية من ان يظن الجند بهِ سوءًا فهو زعم مرفوض لان من يُقدم نفسهُ فداءً عن سلطانه وما لكهِ لا يحتمل ان يكفر نعمته لينتصر للمتمرّدين عليهِ . ثالثًا ان قول سعيد بن بطريق عن اهالي حمص بانهم منعوا هرقل عن الدخول الى مدينتهم بحجة انهُ كان مارونيًا لقوله بالمشيئة الواحدة منقوض بقولهِ ان بطاركة جميع الكراسي في ذلك الوقت كانت على زعمهِ تابعة لهذه المقالة . وقال ايضًا ان هرقل لما دخل اورشليم خرج الناس الى لقائهِ بالمجامر والمصابيح مع

رهبان السيق وجبل الجليل ومودستوس البطريرك بغاية الأكرام . فيا ليت شعري من كان نذيرًا لحمص في ذلك الزمان حتى اتقدت بمثل هذه الامانة والحرارة وصارت تقاوم الملوك وتمنع من الدخول سلطانًا قادمًا لاستنقاذها من اعدائها . رابعًا يقول سعيد ان هرقل ترك حمص وذهب الى دير مارون واقطعهُ ضياعاً وقوّى امره . فكلامه يشعر بانهُ لما لم يقبلهُ اهل الايمان والنور انحاز الى ذوي البدع والضلال . وذلك زعم لا يُعبأ بهِ لان الدير المذكور لم يُشيّد على اسم رجل مبتدع بل على اسم رجل قديس . وهو مارون الذي انتشر عرف قداستهِ في ارجاء الارض كلها وحاشا لرهبانهِ ان يكونوا ممن مال عن استقامة الديانة وعدل عن النهج القويم بل انهم متمسكون بعرى الايمان المهذب . وما استجاز الملك النزول عندهم الا لمعرفتهِ بامانتهم الوثيقة وحسن ضيافتهم ولان ديرهم مبني على قارعة الطريق مما يلي الجهة الغربية قائماً بين أَلبية والرستن . واما قوله بانهُ اقطعهُ ضياعاً وقوّى امره فهو قول حسود لانهم كانوا اغنياء عن مثل هذه الهبات غير محتاجين اليها اذ ان رئيسهم في ذلك الوقت كان متوليًا جميع الديارات التي بنواحيهم

خامسًا ان سعيدًا اشار بقوله ان اهل حمص لم يقبلوا هرقل لانهُ ماروني الى ان الامة المارونية تابعة لمارون المبتدع وعنى بالامة الملكية التابعين لموريق ملك الروم ومرقيان الملك الذي عقد المجمع الرابع وهذا وهم منهُ وكلامهُ عن الامتين كاذب . وبيان ذلك ان زعمهُ ان هرقل كان مارونيًا يلزم عنهُ ان كل ماروني هو تابع لمقالة مارون المبتدع . وعليهِ فان هرقل تابع لمقالة مارون المبتدع فالنتيجة فاسدة من مقدمات سبق عليك بيانها لعدم وجود مارون مبتدع . ومتى فسدت النتيجة فسدت مقدماتها ضرورة . وقوله ان الملكية هم التابعون لموريق الملك الكاثوليكي قضية فاسدة لصدق نقيضتها اي ان الملكية هم التابعون لموريق قائد الجيش . واثبات ذلك ان موريق المذكور مع مرقيان قرينهِ كانا قائدي عسكر يُستنيان الاخرم . واما موريق ومرقيان اللذان اشار اليهما ابن البطريق فكانا ملكين مستقيمي الايمان وبين القائدين والملكين

مدة مئة وثلاثين سنة . اما الملكان فما رأينا احدًا نُسب اليهما لا من الروم ولا من الرومانيين . واما القائدان فحين غزوا طرابلس وتحوها بامر يُستنيان الاخرم الضال سُمي من تبعهما وتمسك برأي ملكهما ملكيًا كما اوضحنا ذلك في الجزء الاول من تاريخنا هذا (١) . ولما قتل القائدان المذكوران دُفن احدهما وهو موريق في قرية اميون والآخر وهو مرقيان في قرية شويتة من بلاد عكار . وكانا على رأي الملك المذكور التابع لرأي المشيئة الواحدة . والملكية الى الان يعيدون لهما باحتفال . وعليهِ فان عدول سعيد بن بطريق عن الاخبار بالصدق هو لكي ينسب الى مارون البدعة التي كانت لجماعتهِ وجعل جماعتهُ منتسبة الى موريق ومرقيان الملكين بدلاً من موريق ومرقيان القائدين

ثم قال سعيد المذكور في اثناء اخباره عن هرقل الملك انهُ بعد ما ذهب الى دمشق وايالة بلاد الشام ومهَّد امورها شخص الى بيت المقدس فخرج اليهود للقائه الى طبرية من كل ناحية وقدَّموا لهُ الهدايا وسألوهُ الامان فأمَّنهم واقسم لهم انهُ لا يؤذيهم ولما انتهى الى المدينة خفَّ لملاقاته رؤساء الكهنة والكهنة والرهبان بالصلبان والشمع ومجامر البخور واخبروه بما فعل بهم اليهود من القتل وتخريب الكنائس لما استنجد بهم ملك الفرس . فامتنع الملك عن اذيتهم بسبب الامان الذي اعطاهم واليمين التي حلفها لهم . فاشار عليهِ النصارى ان يضربهم بالسيف واخذوا على نفوسهم لائمة الذنب ووعدوا انهم يصومون كل عام اسبوعًا مدة دوام النصرانية تكفيرًا عن ذلك . وهو اسبوع الجبن الذي يتقدم صوم الخمسين ويُعرف بصوم هرقل وقضوا باللعن والحرم على كل من يبدّل هذه السنَّة . وقال بعد ذلك انهم بعد موت هرقل ابطلوا الصوم المشار اليهِ وعادوا الى القانون الذي وضعهُ نقفور اسقف قسطنطينية . ويقول ان ذلك القانون يحرم من يصوم لهرقل الملك الماروني اعاذنا الله من فعلهم الردي . لانهُ لا يسوغ الصوم لانسان مخلوق ولاسيما لان هذا الملك غادر للحياة وهو ماروني . ويقول

(١) راجع الحاشية في ص ٨٣ من الجزء الاول

ايضًا في معرض اخبارهِ عن خلافة عثمان بن عفَّان ان قوَّاد هرقل ووزراءهُ وثبوا عليهِ وقتلوه لانهُ كان مارونيًا وخرجت مصر والشام من ايديهم

الَّا ان زعم سعيد يوجب اولاً اللعنة على اهل طائفتـه لانهم خالفوا مراسيم رؤسائهم وآبائهم السالفين واثبتوا الحرم واللعنة (بموجب قوله) على كل من لا يصوم اسبوع هرقل . ثانيًا يوجب الطعن في مودستوس اسقف بيت المقدس وجميع رؤساء الكهنة ورهبان السيق وينسب اليهم ضعف العقيدة والمكر والمداهنة لانهم خرجوا للقاء هرقل وهو ماروني . هذا عدا انهم قبلوا ان ينكث بيمينهِ وتعهدوا لهُ بصوم الاسبوع المذكور . ثالثًا ان هذا الاسبوع لم يصمهُ الَّا الروم والاقباط لا غير وقد كانت الامة المارونية منهم اولاً حسب زعم المؤرخ من قبيـل ان الذي تصام لاجله كان مارونيًا (١)

ولكنَّ الرواية الصحيحة التي عليها المعوَّل هي ان البحث عن امر المشيئة الواحدة لم يكن منشأُه الا بعد رجوع هرقل من بيت المقـدس . وتحرير ذلك هو انهُ في السنة الستمائة والتاسعة والعشرين وهي السنـة العشرون من ملك هرقل المذكور عند رجوعهِ من مدينة الرها تُوفي غريغوريوس اسقف انطـاكية . وفي اثناء ذلك حضر اثنـاسيوس اليعقوبي الى الملك وجرت بينهما محادثة طويلة وعده الملك في خلالها ببطريركية انطاكية على شرط ان يقرَّ بصحة المجمع الرابع الملتئم في خلقيدونية فاجابهُ اثناسيوس انهُ يقرّ ان في الرب طبيعتين ولكنهُ لموضع خبثـهِ استفهمهُ عما اذا كان في الرب مشيئة او مشيئتان . فجعلـهُ الملك بطريركًا لما رأى من اقراره بالطبيعتين وارجأَ الجواب عن مسئلة المشيئة والمشيئتين الى وقت آخر . ولم تمضِ مدة

---

(١) وفي نسخة اخرى : واما الموارنة والسريان فيصومون صوم نينوى الذي يتقدم الصوم الكبير بثلاثة اسابيع فلا يكون هرقل للملك مارونيًا على الصحيح كما وهم سعيـد . فغار لهُ الموارنة وما زالوا من ذلك العصر الى يومنا هذا يصومون لهُ » . الا ان هذه الرواية مشوَّشة

من الزمان حتى اجتمع الملك بقورش اسقف باسندس و بسرجيوس اسقف قسطنطينية واستفهمهما عما سألهُ اثناسيوس في امر المشيئة والمشيئتين فاجاباه ان المسيح ذو مشيئة واحدة لا غير واثبتا لهُ ذلك بكونهِ ذا اقنوم واحد لان تعدُّد المشيئآت يُفسد جوهر التوحيد . فاذعن الملك لمقالتهما واقام قورش اسقفًا على اسكندريَّة واذن لسرجيوس ان يظهر المنشور الذي كان كتبهُ باسمهِ في اثبات المشيئة ورذل المشيئتين ويعلّقهُ على حائط الكنيسة آمرًا الشعب بتعلمهِ . ولكن الملك لما تحقق اخيرًا بطلان مذهب المشيئة الواحدة ورآه مرذولاً في نواحي اوربة وافريقية عدل عنه وامر عاجلًا بنزع ذلك عن حائط الكنيسة وابرز منشورًا آخر ضدَّه يثبت فيهِ الرأي الحقّ كما شهد القديس مكسيموس المعترف بقوله : ان هرقل الملك كتب في منشوره يقول : ان ذلك القرطاس لم يصدر عني ولا كان تأليفهُ وتسويده مني ولكنهُ من تأليف سرجيوس البطريرك . فهو الذي أَلَّفهُ قبل ان ارجع من بلاد الشرق بخمس سنين . ولما عدت الى هذه المدينة السعيدة طلب مني ان يكون منشوره باسمي ومصدّرًا بخطي ففعلت ذلك اكرامًا لخاطره . والآن اذ قد بلغني ان بعض الناس ينكرون عليهِ هذا المذهب احتجت ان ابيّن لكل امرء ان ذلك لم يكن بتدبيري . وهذه هي الرواية الصحيحة المنقولة عن حجّة المؤرخين مكسيموس المعترف

فاي القولين بعد هذا اولى بالصدق أزعم ابن بطريق الذي جعل نفسه عرضة للمعترضين ام قول هذا القديس الذي نشأ في قسطنطينية في عهد هرقل وبسبب مدافعتهِ عن رأي المشيئتين جرَّهُ اهل قسطنطينية عريانًا وقطعوا يده اليمنى ولسانهُ وتمّ استشهاده متوفيًا في المنفى من بعد موت هرقل بستّ عشرة سنة . وهذا الذي قلناهُ قد جرى البحث عنهُ في عهد قونسطا الملك حين جرى ذكر مكسيموس المذكور واثبتوا في سجلاتهم بان هرقل الملك نقض منشوره الاول وكتب آخر ضده وارسلهُ الى يوحنا بابا رومية . وبناء على ذلك فان زعم سعيد باطل واخباره عن هرقل انهُ مات من ايدي قوّاده ووزرائه لماروني‌ته كذب . والراجح ان هرقل مات

بداء الاستسقاء وكان يقول بالمشيئتين وقد نقض المنشور باختيـاره وأمر بحريقه وكتب آخر ضده وعلّقهُ على مشارف البيعة وارسل صورته الى بابا رومية . فترى لو كان اقام على رأيهِ الاول فمن كان يقدر ان يصدَّهُ عنـهُ ولاسيا في ذلك العصر الذي كان فيهِ بيروس بطريركاً على قسطنطينية وكان اكثر الشعب ورؤساء الكهنة تابعين لمقالة المشيئة الواحدة

ولم نجد احدًا حرم هرقل المذكور اصلًا لا في حياتهِ ولا في مماتهِ وانعقد بعدهُ مجامع كثيرة مسكونية وبلدية وارسل اصحاب الكرسي الروماني وغيره مناشير مجمعية وطعنوا باللعنة المنشور الذي كان مكتوبًا باسمهِ . واما هو فلم يحرمهُ احد اصلًا ولا رُفع اسمه من بين اسماء الملوك المستقيمي الامانة عند ذكرهم في البيعة المقدسة . واما الروم دون غيرهم فقد كرَّموه في حياتهِ وما زالوا يمدحونهُ بعـد مماتهِ كما يظهر من الميمر الذي يقرأونهُ كل عام في الاحد الاول من الصوم . فيحرمون فيهِ ذوي البدع والانشقاقات ويمدحون اصحاب الايمـان المستقيم ويأتون بذكره بين قسطنطين الكبير صاحب المجمع الاول وبين قسطنطين الحياني صاحب المجمع السادس قائلين : « قسطنطين وهرقل وقسطنطين » فيجاوب كل الشعب قائلًا : ليكن تذكارهم مؤبدًا . فكيف يصح اذًا زعم سعيد بانهُ كان مارونيًا ولذلك وثب عليهِ قوَّاده وقتلوه . وبناء عليهِ فان قول سعيد انهُ كان مارونيًا وانهُ مات على رأي المشيئة الواحدة باطل . ولم يقل ذلك الّا بقصـد ان يثبت ان مارون كان معاصرًا لموريق الملك وانهُ ابدع القول بالمشيئة الواحدة

الفصل الرابع

في رد قول سعيد بن بطريق الزاعم ان انوريوس بابا رومية كان مارونياً وان يوحنا خليفته على الكرسي اعتذر منهُ ولعن مارون واتباعه سنة ٦٤٠

اعلم ان سعيدًا المذكور يقول في الفصل الذي عقده عن خلافة عمر بن الخطاب

ان انوريوس بابا رومية خالف رأي صفرونيوس (١) ووافق قورش وسرجيوس . ويقول في كلامهِ عن خلافة عثمان ان انوريوس بابا رومية مات وهو يقول بمقالة مارون . وقصد بهذا الزعم ان يثبت ما تجنى بهِ اولاً على مارون ويؤيد انهُ هو الذي ابدع القول بالمشيئة الواحدة فلذلك قال ان انوريوس وافق قورش الاسكندري وسرجيوس القسطنطيني وقال بمقالة مارون . وفي هذا القول نظر . اما من جهة انوريوس فقد اتهمهُ كثيرمن الناس بمذهب المشيئة الواحدة لما كتب قائلًا : « لانقول مشيئتان ولا مشيئة واحدة » لانهُ رأى ان هذه المقالة توافق القائلين بالطبيعة الواحدة ولاجل ذلك حرمهُ الآباء الاطهار في المجمع السادس . وقد انتصر لانوريوس كثيرون مثل مكسيموس وغيره ونفوا عنهُ ما نسب اليهِ واوردوا في حقهِ حججاً مقنعة قائلين : ان البابا يوحنا الذي خلفه يمدحه ويشهد لهُ بقوله ان سرجيوس اسقف قسطنطينية حين كتب الى انوريوس في امر التمسك بالمشيئة الواحدة نفر انوريوس من ذلك وانكره قائلًا : ان هذا الزعم يخالف رأي البيعة بالاجماع . ولكن لما راسله سرجيوس اخيرًا يحتج عليهِ بقول اناس يزعمون ان في المسيح مشيئتين متضادتين في الخير والشرّ كما في سائر الناس حسب قول الرسول : ان الجسد يهوى ما يضرّ بالروح والروح بالجسد أجابهُ حينئذٍ انوريوس قائلًا : انه في تدبير جسد المسيح اي ناسوته لم يكن لهُ مشيئتان متضادتان ولم تكن مشيئة جسده تضاد مشيئة عقله . وقوله هذا لا يُنسب الى ما يختص بالطبيعتين الالهية والانسانية بل الى ما يختص بالطبيعة الانسانية فقط » . واما حرم المجمع لهُ واحصاؤه مع المخالفين فهو صادق ولكن الذين يحتجون عنهُ يثبتون براءته بقولهم ان تاودوروس الذي صار اسقفًا على قسطنطينية افسد كتاب المجمع

(١) ان صفرونيوس اسقف اورشليم وهو الذي مرّ خبره في ص ٣٠٠ من هذا الكتاب كان مارونيًّا نشأ في قرية بشرّاي من جبل لبنان كما شهد بذلك مهوراتيوس في كتاب تراجم القديسين بقوله : اليوم الحادي عشر من آذار وفيهِ ذكر ابينا البار صفرونيوس اسقف اورشليم . هذا القديس نشأ من مدينة بشرّاي في جبل لبنان

خفيةً ورفع اسمه من بين اسماء بطاركة قسطنطينيــة المخالفين وذكر مكانه اسم انوريوس. وصورة الذي كان مكتوباً آنفاً هي هكذا (١) انهُ في سنة ٦٦٦ أُقيم تاودورس بطريركاً على قسطنطينية وفي السنة الثانية عشرة من رئاستهِ حطّهُ قسطنطين الملك عن كرسيهِ لتمسكه بالمشيئة الواحدة لانه أمر ان يُنزع اسم البابا ويطليانُس من غير اذن الملك. فحنق الملك عليهِ وأمر بخلعهِ وجعل في موضعــهِ جيورجيوس الذي كان في عصر الجمع السادس ثم توفي في السنة الثانيــة من بعد الجمع. فانتهز تاودوروس حينئذٍ هذه الفرصة ولاطف الملك في شأنهِ حتى اعاده الى كرسيهِ. وكان قصَّاد البابا مقيمين اذ ذاك في قسطنطينية. ولما عاد تاودوروس الى كرسيه اخذ يسأل الملك ويلتمس منهُ في ان يرفع اسمه من بين المحرومين فاذن لهُ في ذلك وادخل مكانه اسم انوريوس. والدليل على صحة هذا القول ان تاودوروس لا ذكر لهُ بين البطاركة المحرومين ولا المقبولين

هذا وان يوحنا البابا الذي خلف انوريوس انتصر لهُ في رسالتهِ التي انفــذها الى قسطنطين وهرقل الملكـين يبرئهُ فيها من مقالة المشيئة الواحدة. ونحن نذكر لك هذه الرسالة ههنا برمتها لتطلع منها على تزوير سعيد بن بطريق وتهمته لمارون وللامة المارونية وذلك على موجب ما ذكرها هو في تاريخهِ عند اخباره عن خلافة عثمان بن عفَّان وهي:

من يوحنــا البابا بطريرك روميــة الى هرقل وقسطنطين الملكين والاخوين المؤتمنين على كنيســة المسيح. اولاً: ان الاله الحق الذي اشرق نوره في الظلمات وخلصنا من سلطان الظلمة بنوره المعجب نور الحق الذي لا يشوبهُ ظلام الذي بدم صليبــهِ اصلح ما بين السماء والارض الذي لا يزال ناظراً ومراقباً كل حين في وجه كنيستهِ هو الذي أنعم عليكما ايها الملكان ان تدعوا احسن الدعوات واشرفها في كنيستهِ وان تؤمنا اكمل الايمان واقربه منهُ لتفهما ما حدث ههنا من الامر الذي

(١) وفي رواية: وكان ذلك على هذه الصفة

لا بد من صفته لينظر فيهِ اولو العدل والنظر فيعود الحق حينئذٍ غالبًا كما كان . ثانيًا : قد بلغني ما هم عليهِ اهل المغرب من الخلف والشكوك وانتهى ذلك اليَّ بكتاب اخينا بيروس اسقف قسطنطينية وغيره ايضًا . ولا بد من شرح هذا الامر ليحسن الوقوف على مجموعهِ . ثالثًا : انهُ منذ ثماني عشرة سنة قورش الاسكندري يقول بمقالة مارون وهي . ان لسيدنا يسوع المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة وفعلًا واحدًا . فسمع بهِ صفرونيوس الفاضل الذي صار اسقفًا على بيت المقدس فناظرهُ وافسد مقالته . ثم سار صفرونيوس الى اسقف قسطنطينية فوجده يقول ايضًا بقول قورش محتجًا بان انوريوس اسقف رومية يقول ايضًا بهذه المقالة . فانصرف حينئذٍ صفرونيوس من قسطنطينية الى بيت المقدس ولحسن امانتهِ وقداستهِ انتخبهُ اهل بيت المقدس واقاموهُ بطريركًا عليهم . فلما صار بطريركًا كتب كتابًا في الايمان فقبل الكتاب اهل الارض باسرها . رابعًا : فلما علم انوريوس بطريرك رومية بذلك وان سرجيوس بطريرك قسطنطينية تقوَّل عليهِ انهُ ماروني كتب كتابًا يقول فيهِ : ان سيدنا المسيح هو رأس الحياة ولد بغير خطيئة لان الكلمة الازلي الذي به كان كل شيء . لما نزل من السماء اخذ من مريم العذراء جسدًا وصار مثلنا في الطبيعة . واما في مشيئة الخطيئة فلا . لان بولس الرسول يقول انهُ اخذ شبهنا نحن الخطأَة اعني جسدًا بلا خطيئة بنفس ناطقة عقلية وكذلك رضي ان يأْخذ المشيئة الواحدة التي لناسوتهِ ليس مثل ما نحن نعرف ان لنا مشيئتين متضادتين احداهما مغروسة في العقل والاخرى في الجسد وهما متقابلتان . وهذا أمر يصيب جنس البشر جميعًا من قبيل انهُ واقع تحت الخطيئة وليس من احد بريئًا من الخطيئة الاصلية . اما جسد سيدنا يسوع المسيح فلم يكن لهُ مشيئتان متضادتان ولم تكن مشيئة عقلهِ تخالف مشيئة جسدهِ . ولم تكن خطيئة لمن جاء ليحمل خطيئة العالم . تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا . فانهُ لم يكن في سيدنا ولا خطيئة واحدة لا في مولده ولا في خلطتهِ . بل اننا نقرّ قائلين بمشيئة واحدة في تدبير ناسوته المقدس ولا نقول بوجود مشيئتين متضادتين كانتا لعقلهِ وجسده . فهذا هو

ما كتبهُ انوريوس بابا رومية الى سرجيوس اسقف قسطنطينية ٠ خامساً اما نحن فاننا لا نعترف بمشيئتين متضادتين بين العقل والجسد اللتين اذا قبلهما النـاس حسب رأيهم توهموا ان انوريوس كان يقول بمشيئة واحدة في لاهوت السيد المسيح وناسوته ٠ مع اني اسأل القائلين بهذه المقالة في اي طبيعـة يقولون ان للمسيح الاله مشيئة واحدة ٠ فان كانت في لاهوتهِ فقط وناسوته خالٍ منها فليس هو اذاً بانسان تامّ ٠ وان كانت هذه المشيئـة في ناسوتهِ فنقول لهم كيف هو اله تامّ ٠ وان قالوا انهُ طبيعتان بمشيئة واحدة فذلك لا يجوز لانهُ لا تنتقض المشيئتان الطبيعيَّتان فقط بل تنتقض الطبيعتان ايضاً ٠ وكما اننا لا نقسم الطبيعتين باتحاد المسيح الواحد فكذلك لا نجحد البتة فصل الطبيعتين لئلا تفسد خواصهما ٠ ولكن نقول ان كل واحدة من الطبيعتين في اتحاد الاقنوم الواحد بالمسيح الهنا لها مشيئة ٠ ولا نقول باقنومين مثـل نسطور اللعين ٠ فاما الذين يقولون ان للاهوت المسيح وناسوته طبيعتين ومشيئة واحدة وفعلاً واحداً فهم مخطئون مثل مارون الملعون ٠ واما الذين يقولون بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وفعـل واحد فقط فاخطأُوا مثـل افتيشيوس وديسقوروس وساويروس المخذولين وهذه هي مقالة اليعقوبية ٠ واما الايمان الصحيح والحق البين فهو ما نطق بهِ المعلمون وهو ان لسيـدنا يسوع المسيح طبيعتين ومشيئتين وفعلين واقنوماً واحداً لانهُ من المحال ان تكون مشيئة واحدة لذي طبيعتين ولو كان ذا مشيئة واحدة لكان ذا طبيعة واحدة ٠ ولما كان ذا طبيعتين لزم ان يكون ذا مشيئتين ٠ سادساً : نسأَلكما ان تأمرا بحريق القرطاس المملوء طعناً في لاون بطريرك رومية ذلك القـديس الفاضل وفي المجمع الخلقيدوني لئلا يقرأ فيقبلهُ ضعفاء العقول فتفسد امانتهم ونسأَل السيد المسيح ان ينظر اليكما بالرحمة والرأفة والمعونة ويخضع الامم تحت سلطانكما بقوته التي لا تُغلب ٠ اه

هذه هي رسالة البابا يوحنا بابا رومية التي ارسلها الى قسطنطين وهرقل اخيـهِ اعتذاراً عن انوريوس وهي من نقل سعيد ابن بطريق ٠ ومن امعن النظر رأى ان

سعيدًا لم يثبت هذه الرسالة في تاريخهِ بقصد ان يعتذر عن انوريوس · لان انوريوس عنده كان مارونيًا ومات على مقالة مارون · بل انما ذكرها بقصد ان يثبت ان مارون كان يقول بالمشيئة الواحدة وان انوريوس المذكور تبعهُ على مقالتهِ وان الموارنة تبعوا الافرنج على ذلك المعتقد وسمُّوا مارونيين لجريهم على تعليم مارون كما جرى عليهِ انوريوس وتبعهُ في امر المشيئة الواحدة · وهذا قول لا حقيقــة لهُ لان البابا يوحنا لم يبعث برسالتهِ الى ملكَي الروم باللغة العربية بل باللغــة اللاتينية ومن اللاتينية نقلت الى اليونانية ثم الى العربية · والمفهوم منها انها ما كتبت الَّا لتبرئة انوريوس البابا من مقالة المشيئة الواحدة · ومعلوم ان البابا يوحنا كان من جملة جلساء انوريوس وكتبة ديوانه والمقدم عنده · ومن البيّن ان صاحب البيت ادرى بالذي فيهِ . ألا ترى انهُ يدعوهُ بعدَ موته بالاب الكاثوليكي ويصفه بالزكي العرض والشهير في الصلاح · وممن وافقهُ على ذلك مكسيموس المعترف وعلماء المشرق لانهم أمروا باثبات هذه الرسالة في اكثر كنائس الكراسي · ولكن ما دوَّنهُ ابن بطريق فيهـا عن مارون فهو ضلال وكذب لاننا قد وقفنا على اصل هذه الرسالة في اللغة اللاتينية كما نقلها انسطاس حافظ مكتبــة الكرسي الروماني · وعلى ترجمتها الى اليونانية وعلى نقلهــا ايضًا من اليوناني الى العربي وهو موجود في كنائس الروم مثل كنيسة دمشق وطرابلس الشام وغيرهما وعلى جزء منها مدون في المجمع السادس · ولم نجد في جميع ذلك ذكرًا لمارون البتة · ودليل فساد قول سعيد هو اولاً انهُ يقول في العدد الثالث منها: انهُ منذ ثمانية عشرة سنة كان قورش بطريركًا على اسكندريَّة وكان يقول بمقالة مارون وهي انَّ لسيدنا المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة وفعلًا واحدًا · وهذا مكر منهُ لان يوحنا البابا لم يذكر شيئًا من ذلك اصلًا ولم يعرّض بذكر قورش ومارون وقولهما رأسًا . فان قيل ان النقل من لغة الى لغة اخرى يحتمل احيانًا زيادة على طريقة الايضاح سلمنا بذلك · الَّا انه لا سبيل الى احتمال ذكر مارون لا في اللاتيني ولا في اليوناني ولا في العربي · بل ان المؤكد من اقوال المتقـدمين ان رجلًا يسمى قورش هو الذي ابدع

القول بالمشيئة الواحدة والفعل الواحد . فاذا كان المتقدمون يعترفون بانها مقولة قورش ولم يتصدُّوا مطلقًا لذكر مارون بوجه من الوجوه فما بال سعيد زعم بان تلك مقالة مارون . ثانيًا قال سعيد في العدد الرابع ان سرجيوس اسقف قسطنطينية تقوّل على انوريوس اذ نسبهُ الى مارون . فهذا خطأ صريح لان هذا القول لا وجود لهُ مطلقًا لا في النسخة اللاتينية ولا اليونانية ولا العربية القديمة . ثالثًا انهُ يقول ايضًا في العدد الخامس عن لسان يوحنا البابا : ان الذين يقولون بالطبيعتين والمشيئة الواحدة والفعل الواحد للاهوت المسيح وناسوته مخطئون مثل مارون الملعون . ولحال ان البابا يوحنا لا يقول هكذا بل هذا نصّ كلامه : واما الذين يقولون بالمشيئة الواحدة للاهوت المسيح وناسوته معًا وبفعل واحد ايضًا فلا يقولون شيئًا آخر الا انهُ ذو طبيعة واحدة ايضًا كقول اوطاخي وساويروس الضالين . هذا كما في النقل اليوناني . واما في الاصل اللاتيني فهو : واما القائلون بوحدة مشيئة المسيح ووحدة فعله لاهوتًا وناسوتًا فكيف نعرفهم الا بوحدة طبيعة المسيح كضلالة اوطاخي وساويروس . اه

فقد تبيَّن من هذا ان زيادة سعيد للفظة مارون مكيدة منهُ ومكر . وعلى مثل ذلك قول الملكية في سيرة طيموتاوس الدقسي انهُ لبس اسكيم الرهبانية في بيت المقدس ثم عاد الى قريتهِ كاخشتة من اعمال انطاكية ومن هناك سار الى دير مارون فتعلّم من رهبانهِ صناعة النجارة . وكانوا مخالفين لرأي الكنيسة المستقيم ويعتقدون ان لربنا مشيئة واحدة وفعلًا واحدًا . فجعل يبرهن لهم صحة الاعتقاد بالمشيئتين . ولما رآهم مصرّين على المخالفة خرج من عندهم . فهذا القول تزوير منهم ايضًا لان طيموتاوس المذكور كان في القرن الثامن . وقد برهنّا في الجزء الاول من كتابنا هذا ان ذلك الدير خلا من الرهبان قبل هذا العهد باكثر من مئة سنة

الى هنا ما في نسخة مكتبة دير اللويزة وقد وقفنا في نسخة اخرى على هذه الزيادة وهي : ولكي ننفي عن قلب الواقف على كتابنا كل شكّ وريبة نثبت هنا صورة صحيفة

البابا المذكور كما دوَّنها انسطاس الامين على مكتبة الكرسي الروماني وترجمتها في العربية موجودة في اكثر كنائس الكراسي . هذا واننا لم نرتض بكتابتها هنا على ما هي عندنا بل على موجب النسخة التي عند الملكية في كتاب القوانين الذي في كنيسة طرابلس وكنيسة البطريركية في دمشق الشام وغيرها ليكون القارئ على يقين من تزوير سعيد

صحيفة البابا يوحنا

الى قسطنطين وهرقل الملكين المؤمنين على كنيسة المسيح

نقل الصحيفة من اللاتيني على ما كتب انسطاس في القرن التاسع

١ ــ الرب الذي قال انهُ من الظلمة يشرق النور الذي انقذنا من قوة الظلام الى نوره المعجب نور الحق وحق النور الذي شاء ان يحل بهِ كمال اللاهوت وعلى يده يصلح كل شيء . اصلح بدم صليبه جميع ما في السماء وما على الارض . وهو لعظم غناء صلاحه الفائق نظر في وجه كنيسته وآثر الآن بدعوة دعتكما المعروفة في سابق علمهِ الى كمال الايمان ان يرفع كل ظلمة وكل مكر ويُصبح الحق على ايديكما غالبًا

٢ ــ قد وردت الينا اخبار مختلفة متتابعة ان جميع اصقاع المغرب وقعوا في

نقل الصحيفة المذكورة من الرومي على موجب النسخة العربية القديمة

١ ــ الاله الذي اطلع النور في الظلمة الذي انقذنا وخلصنا من سلطان الظلمة بنوره المعجب نور الحق الذي لا تخالطهُ ظلمة الذي شاء انَّ كمال اللاهوت يسكن فيهِ متجسدًا ويُصلح كلاًّ بهِ يعني انهُ يُصلح كل شيء بدم صليبه الذي بهِ اصلح ما في السماء وما في الارض . العظيم الفائق بغنى صلاحه الذي هو في كل حين ناظرٌ الى وجه كنيستهِ . هو الذي انعم على حسن دعتكما المعروفة في سابق علمهِ انتما ايها الملكان . والآن الى كمال الامانة هيأ طريقكما لانهُ رفع بكما كل ظلمة وكل كدر حتى يصبح الحق غالبًا

٢ ــ وقد علمنا باخبار قوم كثيرين وسمعنا ان كل نواحي المغرب واقعة في

اللاتيني

شكوك واسجاس بسبب الرسائل التي يوجّه بها اخونا بيروس البطريرك الى هنا وهناك وبسبب التعاليم المنافية لقانون الكنيسة التي يكرز بها قائلًا انهُ موافق لرأي انوريوس الطيب الذكر مع ان ذلك هو بعيد عن عقل هذا الاب الكاثوليكي غاية البعد

٣ ـ ولكي تستطيعا معرفة هذا الامر وسببهُ بقصد حازم اخبركما بما كان قبل هذا الوقت بزمن يسير: ان سرجيوس المكرَّم ذا الذكر الموقر كتب الى صاحب الكنيسة الرومانية الذي تقدم ذكره المشهور بالصلاح ان قوماً يقولون ان في الرب يسوع المسيح مخلصنا مشيئتين

الرومي

عر بسة شديدة. فاحب منكما ان تدعوا باحسن الدعوات واشرفها لاجل نزع هذا الشك. لانهُ قد وقع كدر لا يتبيَّن تصفيته وتنقيته الا لاهل الفضل والناظرين فيهِ احسن النظر وادقّه الى ان يعود الحق غالباً كما كان. وقد بلغني ايضاً ما هم عليهِ اهل المغرب من الاختلاف وما وقع بينهم من الشكوك وعرفت ذلك من اخينا بيروس البطريرك وغيره لانه يجتهد في استمالة اولئك المخالفين الى رأيه. وتلك الكتب يبعث بها من هنا الى ههنا. ويعلم باشياء محدثة منافية لقانون الكنيسة والايمان المستقيم. ويدّعي انهُ على رأي انوريوس البطريرك الطيب الذكر. مع ان رأيه منافر لرأي ابينا هذا الفاني

٣ ـ ولكي تستطيع دعتكما ايها الملكان ان تعرف هذا الامر ليقف على حقيقتهِ ويأخذ بهِ من كان بعدنا فيكون حجة لهُ اخبركما الآن عمّا جرى قبل هذا الوقت بزمن يسير: فاول ذلك انهُ كان رجل يقال لهُ قورش احدث في يسوع المسيح مخلصنا مقالة لم يعرفها آباؤنا الماضون. وزعم ان لهُ

اللاتيني

متضادتين

الرومي

مشيئة واحدة وفعلًا واحدًا . واخذ ذلك من قول قورلّس فانكره المشهور بالصلاح والعقل والدعة صفرونيوس الاورشليمي اذ كان يجاوره بالاسكندريّة وغيرها . وان سرجيوس البزنطي اورد ذلك المعتقد الردي على قورش الى ان اتى بهِ الى رومية فانكره البطريرك غاية الانكار وقال : هذا قول مخالف لما عليهِ رأي الكنيسة . واما الصحيح فهو اننا نقول ان المسيح لهُ مشيئتان وفعلان كما كانت لهُ طبيعتان . لانهُ من المحال ان تكون مشيئة واحدة لذي طبيعتين . فلو كان ذا مشيئة واحدة لكان ذا طبيعة واحدة . فلما كان ذا طبيعتين كان ذا مشيئتين . وانما هم موّهوا على هذا القديس وقالوا لهُ : ان قومًا يقولون ان في المسيح ربنا مشيئتين متضادتين كما في الناس كلهم في الخير والشرّ

اللاتيني

٤ ــ فلما علم ذلك البابا المذكور اجابهُ بكتاب يقول فيهِ ان مخلصنا كما انهُ واحد كذلك باعاجيب عظيمة جدًا ايضًا حُبل بهِ وولد فوق كل جنس البشر . وكان يعلّم في شأن تدبير تجسده المقدس انهُ

الرومي

٤ ــ فلما علم ابونا البابا انوريوس اجابهُ بكتاب يقول فيهِ معترفًا بان ربنا يسوع المسيح الذي هو راس الحياة . ذلك الذي كان على السماوات واحب اننا نقبلهُ حتى تمام الزمان يسوع المسيح الذي لا

اللاتيني

مثلما ان مخلصنا اله تام كذلك ايضاً هو انسان تام · حتى ان ما عدمهُ الانسان الاول بالمعصية فالمولود من غير خطيئة يجدّد اصل صورته الاولى الشريفة · فولد آدم الثاني وليس في مولده ولا في خلطتهِ مع الناس خطيئة واحدة البتة · ولعمري ان الكلمة صار لحماً على شبه جسد الخطيئة فاخذ جميع ما لنا ولم يأخذ لائمة الخطيئة التي تأتينا من المعصية · وبالشبه لم نفهم شبه جسده بل شبه الخطيئة لكون ربنا اخذ على التحقيق جسداً من والدة الاله البتول الطاهرة البريَّة من كل دنس وصار شبيهنا في الجوهر · اذًا السليح بقوله انهُ اخذ شبه جسد الخطيئة يدل على ما هو شبيهنا نحن الخطاة من غير خطيئة مع النفس الناطقة العقلية · ولذلك رضي ربنا يسوع المسيح ان يأخذ لناسوته المشيئة الواحدة الطبيعية على قدر خلقة آدم الاولى لا مشيئتين متضادتين مثلما نعرف انهما فينا نحن المولودين من خطيئة آدم · فان الانسان الاول تلف بالمعصية وعند ما

الرومي

تكون حياة الَّا بهِ · وليس شيء · سواه ولا تحت السماوات اسم غيره أُعطيَهُ الناس لكيما يُحيوا بهِ · وكمثل ما انهُ واحد في الوحدانية كذلك باعاجيب عظيمة جدًّا حُبل بهِ فوق كل طبيعة الناس وولد واحدًا · وكان يعلم في شأن تدبير تجسده المقدس انه مثلما ان مخلصنا اله تام كذلك هو ايضًا انسان تام حتى ان الذي القى الانسان الاول طريحًا بمعصيتهِ لباريه هو الذي وُلد بغير خطيئة من الزكية البتول مريم ام الاله · فجدَّد المولد القديم الشريف الصورة الاولى · فقد وُلد آدم الثاني وليس في مولده ولا في خلطتهِ مع الناس خطيئة واحدة البتة · ولعمري ان الكلمة الازلية التي كل بها كان حيث انحطت من السماء في شأن تدبير الرحمة للبشر صارت لحمًا على شبه جسد الخطيئة ورضيت شبهها من غير ان تأخذ نقصها او لائمة المعصية وحاشا لها من ذلك · فنحن الآن نفهم الشبه بتجسده ليس بالخطيئة · ولعمري ان ربنا اخذ جسده من مريم العذراء الطاهرة والدة الهنا وصار مثلنا بالطبيعة ·

اللاتيني

توانى في الخضوع لخالقه احسَّ بجسده الذي في الاول كان خاضعاً لهُ انهُ تمرَّد عليهِ. وصيَّر بخطيئته كل جنس البشر مضروراً. كقول السليح ان الموت ملك من آدم الى موسى ايضاً بمن لا يخطئ بشبه معصية آدم. ولذلك نحن الذين نولد بمعصيته وخطيئته نعرف ان لنا مشيئتين متضادتين. وهاتان المشيئتان احداهما مغروسة في العقل والاخرى في الجسد ويقاتل بعضهما بعضاً كما يعلم السليح الطوباوي: ان الجسد يهوى ما يضرّ الروح والروح بالجسد. وهذه المضادة بعضها لبعض لاجل ان لا تعملوا كل شيء تهوونهُ. وهذا يصيب كل جنس البشر لانهُ تحت الخطيئة وليس احد نقيًا من خطية المعصية حتى الطفل الصغير كما هو مكتوب ولو كانت حياته يوماً واحداً على وجه الارض. وكما يقول روح القدس على لسان داود انهُ بالآثام حُبل بي وبالخطايا ولدتني امي. وكما اخطأ الكل بآدم كقول السليح كذلك بالمسيح الجميع يتبرَّرون. وكما انهُ بانسان واحد كثيرون صاروا خطأة.

الرومي

واما شبه جسد الخطيئة فان السليح بولس يقول انهُ اخذ شبيهاً لنا نحن الخطأة اعني جسداً بغير خطيئة بنفس ناطقة عقلية. فلذلك ربنا يسوع المسيح رضي ان يأخذ المشيئة الواحدة على قدر خلقة آدم الاول (اعني طبيعة ناسوته غير الخطيئة لان الخطيئة في الانسان عرض لا طبع) لا مشيئتين متضادتين مثلما نعرف انهما بنا الآن نحن المولودين من خطيئة آدم. فان الانسان الاول لما تلف بالمعصية ولم يخضع لخالقه احسَّ بالجسد الذي كان لهُ قبل خاضعاً انهُ صار لهُ مقابلًا وصار الجنس البشري كله تحت الخطيئة حسبما يقول الرسول بولس: ان الموت ملك من آدم الى موسى على الصديقين والخطأة. ومن لم يخطئ بشبه آدم ايضاً. فلذلك تجد الذي يُولد بمعصيته وخطيئته نعرف ان فيهِ مشيئتين متضادتين وهاتان المشيئتان احداهما مغروسة في العقل والاخرى في الجسد. وهما متحاربتان الواحدة مع الاخرى كما يعلم السليح الطوباوي قائلًا: ان الجسد يهوى ما يضادّ الروح. وهذه

اللاتيني

كذلك بانسان واحد كثيرون يصيرون ابرارًا . اذًا واحد هو الذي حُبل بهِ وولد وحده بغير خطيئة الوسيط بين الله والناس الانسان يسوع المسيح الحرّ في الموتى . فاما في تدبير جسده المقدس فلم يكن لهُ اصلًا مشيئتان متضادتان ولا مشيئة جسده تضاد مشيئة عقله . ولعمري انه ما كانت خطيئة للذي جاء ليأخذ خطيئة العالم كما قال : من منكم يبكتني بخطيئة . وفي مكان آخر قال هكذا : انه سيأتي اركون هذا العالم فلا يجد فيَّ شيئًا فمن هنا نعلم انه لم يكن فيهِ شيء من الخطيئة لا في موته ولا في خلطتهِ البتة . فنقول كما ينبغي ونقرّ بمشيئة واحدة في تدبير ناسوتهِ المقدس ولا نكرز بمشيئتين متضادتين كانتا لعقلهِ ولجسده . كما نعرف ان بعض هراطقة يتجنّون عليهِ كانه انسان ساذج . فعلى هذا النوع نعلم ان سالفنا المذكور كتب الى سرجيوس البطريرك الذي سميناهُ بدءًا (حين سألهُ) ان ليس في مخلصنا مشيئتان متضادتان البتة . اعني في اعضائه لانهُ ما اخذ شيئًا من المعصية التي

الرومي

المضادة لبعضها بعض لكي لا نعمل الذي نريده ونهواه . وهذا نصيب جميع جنس البشر لانه تحت الخطيئة . وليس احد نقيًا من خطيئة هذه المعصية حتى ولا الطفل الصغير كما هو مكتوب انه ليس انسان بريئًا من الخطيئة ولو لم تكن حياته على الارض الا يومًا واحدًا حسبما يقول الروح القدس في مزامير داود النبي انهُ بالآثام حُبل بي وبالخطايا ولدتني امي . وكما ان الكل بآدم اخطأوا كما قال بولس السليح كذلك الكل بالمسيح يتبرَّرون . وكما انه بانسان واحد كثيرون صاروا خطأة . فالان بانسان واحد يصيرون ابرارًا الذي هو وسيط بين الله والناس الذي هو واحد متوحد بغير خطيئة . الانسان الذي هو ربنا يسوع المسيح الحرّ في الموت واي موت موت الصليب محبولاً بهِ ايضًا ومولودًا . فاما في تدبير جسده المقدس اعني ناسوته فلم تكن لهُ مشيئتان متضادتان ولم تقابل مشيئة جسده مشيئة عقله . ولعمري ما كانت خطيئة للذي جاء يأخذ خطيئة العالم . حاشا لهُ كما قال في

اللاتيني

للانسان الاول وانما يصح فينا وليس فيهِ المكتوب. انا اعلم انه ليس يسكن فيَّ اعني بجسدي شيء من الخير. وكذلك انه ليس الذي اشاء من الخير اياه اعمل لكن الذي اكرههُ من الشرّ لهُ افعل. فان كنت الذي لا اريد من الشرّ اياه افعل فليس انا اصنعهُ لكن الخطيئة الساكنة فيَّ. وبعد ذلك ارى ناموساً آخر في اعضائي مقابل ناموس عقلي يسبيني بناموس الخطيئة التي في اعضائي. فمن ههنا هاتان المشيئتان المتضادتان اللتان في العقل والجسد لم تكونا البتة في المخلص. لان شوكة هذا القتال انما ابتدأت من معصية المجبول قديمًا. ومخلصنا اخذ الطبيعة لا لائمة الخطية. ولكن لئلَّا يتلوَّم الانسان القليل الفهم قائلًا: كيف نعرف انه يعلّم عن الطبيعة البشرية لا عن الالهية. اذ نحن نعرف المسيح ونعبده ونسجد لهُ في طبيعتين متحدتين باقنوم واحد اله وانسان تام. فليعلم المشكك بهذا ان الجواب كان على قدر مسألة البطريرك المسمى آنفًا . وقد جرت العادة انه حيث يكون الجرح فهنالك يوضع الدواء الشافي

الرومي

انجيله المقدس لليهود. من منكم يبكتني على خطيئة. وفي موضع آخر يقول: انهُ سيأتي اركون هذا العالم ولا يجد لهُ فيَّ شيئاً. فمن ههنا يحق ان نعلم انه لم يكن فيهِ شيء من الخطيئة البتة لا في موته ولا في خلطته بل نقول كما ينبغي. ونقرّ بالحقيقة بمشيئة واحدة في تدبير ناسوته المقدس . ولا نقول مشيئتان متضادتان كانتا لعقلهِ وجسده كمثل سائر الناس. فعلى هذا السبب والنوع كانت قضية المذكور ابينا انوريوس البابا قديمًا وانه كتب بهذا الى الذي سميناه بدءًا في رأس الصحيفة اعني به سرجيوس بطاريرك قسطنطينية . اذ سألهُ عما اذا كان في مخلصنا مشيئتان متضادتان . فكتب اليهِ المذكور بهذا النوع انه لم يُحسّ في ذاته بنقص الخطيئة التي للانسان الاول. انه فينا يتم المكتوب وليس فيهِ كما يقول الرسول: انا اعلم انه ليس يسكن في جسدي شيء من الخير وليس الذي اريد من الخير اياه اصنع لكن الذي اكرههُ من الشرّ انا لهُ افعل فان كنت الذي لا اريد من الشرّ اياه اعمل فليس انا الفاعل لهُ لكن

اللاتيني

وهو معلوم ان الرسول الطوباوي يصنع هكذا مرارًا كثيرة. وهو على قدر حال السامعين يصيّر نفسهُ. فاوقاتًا يعلم في شأن الطبيعة العالية ويسكت عن الطبيعة البشرية من كل وجه. واوقاتاً يجادل عن التدبير البشري من غير ان يتكلم عن اللاهوت . وهكذا قال في شأن الطبيعة الالهية ان المسيح هو قوة الله وحكمة الله وفي مكان آخر قال في تجسده ان جهل الاله احكم من الناس وضعف الله اقوى من الناس . وهذا معروف ان الجهل والحكمة والقوة والضعف بلا منازعة يضاد بعضها بعضاً. فلعل المسيح الطوباوي يعلّم بما يخالفه حاشا لهُ . لكنهُ انما كان يتقلب مع السامعين بحكمة . وعلى مثال الحاضنة ذات الفطنة التي تغذي الاطفال الصغار باللبن وتعطي اهل الكمال الطعام الطيب . وعليهِ فان قوله ان ضعف الله اقوى من الناس وان جهل الله احكم من الناس هو تعليم عن تدبير المسيح البشري لا عن طبيعته العالية . وقصده بذلك ان نكشف لنا ان الاله الذي صار انساناً كان

الرومي

الخطيئة الساكنة فيَّ . واني ارى ناموساً آخر في اعضائي يقابل ناموس عقلي ويسبيني بناموس الخطيئة التي في اعضائي. فمن هنا هاتان المشيئتان المتضادتان العقلية والجسدية اللتان يتكلم السليح عنهما لم تكونا البتة في مخلصنا. لان هذا القتال النجس انما ابتدأ من معصية المخلوق قديمًا لانقياده الى شهوة العبودية. وهكذا تجددت الطبيعة من مخلصنا . ولكي لا يلوم الانسان القليل الفهم احدًا قائلًا: كيف يعرف هذا في تعليم الطبيعة البشرية. ولعمري ان المسيح ربنا يُعرف بطبيعتين متحدتين في اقنوم واحد ونحن نعبده وحده انه اله تام وانسان تام . وهكذا كان واجباً على المشكك ان يعلم باليقين ان الجواب كان على قدر مسألته لانوريوس البابا المسمى بد٤١ وهذا امر معروف انه حيث يكون الجرح فهناك يوضع الدواء الشافي. وهذا الرسول الالهي عرف ان يصنع هذا مرارًا كثيرة مواجهاً قدر فهم سامعيهِ. لانه اذ علّم في شأن الطبيعة العالية سكت من كل وجه وكفّ عن ذكر الطبيعة البشرية

اللاتيني

ذا نفس وجسد بشري فيدعوه جهلًا وضعفًا لانّ الحكمة البشرية اذا نسبتها الى الالهية فجهـل هي وقوة الجسد اذا قستها بقوة الاله فضعف هي . فانـه على التحقيق اذا اقترنت الحكمة البشرية المخلوقة بالحكمة الخالقة صارت جهلًا واذا اقترن الاثنتان اقررنـا ان المسيح هو قوة الله وان طبع لاهوته هو حكمة الله على قدر اللاهوت . وعلى قدر تدبير جسده المقدس نقرّ على التحقيق ان طبع ناسوته هو جهـل الله وضعفه لان هذا الضعف والجهـل هو اقوى واحكم من كل الناس كما قلنا سابقًا فان كل الناس يولدون تحت خطيئـة المعصية وربنـا يسوع المسيح اذ هو بريّ من كل خطيئة ولم يأخذ نقصان العتيق فلم يكن اقوى فقط من كل النـاس بل واحكم منهم . اذ قد رضي ان يأخذ ضعفنا وجهلنا برحمتـهِ وحدها . فان الذين ولدوا من خطيئة الانسان الاول يسمون في تعليم الكتاب المقدس بني الرجز والظلمة . واما المسيح فلما كان نور الحق اضاء برضاه للجالسين بالظلمة وظـلال

الرومي

واذا تكلم في شأن تدبير البشرية صمت عن سرّ الالوهية يسوع المسيح حكمة الله وقوته . وفي مكان آخر قال في شأن تجسده ان حمق الله احكم من حكمة الناس وهذا معروف ان الحكمة والجهل والقوة والضعف بلا منازعة مضادة بعضها بعضًا فلعـل السليح الطوباوي يعلّم بما يخالفـه . حاشا لا يكون ذلك . لكنهُ انما كان يشكّل نفسهُ للسامعين كمثل الحاضنة المربية الولد الصغير التي تعطي الاطفال الصغار اللبن والكبار الخبز المقوي ويعني بذلك ان ضعف الله اقوى من الناس وجهل الله احكم من الناس وهذا معلوم ان ذلك كله هو من اجل تدبير المسيح وليس من اجل الطبيعـة العليا اذ كان يعلم بالحقيقة انه كان صاحب نفس وجسـد بشري ولذلك قـال السليح الطوباوي جهـلًا وضعفًا لان الحكمة البشرية اذا اقترنت الى حكمة الاله فهي جهل . والحكمة البشرية المخـلوقة اذا قوبلت مع حكمة الله الخالق صارت حينئذٍ جهـلًا وحمقًا . ونحن اذا جمعنا الامرين في المسيح الذي هو حكمة الله وقوته على

اللاتيني

الموت . ثم لنسمع ما الذي يعلمنا الرسول في رسالته الى اهل افسس اذ يقول : اذ انتم كنتم موتى بالوقعات وبخطاياكم التي كنتم تسعون فيها مرَّة حسب دهر هذا العالم مثل اركون سلطان الهواء الروح الذي يعمل الآن في ابناء المعصية الذين نحن ايضًا كنا فيهم من قبل مخالطين في شهوات اجسادنا وكنا نعمل باهواء اجسادنا وضمائرنا وكنا بالطبيعة ابناء الرجز مثل البقية . هوذا هتان المشيئتان المتضادتان في العقل وفي الجسد لم يكونا في مخلصنا بنوع من سائر الانواع . ونحن نعرف انهما بنا من خطيئة آدم الاول الذي صيَّر نفسه وكل جنس البشر تحت الدينونة حتى نرى شوكة الجسد في بعض الاوقات تقاوم العقل . واوقاتًا مشيئة العقل تجتهد في المقاومة لمشيئة الجسد حتى اننا نعترف ونحن با كون مع الرسول : اني بالعقل اخدم ناموس الله وبالجسد ناموس الخطيئة . وانما ربنا اخذ المشيئة الواحدة الطبيعية وكان بسلطانه حاملها في جسده مثل رب الكل . فان الاشياء كلها تخدم الله .

الرومي

قدر اللاهوت . نقرّ بطبيعة اللاهوت . وعلى قدر تدبير جسده المقدس لجميع ضعف الله يكون بحق طبيعة الناسوت . لان هذا الضعف والجهل هما اقوى واحكم من كل الناس . وكل انسان كما قلنا اولاً يولد تحت خطيئة المعصية . وان ربنا يسوع المسيح اذ هو من غير خطيئة ولم يأخذ نقصان العتيق اعني الطبيعة البالية التالفة لم يكن اقوى فقط بل واحكم من كل جنس البشر اذ قد رضي ان يأخذ ضعفنا بالحقيقة بالرحمة وحدها . فاما المولودون من الانسان الاول فهم يسمّون بتعليم الكتاب بني رجز وظلمة . فاما سيدنا المسيح فاضاء اذ هو نور العالم والحق للجلوس في الظلمة وظلال الموت حسبما يعلم الرسول في رسالته الى اهل افسس قائلًا هكذا : اذا انتم موتى بالوقعات وبخطاياكم التي كنتم تمشون فيها مدة في دهر هذا العالم . ومثل اركون وسلطان الهواء والروح الذي يعمل الآن في بني المعصية ونحن قد كنا فيهم مرارًا مخالطين في شهوة الجسد والافكار الرديئة . وكنا بالحقيقة بني رجز مثل البقية

اللاتيني

وعلى التحقيق انه لم يكن بـه ولم يأخذ شيئاً من خطيئة المعصية . لكونه هو وحده وُلد بلا خطيئة و بلا دنس المعصية

الرومي

وههنا قد بيَّن المشيئتين المتضادتين مشيئة العقل ومشيئـة الجسد اللتين لم تـكونا في مخلصنا ولا في شيء من انواع جسده الكريم . فامـا نحن فنعرف ان لنا هاتين المشيئتين من خطيئة ابينا آدم الاول الذي صـيَّر نفسه وكل جنس البشر تحت رق المعصية والعبودية لكي يرى بأس هذا الجسد ودبيب حركاته اعني الشهوة الرديئة المقاتلة لشهوة العقل . وكذلك ايضاً مشيئة العقل مقاتلة لمشيئة الجسد مجتهدة في مناصبتها ومناقضتها حتى اذا نحن هوينا متنفسين نستودي (كذا) ونقرّ مع المسيح . فان كنا نخدم بالعقل فاننا نخدم ناموس الله واما ان كنا نخدم الجسد فاننا نخدم ناموس الخطيئة . فاما ربنا يسوع المسيح فانما اتخـذ مشيئة واحد لناسوته الطبيعي التي كان بسلطان يقبلها في جسده مثل رب كل لان كلًا يخدم الله . . من ههنا بيَّن انه لم تكن له ولا خطيئة واحدة ولا مشيئتان متضادتان لانه هو وحده بغير خطيئة

اللاتيني

٥ ـ واما المـذكور فاذ كان يعلم في شأن تجسد المسيح كان يقول انه لم يكن

الرومي

٥ ـ فامـا انوريوس الذي سبقني المقدم ذكـره فاذ كان يعلم في شأن

اللاتيني	الرومي
فيهِ كما فينا نحن الخطأة مشيئتان متضادتان	اسرار المسيح كان يقول هكذا: انه لم يكن
للعقل والجسد. وهذا اذ قبله قوم من	فيهِ كما فينا نحن الخطأة مشيئتان
الناس ظنوا انه كان يعلّم بان في لاهوت	متضادتان للعقل والجسد. وهذا اذ ضمَّه
المسيح وفي ناسوته مشيئة واحدة وهو ضدّ	قوم من الناس الى رأيهم ظنوا به انهُ كان
الحق على كل حال. ولكن أُحبّ ان	يقول ويعلم بمشيئة واحدة وذلك مخالف
يجاوبوا من يسألهم في اي طبيعة يقولون	لرأي الكنيسة الجامعة الذي هو رأي الحق
ان للمسيح الاله مشيئة واحدة. فان كان	وحده بتعليم روح القدس. فليكفّ الآن
في اللاهوت فقط فبماذا يجيبون عن ناسوته	الذين ينسجون نسيج العنكبوت الذين كانوا
لكونه انساناً تاماً. وان قالوا ان هذه المشيئة	يظنون ان ليس لهُ مشيئتان احداها
في ناسوت المسيح فكيف هو اله تام فليحذروا	لاهوتية والاخرى ناسوتية. مع اني كنت
الّا يُدانوا مع فوتينوس وابيون. وان قالوا	احب لو اجابوا السائل في اي طبيعة
ان المشيئتين طبيعة واحدة والطبيعتين	يقولون ان للمسيح الاله مشيئةً واحدةً.
مشيئة واحدة فيُفسدون ليس فقط	فان كانت في لاهوتهِ فقط فاي شيء
المشيئتين والطبيعتين بل والطبائع نفسها	يجيبون عن ناسوته. لانه انسان تام هو كي
حتى لا نستطيع ان نفهم لا هذا ولا	لا يدانوا مع مانشياوس. وان قالوا في
ذاك اعني لا اللاهوت ولا الناسوت. فانه	ناسوت المسيح هذه المشيئة فكيف كان
مثل ما اننا في اتحاد المسيح الواحد لم	الاله تاماً بلا مشيئة فليحذروا الا يدانوا مع
نقسم الطبيعتين كنسطور الكافر كذلك	افتيشيوس وكسطوس ومكاريوس. وان
لم نجحد فصل الطبيعتين البتة بل نقرّ	قالوا ان الطبيعتين مشيئة واحدة مركبة
بالطبيعتين في توحيد الاقنوم الواحد المسيح	فليس الطبعان والمشيئتان يفسدان فقط
الاله باتفاق لا يوصف. واما الذين يقولون	لكن الطبائع ايضاً ولا يُستطاع ان يُعقل
ان مشيئة المسيح هي واحدة وواحدٌ	لا هذا ولا ذاك اعني اللاهوت والناسوت

اللاتيني

هو فعله في اللاهوت وفي الناسوت فكيف تكون معرفتنا بهم الّا بقولهم انه واحدة هي طبيعة المسيح حسب زعم اوطاخي وساويروس ولعمري ان الآباء الارثوذكسيين الذين اضاء نورهم في العالم باسره يعلّمون ويكرزون بمناداة واحدة متفقة انه مثلما في المسيح طبيعتان هكذا فيهِ مشيئتان وفعلان والباقي

الرومي

كي لا نقسم الطبيعتين باتحاد المسيح الواحد مثل نسطور الكافر الجدف على السيدة مريم الطاهرة فلذلك لا نجحد البتة فصل الطبيعتين ولا نفسد خواصها لكن نقرّ بكل واحدة من الطبيعتين في اتحاد الاقنوم الواحد المسيح الاله باتفاق لا يُقاس . اما الذين يقولون بمشيئة واحدة للاهوت المسيح وناسوته معًا وفعل واحد فبأي امر آخر يقولون الا انهم يقولون بطبيعة واحدة للمسيح الاله كمثل قول افتيشيوس وساويروس المعترَين في عقلهما لانهما عُرفا في ظنون التخيُّل . ولعمري ان الآباء الارثوذكسيين الذين اضاء في المسيح اشراق نورهم في كافة العالم باندارهم كما يعلمون ويعرفون في قولهم طبيعتين وكذلك مشيئتين ومعلنين في ربنا المسيح يكرزون باكراز مجتمع والباقي(١)

(١) لم يكن عندنا من هذه الصحيفة نسخة اخرى لنعارضها بها كما اننا لم نتوصل الى الاصل اللاتيني لنعلم صواب الترجمة من خطائها ولذلك ابقينا ما تريَّبنا في صحتّه مثل هذه العبارة وغيرها على علاته

الفصل الخامس

في ابطال دعوى سعيد بن بطريق الزاعم ان المجمع السادس عُقد في سنة ٦٨٠ دفعاً لغواية مارون والموارنة (١)

اعلم ان سعيدًا مع من وافقهُ على زعمه يُثبتون ان المجمع السادس المسكوني عُقد لاجل حرم مارون والذين قالوا بمقالتهِ والى مثل ذلك ذهب غليلمو اسقف صور في تاريخهِ وهذا ملخص قوله: واما بدعة مارون واتباعه فهي قولهم ان في ربنا يسوع المسيح مشيئةً واحدةً وعملًا واحدًا الآن ومنذ البدء كما يُستدل على ذلك من المجمع السادس الذي عقد لتكذيب مقالتهِ. وقد بلغت الجرأة والجسارة من بعض اتباع سعيد الى ان ادخلوا اسم مارون في نقل المجمع المذكور الى العربي. غير اننا لا نعجب من ذلك مطلقًا لان امر الزيادات على الكتب او الانقاص منها هو عادة مألوفة عندهم. وليس هذا موضع اظهار ذلك بالادلة والشهادات ولكنهُ يكفينا ما قالهُ عنهم قاطون وميتسطن ولبسيوس المؤرخون من انهم يمسخون معاني الكتب والمجامع ويبدلون عباراتها ويؤلونها بما يوافق مشربهم ونزعتهم. ويُعلم من المجامع المقدسة وغيرها ان المحدين في بلاد الروم موصوفون بتزوير الكتب وتحريفها. لان يوحنا الكردينال قد تشكى منهم في مجمع فلورنسة قائلًا: قد انكشفت الآن خلتكم في تزوير الكتب وتنقيصها. وكفى بيانًا لذلك ما رأيت من تزوير سعيد بن بطريق فانه لمزيد حسده للامة المارونية الثابتة على صحة الايمان والمتمسكة في كل آن من غير انفصال بعرى الكنيسة الرومانية افسد التواريخ وحرَّف رسائل الآباء وزوَّر مصحف المجامع المسكونية

---

(١) ان علماء طائفتنا قد ابطلوا جميع اقوال ابن بطريق في مواضع مختلفة من كتبهم بحجج لا مردّ عليها ولولا الخوف من التطويل لكنت اوردها كلها ولذلك اكتفي بالاشارة الى موقعها من كتبهم — راجع روح الردود ص ٣٥ و٤٥ و٩٤ و١٣٦ و١٤٠ و١٤٧ و٢١٨ والدر المنظوم ص ١٢٥ و١٢٧ و١٢٩ والسمعاني في محال كثيرة من كتبه العديدة منها المكتبة الشرقية مج ١ ص ٥٠٦ الخ

وبدَّل اسماء الملوك ونقل اسماء القديسين الى ذوي البدع كل ذلك ليثبت ان الأمَّة المارونية تلطخت بالبدعة التي تميَّز بها اهل امتـــه وان القديس مارون كان منشئاً لها وان قورش الاسكندري وسرجيوس القسطنطيني وانوريوس الروماني ومقـــدونيوس الانطاكي واتباعهم نشروها في جهات الارض وان هرقل وقونسطا شيَّداها بالسيف والسلطان الملكي وان يوحنا البابا نسبها اليهم في صحيفتـــه واخيرًا ان الآباء المائة والثانية والستـــين حرموها وحرموا مارون معها. ولكن تزوير سعيد واتباعه على مارون وامته قد انكشف امره من نص المجمع السادس عينـــهِ لانه يصرّح بان الآباء لم يجتمعوا فيهِ الّا للبحث عن مبتدعي مقالة المشيئـــة الواحدة وتزييفها . وان قصاد الكرسي الروماني لما وفدوا على قسطنطين كان مفتتح خطابهم لهُ هكذا » : انه قبل هذا الاوان بستّ واربعين سنة تنقص او تزيد شاعت بعض الفاظ محدثة مضادة للايمان الارثوذكسي عمن كانوا متولّين في ذلك العصر رئاسة هذه المدينـــة المحفوظة من الله وهم سرجيوس وبولس وبيروس وبطرس . وكذلك قورش الذي ترأَس على كنيسة الاسكندرية وتاودورس اسقف المدينـــة المعروفة بفاران وغيرهم ممن قفى على آثارهم فسببوا للبيعة قلقًا غـــير يسير في جميع الجهات بتعليمهم ان في تدبير تجسد ربنا يسوع المسيح الاقنوم الثاني من الثالوث المقدس مشيئةً واحدةً وفعلًا واحدًا. فحذَّرهم من ذلك خادمكم رب الكرسي الرسولي مرارًا عديدة غير انهم لم ينتهوا عن هذا الرأي الفاسد الى الآن . فالمأمول من جلالتكم المتوجّة من الله ان يخبرنا حزب هذه الكنيسة القسطنطينية المقدسة من اين نشأت هذه الالفاظ المحدثة » . فقال قسطنطـــين الملك الحليم : «فليجب عن هذا جرجس البار بطريرك مدينتنا هذه المحفوظـــة من الله ومقاريوس المكرم بطريرك مدينة انطاكـــية ومجمع حزب قصاد الكرسي الروماني الرسولي المعظم ويتكلموا بتمام الاختيار» . فقام حينئذٍ مقاريوس بطريرك مدينة انطاكية العظمى مع تلميـــذه اسطفان القس الراهب ومعهما بطرس المحب لله مطران نيقوميدية وسليمان المحب لله اسقف قلانة وتكلموا عن كرسي قسطنطينيـــة وعن

كرسي انطاكية قائلين: « اما نحن فما ابتدعنا الفاظاً محدثة بل نطقنا بموجب ما تسلّمنا من المجامع المقدسة المسكونية واخذنا من الآباء الاطهار المقبوا ين ومن رؤساء هذه المدينة المتملكة الذين هم سرجيوس وبولس وبيروس وبطرس ومن انوريوس الذي كان بابا رومية القديمة ومن قورش بابا الاسكندرية فيما يتعلق بالمشيئة والفعل. كذلك نحن مؤمنون وقائلون ومعلمون ومستعدون لايضاح ذلك وايراد البرهان عليهِ ». هذا هو نص المجمع المقدس الذي كتب باليوناني واللاتيني والعربي وهو مقبول في البيعة باسرها ومنهُ يتبيَّن ان الآباء كانوا فرقتين. فرقة تحتجّ عن المشيئتين واخرى عن المشيئة الواحدة. وان الاثنتين اتفقتا على ان هذه الالفاظ المحدثة عن المشيئة الواحدة نشأت عن سرجيوس القسطنطيني وقورش الاسكندري وتاودوروس الفاراني. واما قصاد الكرسي الروماني فاقرّوا ان نشأتها كانت قبل المجمع بنحو ست واربعين سنة وانه لم يتمسك بها احد من الذين سلفوا قبل الثلاثة المذكورين واتباعهم

فينتج اذاً مما تقدم بان نسبتها الى مارون الراهب الذي كان في عصر موريق ملك الروم باطلة. فان مقتل موريق تقدم المجمع بثمانين سنة. ومارون لا ذكر لهُ البتة لا في المجمع ولا في عصر موريق الملك. هذا ولما انتهى المجمع بروح القدس وانكشف الكذب واصبح الصدق غالباً اثبت الآباء حدود الايمان وقرّروا القول بالمشيئتين في المسيح ذي الطبيعتين الالهية والبشرية. وحينئذٍ نشروا اسماء الذين انشأوا الالفاظ المحدثة والذين انتصروا لها فطعنوهم بالحرم كما هو محرر في الجلسة السادسة عشرة والثامنة عشرة على هذه الصفة: « تاودوروس الفاراني المبتدع فليكن محروماً. سرجيوس المبتدع فليكن ملعوناً. قورش المبتدع فليكن محروماً. انوريوس المبتدع ليكن ملعوناً. بيروس المبتدع ليكن محروماً. بولس المبتدع ليكون ملعوناً. بطرس المبتدع ليكن ملعوناً. مقاريوس المبتدع ليكن محروماً. اسطفان المبتدع ليكن ملعوناً. بوليخرونيوس المبتدع ليكن محروماً. سرجيوس البرجي ليكن ملعوناً وجميع المبتدعين ليكونوا محرومين وجميع الذين ينتصرون لهم ايضاً ليكونوا محرومين ». اه

فلو ان مارون على التحقيق كان ممن انشأ هذه البدعة لما كان الآباء غفلوا عن ذكره وحرمهِ مع انهم كانوا اخبر الناس بمثل هذه الامور لحدوثها في زمانهم . وكان جلّ القصد من اجتماعهم ان يبحثوا عن منشئيها وينشروا اسماءهم في العالم كله فهم بذلك اصدق من سعيد الذي قام بعدهم بثلاثمائة سنة

ثانياً: انه قبل هذا المجمع المسكوني الذي التأم في السنة الستمائة والثمانين من تجسد الرب عُقدت مجامع كثيرة بلدية في مواضع شتى بعضها تصحيحاً لمذهب المشيئتين وهو مقبول . وبعضها لاثبات المشيئة الواحدة وهو غير مقبول . اما ما كان غير مقبول من تلك المجامع فهو ما عقده قورش الاسكندري وسرجيوس وبولس اسقفا قسطنطينية وغيرهم . واما المقبول فيها فالاول هو المجمع الذي عقده صفرونيوس في بيت المقدس في سنة ستمائة واربع وثلاثين . والثاني هو الذي عقده البابا يوحنا في رومية سنة ٦٤٠ . والثالث هو مجمع قبرس سنة ٦٤٣ . والرابع هو الذي عُقد بسعي القديس مكسيموس في سنة ٦٤٦ . ونُظمت ايضاً اربعة مجامع في بلاد افريقية نظمها اسطفان اسقف نوميدية وقوقونيوس اسقف بطراكو ويناراطوس اسقف موريطانية . وفقتر اسقف قرطاجنة وهي ضد بيروس القسطنطيني . وعقد تاودوروس بابا رومية سنة ٦٤٨ مجمعاً لعن فيهِ بولس خليفة بيروس . وفي السنة التي بعدها اختير مرتينوس على كرسي رومية واقام مجمعاً آخر ضدّ المذكورين . وفي السنة التاسعة والسبعين في رئاسة البابا اغاتون عُقد مجمعان احدهما في مديولانة والآخر في بلاد انجلية . وفي هذه المجامع وغيرها استفرغ الآباء غاية جهدهم في البحث عن الذين ابدعوا مقالة المشيئة الواحدة وسردوا اسماءهم واحداً بعد واحد . ولكنهُ لم يذكر احد عن مارون انه انشأ هذه المقالة او انه تبع احدًا عليها . ويُستدل على ذلك من كلام صفرونيوس اسقف اورشليم فانه كان في ايام نشأة هذه المقالة وكان مناصباً لمنشئيها وقد أَلَّف كتاباً في الايمان ضدّ هؤلاء القوم وعدَّد فيهِ اسماءهم فردًا فردًا نحوًا من مئتي اسم . فلو صح قول سعيد ان مارون الراهب انشأ هذه البدعة وانه كان في

عصر موريق الملك فلماذا غفل صفرونيوس عن ذكره مع من ذكرهم مع ان موريق لم يتقدم صفرونيوس الا بنحو عشرين او ثلاثين سنة. وان قلت انه لم يذكر مارون لانه كان حيًّا بعدُ. قلنا لك لماذا لم ينصحه ويكاتبه مع انها طاف البلاد الشامية باسرها والديار المصرية حتى البلاد الرومية ساعيًا سعي مجتهد في نقض رأي قورش اسقف باسلدس وسرجيوس اسقف قسطنطينية وغيرهما. أكان وصولهُ الى مارون متعذرًا عليهِ مع انه معهُ في البلاد. ولما صار بطريركًا على بيت المقدس فلماذا لم يوبخه ويكاتبه وان لم يكن اطاعهُ فلماذا لم يحرمه. ثانيًا: مذكور في اخبار البيعة انه لما تقلد بولس كرسي قسطنطينية قام بمعاضدة المتنصرين للمشيئة الواحدة وقلد سرجيوس اسقف يافا كرسي بيت المقدس ورقّى كثيرين من اصحاب تلك المقالة الى رئاسة الكهنوت فحينئذٍ اجتمع رؤساء الكهنة من فلسطين والشام وارسلوا اسطفان اسقف دارا بالرسائل الى تاودوروس صاحب الكرسي الروماني ليخبروه عن ذلك. فجعل البابا اسطفان المذكور نائبًا عنهُ في نواحي المشرق وامره ان يحطهم عن كراسيهم فامتثل قوله وخلعهم. واما رؤساء كهنة فينيقية وجبل لبنان فلم يذكر احد عنهم انه اصابهم ما اصاب هؤلاء اولاً وآخرًا. ثالثًا: اخبر شدران وزوناراس وتاوفان ونقفور وغيرهم من اصحاب التواريخ انه في دولة قسطنطين اللحياني لم يكن احد ينجد دولة الروم في بلاد الشرق نجدة اهل لبنان. فانهم داسوا بجيوشهم صقع الشام وكسروا شوكة الفرس والقوا الرعب في قلب معاوية بن ابي سفيان حتى رفع الحصار عن قسطنطينية وطلب الصلح الى مدة ثلاثين سنة ورفع للملك الروم جزية معلومة بشرط ان يصرف عنهُ اهل لبنان. وتخبر التواريخ انه ما عُقد المجمع السادس الّا عندما انعقد بينهما الصلح. فلو ان يوحنا السرومي الذي دعي مارون كان مخالفًا لرأي البيعة لحرمهُ الآباء كما حرموا بطاركة قسطنطينية وغيرهم لانهُ كان مترئسًا على اهل جبل لبنان. وعندما توفي قسطنطين الملك وعقبهُ ولده يُستنيان وافضت نوبة الخلافة بعد معاوية الى عبد الملك بن مروان من خلفاء بني

اميَّة تيقن الناس ان خراب مملكة الروم وشيك لعجز ملكها لانه كان ابن ست عشرة سنة . وكان العرب اذ ذاك شديدي القوة حديدي العزم كالجمرة المتقدة وقد استولوا على جميع بلاد الشرق ولكن يُستنيان الملك ظفر بهم اخيرًا واخمد جمرتهم كما اخبر المؤرخون ثم استولى على بلاد ارمينيــة وايبارية والبانية وهرقانية ومادية وغيرها . واما العرب فلخشيتهم منهُ التمسوا الهدنة وكتبوا على انفسهم صحفاً نحاسيــة انه يؤدون لهُ كل يوم الف ذهب ومملوكاً وجوادًا بشرط ان يردّ عنهم غزوات اللبنانيين فرضي الملك بهذا الشرط وكتب الى اهالي جبــل لبنان ليمتنعوا عن مقاتلة العرب . فلما لم يجيبوهُ جهز جيش الروم الى بلاد الشام . فقتلوا امير الموارنة بالغدر ثم جهزهم مرة ثانية لكي يقبضوا على يوحنا البطريرك الانطاكي ولما لم ينالوا مرادهم منهُ ضربوا الموارنة بالسيف والتابعين لمعتقدهم ودكوا الى الارض دير القديس مارون الذي بحماة ولم يكن منكرٌ الّا انزلوه بجبل لبنان غير ان اللبنانيين انسكبوا عليهم اخيرًا من الجبال فشتتوا شمل الجيش واهلكوا صناديده وقتلوا قوَّاده وامتلأت ايديهم من غنائمه . وفي جميع هذه الاحوال لم يوجد مخــبر ولا كاتب من اصحاب التواريخ كتب عن مارون او عن اهالي جبل لبنان انهم كانوا مبتــدعين او مارقين عن الديانة المهذَّب رأيها . ولكنهم في حالتي السخط والرضا قالوا ان الله كان يعضد مملكة الروم بنعمة مختصة بواسطة اهالي جبــل لبنان وانه لما نهاهم الملك عن مقاتلة العرب وكسر شوكتهم جلب الاذى والخراب على نفسه وعلى كل مملكته

رابعاً : انه في ذلك العصر نفسه عندما توفي عبد الملك بن مروان وخلفه ولده يزيد بزغت اشعة فضــل القس يوحنا الدمشقي في العلم والقداسة . وكان المذكور كاتب ديوان يزيد في دمشق الشام التي تصاقب جبل لبنان . فصنف هذا الفاضل اقوالاً يبطل فيها بدع اهل المشرق بغاية من الفصاحة ولم يذكر شيئاً عن مارون في هذا المعنى ولا قال ان الموارنة المقيمين معهُ في تلك المدينــة او في تلك الايالات انتصروا لها او تبعوها . فنتج من هــذا ان المجمع السادس ما التأم طعناً في مارون او الموارنة ولم

يذكر ذلك احد اصلًا ممن تقدم سعيدًا. ولو شاءت امَّة من امم الشرق ان تفتخر بمذهب المشيئتين وثباتها عليهِ لما حقّ هذا الافتخار الَّا للموارنة اهل جبل لبنان.

اولاً: لانه لما كان قورش يعلم في الاسكندرية بمقالة المشيئة الواحدة وسرجيوس في قسطنطينية وتاودورس في بلاد العرب والنسطورية في بلاد الكلدان واليعاقبة في الجزيرة ومصر وانوريوس في رومية (على رأي سعيد) تصدَّى صفرونيوس وحده للردّ على المبتدعين على حين كان راهبًا سائحًا. ولذلك طاف بلاد مصر والشام وقسطنطينية ونادى بان لربنا مشيئتين لا مشيئة واحدة غير هائب اذية خصومه مع علمهِ بسطوتهم. ولما اختاره اهل بيت المقدس بطركًا جاهر بهذا المعتقد في المجمع الذي عقدهُ هناك ونشره في العالم كله في كتاب الايمان الذي سطره بيده ونادى بهِ بفمهِ فقبلهُ اهل الدنيا باسرها ولقبوه بفم المسيح. فان قلت ومن اين كان منشأ هذا الفارس الشديد الجهاد والغزير العلم والقداسة. اجبناك انهُ من جبل لبنان من مدينة بشراي التي هي راس الجبة كقول مهوراتيوس في سنكساره الذي قدمهُ لقسطنطين الملك في اليوم الحادي عشر من شهر اذار على هذه الصفة: في هذا اليوم ذكر ابينا البار صفرونيوس اسقف اورشليم هذا القديس نشأ في مدينة بشراي التي في جبل لبنان»

ثانيًا: قد بينًا في الكتاب الاول ان يوحنا السرومي مذ تلقى العلوم في مدينة قسطنطينية تعلَّق برأي المشيئتين. ولما عاد الى سورية ولبس اسكيم الرهبانية في دير ماري مارون لم ينقطع عن المجاهرة بهذا التعليم حتى حملهُ اوجان الملك الذي كان بانطاكية الى الكردينال سفير الكرسي الروماني وقتئذٍ في نواحي المشرق فجعلهُ اسقفًا على البترون ليشدد المؤمنين في الخضوع لكنيسة رومية وينادي بمقالة الطبيعتين والمشيئتين والفعلين. فاحسن تدبير قومه وكثر انصاره وتابعوه حتى تولوا اكثر البلاد الشامية

ثالثًا: انهُ بعد ان ارتقى الى الكرسي الانطاكي شخص الى رومية ونال من يد البابا سركيس درع كمال الرئاسة. وعند عودتهِ الى كرسيه استأصل شأفة المخالفين

مثل مقاريوس وغيره وانضم اليهِ كثير من اليعاقبة واقرُّوا بمقالة الطبيعتين والمشيئتين

رابعاً : ان البطرك يوحنا المشار اليهِ لم ينقل كرسيَّهُ الى جبل لبنان الَّا لما كان من امر يستنيان الملك الذي جمع رؤساء المخالفين وعقد مجمعاً قرَّر فيهِ ان لربنا طبيعتين ومشيئتين واحدة وفعلًا واحدًا . ثم سيَّر اوامره ومناشيره الى جميع الروساء ليجروا على ما قرَّرهُ . ومن حيث ان البطريرك يوحنا لم يجبهُ الى ذلك جهَّز جيش الروم في طلبه حتى اضطرَّ ان يفرّ الى جبل لبنان ولم يكفّ حياته كلها عن ان يرشد الشعب الى الايمان القويم والاستمرار على الاقرار بالطبيعتين والمشيئتين كما هو ظاهر من الميامر التي ألفها ومن كتب البيعة التي رتبها ومن تراجم القديسين المدونة في بدء الشحيم والشحم المشتملة على الصلوات المفروضة على جميع الكهنة . ومن ايام هذا القديس اخذت الكنيسة المارونية في كل سنة تصنع تذكارًا خصوصيًّا للمجمع السادس دون سائر المجامع المقدسة وللآباء الذين انتصروا لهُ واسرّ المشيئتين كما هو معروف من النسخ القديمة في كنائس جبل لبنان ومن التي طبعت على صورتها برومية في سنة ١٦٢٢ على هذه الصفة :

اذار في الحادي عشر ذكر صفرونيوس بطريرك بيت المقدس

نيسان في الثالث عشر ذكر مرتينوس بابا رومية

تموز في الرابع ذكر واضع القوانين اندراوس رئيس الكهنة هذا البار كان سفير تاودورس بطريرك بيت المقدس الى المجمع السادس

آب في الثالث عشر ذكر مكسيموس المعترف

ايلول في الخامس عشر ذكر المجمع السادس

فينتج مما تقدم ان اهل جبل لبنان هم انصار المجمع السادس وبسبب انتصارهم لهُ افترقوا عن سائر امم الشرق في الاسم والديانة . واما زعم سعيد عن مارون صاحب الدير بحماة فقد انكشف لك كذبه وتحقق ان مارون كان رجلًا قديساً وانهُ لم يكن في عصر موريق ملك الروم بل قبله بمائتي سنة . وقولهُ ان سرجيوس

وقورش وانوريوس وهرقل كانوا مارونيين هو كله تزوير (١). لانهُ في مدة الثلاثمائة سنة التي كانت بين سعيد وبين المذكورين لم يسمهم احد بهذا الاسم البتة. واشنع من ذلك قولهُ بان البابا يوحنا لعن الموارنة واثبت ان مارون انشأ مقالة المشيئة الواحدة. فهذا قول فاسد ومما ذكرنا في هذه الفصول الخمسة يعرف انهُ ليست شهادة سعيد في الموارنة هي كاذبة بل ايضاً شهادة كل من تابعهُ على ذلك وكتب عنهم انهم ضلوا في حين من الاحيان كما سترى في الفصول الآتية

الفصل السادس

في رد قول توما مطران كفرطاب الزاعم ان الموارنة كانوا على مذهب المشيئة الواحدة في سنة ١٠٨٩ (٢)

كان المسمى توما مطران كفرطاب من جملة الذين قصدوا القاء الفساد في الامة المارونية. ولكن الله تبارك وتعالى لم يترك زؤان تعليمهِ ينمي بين بنيها او يثبت في كتبها. يُعرف ذلك من الكتاب الذي صنفهُ في المشيئة الواحدة ودعاه كتاب العشر مقالات. وهذا هو بدء ديباجتهِ: «يا اخوة لما كانت سنة ١٤٠٠ من تاريخ اسكندر بن فيلبس اليوناني (١٠٨٩م) جرت مكاتبات ومراسلات بين بطرك الروم في مدينة انطاكية وهو الانبا يوحنا وبين توما مطران كورة حلب الماروني. (لانهُ جرى بينهما تصحيح المذهب المسيحي باعتقاد الايمان المقدس. وكان الامر في اعتقاد الملكية بالمشيئتين لذي الطبيعتين. وفي تصحيح مذهب الموارنة بتأنس ربنا من لاهوت وناسوت طبيعتين متحدتين بمشيئة واحدة). فلما كثر التصحيح بينهما جعلت كتب الانبا يوحنا تتوارد

(١) وفي نسخة هذه الزيادة: وكما ان اليعقوبية واتباعهم يرسمون اشارة الصليب باصبع واحدة اشارة الى اعتقادهم الطبيعة والمشيئة الواحدة. كذلك المارونية من قدم الزمان يرسمون تلك الاشارة باصبعين لاعتقادهم طبيعتي السيد المسيح ومشيئتَيهِ كما يُعرف ذلك من صور روساتهم في الهياكل القديمة

(٢) نقلت هذا الفصل عن نسخة الكلية الكاثوليكية في بيروت بحروفه

الى الانبا توما. وكذلك كتب توما الى الانبا يوحنا». ثم يخبر عن رسالة الانبا يوحنا التي تتضمن البرهان عن المشيئتين. وكيف ان توما نقضها برسالةٍ اخرى انفذها الى البطرك يوحنا. وانهُ لما وصلت اليهِ عجز عن جوابها فالقاها في النار كي لا ينتشر خبرها. وحينئذٍ يقول توما انهُ: «لما بلغهُ خبرها فرح غاية الفرح وعاد فكتبها احسن مما كانت وجعلها في ديوان كنيستهِ المقدسة يضاد بها كل مكثري الفضول. فلما جاء الزمان الذي حدَّده الله تبارك وتعالى توجه الانبا توما في حاجة لهُ الى جبل لبنان بمشيئة ربنا السيد المسيح لهُ المجد. وكان يظن انهُ ما يقيم فيهِ الَّا نصف سنة ويعود الى طرابلس. فحدث بغتةً ان الافرنج حاربوا طرابلس الشام وفتحوها وان الانبا توما مكث في جبة يانوح اربع سنين وعاد الى جبة بشراي واقام فيها مدة سنتين. وفي بعض الايام حضر اليهِ خوري ماهر قديس من اهل فرشع وتضرع اليهِ بالحاح في ان يجدد لهُ هذه الرسالة عينها بشهادات صادقة يقينية كما قد ثبَّتتها لنا المجامع المقدسة. ثم ان الانبا توما وقف بين يدي ربنا المسيح متضرعاً لرحمتهِ ليفتح عيني عقله ليجدد تلك الرسالة كما كانت»

فمن هذا يُنتج القاري اولًا: ان توما المذكور كان مارونياً ومطراناً على كفرطاب التي بين نهر العاصي وبين حلب ولذلك يُدعى ايضاً مطران كورة حلب. ثانياً: انهُ كان يعتقد ان في الرب مشيئة واحدة ويخاصم يوحنا بطريرك الروم الذي كان يدافع ويحتج عن المشيئتين. ثالثاً: ان هذه الامور حدثت بينهما بتاريخ سنة ١٤٠٠ لليونان الموافقة لسنة ١٠٨٩ للمسيح. رابعاً: ان توما توجه الى جبل لبنان اعني الى جبة بشراي ومن هناك الى جبة يانوح التي على نهر ابراهيم في حاجة لهُ وكان يظن انهُ ما يقيم بها الا نصف سنة ويعود. فحدث انهُ بعد وصوله قدمت جيوش الافرنج من بيت المقدس الى حصار طرابلس ففتحوها. وان توما بعد ان اقام اربع سنين في جبة يانوح عاد الى جبة بشراي واقام بها مدة سنتين. فيكون دخوله الى جبة يانوح في سنة الف ومائة واربع لان خروج الافرنج من بلادهم كان في سنة الف وست وتسعين. وفي سنة سبع وتسعين تولوا نواحي البيتينية والجزيرة. وفي سنة ثمان وتسعين فتحوا انطاكية. وفي

سنة تسع وتسعين زحفوا الى بيت المقدس وملكوه وفي سنة الف ومائة الموافقة لسنة اربعمائة وخمسٍ وتسعين للهجرة اقاموا لهم بطركاً وملكاً على المدينة المقدسة. ثم بعد افتتاح حيفا وقيصرية وعكا نازلوا طرابلس الشام في السنة الرابعة بعد الالف ومائة وشدّدوا عليها الحصار مدة خمس سنين. وفي عاشر حزيران سنة الف ومائة وتسع ملكوها. حينئذٍ عاد توما الى مقره. فتكون جملة السنين من حين بدء الجدال مع البطرك يوحنا الى عودتهِ من جبل لبنان عشرين سنة. وقبل ان نبين رأي توما هذا وتعليمه يجب ان نفحص عن اصله وسبب قدومه الى جبـــل لبنان. فان جبرائيل بن القلاعي وقع بيده كتاب العشر المقالات الذي هو عندنا بدير قنوبين بخط الشدياق موسى واخيهِ عيسى ولدي الخوري يوسف من حاقل. وهما عرضاه عليهِ ليفحصـــهُ فكتب عليهِ: ان توما هذا ما كان مارونياً ولا كان للموارنة مطران في كورة حلب. بل انهُ مشرقي من حاران ربي في ماردين. وان جماعته اليعاقبة نفوه فسار الى جبل لبنان واقرَّ بالطبيعتين ليحظى بالقبول عند الموارنة. فحين نال ذلك صار يعلم ان في السيد المسيح مشيئة واحدة لا مشيئتين فقبل البعض تعليمه على غير معرفة بضلالهِ. وبمثل ذلك كتب عنهُ في الميمر الذي الَّفهُ عن ذوي البدع بقولهِ:

تبعهم توما من حاران — من قصته الصدق يبان
في كورة حلب كان مطران — وكرسيه ليس هو سمعاني
قلت لي انهُ من ماردين — زدتني بهِ رغبـــة ذا الحين
ماردين مسكن الشياطين — نسطور ويعقوب سكاني
قلت انهُ جا الجبل لبنان — شهدت انهُ جا للطغيان
ومارون في سذاجه الان — لينصت لمن هو سرياني

وعلى موجب هذه الشهادة تزول كل صعوبة. اعني انهُ ما كان مارونياً وانمـــا كان قاصداً ان يلقي زؤان البدعـــة بين الموارنة. ولكن لئلا يظن احد اننا بهذا الجواب قصدنا الفرار من الصعوبة نسلم ان توما كان مارونياً وانهُ كان مطراناً على

كفرطاب وعلى الرعايا الذين داخل العاصي . ولكنهُ من كتاب العشر المقالات الذي الفهُ ومن كتاب الهدى الذي افسده بما اضاف اليهِ من الزيادات يتبيَّن ان توما هذا لم ينخدع الّا بقراءة تواريخ سعيد بن بطريق . لانهُ لما وجد فيها ان مارون كان في عصر موريق الملك وانهُ على اسمهِ بني الدير الذي بجماة وان طائفة الموارنة منسوبة اليهِ وانهُ كان يعلّم بان في السيد المسيح ربنا طبيعتين ومشيئة واحدة وفعلًا واحدًا وان انوريوس بابا رومية تبعهُ على هذا الرأي مع قورش وبطرس بطركيْ اسكندرية وسرجيوس وبيروس وبولس وبطرس بطاركة قسطنطينيـــة ومقدونيوس وجريج ومقاريوس بطاركة انطاكية وهرقل وابن اخيهِ قسطنطين وقنسطا وفيلبس ملوك الروم وان هولاء وغيرهم كانوا موارنة متمسكين بمارون وتعليمه خُدع بذلك وعدل عن اراء آبائه واجداده المهذبة . وصار يحتج وينتصر للاعتقاد بمشيئـــة واحدة . ويناصب ليس فقط الروم بل ايضًا جماعة الموارنة . وهذا كان سبب قدومه الى جبل لبنان لتصحيح مذهب الموارنة كما زعم

ومن هنا يتبيَّن انهم كانوا اولًا متمسكين بمشيئتين . فان البطرك يوسف الجرجسي الذي في ذلك الزمان كان بطريركًا على انطاكيـــة وكان قاطنًا في دير يانوح ارسل يوبخهُ وينهاه عن ذلك التعليم المتجدد والخارج عن استقامة الديانة . وكذلك ارسانيوس مطران العاقورة الذي كان مقرّه في دير ماري ادنا بقرب يانوح ارسل يلومهُ على ذلك . الّا ان توما مطران كفرطاب انفذ حينئذٍ رسالة مطولة الى ارسانيوس المذكور يبرهن فيها من تواريخ سعيد بن بطريق ان هذا كان رأي معلمهم ماري مارون ورأي الآباء الذين تمسكوا بهِ . وان الموارنة يفترقون بهذا الرأي لا بغيرهِ عن الملكية . وهذا القول نفسه زاده على كتاب الهدى في الاصحاح من فريضة الدين قائلًا : « ان اوّل فرقة ظهرت من الفرق المشهورة هي الفرقة المنسوبة الى اريوس وهي التي تُدعى الاريوسية ثم النسطورية وهي المنسوبة الى نسطور ثم اليعقوبية وهي المنسوبة الى يعقوب البرادعي ثم الملكية وهي المنسوبة الى مكسيموس المخالف الذي كان من ذرية السمرة وابوه كان إسمهُ

زادوق وكان يهوديًا وامهُ جارية عجمية كما تقدم عنهُ الوصف في الكتاب الكبير اي في كتاب العشر المقالات وخبرهُ مؤرَّخ في كتاب سعيد بن بطريق . ثم المارونية وهي المنسوبة الى دير مارون والى الاب القديس الطاهر ماري يوحنا بطريرك انطاكية » . ثم قال : « وقد ذكرت خبرها بين الفرقتين الملكية والمارونية وشرحت بيان حالها شرحًا شافيًا في الرسالة التي كتبتها الى الاب القديس ارسانيوس اسقف عين قوره وسميتها رسالة العدل » . ثم يزيد بعد قليل . « وثبتت هذه الفرق اربعًا : على ان الفرقتين الملكية والمارونية اللتين ذكرناها انما هما فرقة واحدة ورأيهما في الاتحاد والجوهر الاقنومي رأي واحد وانما اختلفتا بالمشيئة . فقالت الملكية بالمشيئتين وقالت المارونية بالمشيئة الواحدة واحتجت كل واحدة منهما بحجج . وقد ذكرنا حالها وحججهما التي اوجبت الخلاف بينهما في الرسالة الموسومة ببداية العدد » . الى ههنا قول توما في زياداته على كتاب الهدى ومنهُ يتبيّن ان الموارنة والملكية قبل كتابة تلك الرسالة كانوا متفقين بما يخص تجسد الكلمة في الاقنوم والطبيعتين والمشيئتين فان الملكية ولو انهم اقرّوا بمشيئة واحدة عند ما افترقوا عن الموارنة وتبعوا راي يستنيان الملك لكنهم بعد مقتلهِ رجعوا مع اكثر الروم الى الاقرار بالطبيعتين والمشيئتين . وكذلك كان يقول صاحب كتاب الهدى انهما فرقة واحدة . كما ترجمهُ المطران داود (١) حين نقلهُ من السرياني الى العربي في سنة الف وثماني وخمسين مسيحية . واما توما الكفرطابي فلما خُدع بكتاب سعيد بن بطريق جعلها فرقتين وصار يقول انهما يفترقان بالمشيئة والمشيئتين الا انهما فرقة واحدة فهذا الكلام ينقض بعضهُ بعضًا . فان كانت فرقة المشيئة والمشيئتين فرقة واحدة فاذًا ليست فرقتين . لان الفرق بين الطوائف كان اكثرهُ بسبب الاقنوم والاقنومين وبسبب الطبيعة والطبيعتين . وكذلك تكون المشيئة والمشيئتين . ومثلما طعن المجمع الثالث بالحرم لنسطور بسبب تمسكه بالاقنومين والمجمع

(١) هو الاسقف داود الماروني الذي كان في القرن الحادي عشر وترجم كتاب الكفرطابي الى العربية الفصيحة سنة ١٣٧٠ لاسكندر الموافقة سنة ١٠٥٩ للمسيح

الرابع لاوطاخي وديوسقورس بسبب اعتقادهما بطبيعة واحدة. كذلك المجمع السادس فرز مقاريوس لانهُ جحد المشيئتين وقال بمشيئة واحدة. فاذًا اولاً: كما ان الفرق بين الاقنوم والاقنومين والطبيعة والطبيعتين امر مشهور فهو كذلك ايضاً بين المشيئة والمشيئتين. ثانياً: من قول توما المشار اليهِ يظهر ان الموارنة كانوا مقرّين بالمشيئتين وان المذكور ما كتب الرسالة الى ارسانيوس اسقف العاقورة بحجج وبراهين الا حتى يردّهم عن ذلك الاعتقاد الى التمسك بالمشيئة الواحدة التي على رأي سعيد بن بطريق نادى بها مارون معلمهم. ولاجل ذلك يقول ان تلك الرسالة سُمّيت رسالة العدل كانهم كانوا سابقاً زائغين عن تعليم معلمهم وسالكين في طرق الظلمة وحائدين عن محجة الصواب فردهم الى العدل وانهج لهم سبيل الهداية. ثالثاً: يتبين مما ذكره توما المشار اليهِ في الديباجة انهُ ما من احد انقاد لهذيانهِ لا البطرك يوسف الجزيل الغبطة ولا ارسانيوس الغزير العلم ولا احد من جميع روساء الكهنة والاديرة. وبسبب ذلك ولما عجز عن توجيه الرسائل ذهب بنفسه الى جبة بشراي ومنها الى دير يانوح حيث كان مقر البطريركية وفي القرب منهُ اسقف العاقورة واسقف المنيطرة وغيرهما. فاقام مدة اربع سنين ينصَب ويتعب ويزوّر شهاداتٍ على صحة المشيئة الواحدة قائلًا ان ذلك كان تعليم القديس مارون وقول انوريوس بابا رومية وسائر البطاركة الممدوحين. ولما لم يتبعهُ احد على مقالتهِ رحل الى جبة بشراي واقام نحو سنتين يخادع روساء الكهنة قائلًا ان الافرنج والحبش والسريان وسائر الطوائف هم متمسكون ومعتقدون بمشيئة واحدة ما خلا الروم وانها امانة الاب مارون والذين تبعوه. وهذه المرة ايضاً لم يصادف قوله تسليماً عند احد ولكن الجميع ازدروا بهِ وقرفوه. ثم طاف بلاد البترون وجبيل فرفضهُ الجميع ولم يقبلهُ احد الّا خوري فرشع غير ان ذلك الخوري المذكور مع سذاجته في الامور الالهية لم يأذن لهُ في كتابة الرسالة قبل ان يجددها ويؤيدها بشهادات صادقة يقينية ويطبقها على تحديدات المجامع المقدسة كما يشهد توما نفسهُ. فلو ان تلك الرسالة كانت مقبولة عند البطريرك يوسف ومطارنته وارباب ديوانه

لما كان توما كتبها لكنيسة فرشع التي هي قرية صغيرة واعرض عن كتابتها لكنيسة البطركية او لغيرها من الكنائس المقدسة والاديرة المكرمة لاجل الذكر الابدي . مع انهُ ما قدم الى جبلَ لبنان الا بهذا الغرض ولم يبقَ ستّ سنين واكثر يجول من بلاد الى بلاد ومن دير الى دير في مجاهدة شديدة الّا حتى يُدخل هذه الديانة في جبل لبنان . ولكنهُ لم يستطع ان يكتبها الّا في قرية فرشع لا غير. فمن اقراره يتبيَّن انه ما من احد قبل تعليمه وان رسالته في العشر المقالات ما سطرت الّا في قرية فرشع

هذا ولو سلمنا ان توما كان مارونيًّا وكان مطرانًا على الموارنة لا ينتج ان معتقده في المشيئة الواحدة كان مقبولًا عند الموارنة ورؤسائهم . ولكنهُ بسبب مخالطته للامم الغريبة ومطالعته كتاب سعيد بن بطريق بدّل ديانة والديه التي تسلمها في العماد وعاهد الله انهُ ما يبدلها في رسامة الكهنوت . وعندما قدم الى جبل لبنان ليخدع ذوي القلوب السليمة لم يبلّغهُ الله مراده بل رجع مخذولًا الى مقرّهِ . واما الموارنة فكانوا في زمانهِ بلا شك طائعين لكنيسة رومية ومتمسكين بتعليمها كما هو واضح من المكاتيب التي برضا وتسليم الشعب وعلمائهم ارسلها البطرك يوسف الجرجسي في سنة الف ومائة الى صاحب الكرسي الروماني بسبب طلب التثبيت . وسوف نتكلم عن ذلك في الفصل الآتي . وقد اشار اليعاقبة في كتاب معتقدهم الى هذا الامر الذي قصد توما الكفرطابي ان يُدخلهُ بين الموارنة قالوا : « فما رضيت الطوائف تؤمن حتى قلتم انتم واياهم يا موارنة طبيعتين وجوهرين ومشيئتين وفيهم من قال مشيئة واحدة » يشيرون بالقائلين بمشيئتين الى الموارنة اهالي جبل لبنان . وبالقائلين بمشيئة واحدة الى توما الكفرطابي وعبدالله بن الطيب اللذين انفصلا عن الموارنة وضلّا بقراءة تواريخ سعيد وكانا يجاوران اليعاقبة (١)

(١) زعم بعض المعترضين ان كتاب الكفرطابي هو قسم من كتاب الايمان للقديس يوحنا مارون فرد هذا الزعم المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت في كتاب روح الردود ص ٢٩٩ الى ٣١٨ . واثبت ايضاً ان الكفرطابي المذكور ترجم كتاب يوحنا مارون الى العربية وحرفه وزاد عليهِ ص ٣٠٤ وما يليها . وذلك بما لا مرد عليهِ من البراهين القاطعة

وفي نسخة مكتبة دير اللويزة اختلاف ليس باليسير عن رواية النسخة التي بيدنا لان المؤلف بدأ هناك برد دعوى عبد الله بن الطيب الزاعم ان الامة المارونيــة كانت على رأي المشيئة الواحدة سنة ١٠٣٠ ثم تطرق الى ابطال دعوى توما اليعقوبي مطران كفرطاب بكلام لا يختلف في المعنى عما مرّ بك وان اختلف لفظاً اختلافاً قليلًا

وهذا هو نص كلامه في النسخة المذكورة بالحرف :

ان داود المجيد في الانبياء شبّه الاقوال الغاشّة بالفخاخ التي يعدّها المكرة لاجل اصطياد المارّة وقد سمّاها ايضاً سمّ الافاعي الذي يقتل القلوب السليمة. وقد بيّنا في الفصول السالفــة ان سعيد بن بطريق زعم ان مارون المبني ديره في حماة قد ابتدع مقالة المشيئة الواحدة وان الامة المارونية تنسب اليــهِ وان ملوك الروم وجميع ارباب الكراسي تبعوه على ذلك. وزعم سعيد هذا كان بمنزلة فخ نصبــهُ في طريق التاريخ ليصطاد بهِ كل من يسلك السبيل المذكور على غير هدًى . ولم يقع في هذا الشرك الروم والملكيــة فقط بل الارمن والسريان والزنج والافرنج. ومن جملة الذين أُخذوا بهذه الحبالة عبد الله بن الطيب الذي كان ماروني الاصل لانهُ لما طالع تاريخ ابن بطريق وعرف منهُ ان الملكية والمارونية يفترقان بوحدة المشيئة كما يفترقان عن النسطورية بوحدة الاقنوم وعن اليعقوبيــة باثنينية الطبيعية اعرض عن اعتقاد ابويه ولم يعبأ بدرجة القسوسية التي تسلمها من رؤساء كهنة الامة المارونية ووقع في الحبالة التي كانَ قد نصبها ابن بطريق قبلــهُ بمائة سنة واخذ ينتصر لرأي المشيئة الواحدة ويناصب من يجحدها من الروم وغيرهم. فنُفي لذلك من بلاده الى العراق واقام هنالك يؤلف رسائل وتفاسير واعتقادات ويبعث بها الى اهل جبل لبنان طمعاً في ان يجذبهم الى رأيهِ وألّف كتاباً سماه الهدى وفي الفصل الثاني منهُ هذا الكلام :

« ان اول فرقة ظهرت من الفرق المشهورة هي الفرقة المنسوبة الى اريوس ويسمى اصحابها اريوسية. ثم النسطوريّة وهي التي تنسب الى نسطور . ثم اليعقوبيــة وهي التي تنسب الى يعقوب البرادعي . ثم الملكية وهي التي تنسب الى الملك قسطنطين بن قسطنطين بن هرقل. ثم المارونية وهي التي تنسب الى دير مارون والى الاب

القديس الطاهر يوحنا البطريرك الانطاكي وقد ذكرت خبرها بين الفرقتين الملكية والمارونية وشرحت بيان حالها شرحاً شافياً في الرسالة التي كتبتها الى ارسانيوس اسقف عين قره وسميتها رسالة العدل . وثبتت هذه الفرق اربعاً الّا ان الفرقتين الملكية والمارونية اللتين ذكرناهما هما فرقة واحدة ورأيهما في الاتحاد وجوهر الاقنومية رأي واحد وانما اختلفتا بالمشيئة فقالت الملكية بالمشيئتين وقالت المارونية بالمشيئة الواحدة واحتجت كل واحدة منهما بحجج وقد ذكرت حالهما وحججهما التي توجب الخلف بينهما في الرسالة الموسومة بدباءة العدد » . انتهى

فقوله عن الملكية والمارونية تارةً انهما فرقة وتارةً انهما فرقتان فيه تناقض لانهما اذا كانتا فرقة واحدة لزم انهما ليستا فرقتين والّا لزم اجتماع النقيض وهذا محال مع ان مفهوم الفرق واقع ما بين القائلين بالاقنوم والقائلين بالاقنومين والقائلين بالطبيعة والقائلين بالطبيعتين . والضرورة تدعو ان يكون فرق بين القائلين بالمشيئة والقائلين بالمشيئتين . ونحن قد اوضحنا في الجزء الاول والثاني ان الفرق ما بين الملكية والمارونية ما نشأ الّا في معاملة طرابلس عند وقوع الحرب في ارض قرية اميون ما بين اللبنانيين وجيش يُستنيان الاخرم الذي أُرسل من بلاد الروم في طلب يوحنا البطريرك الانطاكي . فسُمي حزب البطريرك يوحنا مارونياً نسبةً الى دير القديس مارون الذي كان البطريرك منسوباً اليه . وقد ذكرنا ذلك في موضعهِ وبيناه بياناً شافياً اذ ان البطريرك المشار اليهِ كان ميالاً الى رأي الكنيسة الرومانية مذ وجد في قسطنطينية ولم يفرّ من انطاكية الى دير مارون ومنهُ الى جبل لبنان الا لانهُ متمسك برأي الطبيعتين والمشيئتين . وسمي حزب يستنيان ملكياً . ومن هنا يعلم ان الملكية لم ينتسبوا الى موريق ومرقيان ملكي الروم كما كتب ابن بطريق ولا الى الملك قسطنطين بن قسطنطين كما يزعم ابن الطيب لان هؤلاء الملوك المذكورين لم يدخلوا معاملة طرابلس وليس لهم بها من عين ولا اثر . ولكنهم ينتسبون الى الملك يُستنيان الاخرم الذي انفذ اليهم جيشهُ . تشهد بذلك مدافن قوّاده ووجود

الملكية بتلك المعاملة خاصةً دون غيرها من الجهات

واما مذهب يُستنيان المذكور فمن الواضح انهُ كان يقول بالمشيئة الواحدة واثباتًا لذلك امر بحشد مجمع مرذولٍ في المدينة المتملكة واشتدَّ شدَّةً عظيمةً على سرجيوس بابا رومية ويوحنا بطريرك انطاكية. ولما سار الجيش بطلب يوحنا المذكور نهض لاون القائد على يُستنيان الملك وقبض عليهِ وجذم انفه ونفاه الى شرصونة وتولى المملكة مكانه. فاقام يستنيان في المنفى عشر سنين وفي السنة الحادية عشرة عاد الى ملكهِ بواسطة ملك البلغار وعدل عن سوء المعتقد الى موافقة الكنيسة الجامعة وقبض على قالينيقوس بطريرك قسطنطينية وعلى جميع الرؤساء الذين اغروه باتباع بدعتهم واقتص منهم وكاتب بابا رومية بالطاعة لهُ وطلب منهُ ان يشرّف قسطنطينية مدينتهُ بالقدوم اليها بنفسهِ. فلما قدم البابا عليهِ خف لاستقبالهِ بالاكرام وقبّل قدميه والتمس منهُ الحلّ من جريمتهِ وتناول الاسرار الالهية من يديه. ولما عدل الملك المذكور عن غوايتهِ واقرَّ بالطبيعتين والمشيئتين تبعهُ القوم الملكية المنتسبون اليهِ. ومن ذلك الوقت تمسك الملكية بالروم كما تعلّق الموارنة بالافرنج فيما يخص الطبيعتين والمشيئتين الى عهد ابن بطريق وابن الطيّب حتى الآن. اما ابن بطريق فلما شاء ان يبرّىء امتهُ من بدعة المشيئة الواحدة التي اخذوها اختيارًا من موريق ومرقيان قائدي جيش يُستنيان الملك نسبها الى الامة المارونية وكتب ان الملكية ينتسبون الى موريق ومرقيان الملكين وان الامة المارونية تنتسب الى مارون مبتدع المشيئة الواحدة. الا اننا في الفصول الخمسة المتقدمة قد اوضحنا كذبه وضلاله. ولكن ابن الطيب لم يتنبّه لمكرهِ فوقع في حبالتهِ وشرع ينفث في الضمائر السليمة ما كان قد كرعهُ من سموم تاريخهِ ويسمّ بهِ الامة المارونية المتمسكة بالطبيعتين والمشيئتين ولذلك سمى كتابه لهم بكتاب الهدى وسمى ايضاً رسالته التي بعث بها الى ارسانيوس اسقف عين قره برسالة العدل يعني بذلك انهُ هداهم الى سنن آبائهم بعد ان كانوا عنها ضالين وقوّم عوَجهم وبين لهم طريق العدل وسدَّدهم الى مهيع الايمان. غير ان

ارسابيوس المذكور لم يلتفت الى هذيانهِ كما لم يعبأ بهِ احد من علماء الامة ثم قضى اجله سنة ١٠٤٣ منفيًّا في بلاد العراق. وبعد موتهِ بست واربعين سنةً ظهر توما اسقف كفرطاب التي ما بين العاصي وحلب ولذلك لقب باسقف كورة حلب وكان يعتقد ان في السيد المسيح مشيئةً واحدةً وذكر في مقدمة كتابهِ المسمى بالمقالات العشر انهُ في سنة ١٤٠٠ لاسكندر بن فيلبوس اليوناني الموافقة لسنة ١٠٨٩ للمسيح حدث بينهُ وبين يوحنا بطريرك الروم الانطاكي مراسلات في تصحيح مذهب الامة المارونيــة ان في ربنا طبيعتين متحدتين بمشيئة واحدة. ومن عنوان كتابه يستدل اللبيب ان الموارنة كانوا يعتقدون بالطبيعتين والمشيئتين. فلاجل ان يميزهم عن الملكية همّ بان يصحّح مذهبهم على رأْي المشيئة الواحدة حسب ما نقل عنهم ابن بطريق وابن الطيب. ولما لم ينل غرضه بالمراسلة شهد على نفسه انهُ قدم بهذا القصد الى جبل لبنان وكان في ظنهِ انهُ يقيم هناك نصف سنة ويرجع الى طرابلس فاتفق ان الفرنج نازلوا طرابلس في تلك الفترة وافتتحوها فلبث توما في جبــة يانوح اربع سنين ومن هناك عاد الى جبــة بشراي واقام بها مدة سنتين. ثم طاف بلاد جبيل والبترون وحضر اليهِ في اثناء ذلك خوري ماهر ذو قداسة من قرية فرشع فتوسل اليــهِ ان يجدد لهُ هذه الرسالة نفسها ويؤيدها بشهادات صادقة منطبقة على اقوال المجامع المقدسة فجددها لهُ كما كانت

ومن كلامه هذا يفهم انهُ لم يتوجه الى جبل لبنان الّا ليخدع اهله ويزرع فيهم بدعة المشيئة الواحدة. لانهُ بعد ان اكثر من مراسلتهم ومكاتبتهم ولم يرَ لكلامهِ فيهم وقعًا اضطرّ ان يذهب هو بنفسهِ اليهم. فوصل الى جبة بشراي ثم صار من هناك الى دير يانوح مركز كرسي البطريركية بجوار كرسي اسقف العاقورة والمنيطرة واقام ثمَّ نحوًا من اربع سنين ينشر سوء اعتقادهِ ويأْتي بشهادات كاذبة لاثبات رأْي المشيئــة الواحدة ويدعي بانهُ تعليم الانبا مارون وانوريوس البابا والبطاركة الممدوحين. ومع هذا كله لم يلتفت اليهِ احد فرجع الى جبة بشرّاي واقام بهــا

سنتين يخادع روساءها ويقول ان الزنج والافرنج وسائر الامم النصرانية تعتقد مذهب المشيئة الواحدة ويزعم انها امانة مارون وتابعيه ويستشهد بابن بطريق وابن الطيب وغيرهما. ولكنهُ لم يقدر ان يصطاد احدًا باحبولتهِ ولاقى من الكل اذنًا صمآء عن سماع قولهِ

ثم طاف ايضاً بلاد جبيل والبترون فلم يقبلهُ احد الَّا خوري قرية في بلاد جبيل تسمى فرشع. وكان رجلًا ساذجاً غير خبير بالآراء الالهية فطلب اليه جهلًا منهُ ان يجدّد لهُ رسالته المقدّم ذكرها بشرط ان يؤيدها بشهادات صادقة على ما حدّدت المجامع المقدسة حسب قول توما نفسه. فهذا هو صنيع توما من قبل ومن بعد. فلو ان تلك الرسالة كانت مقبولة في البيعة ومثبتة من البطريرك يوسف الجرجسي واساقفته لما تنازل توما بكتابتها الى كاهن قرية حقيرة من غير ان يكتبها لكنيسة البطريركية. ومن يسلم انهُ يدونّهـا باسم قسيس قرية مع امكانهِ ان يدونها باسم رؤساء البيعة وعلماء الامة مع انهُ لم يقدم الى جبل لبنان الَّا بهذا القصد ولم يطف كنائسه وادياره وصوامعهُ الا ليبثّ في السكان اعتقادهُ. ولكنهُ لما لم ينل ذلك اضطرّهُ الامر ان يكتب صورة اعتقاده باسم قسّ قرية حقيرة. وهو يشهد على نفسه ان تعليمهُ لم يُقبل ورسالتهُ لم تسطّر الَّا في قرية فرشع. وفي ظني ان الخوري المذكور لم يقبلها اختيارًا ولذلك طلب منهُ ان يؤيدها بشهادات صادقة. هذا فضلًا عن ان جبرائيل بن القلاعي وقع بيده كتاب توما المذكور المسمى بالعشر المقالات وبعد اطلاعه عليهِ كتب بخط يده قائلًا: «ان توما هذا لم يكن مارونيًّا ولكنهُ مشرقي ولد في حاران وربي في ماردين مدينة الماردين. ثم نفي من هناك لظنةٍ توجهت اليهِ فذهب الى جبل لبنان واقرّ بالطبيعتين مخادعةً للموارنة ثم اخذ يعلم ان في المسيح مشيئةً لا مشيئتين. واذا سلمنا ان توما المذكور كان مارونيًّا وانهُ مطران على الموارنة وانهُ قال بالمشيئة كابن الطيب فلا ينتج من تسليمنا انهما كانا مقبولين عند الامة المارونية ورؤسائها ولكنهما قد تشربا ذلك من مخالطتهما القوم الغرباء ومطالعتهما كتب ابن

بطريق ولذلك انحرفا عن امانة ابويهما بعد ان عاهدا الله انهما لا يبدّلانهما عند ارتقائهما الى درجة الكهنوت. ولما آثرا بعد غوايتهما ان يضلاّ اللبنانيين ويخدعا الضمائر السليمة لم يمكّنهما الله من بغيتهما. الّا انهُ لا يخفى عليك ان القليل من الخمير في العجنة يُفسد العجنة كلها وان ابن الطيب صار عثرة للكثيرين فيما الفهُ. لانهُ لما مهر بالحكمة الدنيوية ومعرفة الالسن ودرس كتب الآباء اسهب الشرح في ترجمة الانجيل وعلم الشريعة المسيحية واعتقادات الآباء وغير ذلك وادخل فيها بدعته التي هي المشيئة الواحدة وذكر انها امانتهُ وامانة اهل جبل لبنان وبعث بها الى الامة المارونية. فاستنسخ كتبهُ بعض منهم طمعاً بالاستفادة من علومهِ وكتبوا معها بدعته المتضمنة فيها. وما ذلك الّا لسذاجتهم في الامور الالهية ولعدم تمييزهم بين الحنطة والزوان. فمن ذا الذي يقف الآن على تصانيفهِ ويستطيع ان يبرىء الموارنة من خلطتهِ ومن الذي يقرأها ولا يطعن فيهم بسببها. ومثله توما الكفرطابي فانه اقام زهاء ست سنين وهو مطران مستترًا باثواب الحملان ومفسدًا كتب بيعة الله حيناً يكشط كلام الحياة وآخر يكتب ضدّهُ واحياناً يُحرق بعض مجلدات للآباء القائلين بالمشيئتين واوقاتاً يزيد عليها من عند نفسهِ. ولكن الله الذي لم يزل ناظرًا في وجه بيعتهِ شاء بنعمتهِ الخاصة ان تُصان امانتهُ في جبل لبنان ليتمجد اسمهُ ما بين الامم الغريبة. ولما اراد ابن الطيب ان يبث فيها تعليمهُ الفاسد قام ارسانيوس اسقف العاقورة مناصباً لهُ وفضح هذياناته وقبل ان دخل توما الكفرطابي في جبل لبنان استقاد الله جيوش الافرنج سنة ١٠٩٩ من بلاد النصارى الى معاملة طرابلس فاجتمع كبراء الامة وارسلوا يرحبون بهم بما انهم اخوة لهم في الايمان ويعرضون عليهم ان يكلفوهم بكل ما يشاؤون. ولما ملكوا القدس في السنة الثانية وبعثوا بمراسيلهم الى بلاد النصارى انفذ ايضاً البطريرك يوسف الجرجسي برضا رؤساء الكهنة وكبار الطائفة رُسُله الى رومية لاجل تأدية الطاعة وطلب التثبيت من الكرسي الروماني كما سيرد في الفصل الآتي فخاب امل الكفرطابي عند قدومهِ ولم يرجع الى موضعهِ الا

مهاناً مخزياً وظهرت الامة مصونة بعونة الله من كل بدعة . واما كيف كان اقرار عبد الله بن الطيب وتوما الكفرطابي ان ربنا يسوع المسيح مشيئةً واحدة وماذا كانا يقصدان بذلك فسوف نبيّنه في الجزء الثالث ان شاء الله

الفصل السابع

في رد قول غليلمو الافرنجي اسقف صور الزاعم ان الموارنة اتحدوا مع الكنيسة الرومانية في سنة ١١٨٠ على يد ايمار يكو الافرنجي بطرك انطاكية

لما استولت الافرنج على ارض الميعاد من عريش مصر الى الجزيرة واقاموا لها روساء يهتمون بما يخص تدبيرها في الروح والجسد كان من جملتهم رجل فاضل يدعى غليلمو فجعلوه لاوضع علمه اسقفاً على مدينــة صور. فصنف المذكور كتاب تاريخ ولايتهم وحكومتهم فيها بدأهُ من سنة ١٠٩٨ للمسيح وانتهى بهِ الى سنــة ١١٨٤ اعني من بداية دخولهم الى بلاد الشام الى حين خروجهم منها. وفي تواريخ سنــة ١١٨٠ لما اخبر عن الهدنة التي صارت بين الافرنج والملك صلاح الدين صاحب الديار المصرية والشامية قال ان الموارنة جحدوا بدعة المشيئة الواحدة واطاعوا صاحب الكرسي الروماني. وهذا كلامه: « فلمَّا استراحت المملكة من قتال صلاح الدين كما تقدم القول حدث ان طائفة من السريان القاطنــين في بلاد فينيقية تحت ذيل جبل لبنان بالقرب من مدينة جبيل اصابهم تغير عظيم في احوالهم. وذلك انهم كانوا قد تمسكوا مدة نحو خمسمائة سنة بمقالة رجل مبتدع يقال لهُ مارون ومن المذكور تسمّوا موارنة. فافترقوا عن جماعة المؤمنين وتصرفوا باسرار تخصهم. ثم انهم بالهام الهي عادوا الى المعرفة فتركوا ضلالتهم وقدموا الى ايماريكو بطرك انطاكيــة وهو الثالث من بطاركة الافرنج المتولي يومئذٍ تدبــير الكنيسة فجحدوا البدعة التي كانوا متعلقين بها قديماً وعادوا الى الاتحاد مع الكنيسة الكاثوليكية، وتمسكــوا بالديانة الارثوذكسية محافظين بالخضوع التام على تسليمات الكنيسة الرومانية. ويقال

ان عدد هذا الشعب غير قليل ينيف على اربعين الفًا يقطنون كما ذكرنا في جهات جبيل والبترون وطرابلس في اعالي لبنان وفي عراقيب الجبل. وهم اصحاب عزم واقدام في الحروب. وكانوا ذوي نجدة وافادة عظيمة لامتنا في اغلب الوقائع التي تعرض لهم مع الاعداء في كل وقت. وعند رجوعهم الى الايمان اقبل على جماعتنا فرح عظيم. واما بدعة مارون واتباعه فهي ان بربنا يسوع المسيح مشيئة واحدة وفعلًا واحد الآن ومنذ البدء كما يعرف من المجمع السادس الذي التأم ضدهم. ومنهُ تتبين ضلالتهم وقد اضافوا الى هذه البدعة المرذولة عند الكنيسة الارثوذكسية غلطاتٍ اخرى كثيرة مذمومة بسبب اجتنابهم شركة المؤمنين. ولكنهم كما ذكرنا ندموا على كل ذلك وعادوا الى حضن الكنيسة الكاثوليكية مع بطركهم وبعض الاساقفة الذين كانوا سابقًا في مقدمتهم. وبعد رجوع المذكورين الى الصواب صاروا يقودونهم الى التقوى». انتهى قول غليلمو ومن هنا يبين اولًا ان مارون كان على رأي المشيئة الواحدة. ثانيًا ان الموارنة تبعوا بدعته وتلقبوا باسمهِ. ثالثًا ان المجمع السادس عقد خاصةً ضد مارون والموارنة. اخيرًا انهُ في سنة ١١٨٠ جحدوا البدعة واتحدوا مع الكنيسة. وهذا القول تبعهُ كثيرون من مؤرخي الافرنج الذين اتوا بعده مثل يعقوب ويتراك الذي كان في القرن الثالث عشر. وانطونيوس اسقف فلورنسة في القرن الخامس عشر. وجبرائيل فرتيال وبرزدوس احد رهبان عبد الاحد في القرن السادس عشر وهكذا يعقوب غولطار اليسوعي في القرن نفسه. وتوما ولاوون الكرمليان وغيرهم. ولما كان معوَّلهم جميعًا على شهادة غليلمو اسقف صور الذي تقدم الجميع بدعوى انهُ كان في ذلك الزمن مقيمًا ببلاد الشرق لذلك نجعل كلامه مادة جوابنا فنقول: ان قول غليلمو المشار منهُ ما هو صادق ومنهُ ما هو كاذب اما الصادق فهو شهادته بان الموارنة في سنة ١١٨٠ اتحدوا مع الكنيسة الرومانية. وهذا صحيح ومسلّم وقد ذكره من جماعتنا الاسقف جبرائيل بن القلاعي في الرسالة التي بعث بها في سنة ١٤٩٤ الى البطريرك شمعون الحدثي وفيها يقول ان الموارنة في القدس اقسموا

ووضعوا خطوط ايديهم في انهم مطيعون للكرسي الرسولي ثابتون على امانة كنيسة روميــة . وهو لا يريد بذلك مطلقاً انهم كانوا من قبلُ مخالفين او مارقين من الايمان الصحيح ولكنهُ اشار الى انهم جددوا المحبة القديمة واستأنفوا توثيق عرى الاتحاد العتيق عند ما هرب اماريكو من انطاكية الى المدينة المقدسة . واما الكاذب فدعواه ان مارون كان مبتدعاً وانهُ تمسك بمقالة المشيئــة الواحدة وان الموارنة تبعوه على هذه البدعة وانهم استمروا عليها خمسمائة سنــة وان المجمع السادس انعقد طعناً فيهم . فهذه الدعوى هي تحكم منهُ لان الامور المذكورة لم تجرِ في ايامهِ بل تقدمتهُ بنحو خمسمائة سنة فضلًا عن انك لا تجد لهــا ذكرًا في مصحف المجامع ولا في تواريخ البيعة . ولا في ميامر الآباء المقبولين . بل هي من جملة تزويرات سعيد بن بطريق . وقد صرَّح غليلمو في فاتحــة تاريخهِ انهُ اخذها عنهُ ولما ذكر الاسباب التي استدعتهُ الى تأليفها قال : ان اماريكو الملك كلفني ان اكتب لهُ تاريخ بعض حوادث الدهر واعطاني بعض مخطوطات كتبت باللغة العربية من عهد محمد الى هذه السنة التي هي عندنا ١١٨٤ لتجسد الرب . فتكون مشتملة على خمسمائة وسبعين سنة . وقد اعتمدنا على تأليف الرجل المكرم سعيد بن بطريق بطريرك الاسكندرية » . فقد ظهر من هذا ان غليلمو اسقف صور قد عوَّل في تواريخهِ القديمة على تأليف سعيد ابن بطريق وقد بينا لك في الفصول المتقدمة منزلة سعيد من الصدق ومرتبته في التاريخ فيكون المعوَّل عليهِ والمقتدي بهِ ضالًا كضلالهِ (١)

ثانياً : لو ان غليلمو كان صادقاً في دعواه ان مارون كان مبتدعاً وان الموارنة تبعوه على بدعتــه وانتسبوا اليهِ لوجب عليهم عند عودتهم الى الايمان المستقيم ان يسلخوا عنهم النسبة المارونية ولو انهم تبعوه ساعة واحدة لا غير كما هو الامر في بقية الطوائف التابعــة لمبتدع عند عودتها الى الايمان . فاذًا ما هو السرّ الذي حمل اماريكو

---

(١) راجع اقوال المؤرخين المدققين الذين اثبتوا بعد البحث ضلال سعيد بن بطريق ومن شايعهُ ص ١٢٧ وما يليها من الدرّ المنظوم

البطريرك على ان يخرجهم من بدعة مارون من غير ان ينزع اسمهُ عنهم. والواضح من اقرار المؤرخ انهم لم ينفكوا عن ان يسموا موارنة قبل حلفهم وبعده . وعليـــهِ فان دعواه بان مارون مبتدع باطلة لا اصل لها

ثالثاً: ان ايماريكو بطريرك الافرنج لم يكن عارفاً اللغة العربية ولا السريانية كما انه لم يدخل بلاد الموارنة ولا خاطب بطركهم او احداً من رؤسائهم لا مشافهـــةً ولا مراسلةً ولا هو مذكور انه ارسل اليهم بشيراً او نذيراً. فكيف يصحّ اذاً القول بانهم جحدوا بدعتهم على يدهِ وبواسطتهِ استأنفوا الاتحاد بالكنيسة الكاثوليكية. مع ان غليلمو صرَّح انهم كفروا بغوايتهم بالالهام الالهي وجاؤوا الى ايماريكو المشار اليـــهِ وهذا امر مستحيل لانهُ لا يُتصوَّر ان امة برمتها مع بطركها ورؤساء كهنتها وكهنتها وعلمائها واكابرها تجحد ديانة اقامت عليها مدة خمسمائة سنة وتتعلق بغيرها من غير داعٍ او نذير

رابعاً: ان كثيرين من علماء الافرنج وجهابذتهم بحثوا عن هذه الشؤون بحثاً عنيفاً كالكردينال بارونيوس امام المؤرخين وكانيسيوس اليسوعي في كتابهِ تعليم المسيح وبصوين في تأليفهِ عن استعداد الايمان وتوما الكرملي في كلامه عن رجوع الامم وبريسيوس الكبوشي في حواشيه على تواريخ بارونيوس وكثير غيرهم ممن اطلعوا على تواريخ غليلمو ولم يأتِ احد منهم بشهادة تثبت ان مارون كان مبتدعاً او ان الموارنة غادروا الايمان ثم رجعوا اليهِ في وقت من الاوقات. فمن هذا يتبيَّن ان ايماريـــكو بطريرك انطاكية لم يُرجع الموارنة عن بدعةٍ او ضلالةٍ اصلًا وان اعيان الطائفـــة في اورشليم اقسموا امامهُ ووضعوا خطوط ايديهم في ان يستمروا على طاعة روميـــة وايمانها كما كانوا قبلًا. وذلك استئنافاً لذكر المحبـــة القديمة التي كانت بينهم وبين الافرنج منذ الزمن القديم دون سائر شعوب الشرق. وما اثبتناه في القسم الاول عن صحة امانة الموارنة وصادق اتحادهم بالكنيسة كافٍ لتقويض جميع هذه المزاعم الباطلة. هذا فضلًا عن ان غليلمو اخبر اولًا في الفصل الحادي والعشرين من كتابهِ قائلًا:

« لما انتقل الافرنج من انطاكية الى عرقة وخيموا فوق مدينة طرابلس نزل اليهم قوم نصارى مؤمنون من جبل سير شرقي عرقة وهو محيط بطرابلس وجبيل وتلك التخوم فرحبوا بهم واظهروا لهم مودةً عظيمةً واخاء ليس بانقص من قدرهم ففرح بهم الافرنج واستخبروهم عن تلك البلاد وسألوهم ان يهدوهم الطرقات والمسالك فلبُّوا سؤالهم وسار جماعة منهم بمعيتهم يدلونهم على ايسر الطرق ». فالظاهر من كلامه ان هؤلاء المؤمنين الذين رحبوا بالافرنج هم مارونيون متمسكون بايمان الكنيسة الرومانية بدليل قوله « انهم مؤمنون وقاطنون في جبل لبنان الذي هو شرقي عرقة وطرابلس » . اما قرية سير التي قدموا منها فهي في جهة الضنية واقعة فوق طرابلس وعرقة . ومشهور عن الموارنة انهم كانوا يُنجدون الافرنج بالرأي والرجال وغير ذلك من حين قدومهم الى سواحل لبنان حتى رجوعهم منهـا وهذا امرٌ اقرَّ بهِ المؤرخ المذكور اذ قال : « انهم كانوا يمدون جماعتنـا بالنجدة والاسعاف في اكثر الوقائع التي تعرض لهم مع الاعداء في كل وقت » . ولولا خوف التطويل لكنا نورد لك اخبار المواقع التي اشترك فيها الموارنة مع الافرنج ونقصّ عليك آثار مساعدتهم لهم

ثانياً : ان الموارنة ما زالوا مستمرين دائماً على الاتحاد مع الكنيسة الى زمن ايماريكو الافرنجي بطريرك انطاكية يظهر ذلك من المراسلات التي كانت جاريةً بين بطريركهم بغير انقطاع وبين اصحاب الكرسي الروماني . وشاهده ان البطريرك شمعون الحدثي لما قام بطريركاً كتب اليهِ الاسقف جبرائيل بن القلاعي في سنة ١٤٩٤ رسالةً يحثهُ بها ان يتعجَّل طلب التثبيت من بابا رومية على شبه البطاركة الذين سلفوا قبله قائلاً : لا يمكن لاحدٍ ان يخاصمني قائلاً ان الذي قلته هو امر محدث ابدعته من عند نفسي لان اكثر من خمسة عشر كتاباً من كتب الباباوات بختومهـا ورصاصها تشهد لي وهي الان عندك في ديرك وفيها ايمان القدماء منكم من مائتين واثنتين وثمانين سنة فصاعداً حتى لايمانكم انتم موجود بخط ايديكم على يد فرا غريفون وفرا اسكندر وفرا سمعان وهي برومية . ومن قبلهم على يد فرا يوحنا رئيس بيروت وكيل وقاصد بطرككم يوحنا

الجاجي الى مجمع فلورنسة. ومن قبله على يد الراهب اوماريكو من قانون الاخوة الواعظين ومن قبله على يد الكردينال غليلمو رسول بابا رومية الى شعبكم واليهِ اجتمع (١) رؤساء كهنتكم وعلماء امتكم وكان بطرككم يدعى غريغوريوس من حالات وهناك وضعوا خطوط ايديهم كبيرهم وصغيرهم وحلفوا ان يكونوا تحت طاعة بابا رومية وثابتين في ايمانهِ. ومن قبلـه لما استخلص الملك غوفرادو مدينة القدس من المسلمين وارسل رسل البشارة الى رومية الكبرى وصلت مع رُسله اذ ذاك رُسل البطريرك يوسف الجرجسي فرجعوا اليهِ بالتاج والعصا وفي ايام الملكة قونسطنسة اخذوا يدقون نواقيس نحاس على طريقة الكنيسة. وقبـل ذلك ما كانوا يدقون للصلاة الا الاعواد مثل الروم. ولما اشترت الملكة المذكورة كنائس القدس بثمانين الف دينار وهي القيامة وقبر مريم والطور وبيت لحم اعطت الموارنة مغارة الصليب ومذابح مختصة في باقي كنائس القدس. واباحت لهم ان يقدسوا على مذابح الافرنج وفي حللهم. وبعثت فاحضرت لهم تثبيت ما انعمت بهِ من قداسة البابا. وفي القدس حلفوا ووضعوا خطوط ايديهم ان يكونوا طائعين وثابتين في امانة رومية والباقي».

انتهى كلام ابن القلاعي. ومن قوله هذا يتبيَّن انهُ في سنـة ١١٠٠ عند ما تولى غوفرادو مملكة القدس ووجَّه رسلهُ الى بابا رومية وملوك النصارى ليخبرهم عن اعتزاز الدين في الامصار الشرقية بعث اليهِ ايضاً البطرك يوسف الجرجسي مكاتيبه ورسله فارسل لهُ البابا بسقاليس مع مكاتيب البركة تاجاً وعصاً. ولذلك قال اليعاقبة في كتاب معتقدهم « فاما بطرك طائفة الموارنة فانهُ يفتخر ويضع على راسه تاجاً مرصعاً بصفوف ذهب وحرير. وهذا الافتخار خبيث وغـير لائق». وبعد ذلك بمدة يسيرة من الزمان عند ما قدمت قونسطنسة الملكة واشترت بمالها كنائس القدس خصت الموارنة بمغارة الصليب وان يكون لهم مذابح معلومة في جميع كنائس الافرنج وانهم يقدسون على مذابحهم وفي حللهم و بعثت فاستمدت لهم من البابا صاحب الكرسي الروماني

(١) ويروى: وعقد بحضرته مجمعاً

تثبيتاً بما انعمت بهِ عليهم. فلولا ان هذه الملكة كانت متيقنةً بصادق امانتهم لما كانت انعمت عليهم بما انعمت ولا كان صاحب الكرسي الروماني اذن لهم ان يشتركوا مع المؤمنين في الكنائس والقرابين واثواب الكهنوت دون سائر امم الشرق

ولما كانت سنة ١١٣١ قدم الكردينال غليلمو من قبل البابا زخيا الثاني الى الامصار الشامية برسائل الى البطرك غريغوريوس من حالات لاجل طلب الطاعة والاتحاد مع كنيسة رومية. فاجتمع عند الكردينال في مدينة طرابلس رؤساء كهنة الطائفة وعلماؤها فحلفوا انهم طائعون للبابا رومية ثابتون على امانتهِ واثبتوا حلفهم بخط ايديهم. ولا تتوهمنَّ ان البابا سألهم الطاعة لهُ بسبب انهم كانوا مخالفين ولكنهُ بعد وفاة البابا انوريوس اختار قوم انقليطوس وكان المذكور رديء السيرة. فسلب اواني مار بطرس وسائر ذخائر الكنائس برومية. وبالرشوة استعطف خواطر اكابر رومية وعقد مجمعاً حرم فيهِ زخيا وكل من ينادي باسمهِ او يعضده. ولاجل ان يقرب اليهِ روجيار امير صقلية وبلادها وعده بان يجعل صقلية ملكاً مؤبداً لهُ ولذريته وانفذ رسائله ورسلهُ الى ملوك النصارى ورؤسائهم وشعبهم في بلاد الغرب والى يوحنا ملك الروم والى بطاركة المشرق يخبرهم بقيامه لينادوا باسمهِ ويرذلوا زخيا خصمه. واما البابا زخيا فلما رأى خيانة الرومانيين وميلهم الى انقليطوس شخص من رومية الى فرنسة وانحاز الى كبرائها فعقدوا هنالك مجمعاً للبحث عمن يليق بان يتولى كرسي رومية فوقع اختيارهم على زخيا ورذلوا انقليطوس واطاعوه وقبل قدميه لويس ملك فرنسة وزوجته واولادهما وكذلك هنريكوس ملك الانكليز وحلف رؤساء الكهنة بالطاعة لهُ في امصار فرنسة واسبانية وانكلترة والمانية وغيرها وكذلك فعل روساء الافرنج الذين كانوا في بلاد الشام وهكذا فعل ايضاً روساء الامة المارونية على يد الكردينال غليلمو لصحة امانتهم وصدق طاعتهم للبابا زخيا دون غيره

وعلى شبه ذلك الموارنة القاطنون في بيت المقدس في سنة ١١٨٢ حلفوا بالطاعة للبابا اسكندر الثاني دون غيرهِ. وسببه انهُ في سنة ١١٥٩ انتقل الى رحمة

ربهِ البابا ادريان فوقع الخلف بين الكردينالية على اختيار البابا الجديد . فاختار واحد وعشرون منهم اسكندر لرئاسة البيعة . وثلاثة اختاروا ويكتور يعني منصوراً وبسبب ان منصوراً كان شريف النسب قام بمعاضدتهِ كثيرون من اهالي رومية ونمى الانشقاق بينهم حتى عمّ كل النصرانية . وكان اهل فرنسة واسبانية وبريطانية ينادون باسم اسكندر واما اهالي النمسة فنادوا باسم منصور . لان فريديريكو سلطانهم حلف لهُ الطاعة عن نفسهِ وعن كل مملكتهِ . اما منصور فلبث خمس سنين بتلك الرياسة ومات . وعقبهُ بسقاليس فاقام فيها ست سنين وقضى اجله . ثم خلفهُ قاليسطوس . ولم تزل نيران الانشقاق تضطرم الى سنة ١١٧٧ . فالهم الله ملك النمسة ورفع واجب الطاعة الى البابا اسكندر وتبعهُ سائر الكردينالية والروساء والامراء الذين كانوا مخالفين حتى ان قاليسطوس نفسهُ ادّى لهُ الطاعة صاغراً وانحنى لتقبيل قدميه . ولما انقشعت غيوم الانشقاق من بين المسيحيين امر البابا اسكندر بعقد مجمع برومية وحضرهُ ثلاثمائة اسقف . فقرّروا ان يكون روساء الكهنة ورعاياهم خاضعين للبابا اسكندر فحلفوا له بالطاعة ونادوا باسمهِ . وكان ذلك في سنة ١١٧٩ الموافقة لسنة ٥٧٦ للهجرة وفيها كان ابرام الهدنة بين صلاح الدين وبلدوين ملك القدس وكان في جملة من حضر المجمع المنعقد في رومية مطارنة صور وقيصرية وطرابلس وبيت لحم وسبسطية . وعند عودتهم حلف امامهم ايماريكو بطرك انطاكية وسائر الروساء في الامصار الشرقية باداء الطاعة للبابا اسكندر دون غيرهِ . ومع المذكورين اقسم ايضاً اعيان الموارنة المقيمين في بيت المقدس برفع واجب الطاعة لهُ دون غيره على يد ايماريكو الافرنجي بطرك انطاكية . وهذا الحلف لا يدل على انهم كانوا مخالفين من قبل ام مبتدعين ولكنهُ دال على دوام اتحادهم بالكنيسة ومما ذكرناه يتبيَّن ان قول غليلمو المؤرخ خارج عن كل صحة لان حلفهم بالطاعة لم يكن للاقلاع عن بدعة وانما كان منهم لاجل تأدية الطاعة للبابا اسكندر دون غيره . وثانياً ان الحلف المذكور ما صدر من بطريرك الموارنة ولا من اساقفتهم ولا من علمائهم بل من المقيمين منهم في

القدس لا غير وهم يبعدون عنهم اكثر من سبعة ايام . واخيرًا انهُ من المحال ان يكون الموارنة غادروا الديانة التي ولدوا بها من خمسمائة سنة وتعلّقوا بديانة غيرها من غير داعٍ ولا هادٍ . لان الملك صلاح الدين في السنة الخامسة من ملكهِ اخذ من الافرنج بيت المقدس وبعد مدة يسيرة ازاحهم من كل بلاد الشام (١)

الفصل الثامن

في ردّ قول ويلامو الفرنساوي الزاعم ان الموارنة عادوا الى الكنيسة في مجمع رومية الذي انعقد في لاتران سنة ١١١٥

ان ويلامو هذا قدم من بلاده الى زيارة الاماكن المقدسة وصنف كتابًا عن الاديان المشهورة والمواضع المكرمة في بلاد الشرق . وفي الجزء الثاني من كتابه كتب عن الموارنة ما يلي : ان الموارنة يدعون هكذا نسبةً الى مارون المبتدع وهم قوم ابطال شجعان في الحرب حذاق في الرماية يبلغ عدد ابطالهم الى اثني عشر الف محارب واخص مقام لهم هو جبل لبنان وبلاد فينيقية بالقرب من مدينة جبيل وطرابلس الشام . وهؤلاء وان كانوا بين العرب والاسلام لا يخشون من هؤلاء ولا من اولائك ولكنهم يصونون انفسهم بشجاعة من غزوات الفريقين (٢) اقاموا على البدعة

(١) ان من اعتمدوا شهادة غليلمو على طائفتنا انما حملهم على هذا الاعتماد افتراضهم اياه شاهدًا عيانيًا ولكن ذلك خطاء مردود كما ترى ايضاح ذلك بالبسط الشافي في الدر المنظوم ص ١٧١ وروح الردود صـ ١٢٨

(٢) وفي نسخة دير اللويزة هذه الزيادة مضروب عليها بخط احمر : ومع ذلك لم ترعد لهم فريصة . بل انهم كانوا يذبون بسطوة باسهم عن حمام . ويدرأون الاذى عن كهلهم وفتاهم . ويلتقون بصدورهم نوائب الدهر والحدثان . ويسطون على الاعداء بباس قُدّ من صوّان . فلو مدّ اليهم الدهر يده لعاركوه . ولو كثر لهم العدو عن انيابه لحطموه . فترى اعلامهم في كل معركة مرفوعة وجيادهم في كل ملحمة مدفوعة . حتى كانهم نفس القوة المعهودة وعين الدرة المنقودة . وتراهم في الشرق كالحلقة التي لا يعرف لها اول ولا آخر وكالكرة التي لا يحكم عليها بعال ولا سافل

زماناً طويلاً ثم اهتدوا الى قويم الايمان لانهم كانوا سلسي القياد وحضر بطركهم في مجمع لاتران الذي التأم برومية في عهد البابا زخيا الثالث وحلف ان يكون تابعاً الامانة المقدسة. ولبثوا على ذلك الرأي المقدس يسيراً من الزمان ثم عادوا الى ضلالتهم الاولى. وهكذا قال فرسيس بالارين ومتياس الكرملي وغيرهما اي انهم اقاموا على البدعة الى سنة ١٢١٥ الا ان ذلك يتبيَّن بطلانه مما قررناه في الفصول المتقدمة عن قداسة الانبا مارون ودوام طائفته على امانة الكنيسة. فضلاً عن ان اصحاب التواريخ الذين تكلموا عن اتحاد الموارنة على يد اعاريكو الافرنجي يقرّون انهم من ذلك العهد ثبتوا على الاتحاد والتمسك بتسليمات الكنيسة كقول القديس انطونيوس اسقف فلورنسة الذي قضى اجله في سنة ١٤٥٩ انهم جحدوا البدعة على يد اعاريكو بطريرك انطاكية وهم مستمرون الى الآن على الامانة الكاثوليكية ومتمسكون بتعليمات الكنيسة الرومانية بغاية الحرص. والكردينال بارونيوس الذي استمر حياً الى سنة ١٥٧٠ قال في تاريخ سنة ١١٨٢ ما يلي: بعد اتحاد الموارنة بالكنيسة على يد اعاريكو قدم بطركهم في عصر زخيا الثالث الى مجمع لاتران وتلقى الامانة الكاثوليكية والرتب المقدسة ومن ذلك الحين الى وقتنا هذا استمرت طائفته غير متزعزعة في الايمان المقدس الكاثوليكي. ولكنهم في ضنك شديد من جور غير المؤمنين المحيطين بهم كما تشهد مكاتيبهم المرسلة الى البابا لاوون العاشر وغيره . ومما يثبت قولنا ان البابا زخيا الثالث لما تولى رئاسة الكنيسة الجامعة في سنة ١١٩٨ سيّر الكردينال بطرس بالرسائل الى ارميا العمشيتي البطريرك الانطاكي فاجتمع بهِ في مدينة طرابلس وكان بمعية البطريرك يوسف المذكور اسقف مار اسيا وتاودورس اسقف كفرفو وجملة كهنة وشمامسة عدتهم نحو السبعين. وبرضاهم ومن ذات انفسهم اقرّوا بالطاعة للبابا زخيا وللذين يخلفونه من بعده في الكنيسة الرومانية. واعترفوا ان روح القدس ينبثق من الاب والابن وان في السيد المخلص طبيعتين ومشيئتين. وان الكنيسة الرومانية هي ام سائر الكنائس وغير ذلك. وبعد مدة من الزمان انتهى

الخبر الى البطريرك المذكور ان بعض المراكب مسافرة الى بلاد النصارى فاقام في النيابة عنهُ الاسقف تاودورس واخذ معهُ بعض مكاتيب كان باباوات رومية ارسلوها الى البطاركة الذين سلفوا قبله بالرحمة ودخل بنفسه الى رومية الكبرى. فقبلهُ البابا زخيا أَجل قبول وثبتهُ بطريركًا على كرسي انطاكية واقرَّه في كرسي يانوح الذي كان منزل البطاركة وكراسي روساء الكهنة القاطنين بدير مار اسيا وجبة بشراي والمنيطرة ورشعين وكفرفو وعرقة. وجعلهُ مع سائر الكنائس التي في ولايتهِ تحت حماية بطرس الرسول. وبالسلطان الرسولي ثبت لهُ وللذين يخلفونه جميع العوائد التي كانت لهُ وللذين سلفوا قبله على كنيسة انطاكيــة واذن لهُ ان يلبس الدرع الكبير في تقديس الكنائس واقامة الكهنة وفي سائر الاعياد المامورة بطالتها وان يكون راعيــاً ومتوليًا تدبير الامة المارونية في جميع ما يخص سياستها بالروح والجسد. ولم يزل البطرك ارميا مقيماً في رومية حتى انعقد المجمع في كنيسة مار يوحنا لاتران لاجل استرجاع مدينة القدس واصلاح بعض امور تخص تدبير البيعــة. وفي الشهر الثالث من التئام المجمع ودَّع البابا وعاد الى الشرق مصحوبًا بهذه الرسالة وقد تحرّينا اثباتها هنا تأييدًا لما تقدم من قولنا وهي(١)

(١) ولهذه الفقرة من عند قوله «اجل قبول» رواية مختلفة وهي: وضاعف لهُ الاكرام وسالهُ عن احوال بلاد الشام وعن شعب الموارنة وعددهم واتفاقهم مع جيوش الافرنج ففرح بذلك وامّل انهُ بالسعي ومعونة الله يُستطاع استنقاذ الارض المقدسة التي تقدست بالدم الكريم ولهذا امر بعقد مجمع عامٍ في اوائل تشرين الثاني سنة ١٢١٤ وفي شهر نيسان سيَّر الرسل الى الملوك والامراء وروساء البيعة امرهم بان يتجهزوا للسفر في شهر حزيران لاجل استرجاع الارض المقدسة ولمزيد غيرتهِ سافر معهم بنفسهِ الى صقلية. واما البطريرك ارميا فكان قد امره بالسفر اولــ الجمع لينبّه طائفته وانفذ صحبتهِ الكردينال غليلمو لتصديق الامور واجتماع عسكر الافرنج. واما تجهز البطريرك للسفر فكان في اول يوم من كانون الثاني سنة ١٢١٥ وفي اليوم الثاني كتبت الرسالة وودّع البابا ومجمع الآباء وفي اليوم الثالث ركب البحر وسار. وفي شهر آذار وصل الى مينا طرابلس. اما الرسالة فهذه صورتها. اه (نسخة مكتبة اللويزة)

زخيا الاسقف عبد عبيد الله

١ : الى الاخوة المكرمين ارميا البطريرك المقدّم والمطارنة والاساقفة والى الاولاد الاعزاء روساء الاديرة والاكليروس والشعب الماروني السلام الدائم

٢ : ان جودة الحكمة الالهية التي لا تفرغ ولا تحصى ولا يعتريها تقلّب هي تدبر على الوجه الاكمل وتسوس هذا العالم الزائل وحال جنس البشر الذي يذهب الى التلاشي والفناء حتى ان العقل البشري مهما ارتفع بمرقاة التامل ولو حصّل بعض الاوقات ذوقًا يسيرًا وذلك من خارج الشيء لا يتمكن من ان يدرك الّا قليلًا. وما دام مقيمًا في حبس هذا الجسد الفاني يعجز عن فهم علة الافعال الالهية حتى الصغيرة منها لان احكام الله غير مدركة وسبله غير مفحوصة. واذا شملته الحيرة والعجب فينعطف الى اداء المجد الواجب لله. وخاصة عند ما يتأمل في من صبر الله عليهم مدةً طويلةً وهم متسكعون في دياجير الضلالة ثم افاض عليهم برحمتهِ الجزيل قدرها ندى النعمة السماوية وانعم عليهم بالسلوك في طريق الحق. كما سمعنا بفرح انهُ جرى لكنيسة الروم ولكم في هذه المدة. فانكم سابقًا كنتم كالخراف الضالة غير عالمين ان خطيبة المسيح هي واحدة وان الحمامة الطاهرة هي الكنيسة الجامعة. وان الراعي الصادق واحد وهو السيد المسيح ومن خلفه اعني رسوله ونائبه بطرس الرسول الذي سلمهُ الرب خرافهُ ليرعاها بصوت تكرّر ثلاث دفعات. وقد وعدهُ الرب ايضًا ان امانتهُ وامانة خلفائهِ الاحبار الرومانيين لن تنقص ليقدر ان يثبت اخوته

٣ : ولما ارسلنا سابقًا الى نواحيكم الكردينالِ بطرس المرحوم قسيس كنيسة مرقيلوس. وكان رسول الكرسي الرسولي رجعتم بالهام من الرب الى راعيكم واسقف نفوسكم وفهمتم اننا نحن راس الاحبار ونائب المسيح على الكنيسة الجامعة. وفهمتم ان امكم هي الكنيسة الرومانية المقدسة وعرفتم بان هذا هو الراعي الصالح الذي يدعو خراف الرب وغيرهم الى الحظيرة المسيحية في كل زمان ومكان لتكون الرعية واحدة

كما ان الراعي واحد خشيةً من ان تضلّ الخراف تابعة اصوات الغرباء فتحيد بذلك عن سنن الحق

وانت ايها الاخ البطريرك لما كنت سابقًا في مدينة طرابلس مع قوم من مطارنتك اعني يوسف مطران مار اسيا وتاودورس اسقف كفرفو وجمع كبير من كهنة وجمهور كثير من الخاضعين لك من تلقاء نفوسهم فامام بعض اساقفة ورهبان وشمامسة المدينة وشعبها حلفتَ واياهم عن انفسكم وعمن يتعلق بكم على هيئة الصورة التي بها يتعهد المطارنة بالطاعة للكرسي الرسولي اي انكم من الآن فصاعدًا تكونون طائعين وخاضعين لكنيسة رومية لنا وللذين يخلفونا من بعدنا

٤ : ولكن بما ان الكردينال المذكور علم انكم محتاجون الى بعض امور اجتهد في ايضاحها لكم حسب مآل الامر الرسولي . واوصاكم ان تقرّوا بمعزل عن الارتياب بما تمسكت به الكنيسة الرومانية وهو ان روح القدس ينبثق من الابن كما ينبثق من الآب لانهُ روح كليهما كما هو واضح من الشواهد المقدسة والادلة الصادقة. وان تحفظوا في العماد هذه الصورة: اي ان الثالوث الاقدس يُذكر مرة واحدة في التغطيسات الثلاثة لا اكثر . وان تستعملوا سرّ التثبيت الذي يتصرَّف بهِ روساء الكهنة دون غيرهم . وان لا يدخل في تركيب الميرون الّا البلسم والزيت فقط . وان كل واحد منكم يعترفَ بخطاياه لكاهنه الخصوصي اقلما يكون مرة واحدة في السنة . وتتناولوا سرّ القربان بنية صافية على القليل ثلاث مرات كل عام . وان لا تستعملوا في اقامة القداس كؤوساً من زجاجٍ ولا من عود ولا من نحاس بل من قصدير ام فضة ام ذهب . وان تقرعوا نواقيس نحاسية للتبشير بمواقيت الصلوات الجمهورية . وان تؤمنوا ان في المسيح طبيعتين ومشيئتين الهية وانسانية . وهذه الوصايا ولو انكم قبلتموها في ما سلف قبول الطائعين الخاضعين الا ان اعادتها عليكم الآن لاجل تأكيدها وتثبيتها

٥ : وانتم ايها الاخوة والبنون نحتضنكم في ذات الرب بموجب رباط المحبة . ونقبلكم انتم والكنائس الكائنة في اصقاعكم تحت حماية بطرس الطوباوي وحمايتنا .

وبهذه الرسالة نأمركم بان يلبس احبار الامة المارونية الثياب والحلل الموافقة لثياب وحلل اللاتين وان يجتهدوا في التقرب من الكنيسة الرومانية في كل شيء

٦ : ثم اننا نثبت كراسي المطارنة والاساقفة الآتي ذكرهم بسلطاننا الرسولي ونأمرهم بالخضوع لكرسي سيدة يانوح كنيستك ايها الاخ البطريرك المتولي رئاستها من الله تعالى. وان يطيعوك لك ولخلفائك. اعني مطارنة مار اسيا وجبة بشراي واساقفة المنيطرة ورشعين وكفرفو وعرقة. وكذلك ان تلبس الدرع الحاوي كمال الخدمة الحبرية على حسب العادة المألوفة ويسلمك اياه بطرك انطاكية من غير ما صعوبة. ونحن نثبّت لك العوائد الجارية التي كانت لك ولاسلافك في الكنيسة الانطاكية الى هذا الآن. وبالسلطان الرسولي نهبه لك وللذين يتخلفون بعدك. وتلبسهُ في كنيستك في الايام الآتية: اعني عيد الميلاد وعيد اسطفانوس راس الشهداء وختانة الرب. وعيد الغطاس. واحد الشعانين. وخميس الاسرار اعني عشاء الرب. والسبت الكبير. وعيد الفصح. وخميس الصعود. والعنصرة. واعياد مريم البتول الثلاثة وعيد ماري يوحنا المعمدان. واعياد جميع الرسل. وعيد جميع القديسين. وعيد تقديس الكنائس. ويوم شرطونيّتك . واعياد كنيستك. وفي شرطونية الاساقفة والكهنة والشمامسة

٧ : ثم نأمر بموجب مراسيم القوانين المقدسة انهُ اذا افترى احد او مدّ يدهُ على شمّاس ماروني يسقط تحت اثقال الحرم ويكون منفيًا الى ان يؤدي كفّارتهُ فينال نعمة الغفران من سلطان الكنيسة. واما انت ايها الاخ البطريرك لموضع عبادتك الجزيلة فزرت بنفسك امك الكنيسة المقدسة الكاثوليكية وحضرت المجمع المقدس العام فننعم عليك وعلى شعبك الذي جدَّد طاعة الكنيسة الرومانية بنعمة مختصة ونمنحك السلطان الرسولي ان تحـل بهِ الموارنة الذين رفعوا ايديهم بالافتراء على الشمامسة وسقطوا في تبعة الحرم المذكور اعلاه بحيث لا يكون قد جرى قطع عضو او اهراق دم. وان تحلّ ايضًا كل من تجرأ فرفع يده على اسقف ام رئيس دير. وتأمر ايضًا

بان لا يتجرأ احد ويُدخل من حرمتَه انت ومنعتَه في الكنيسة وشركة المؤمنين دون علمك ورضاك. وان لا يتجاسر احد ويخالف مرسومك الشهير على ما في القانون ما عدا خطر الموت او العجز عن الوصول اليك. وحينئذٍ يجب ان يُحلّ المربوط بعد قضاء ما عليهِ على يد غيرك على موجب صورة الكنيسة

٨: نأمر اخيرًا بانهُ لا يحلّ لاحد ان يتعرض لما حددناه بانقاص او زيادة او تبديل فان اجترأ احد اكليريكيًا كان ام غير اكليريكي وضادّ ما اثبتناه في هذه الرسالة ووُعظ مرةً ومرتين ولم يرتدع ويصلح اموره فليكن محرومًا من كل درجة وسلطان لهُ. ويعلم انهُ استوجب غضب الله بسبب الاثم الذي اقترفهُ. وانهُ صار غريبًا عن جسد الهنا ومخلصنا يسوع المسيح وعن دمه المقدس. وانهُ في الدينونة الاخيرة يُدان دينونة شديدة. واما من يطيع رُسومنا ويحفظها فليحل عليهِ سلام ربنا يسوع المسيح ويُرزق ههنا ثمرة العمل الصالح وفي الدينونة الاخيرة يحظى بالسلام الابدي. امين.

انا اينوشنسيوس اسقف الكنيسة الكاثوليكية

ـ نقولا اسقف تسكولان

ـ غويدون اسقف برينيستي

ـ اوغوس اسقف اوسطية

ـ مبارك اسقف برتو والقديسة روفينة

ـ فيلاجيوس اسقف ألبان

ـ اينوشنسيوس الكردينال قسّ ماري لورنتيوس في لوسينة

ـ اينوشنشيوس الكردينال قس ماري يوحنا وبولس باسم القديس فماخيوس

ـ لاون الكردينال قس كنيسة الصليب باورشليم

ـ بطرس الكردينال قس القديسة بودنسيانة باسم الراعي

ـ جولا الكردينال قس القديس مرتين باسم القارس

ــ روبرتوس الكردينال قس ماري اسطفان في جبل شيليوس
ــ اسطفان الكردينال قس هيكل الاثني عشر رسولاً
ــ غويدوس الكردينال شماس ماري نقولا في حبس توليوس
ــ غريغوريوس الكردينال شمَّاس ماري تادروس
ــ اوطبيان الكردينال شماس ماري سركيس وباخوس
ــ بطرس الكردينال شماس مُرت مريم عند الماء
ــ بطرس الكردينال شماس ماري جرجس عند ستر الذهب

كتب في لا تران بيد توما كاتب الديوان من نابولي وشماس الكنيسة الرومانية المقدسة في الثاني من كانون الآخر في الدورة (١) الثالثة سنة الف ومائتين وخمس عشرة من التجسد الربَّاني وفي السنة الثامنة عشرة من رئاسة سيدنا البابا زخيا الثالث. اه

تحرّينا اثبات هذه الرسالة هنا لان البطاركة قديمًا ارسلوها الى رومية عدة دفعات ليستدل منها اصحاب الكرسي الرسولي على شؤون الطائفة. ومنها يفهم ان الموارنة كانوا ضالين ولم يفهموا حسنًا انهُ واحدة هي خطيبة المسيح وواحدٌ هو الراعي خليفة بطرس برومية وانهم بالهام من الرب جدَّدوا الطاعة للكنيسة على يد الكردينال بطرس. ولكن الجواب واضح. اولًا (٢) ان نص الرسالة يُنسب خاصةً

---

(١) وفي نسخة المدار الثالث

(٢) وفي نسخة اثر هذا الكلام ما يلي: وكان الباباوات ينقلونها كلمة فكلمة من عهد زخيا الثالث ويرسلونها الى بطاركة الموارنة. ولما كان بعض المرسلين قد وقفوا عليها وجب علينا ان نشرح ما فيها من المشاكل فنقول:

ان زخيا الثالث يسمي ارميا في العدد الاول من رسالتهِ باسم بطريرك ومقدَّم بسبب رئاسته على كرمي انطاكية المتقدمة سائر جهات المشرق كما قال في العدد السابع: «ونحن نثبت لك العوائد الجارية التي كانت لك ولاسلافك من قبلك في الكنيسة الانطاكية الى هذا الآن ونحبه بالسلطان الرسولي لك ولخلفائك». وقال اقليطوس في رسالتهِ الثالثة: ان درجة الاساقفة انما هي واحدة الّا ان المقدَّمين فيهم هم المترئسون على المدن الاولى

الى الروم الذين اقسموا امام الكردينال بالطاعة والخضوع لصاحب الكرسي الروماني ولم يقرّوا بانبثاق روح القدس ولم يعمّدوا الاطفال الّا بالتغطيس خصوصاً كما انهم لم يصنعوا سر الاعتراف خفية ولم يقرعوا النواقيس النحاسية للصلاة وغير ذلك . ثانياً يقال انهم ما كانوا يفهمون حسناً ان راعي البيعة هو واحد . لانهُ من ايام البطرك يوحنا مارون لم يسافر احد من بطاركة الموارنة الى رومية الّا البطريرك ارميا . ومعلومٌ ان كل جديدٍ لهُ بهجة . ومن عادة المؤرخين الاطناب في الامور المحدثة . ثالثاً نقول ان البابا ما كتب عن الموارنة انهم ضالون الّا بحسب ابلاغات الذين كانوا بمعية الكردينال لانهُ لم يكن عارفاً باللغات الشرقية وهم آثروا الاخذ بالوجوه واحبُّوا مجد العالم اكثر من مجد الله . ويُثبت قولنا القس ايرونيموس دنديني اليسوعي الذي ارسلهُ البابا اقليميس الثامن الى جبل لبنان بسبب هذه الامور . وبعد التدقيق وغاية التحقيق كتب في الفصل الثامن عشر من كتابه قائلًا : « ان مكاتيب الاحبار الاعظمين لم تُكتب على هذه الطريقة الّا بسبب الترويرات التي بلغت اليهم من رُسُلهم وانا بنفسي تحققت ان الامر جرى على هذه الصورة . لاني وجدت كتبهم الحقيقية لاتضاد الكنيسة الكاثوليكية في شيء ولكن الرسل الذين وفدوا عليهم لم يتبصروا ويجتهدوا في فحص الكتب بما يلزم من الاجتهاد . فلا عجب ان عاد اولئك الرسل الى رومية باخبار تخالف ما ذكر . ومن اراد معرفة الحق بهذه الشهادة فعليهِ ان يلاحظ ان جميع البراآت نُسخت حرفاً حرفاً عن رسالة زخيا الثالث . وكلام هذه الرسالة ليس في الموارنة وحدهم بل في الروم ايضاً اذ ادُّوا حينئذٍ للكنيسة الرومانية الطاعة مع الموارنة جملةً في مدينة طرابلس امام كردينال دير القديس مرقيلوس الذي كان سفيراً رسولياً

واحياناً يدعون بطاركة . وبطاركة الموارنة لهم التقدم على الجماعة القاطنين في ابرشية انطاكية وخارجاً عنها (نسخة دير اللويزة)

ويقول في العدد الثاني : ان الامة المارونية كانت اولاً كالخراف الضالة غير فاهمة ان خطيبة المسيح هي واحدة وانَّ الراعي واحد فنجيب ان مضمون هذه الرسالة هو منسوب اولًا الى الروم الخ

في الامصار الشرقية. وهذا احدث نسبة اغلاط طائفة الى اخرى اي اوجب نسبة ضلالة الروم الى الموارنة». وهكذا قال انطون بيصوين وتوما الكرملي وغيرهما من المؤرخين (١). ومما مرَّ لنا في الفصول المتقدمة تعلم ان الموارنة لم يسقطوا لا في بدعة ولا في انشقاق وكذب كل من قال انه ردّهم عن شيء من ذلك. ولكن الثابت ما قلناه وهو ان موارنة القدس وجبل لبنان حلفوا الطاعة لصاحب الكرسي الروماني على يد اوماريكو البطريرك بالالهام الالهي كذلك هنا يشهد البابا زخيا في رسالتهِ ان اهالي جبل لبنان رجعوا بالهام الله الى راعيهم وانهم من تلقاء نفوسهم قبلوا ان يحلفوا يميناً بالطاعة لهُ على يد بطرس الكردينال وان البطريرك ارميا بعد ما اقرَّ بجميع الاسرار التي في كنيسة الله والتمس التثبيت جملة مرّات عنّي نفسه وشخص الى رومية ام المدائن فاجلَّ البابا قبوله وقرّر لهُ النعم والعوائد التي كانت لاسلافهِ في كنيسة انطاكية (٢)

---

(١) راجع ص ١٦١ من روح الردود حيث نقل شيءٌ من كلام الاب توما الكرملي في هذا المعنى مضافاً اليهِ شهادة البابا بناديكتوس الرابع عشر. والدرس ١٢١ و١٦٨ و١٧٦ حيث نُقلت نصوص العلماء والمؤرخين المبرئة ساحة الموارنة من كل بدعة نسبت اليهم في براآت الاحبار الاعظمين

(٢) ولهذه الفقرة من عند قوله (ولكن الثابت الأكيد) رواية مختلفة: وكما اوضحنا ان الموارنة الذين في اورشليم اقسموا بالطاعة للكرسي الروماني على يد اوماريكو البطريرك بالالهام الالهي وكذلك الذين في طرابلس الشام على يد غليلمو اختياراً من غير منادٍ ولا منذر هكذا هنا. ويشهد لهم بذلك البابا زخيا في رسالتهِ التي انفذها الى اهل جبل لبنان فانهُ يقول عنهم «انهم رجعوا بالالهام الالهي اختياراً واقسموا الايمان الشديدة بالطاعة على يد بطرس الكردينال». لانهُ ذكر في العدد الخامس انهُ يحتضن جميع الامة المارونية في ذات الله ويضمهم وكنا تسهم تحت حماية بطرس الرسول وحمايته ويأمر رؤساء الكهنة القائمين على رعايتهم ان يلبسوا ثياب الاحبار على طريقة اللاتين. يريد بذلك التاج وصليب الصدر والخاتم وبيوت اليدين والقدمين وكان ذلك قديماً ولكنهُ جدّدهُ لهم لما رأى من طاعة بطريركهم وحضوره المجمع. وفي العدد السابع يقرّر لهُ لبس الدرع المتضمن كمال الرئاسة وذلك على موجب عادة البطاركة الذين سلفوا قبلهُ بالرحمة مثل يوحنا مارون وابن اخته كورس ويوسف

الفصل التاسع

في ابطال دعوى جبرائيل بن القلاعي القائل ان البطريرك لوقا تبع مقالة ابوليناريوس بقرب سنة ١٣٠٠

ان جبرائيل القلاعي في منظومتهِ عن اخبار الامة المارونية واستيلاء غير المؤمنين عليها قال هكذا:

ابليس اب كل الطغيان   نظر شعب مارون فرحان
حسده ورماه في احزان   لاجل اثنين كانوا رهبان
كان الواحد من يانوح   والاخر من دار نبوح
اكرزوا في سرّ موضوح   تكلم بهم روح الشيطان
قالوا المسيح لم يكن لهُ نفس   ولا طبع يستحمل ويحس
ولا نطيع لكرسي بطرس   لاجل انه على ذا الايمان
سمع البابا بعصاوتهم   ارسل قصاد توعظهم
والبطرك ما راد يقبلهم   يُسمى لوقا من بنهران
كثر الشرّ وصار غرضين   وثار الانشقاق من اجل اثنين

الجرجسي وغريغوريوس الحالاتي وغيرهم. كما ترى في كنائس مار شربل في قرية معاد ومار تادروس في قرية بجديدات وغيرها مماً كان بنيانه قبل زمان البطريرك ارميا لانهُ مكتوب في حناياها (ان الله صباؤوت) ومصوَّر على حيطانها مار مارون ومار قبريان بالتيجان على روؤسهما والدرع على اكتافهما. واعلم ان البابا زخيا لم يُلبس البطريرك هذا الدرع في رومية كما تأمر القوانين ولكنهُ كان انفذهُ الى بلاد الشرق على موجب ما سألهُ بطرس الكردينال. فلما وصل الى طرابلس ارسل غليلمو الكرديتال فطلبه من البطرك الانطاكي الفرنجي والبسهُ لارميا البطريرك بعد ان اقسم بالطاعة لصاحب الكرسي الروماني هو ومئتان وسبعون نفساً من اكابر الامة وعلمائها. ومن نص هذه الرسالة وغيرها يبين واضحاً ان مارون الذي تنتسب اليه الامة المارونية لم يكن مبتدعاً كما زعم ويلامو وغيره فلو كان ذلك صحيحاً لكان البابا زخيا بدل نسبتهم اليهِ كما بدّل لقب الملكية الذين اطاعوه وسمّاهم روماً (نسخة اللويزة)

في ذا السبب ابنــوا برجين وقسموا الملك بتلك الان
سمــع بذلك السلطان برقوق وانفتح له باب كان مغلوق
ارسل عساكر تحت وفوق تحاصر في جبــل لبنــان

فالمخص من هذه الزجليات ان البطريرك لوقا تبع بدعة ابوليناريوس واعتقد ان اللاهوت الذي في السيد المسيح قائم مقام الروح العقلية وبسبب ذلك وقعت الفتنة بين اهل البلاد وانقسموا حزبين ولجوا في الشقاق حتى طعنهم البابا بسيف الحرم وزحف عليهم الملك الظاهر برقوق بجيوشهِ فاستعبدهم واحرق بلادهم وقد استوجبوا ذلك لسوء افعالهم . وهذا كلام صادق وشهادة حقة لا يتيسَّر لاحد ان ينكرها لان جبرائيل الذي الفها كان في الاصل مارونيًّا وترهب في رهبانية الافرنج وكان وحيد عصره ونتيجة دهره بلغ من كل فضيلة غايتها ومن كل محمدة نهايتها . ولما رآه البطريرك شمعون اماماً يُقتدى بآثارهِ وضياء يُهتدى بانوارهِ اقامهُ اسقفاً على كرسي اقفسية قبرس . وليس لنا ان نقدح في مناقبهِ ونغضّ من جانبهِ فكيف ونحن قد اتخذناه حجة على المعترضين وسيفاً نسلهُ على المخالفين . ولكن الجواب على ما قالهُ هو ان الجنس البشري لم يزل محلًّا للنقص والخلل ولا سيا بعد سقطة الاب الاول الذي جنح وجنحت معهُ ذريّته الى الخطا فلم يعد مستطاعاً ان يكون احد بريئاً من الفتن والشكوك وقد جاء في النص الالهي : الويل للعالم من الشكوك وانهُ لا بد من الشكوك ولكن الويل لمن تقع على يدهِ الشكوك . الا ترى ان السيد لهُ المجد لما نزل بالجسد على الارض واخذ يرشد بيعتهُ بالعلم والعمل والآيات والمعجزات كان اول من غدر به تلاميذه لان بعضهم اسلمهُ للقتــل وبعضهم انكره والبعض شككوا بهِ واخيرًا هربوا جميعاً وتركوه وكان ذلك لئلا نفشل اذا اصابنا ما اصاب اخصاءه . ولما نمت البيعة المقدسة وانتشرت في المسكونة كان اكثر الاضطهاد عليها من الذين تربّوا فيها مثل اريوس ومقدونيوس ونسطور وديوسقورس ومقاريوس وقورش وغيرهم حتى انك لا تجد بلاداً الَّا ونبت فيها آفة من جنسها . وعليــهِ فلا تعجب اذا كان قد نشأ في الامة المارونية بعض منها واثاروا الاضطهاد على رؤسائهـا

وقد اخبر ابن القلاعي عن ذلك بصريح العبارة قال : ان هذين الراهبين لما خرجا عن الرأي القويم وتبعهما البطريرك على بعض قولهما انقسمت حينئذٍ رعيته حزبين حزب معه والآخر ضده. اما الحزب المضاد له وهم المستقيمو الرأي فانفذوا رسلهم الى الحبر الروماني يخبرونه بذلك فارسل اليهم الحبر الروماني من يرشدهم واذ لم يرتشدوا حرمهم. ولما غزا الملك الظاهر برقوق بلادهم بادر حاكم جبيل والزم البطرك ارميا ان يسافر الى رومية بنفسهِ واتاهم بالحل والبركة من البابا زخيا الثالث. فهذه الامور وامثالها لا تشين عرض امة الموارنة بل تدل على صدق ووثيق غيرتهم لان عدوّ الخير لما قصد ان يزرع فيهم زؤان البدع اعملوا غاية جهدهم على استئصالها وحفظ الاتحاد مع الكنيسة الجامعة . ولكن من تأمل هذه الامور الواردة في قول ابن القلاعي ونظر فيها نظر منتقد علم ان بين البطرك ارميا وبين الملك برقوق ما يُنيف على مئة وخمسين سنة وان مقدمي الجبال الذين نزلوا وضربوا العسكر عند جبيل ما كانوا في زمن البطريرك ارميا ولا في دولة الملك الظاهر برقوق بل في ايام الملك الظاهر بيبرس. كما ان البطريرك ارميا لم يسافر الى رومية ليحل اهل لبنان من وثاق الحرم ولكنهُ سافر اليها بامر من البابا زخيا الثالث لما ارسل اليهِ يدعوه بواسطة الكردينال بطرس ليحضر المجمع المنعقد في كنيسة مار يوحنا لاتران. ولم يقصد ابن القلاعي في تأليف ميمرهِ ان يأتي باخبار الموارنة بل ان يعظ المقدم عبد المنعم واتباعه الذين تركوا امانة آبائهم وتبعوا اليعقوبية ويحذرهم من ان يصيبهم ما اصاب الذين اتى بذكرهم. ولذلك لم يتتبع في منظومتهِ منهج التواريخ بل قدَّم واخَّر على ما يوافق زجلياته ولذلك لا بدَّ ان نأتي بهذه الاخبار موردةً على سبيل الايجاز ونبرهن ان الامة المارونية ما زالت معتصمة بالاتحاد مع الكنيسة الرومانية من عهد البطريرك ارميا الذي حضر مجمع لاتران الى ايام البطريرك جبرائيل من حجولا وهو الذي استُشهد في طرابلس وقام خليفةً للبطريرك لوقا في الرئاسة

قد اوضحنا في الفصل الذي مرَّ خبر حضور البطريرك ارميا العمشيتي في مجمع

لاتران وقصة عودته الى جبل لبنان كما اخبر ابن القلاعي في الميمر الذي تقدم ذكره اي انهُ خرج من رومية في اليوم الثالث من شهر كانون الثاني سنة خمس عشرة بعد الالف ومائتين . وانه في اذار من السنة المذكورة وصل الى طرابلس فخفّ الى لقائه جمع عديد وان مائتين وخمسين نفساً من اعيان الطائفة وعلمائها حلفوا لهُ باختيارهم انهم لا ينقطعون عن الاتحاد بالكنيسة الرومانية والخضوع لروسائها وفعلوا ذلك في المدينة علانيةً امام الكردينال غليلمو قاصد الكرسي الروماني . وقد كرّر كلامه في الرسالة التي انفذها الى البطريرك شمعون الحدثي قال : « ودخل البطريرك ارميا العمشيتي في رومية في ثوب المسكنة في زمن البابا زخيا الثالث فاحبهُ البابا جدًّا وانعم عليهِ بهبات كثيرة روحية وجسدية وقلّدهُ سلطان الحل والربط وسمّاه مدبر كرسي انطاكية وكتب لهُ جدول الاعياد الربانية وتكريس الكنائس وسبعة اسرار البيعة وامره بحفظها قولًا وفعلًا كما تفعل كنيسة رومية (١) . فحلف بحفظ ذلك . ثم ارسل معهُ رسولًا ليرى ان كانت امته تطيع وتقبل ما اقسم بهِ البطرك وترضى بيمينه . ولما قدم البطرك خرج اكثر الشعب الى لقائهِ . وكان معهُ شمّاس من قرية هابيل فاخرج لهم منشورات البابا وسألهم جهرًا هل يقبلون ما هو مكتوب بها . فاجاب الجميع بالصوت الواحد: نعم نعم هذا اعتقادنا وعليهِ نموت . وكان مع القاصد تراجمين سمعوا الكلام واخبروه بمآله . فاحضر لهم كتاب الانجيل وجسد المسيح فحلفوا لهُ وبعد اليمين سلم الى البطرك ارميا الخاتم ودرع البطركية وتعهد الشعب انهم كلما اختاروا لهم بطريركًا فيذهب الى رومية اما بنفسهِ او يرسل رسولًا في اداء الطاعة وطلب التثبيت . وهذا كله مكتوب في خزانة كتب ماري بطرس برومية . واوراق البابا عندكم تشهد بما جرى اولًا

---

(١) هذه اشارة الى الكتب الطائفية التي كان البطريرك ارميا قد سافر الى رومية في شانها واليها اشار يوحنا عبد الاحد مانسي في حواشيه على سنة ١٢١٥ بقولهِ: ان البرتوس في تاريخ سنة ١٢٣٤ يقرّر انهُ في هذا المجمع اللاتراني قد تسلم الموارنة صورة الفروض الكنائسية (الدر ١٦٣)

وآخرًا». الى ههنا قول ابن القلاعي وكذلك الكردينال بارونيوس في تاريخ سنة الف ومائة واثنتين وثمانين في خطابه عن الموارنة يقول: ان بطركهم في عصر البابا زخيا الثالث قدم الى مجمع لاتران. وهناك استعلم عمّا يخصّ الامانة الكاثوليكية وعوائدها المقدسة. ورغب في ان تكون امتــهُ متمسكة بها ولم تزل الى هذا الان مستمرة على الامانة المقدسة

واقام البطريرك ارميا في الرئاسة خمس عشرة سنة بعد عودتهِ من روميــة. وكان شديد الغيرة في امور الدين سالكًا في طاعة الله وسياسة شعبــه بكل تيقظ واجتهاد. وكان الشمامسة بعد وفاته يذكرونه في شملاية الروساء الكبيرة ويسمونه قديسًا. ويقال انهُ لما كان في رومية دخل ذات يوم لاقامة القداس على مذبح مار بطرس هامة الرسل فلما رفع القربان وقف فوق رأسه من غير يدٍ وكان ذلك بحضور البابا زخيا وكهنته والى هذا اشار ابن القلاعي في ميره عن المجامع:

في روميــة قدّس قداس وقفت الشيلة فوق الراس
والبابا كان بجانب الكاس وعينــه تنظر الاسرار

وكذلك الشماس شمعون ابن الخوري هارون الحدشيتي في الكتاب الذي نسخهُ وهو الآن محفوظ في دير ماري يوحنا حراش في كسروان ذكر نقلًا عن داود ابن جوسلين الحدشيتي اسقف زاوية رشعين انهُ في سنة الف واربع مائة واثنتين وخمسين شاهد ان البطريرك ارميا لما رفع القربان المقدس ظهر فيهِ جسد الرب قائلًا: انذر وانادي ان مار بطرس الرسول هو صخرة الايمان وعمود البيعة واساس الدين هو ثبت الاب بابا رومية ونحن نتبعهُ وندخل بمذهبــه ونتبع مقالته ونصلي لمدينته وكهنته. وانهُ في سنة الف ومائتين وثلاث عشرة سافر ماري ارميا لروميــة ولما اقام القداس وقفت الشيلة بين يديه بقوة روح القدس وتجسدت. ولـما رأى البابا هذا الامر المستغرب تعجب وصدّق قوله وكرازته واعطاه التاج والخاتم. وحلل لهُ الوجه الخامس والسادس من الزواج وزواج المؤمنين كان من قبل الى السابع ومن ذلك الوقت اخذوا يذكرون اسم البابا في قداس

رؤساء الكهنة. الى ههنا قول المطران داود ويشهد على ذلك صورته القديمة التي اقيمت من الزمان القديم في هيكل ماري بطرس برومية ودامت الى زماننا وعندما علاها التغير بتمادي الزمان امر بتجديدها البابا زخيا الثالث عشر في سنة الف وستمائة وخمس وخمسين على ما كانت اولاً. وبعد البطرك ارميا تقلّد رئاسة الكرسي الانطاكي البطرك دانيال من شامات في سنة الف ومائتين وثلاثين للمسيح. ويقال عنهُ انهُ اتخذ السكنى اولاً في دير مار قبريان بكفيفان. ثم انتقل الى دير ماري مارون بكفرحي. ثم الى دير ماري جرجس الكفر. وذلك لكثرة الفتن والحروب التي كانت ثائرة بين نوّاب الشام والمصريين والتتر والروم والخوارزمية. لانهم تولوا عند نهر الاردن وكان جيوشهم يسبون وينهبون ويقتلون كل من صادفوا من نصارى ومسلمين وافرنج من كل امة من مصر الى انطاكية ولم يعفوا عن قتل الزهاد ولا عن حريق الكتب ولم يتركوا شرًا الّا عملوهُ

وبعد البطرك دانيال قام البطرك سمعان وبعث الى رومية يطلب درع الرئاسة والتثبيت. وفي زمانه اي سنة الف ومائتين وثماني واربعين خرج لويس ملك فرنسة من بلاده في نحو خمسين الف مقاتل فشتّى بهم في قبرص. ثم انهُ في اول الربيع سار بهم وبنصارى موارنة من سكان الجزيرة الى جهة مصر وكان حاكمها يومئذٍ الملك الصالح ايوب. ففتح دمياط وملك جميع ما فيها. وعرض انهُ في تلك الايام مات الصالح وقويت شوكة الافرنج وقصدوا المنصورة فاستولوا عليها. لكن المسلمين قطعوا عليهم الطرق وانقطع المدد عن الافرنج من دمياط. وعندما قصدوا العودة الى دمياط ركب المسلمون اكتافهم وضايقوهم فاسروا الملك لويس وقتلوا من جيشه مقتلة عظيمة. ثم ان حسام الدين حافظ دمشق دخل في امر الصلح بشرط ان الملك لويس يسلم دمياط ويحمل لهم خمسمائة الف دينار. فاجابهم الى ذلك وسار في المركب الى عكا ومن هناك الى بلاده. واما خواص بيته وعسكره فابقاهم في جبل لبنان واستمروا فيهِ كما يذكر ابن القلاعي في رسالة الى القس جرجس بن بشارة وغيره من اصحاب تواريخ

ذلك العصر . وفي سنة الف ومائتين وثماني وخمسين ارسل البابا اسكندر الرابع مكتوب البركة والتثبيت الى البطرك سمعان على شبه الذي كان ارسلهُ البابا زخيا الى البطرك ارميا وهو الآن محفوظ عندنا بقنوبين . فلو لم يتحقق صحة امانته وامانة شعبه لما ارسل لهُ التثبيت ودرع كمال السلطة . وقام بعد البطرك سمعان البطرك دانيال من حدشيت (١) . ونقل عنهُ القس يوحنا الراهب من حجولا في الكتاب الذي نسخهُ لتقديس الميرون في سنة الف وخمسمائة واثنتين وتسعين لليونان (١٢٨١م) انهُ امر بان لا يدخل الميرون شيء الّا زيت الزيتون ودهن البلسم . ولكن الامر الذي اتاه بذلك من رومية ما وصل ليدنا من كثرة الحروب والفتن التي كانت جارية في بلاد الشام . واخبر مؤرخو ذلك العصر انهُ في سنة الف ومائتين وسبع وثمانين (٢) خرج من بلاده هولاكو خان ابن جنكز خان ملك التتر وكان بجنده عساكر الروم والاكراد والموصليين بعدد لا يعلمهُ الا الله . ويقال انهُ كان مع عسكرهم ثلثمائة طبلخانة لم يسمع لها صوت لكثرة صراخ الرجال وصهيل الخيل وصوت الضرب بالاسلحة . فتملكوا بغداد وميافارقين والبيرة وحلب ولم يعفوا عن خراب البلاد وسفك الدماء وسبي الحريم والاولاد ونهب الاموال . ثم بلغ هولاكو ان قبلاي واربيوغا اخويه اقتتلا بالقانية فعاد الى بلاد العجم وارسل كتبوغا بالعساكر لغزو بلاد الشام ما خلا الذي كان بيد الافرنج . فملكوا دمشق ونابلس وغزة ودمّروا قلعة بعلبك وقلعة عجلون . وألزموا الناس بالسجود للصليب ونادوا:

---

(١) وفي نسخة اللويزة هذه الزيادة: فانفذ الى رومية يطلب التثبيت فانعم بهِ عليهِ البابا لوقا الثالث سنة ١٢٨٠ مع كتابة على مثال التي ارسلها زخيا الثالث الى ارميا البطرك وذلك واضح من صورتهِ التي صنعت من ذلك العصر ووضعت في كنيسة مار رومانوس بقريتهِ حدشيت وهو مصوّر جاثياً على ركبتيه لابسا حلّةً قرمزية ودرع السلطة مرخىً على منكبيه وعلى راسه تاج الكرامة مرصع بالجواهر وبطرس الرسول يقلده عصا العز وفي اعلاها صليب وبخنصر يمينه خاتم من الذهب . اه

(٢) ويروى: احدى وثمانين

هذا هو الدين الصحيح دين السيد المسيح . واما السلطان قطز صاحب مصر فجمع العساكر المصرية والشامية مع التركمان والشهرزورية وخرجوا لقتالهم عند عين جالوت في الغور بارض كنعان قريباً من بيسان. وصار بينهم قتال شديد وكانت الكسرة على التتر . وجدّ المسلمون في اثرهم حتى قتلوا منهم مقتلة كبيرة . وكان اتابك العسكر بيبرس البندقداري ولهذا السبب سار الملك المظفر الى دمشق فقتل كل من كان انحاز الى التتر. وكذلك ثار العوام على النصارى في دمشق فقتلوا منهم جماعة كثيرة ونهبوا دورهم وذخائرهم واحرقوا كنيسة السيدة وخربوا باقي الكنائس . وبعد الملك قطز تولى السلطنة ركن الدين بيبرس البندقداري ولقب بالملك الظاهر . ولما تمكّن من الديار المصرية والشامية جهز العساكر لمقاتلة الافرنج فاستخلص منهم قيسارية وارسوف والقليعات وعرقة وصفد وطبرية ويافا والباشورة والشقيف وانطاكية وبغراس والقصير والكهف والقدموس وحصن الاكراد وحصن عكار والقرين وصافيتة ومرقية وحلبة . وبعد الظاهر بيبرس اجتمع الامراء واجلسوا على تخت السلطنة الامير قلاون اتابك العساكر وسُمي الملك المنصور وامر بالركوب على جبل لبنان لان اهله كانوا ينجدون المدن التي بيد الافرنج على سواحل البحر

وفي سنة ١٢٨٢ على ما كتب ابرهيم مطران دير ابون والمطران داود الحدثي صعد عسكر المسلمين الى وادي حيرونة . فوضع الحصار على قرية اهدن وبعد اربعين يوماً من الحصار ملكوها في حزيران ودكوا الى الارض قلعتها والحصن الذي على الجبل ثم صعدوا الى قرية بقوفة فحاصروها واحرقوها في شهر تموز وسبوا اهلها . وفي شهر آب ساروا الى الحدث فهرب اهلها الى العاصي وهي مغارة واسعة ومنيعة فاقاموا جيشاً على الباب وبعد مدة طويلة من الزمان اخذها بالامان وضربهم بالسيف . ثم تحولت الجيوش الى حصن المرقب ثم الكرك ثم حصن برزيه وصهيون وافتتحوها جميعاً

ثم في سنة تسع وثمانين بعد الالف ومائتين خرج الملك قلاون بجيش مصر واجتمع اليه العسكر الشامي ونازل طرابلس في مستهل ربيع الاول ونصب عليها المجانيق

الكبيرة والصغيرة وملكها في السادس والعشرين من نيسان

وبعد الملك المنصور قلاون عقبه ابنه الملك الاشرف خليل فجهز الجيوش المصرية والشامية لغزو عكا وبيروت وصيدا وعتليت وانطرسوس. فملكها ودكها الى الارض. واما جبيل فتوجه اليها سنقر الشجاعي صاحب دمشق بالعساكر فطرد منها الافرنج وادخل سكانها تحت الطاعة. وفي سنة الف ومائتين وثلاث وتسعين تولى السلطنة الملك الناصر محمد بن قلاون وارسل امرًا الى اقوش الافرم نائب دمشق والى اسندمر نائب طرابلس والى سنقر المنصوري والى امراء الغرب ليجمعوا الجيش الى مقاتلة الجرديين واهل كسروان وان من نهب منهم امرأة كانت له جارية او صبيًا كان لهُ مملوكًا. ومن احضر منهم راسًا كان لهُ دينار لان المشار اليهم كانوا نزلوا الى نجدة الافرنج وفتكوا بالجيوش. فسارت العساكر الى نهب اموالهم وسبي ذراريهم واستئصال شافتهم وكانوا نزولهم خارج جبيل. فلما سمع بخبرهم صاحب جبيل ادخل الرجال والذي قدر على حمله الى المركب وسار بهم الى البحر. واما سكان الجبال فانصبُّوا على الجيش كالسيل الدافق. ويقول ابن القلاعي انهم كانوا ثلاثين مقدمًا بثلاثين الف مقاتل غير الذين اوقفوهم على نهر المدفون وعلى نهر الفيدار لحفظ الطرق. فما سلم من الجيش الا النواب وبعض الفرسان. ثم لحقوا بامراء بلاد الغرب فقتلوا منهم الامير احمد واخاه الامير محمد ابني محمد بن كرامة التنوخي بقرية عبيه. واحرقوا عين صوفر وشلميخ وعين زوينة وبحطوش وغيرها من قرى الغرب

فلاجل هذا الفعل افتى العلماء بنهبهم واحراق بلادهم كما يخبر ابن الحريري في تاريخ سنة سبع وسبعمائة للهجرة التي تقارب سنة الف وثلاثمائة للمسيح قال: ان نائب دمشق جمال الدين الافرم حارب جبل الجرد وكسروان ومزقهم وقتلهم واذلهم ونهب اموالهم واحرق قرى كثيرة من كسروان والجرد وشتت شملهم. وكانوا قد فتكوا بالجيش قبل ذلك. وافتى العلماء بنهبهم لانهم جهلة قد فعلوا كل قبيح وحكى ان جماعة منهم هربوا ومعهم عشرة امراء بحريمهم واولادهم واموالهم ولجأُوا

هناك الى مغارة بغربي كسروان اعني فوق انطلياس. وكانوا اكثر من ثلاثمائة نفر فدافعوا عن انفسهم بالقتال ولم يقدر الجيش عليهم. فبذلوا لهم الامان فلم يخرجوا ولما عجزوا عنهم امر نائب دمشق ان يُبني على الغار سدّ من الحجر والجير ففعلوا ذلك وهالوا على باب الغار تلاً عظيماً من التراب والحجر. وجعلوا الامير قطلوبك حارساً عليهم مدة اربعين يوماً. وهلكوا داخل الردم. وعلى شبه ذلك كتب حمزة بن سباط من بلاد الغرب قائلاً: ان في سنة سبع وسبعمائة للهجرة (١٣٠٧م) سار اقوش الافرم نائب دمشق بعساكر الشام وغيرها يوم الاثنين ثاني محرم الى جبال كسروان. وكان سكانهُ عصاة مارقين عن الدين. فاحاط الجيوش باماكنهم المنيعة ونزلوا عن خيولهم وصعدوا الى جبالهم من كل الجهات. وقيل ان العساكر كانوا نحو خمسين الفاً بين فارس وراجل. ووصل نائب الشام اقوش الافرم الى جبال جرد كسروان ووطىء العسكر ارضاً لم يكن اهلها يظنون ان احداً من خلق الله تعالى يصل اليها. فسلكوا جبالهم واخربوا القرى وقطعوا كرومها ومزقوهم كل ممزّق وقتلوا واسروا جميع من فيها من الدروز والكسروانيين وغيرهم من المارقين. وتطهرت تلك الجبال منهم. وهي جبال شاهقة بين دمشق وطرابلس. وامنت الطرق بعد ذلك فانهم كانوا يقطعون الطريق ويخطفون المسلمين ويبيعونهم الى الافرنج. ولم يسلم منهم الّا القليل. الى هنا تاريخ ابن اسباط

ثم يخبر المذكور انهُ بامر اقوش الافرم استقرت التركمان وهم امراء آل عساف في ساحل كسروان. وان ثلاثمائة فارس منهم جعلوا دركهم من حدود انطلياس الى جسر المعاملتين ثلاثة ابدال. كل مائة فارس منهم يقيمون شهراً في الدرك وكانت سكناهم في برج جونية وكل من يستنكرونهُ ولم يكن معهُ ورقة جواز من المتولي او من امراء الغرب كانوا يمنعونهُ من المرور في دربند نهر الكلب. كما فعلوا ايضاً بقطب (١) على طريق مصر. والبرج الآخر هو المعروف ببرج القصيبة عند الرصيف كان

(١) ويروى: بقطيا

بيد المتولي على بلاد جبيل • وعلى موجب ذلك اقيم برجان احدهما في جونية والآخر عند الرصيف وكل ذلك خوفاً من ان ترجع الافرنج الى هذه البلاد لا لاجل الانشقاق في الايمان • ولهذا السبب اقاموا حرّاساً على البحر في بيروت • ولكي يوصلوا الاخبار الى دمشق جعلوا يشعلون ناراً في راس بيروت العتيقة • ومنهُ الى جبل بوارش ومنهُ الى بيرس ومنهُ الى جبل الصالحية ومنهُ الى برج دمشق وكان ذلك لاجل ما يعرض من الحوادث في الليل حتى تصل اخبارها الى دمشق في ليلة واحدة • وكذلك جعلوا حمام بطاقة تتدرج الى دمشق لاجل الحوادث التي تعرض في النهار • وكذلك قرّروا خيل بريد تسير من بيروت الى الحصين ومنهُ الى قرية ابدل • ومنها الى خان ميسنون • ومنهُ الى دمشق لاجل ما يتجدد من الحوادث • وانما ذكرنا هنا هذه الاخبار المختصرة ليتأكد المطالع اولاً : ان هذا الخراب لم يكن في ايام البطرك ارميا الذي كان في الدولة الايوبية ولا في عصر الملك الظاهر برقوق الذي كان في دولة الجراكسة • بل في عصر الملك الظاهر بيبرس واتباعه في الدولة التركية التي توسطت الاثنتين

ثانياً : ان الموارنة ما زالوا متفقين مع الافرنج في الايمان والحرب • وانهم ما قاسوا كل هذه المشقات الّا في حبهم • والاتابكية ما اقاموا برج جونية بقرب جسر المعاملتين ولا جعلوا التركمان دربندية على نهر الكلب ولا عيّنوا حرّاساً للبحر في بيروت ولا قرروا خيل البريد ولا حمام البطاقة ولا اشعلوا النار الّا ليُبعدوا الافرنج من الاجتماع بالكسروانيين

ثالثاً : ان البطاركة (١) مثل البطرك لوقا من بنهران والبطرك جبرائيل من

(١) ان البطاركة من عهد البطريرك ارميا الى دانيال الحدشيتي الذي كان سنة ١٢٨١ لم يتوانوا مطلقاً في طلب التثبيت واما الذين خلفوهم فذهبت عنا اخبارهم لسبب ما كان في تلك الايام من الحروب في سواحل فونيقي وجبالها • ولكن التواريخ التي بيد رهبان مار فرنسيس تخبر انهم اخذوا في تلك الفترة يقطنون في اورشليم • وذلك ان روبرتوس ملك صقلية وامرأته قنسطنسة وتدعى ايضاً سنسة ابتاعت لهم من سلطان مصر اربعة اماكن واثبتها لهم البابا اقليميس الخامس برسالة مؤرخة في سنة ١٣١٣ • اما ابن القلاعي الذي

مجولا ونظرائهما بتلك السنين ما استطعنا ان نقف لهم على خبر في كتاب ولا نعرف باي سنة كانوا لعدم وجود تاريخ وانشغال الناس في تلك الايام بالحروب

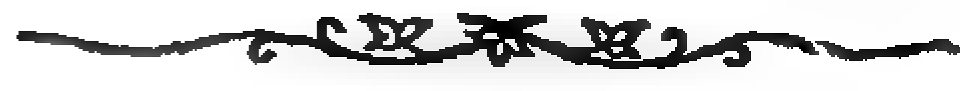
وقول ابن القلاعي في البطريرك لوقا انهُ سقط في ضلالة ابولياريوس واعتقد ان اللاهوت كان بمقام النفس العقلية في السيد المخلص. فالجواب على ذلك ان هذه البدعة لم تنشأ في بلاد الشام ولا تمسكت بها طائفة فيها. اذ يعتقدون باسرهم ان السيد المسيح الاه تام وانسان تام. واما البطرك لوقا فما كان في زمان امن وسلام حتى يصح القول بانهُ استنبط آراء جديدة. وعلى فرض انهُ قال هذا القول فلم يقلهُ عن معرفة. ويحتمل انهُ ان الاب اوماريكو الذي ارسلهُ البابا لزيارة الموارنة قدم في ايامهِ كقول ابن القلاعي في الميمر الذي سبق ذكره:

افتقدهم البابا واطفى تلك النار   على يد اوماريكو المختار
وبجهم في كلام مجهر   طاعوه ورجعوا للايمان

وعن اوماريكو هذا يخبر ابن القلاعي بنفسه انهُ كان من رهبان ماري عبد الاحد وان قدومه الى جبل لبنان كان قبل مجمع فلورنسة كقوله في رسالته الى البطرك شمعون الحدثي: وقبل فرا جوان الذي كان وكيلًا عن بطرككم يوحنا الجاجي وقاصده الى مجمع فلورنسة بعث البابا افتقدكم على يد الراهب اوماريكو من قانون الاخوة الواعظين

كان من جملة رهبانهم فاخبر في رسالتهِ الى البطرك شمعون الحدثي انهُ لما ابتاعت الملكة قنسطنسة كنائس القدس بثمانين الف دينار وهي القيامة وقبر مريم والطور وبيت لحم اعطت الموارنة مغارة الصليب مع مذابح خصتهم جا في سائر كنائس القدس واذنت لهم ان يقيموا القداس على مذابح الافرنج وفي حللهم واثبتت ما انعمت بهِ عليهم بمنشور من قداسة البابا. ثم يقول ايضاً انهُ قبل ان التأم مجمع فلورنسة ارسل بابا رومية يفتقد الامة المارونية على يد الراهب اوماريكو من قانون الاخوة الواعظين فلولم تكن هذه الملكة متحققة صحة امانتهم لما ابتاعت لهم مغارة الصليب ولما انعمت عليهم بمذابح مختصة في القيامة والجسمانية وعلية صهيون وبيت لحم وان يتولّوا الترجمة للرهبان مع سائر امورهم ولما كان البابا اذن لهم ان يشاركوا الكهنة في المذابح والحلل المخصوصة باصحاب الامانة المهذبة

والذي ذكرناه باختصار يدل بالكفاية على ان امانة الموارنة في جبل لبنان ما تغيرت اصلًا عن الاتحاد مع الكنيسة الرومانية لا في ايام الفرج ولا في ايام الضيق



الفصل العاشر

في رد قول ارنولدوس البرتينوس الزاعم ان الموارنة بعد مجمع لاتران خالفوا الكنيسة وانهم حُرموا في مجمع قونسطنسة الذي التأم في سنة ١٤١٤

ان البرتينوس هذا كان في اوائل القرن السادس عشر. صنف كتابين عن البدع واصحابها ولما انتهى في الكلام الى الامة المارونية قال: «الامة السادسة هم الموارنة الذين ينتسبون الى مارون المبتدع. ويزعمون ان في المسيح عقلًا واحدًا ومشيةً واحدةً. فهولاء في وقت من الاوقات دخلوا في طاعة الكنيسة الرومانية وحضر بطركهم في مجمع لاتران العام الذي عُقد في عهد زخيا الثالث. ثم انفصلوا عن الكنيسة الرومانية وحرموا في مجمع قونسطنسة» وتبع زعمه ويلامو الفرنساوي في الكتاب الثاني عن سفره الى الارض المقدسة قال: «الموارنة ينتسبون الى مارون المبتدع وقد اقاموا مدةً على بدعته وهم كثيرو التقلب. فان بطركهم حضر مجمع لاتران الذي التأم برومية في عهد البابا زخيا الثالث وحلف انهُ يكون طائعًا للامانة المقدسة. فاستمروا مدة يسيرة من الزمان على هذا الراي المقدس. ثم عادوا الى غيهم الاول فحرموا هم وبدعتهم في مجمع قونسطنسة» ويثبت ذلك بكلام جبرائيل بن القلاعي في ميمره عن اخبار الموارنة وهو: ان الحبيس اليشاع تكبر بذاتهِ وجال بلاد اليعاقبة. وعند عودتهِ ادخل في جبل لبنان رتبة جديدة وخلط الزيت في القربان المقدس. وافسد راي البطرك بالرشوة والبراطيل حتى ضرب بالسيف روساء الكهنة الذين خالفوه بهذه القضية. ولاجل ذلك وقع الخلف في الرعية وانقسموا حزبين ومكّنوا منهم اعداء الايمان اذ يقول:

وقع الوسواس في الجبـه وقلت منهم المحبـه
بقيت السكنى فيـهِ صعبه والكاشف معهم تعبان
لان البطرك بلـع السمّ واعطوه برطيـل ملو الفم
ورضي منهم بسفك الدم بين الاساقفـة والعصيان
واما الجبـه بدت تـبرا والعربه منـهُ تستجرى
بلاد جبيل مبني على الصخره ثابت على شرف الايمـان

ولكن هذه التهمة لا اصل لها بسبب ان المجمع الذي التأم في قونسطنسة في سنة ١٤١٤ عُقد في بلاد النمسة ولم يحضرهُ احد من الشرق ولا كان مداره على الامور الشرقية وانما كان لاجل اصلاح الانشقاقات التي استمرت مدة اربعين سنة في الكنيسة الغربية بين الباباوات الذين كانوا يتغلبون على رئاسة الكرسي الروماني . ومن هذا يعرف سبب التئامه وبدء الانشقاق وهو انه في اوائل سنـة الف وثلاثمائة كان متقلدًا سياسة الكرسي الروماني البابا اقليميس الخامس . فانتقل من رومية الى بـلاد فرنسة ومات هناك والذين خلفوه لم يزالوا مقيمين في بلاد فرنسة الى سنـة الف وثلاثمائة وسبعين التي اقيم فيهـا البابا غريغوريوس الحادي عشر . وهذا مع انه كان فرنساوي الاصل نظر الى بناء الكنيسة الرومانيـة وضبط اوقاف الكرسي الرسولي وعاد الى رومية . وعندما قضى اجله تضرع الشعب الروماني الى مجمع السادات الكرديناليـة بان يختاروا بابا جديدًا يكون من بلاد ايطالية ليكون مستقرًا في كرسيه فانتخبوا اوربان السادس . ولكن بعد مدة يسيرة من الزمان نفرت نفوسهم منـهُ لشدة بأسه وجفاء طبعه فتراجعوا الى بلاد فرنسة واختاروا بابا آخر وسموه اقليميس السابع معتذرين انهم ما اختاروا اوربان على رضاهم وانما كان ذلك باغراء اهل روميـة . ودام الانشقاق بينهم نحو ثلاثين سنـة . وبعد وفاة اوربان برومية خلفهُ بونيفاس التاسع وبعده زخيا السابع وبعده غريغوريوس الثاني عشر وكان التابع لهؤلاء اهل النمسة والمجر وانكلترا وغيرهم . واما اقليميس الذي اقيم في فرنسة فخلفهُ مبارك الثالث عشر .

وكان يكرز باسميهما اهالي فرنسة واسبانية ولكثرة الفتنة والانشقاق الذي كان جاريًا بين الرعايا ارتضى غريغوريوس الذي كان في رومية وكذلك مبارك الذي كان في فرنسة ان يصير مجمع يختار فيهِ بابا ثالث برضى جميع النصارى في الغرب

وفي سنة ١٤٠٩ اجتمع الآباء في مدينة بيسة وانتخبوا اسكندر الخامس فازداد البلبال والانشقاق بين الناس وبعد ما كان المتولون على الكرسي اثنين صاروا ثلاثة اعني غريغوريوس برومية ومبارك بفرنسة واسكندر الذي أُقيم جديدًا في بيسة . اما اسكندر هذا فعاجلتهُ المنية قبل ان تتم لهُ السنة فاجلسوا مكانه يوحنا الثالث والعشرين وقام لكل من هؤلاء حزب ينادي باسمه ويحتج لهُ بحجج . واخذ اهل التقى يفرغون مجهودهم ويستنفدون وسعهم في اصلاح ما فسد من الامر وعقـدوا في هذه الغاية مجمعًا كبيرًا سنة ١٤١٣ في مدينة قونسطنسة من اعمال النمسة وبعد خصام دام اربع سنين (١) عرض ان يوحنا الذي اختير في بيسة خلع نفسه عن الرئاسة وكذلك فعل غريغوريوس الذي اختير برومية وكان ذلك منهما تلافيًا لما وقع من الشرور . واما مبارك الذي انتخبوه في فرنسة فاصرَّ على عناده . ثم هرب من فرنسة الى اسبانية ولجأَ الى برج منيع في داخل البحر . فوجه اليهِ الآباء سلطان النمسة وملك هوراجية وستة رُسُل ينصحونه ليرجع عن عناده فأَبى الَّا الاصرار . ثم انفذوا اليهِ ان يحضر ويحتج عما اتهم بها فما حضر ولا ردَّ جوابًا . فعند ذلك حطَّهُ الآباء عن ذلك المقام واجلسوا مكانه البابا مرتين الخامس برضى الجميع فخمدت حينئذٍ جمرة الانشقاق . ثم ان الآباء فحصوا في ذلك المجمع عن بعض بدع كان قد بثها في تلك البلدان يوحنا ويكلف . وبعد موته دافع عنها يوحنا هوس تلميذه . وكان هذا قد حضر مجمع الآباء فاثبتوا عليهِ نحوًا من ثلاثين بدعة وعلى معلمهِ خمسًا واربعين واوعزوا اليـهِ ان يرجع عن اقوالهِ فأَبى فامر الآباء بحريقه حيًّا واخرجوا عظام معلمهِ واحرقوها بالنار ايضًا وحرموا مصنفات الاثنـين ونهوا المؤمنين عن قراءتها . هذه هي الامور التي دار البحث عنهـا والجدال عليها في المجمع

(١) ويروى : اربعين سنة

المشار اليهِ . واما الموارنة فلم يرد لهم ذكر فيه اصلاً ولا تعرّضوا لهم في شيء ولكن الذين شنّعوا على الموارنة انهم حُرِموا هم وبدعتهم في مجمع قونسطنسة فما ساقهم الى هذا القول الا تعمّدهم النقل عن كذَبَة المؤرخين لانهم بدلاً من ان يكتبوا انهم حرموا في المجمع السادس الذي عُقد في قسطنطينية على رأي غليلمو مطران صور وغيره كتبوا انهم حرموا في مجمع قونسطنسة وبدلاً من ان يذكروا مجمع قسطنطينية كتبوا مجمع قونسطنسة

واما قول ويلامو ان الموارنة سلسو القياد سريعو التقلب في امور الايمان فهو افتراء محض وتجنٍّ صرف . لان جميع ملل الشرق منذ بداية النصرانية الى يومنا هذا لم تستمر واحدة منها على التمسك بجوهرة الايمان وطاعة الكرسي الرسولي نظير استمرار الموارنة ويشهد بذلك البابا بولس الخامس في الرسالة التي انفذها اليهم في سنة الف وستمائة وثمانٍ قائلاً :

« تبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح الذي بكثرة مراحمه الغزيرة لم يدع طوفان المياه الكثيرة اعني انواع الانشقاق وصنوف البدع الفاسدة التي قد غمرت بلاد الشرق منذ الزمان القديم حتى وقتنا هذا وطغت على اكثر اطراف العالم ان تقترب اليكم بل انه بنعمة مختصة من كرمهِ قد آثر صيانتكم مدة قرون كثيرة على صدق الامانة الكاثوليكية حتى ان امانتكم ذاعت في العالم باسره ومُدحت في الكنيسة البطرسية الرسولية الرومانية ام جميع الكنائس » . وكذلك الكردينال اوكابيوس بنديني في الرسالة التي انفذها الى البطرك يوحنا الاهدني وهي مطبوعة في مدخل الشحيم السرياني (١) قد اثبت دوام طاعة الموارنة غير المنقطعة قائلاً : « ان احبار الكنيسة الرومانية العظمى بسبب عنايتهم واهتمامهم بصالح المسيحيين انعموا على الملة المارونية بنعم مفيدة لمداومتها

---

(١) وقولهُ « وهي مطبوعة الخ » زيادة مفقودة من نسخة دير اللويزة . وقد ذكر اصل هذه الرسالة مع ترجمتها الى العربية سيادة المطران يوسف الدبس في مقدمته التي علقها على كتاب الشحيم المطبوع بعنايته في المطبعة العمومية المارونية سنة ١٨٩٠

على القيام بواجب الطاعة » . وهكذا ايضاً قال اهل العلم وارباب التاريخ الذين دققوا في البحث عن امانة الامة المارونية كما ذكرنا في الفصل الثامن من قول القديس انطونيوس اسقف فلورنسة وبارونيوس الكردينال وهو : ان الموارنة ما زالوا مستمرين على طاعة الكنيسة من عصر اماريكو بطرك انطاكية الى ايامهما . والقس يوسف بوصوين اليسوعي الذي خالط الملل الشرقيــة مدة طويلة من الزمان وبحث حق البحث عن امانة الموارنة وعن صحة ثباتهم في طاعة الكنيسة في الكتاب الذي طبعه عن سورية المقدسة اقرّ انهم حفظوا الايمان الطاهر والاعتقاد الكاثوليكي اكثر من اثني عشر قرناً اعني من اواخر القرن الرابع ايام كان القديس مارون رئيس محابس بلاد قورش الى سنة الف وستمائة التي فيها طبع كتابه . وهكذا ايضاً ابن القلاعي فانه في كل ما نظمهُ اثبت ان ايمان الموارنة مبنيٌّ على الصخرة لم يتغيَّر ولم يتبدّل

واما قولهُ ان الحبيس اليشاع همّ ان يدخل رتبة جديدة في الطائفة وانه اضلَّ البطرك حتى أثار الاضطهاد على رؤساء الكهنة الذين خالفوا زعمه فهذا لا يقدح في ايمان الموارنة ولكنهُ بالعكس يُثبت صدق عقيدتهم لان عدوّ الخير (حسب زعمه) لما استغوى قلب الحبيس اليشاع واستمال البطرك لقوله ضادّهما اهل جبة بشرّاي وبلاد جبيل مع رؤساء الاساقفة وانتصبوا لمقاومتهما وثبتوا على الامانة الصادقة غير متزعزعين عنهـا . اما البطرك الذي كان في عصر اليشاع المذكور فهو البطرك داود الملقب بيوحنا الذي سكن في دير مار سركيس القرن في ارض حردين . وكنا قبلًا نظن فيهِ هذا الظن وهو انه بسبب تعليم اليشاع المشار اليهِ ومن مجاورته لبعض اليعاقبة القاطنين في حردين ايضاً تبع رأي يعقوب وغيَّر اسمهُ الاصلي وسمى نفسهُ يوحنا وانشأ الاضطهاد على الامة المارونية وعلى رؤساء كهنتها لاجل تنفيذ مآربه . ولكن لمـا بحثنا عنهُ بحثاً شافياً تحققنا ان ظننا ذلك خارج عن دائرة الصواب لان الحبيس اليشاع كان رجلًا ناسكاً . ومن الكتب البيعية التي وقعت بيدنا من خطهِ علمنا انه كان من قرية الحدث وانه درس على فرح خوري قرية موسى ثم صار جبيساً وكاهناً في محبســة ماري

سركيس بارض الحدث. ولم نجد له في الكتب التي بدأ بكتابتها منذ سنة الف وسبعمائة واثنتين لليونان فما فوق لا تعليماً جديداً ولا قولاً محدثاً. واما الزيت الذي كان يضعه مع خبز القربان كما نقل عنهُ ابن القلاعي فإمّا انه كان يخلطه مع القربان وهو محرّم واما انه كان يدهن القالب به لئلّا يلتصق به الخبز المذكور كما ندهنــه في يومنا هذا بالشمع وذلك شائع وليس من مانع يمنعهُ. وكانت القوالب في ذلك العصر مجوفة وعليهِ فلا يتوجه اليهِ لوم من هذه الحيثيَّة. وكذلك وقفنا على كتب كثـيرة كتبت في رئاسة البطرك داود فتحققنا منها انه منذ صُيّر بطركاً سُمي يوحنا. وقال الخوري دانيال الباني في الكتاب الذي نسخهُ سنة ١٣٩٧ للمسيح ما يلي «وكان النجاز منهُ في سنة ١٧٠٨ لليونان على يد الخوري دانيــال ابن الحاج سمعان من قرية بان على زمان البطرك داود المسمى يوحنــا القاطن في دير ماري سركيس القرن بارض حردين. وكان بطرس مطراناً على دير قنوبين». وكذلك المطران قورلس الحاجي يأتي بذكره في الكتاب الذي نسخهُ سنة الف وسبعمائة واثنتي عشرة لليونان ويدعوه «الاب البطريرك يوحنا» من غير ان يطعن فيهِ. وكذلك المطران يعقوب الحفدي أتى بذكره في ذيل كتاب الناموس الذي نسخه للمطران داود الحدشيتي قائلًا: «وكان الفراغ من كتاب الناموس هذا سنة الف وسبعمائة وثلاث عشرة من ملك اسكندر بن فيلبوس اليوناني وهو برسم الاخ المغبوط المنتخب لله تعالى المطران داود بن جوسلين في قرية حدشيت في ايام ابينا ومعلمنا وسيدنا ماريوحنا المنتخب لله تعالى المؤيد بالمسيح القاطن في دير مار سركيس القرن بقرب قرية حردين رحمنا الرب ببركة صلاته المقدسة بشفــاعة السيدة ام النور وجميع القديسين امين». وهذا الكتاب هو الى الآن محفوظ عندنا بدير قنوبين وهو برسم اخينا المطران يوسف الحصروني. فمن هذه الشهادات وغيرها مما اعرضنا عن ذكره استدللنا على ان البطرك كان يدعى وقتاً يوحنا وآخر داود يوحنا وان امانتهُ كانت مستقيمة ودليل ذلك انّ رؤساء الكهنة كانوا راضين عنهُ فلوا انه كان جحد امانة الكنيسة الرومانيــة لما امكن ان المطران قورلس والمطران يعقوب

يأتيان بذكره في تاريخ كتابيهما او يقولان انه ابوهما ومعلّمها ولما كان قال في حقـهِ المطران يعقوب بانه بار ومنتخب لله ومؤيد بالمسيح ولا طلب من الرب ان يرحمهُ ببركة صلواته المقدسة ولما اتى بذكره دون طعن في كتاب الناموس التي كتبه للمطران داود ابن جوسلين . فلو كان البطرك المذكور وافق على قتل رؤساء كهنته وتحريف امانته لما قرظهُ بكل ما رأيت من المديح مثل هؤلاء المطارنة المحترمين الذين كانوا في ايامه ومن جملة اساقفتهِ الذين قيل انه وافق على قتلهم

اما الاضطهاد الذي ثار على رؤساء الكهنة فهو صحيح . الّا انه حدث قبـل هذا الزمان بنحو ثلاثين سنة ولم يُثرْه البطرك داود المسمى يوحنا ولا الذين سلفوا قبله في البطريركية بل الذي انشأ هذا الاضطهاد انما هو الملك الاشرف سلطان مصر كما يشهد يعقوب مطران اهدن في ذيل الانجيل الذي كتبهُ بخطهِ قائلًا :

ܫܠܡ ܐܘܢܓܠܝܘܢ ܩܕܝܫܐ ܕܝܘܚܢܢ ܕܡܠܠ ܝܘܢܐܝܬ ܒܐܦܣܘܣ ܥܠ ܐܝܕܝ ܐܢܫܐ ܚܛܝܐ ܘܡܠܐ ܡܘܡܐ ܝܥܩܘܒ ܡܢ ܩܪܝܬܐ ܡܒܪܟܬܐ ܐܗܕܢ ܒܫܡ ܡܝܛܪܦܘܠܝܛܐ ܒܐܪܒܥܣܪ ܒܝܘܡܐ ܕܝܪܚܐ ܐܕܪ ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܬܡܢܐ ܡܐܐ ܘܫܒܥܝܢ ܘܫܒܥ ܕܝܘܢܝܐ

اي انتهى انجيل مار يوحنا الذي نطق يونانياً في افسس على يد انسان خاطىء وملآن عيوباً يعقوب من قرية اهدن المباركة باسم مطران في اليوم الرابع عشر من شهر اذار سنة الف وثمانمائة وسبع وسبعين لليونان

ثم يزيد قائلًا : « وفي تاريخه خرج ملك قبرس على الاسكندرية ونهبها وقتل رجالها واسر صغارها فغضب سلطان المسلمين على النصارى واخذ رؤساء الكهنة فسجنهم في دمشق . ثم اني انا الحقير يعقوب باسم مطران هربت وتركتهم والسيد المسيح اعانني وكتبتهُ وانا هارب » . فشهادة هذا المطران الذي شهد الامر بالعيان وكان من جملة

المضطهدين هي اولى بالقبول من كل شهادة . ويذكر حمزة بن سباط في تاريخ سنة سبعمائة وخمس وستين للهجرة (١٦٧٤ لليونان و١٣٦٣) م « ان الناس في السواحل تخوفوا من ملك قبرس وارسل الامير الكبير الاتابكي يلبغا الى بيروت بيدمر الخوارزمي وامر ان يشرعوا في عمارة شواني وحمالات ومراكب بعدة كثيرة واقامت العساكر الشامية في بيروت وهكذا امراء الغرب وتركمان كسروان سكنوا في بيروت واخذوا يركبون ليلًا ونهارًا »

اما العلماء فانهم لم يفتوا بقتل رؤساء الكهنة بسبب قدوم ملك قبرس الى الاسكندرية وحده . بل انه في سنة سبعمائة وسبع وخمسين للهجرة خرجت الافرنج على مدينة صيدا كما يخبر ابن سباط وقتلوا خلقًا كثيرًا من اهلها واسروا جماعة كثيرة فافتدوهم بمبلغ ثلاثين الف درهم من ديوان الاسرى . وقبل ذلك بثلاث سنين وقع في دمشق حريق عظيم عند باب جيرون وتأسفت الناس عليه لانه كان قديمًا من نوادر آثار البلاد وكذلك في سنة سبعمائة واربعين حدث حريق بدمشق ايضًا واحترق سوق الدهشة وسوق السيوفية وقيصرية الارماح والقواسين فتلف من جرَّاء ذلك ذخائر عديدة . وقبل هذا بزهاء خمس سنين قدمت مراكب الافرنج الجنويَّة الى بيروت و بلغوا الى الميناء واخذوا بالقسر الاعلام الاسلامية من البرج ووقع القتال في الازقة بين الفريقين مدة يومين . فلاجل هذه الامور وامثالها التي اتهمت بها النصارى برز الامر في القبض على رؤسائهم وسجنهم في دمشق فوقع البعض من رؤساء كهنة الموارنة بايديهم مثل يعقوب مطران اهدن والبعض الآخر فرّوا هاربين كما هو مذكور عن الاسقف حنين فانه سار في البحر الى قبرس وبعضهم اختفوا مستترين ووعد النواب من يقبض عليهم بمبالغ من الدراهم وربما كان من جملة المقبوض عليهم البطرك جبرائيل من حجولا فحملوه الى طرابلس وهناك استُشهد بالنار خارج المدينة . وكان استشهاده في اول يوم من نيسان كما يخبر ابن اخته في مرثيته

والنتيجة انه مما مرّ ردًّا على قول البرتينوس وويلامو يتبين واضحًا ان الموارنة لم يُحرموا

في مجمع قونسطنسة كما انه ليس لهم فيهِ من ذكر ولم نكن لنحب ابطال دعواهما وردّ قولهما ولكننا فعلنا دفعاً للاشكال وحذراً من ان ينخدع القارئ بزاعمهما. وعليهِ فان الاضطهاد على رؤساء الكهنة الذي اخبر عنهُ ابن القلاعي ما حدث من بطرك ولا من مطران بل من الملك الاشرف ونواب البلدان كما مرّ

الفصل الحادي عشر

في رد قول كرلوس ينكولين الزاعم ان الموارنة اتحدوا مع الكنيسة في عصر اوجان الرابع الذي عقد مجمع فلورنسة في سنة ١٤٣٩

ان المؤلف المشار اليهِ صنف كتاباً في الفردوس وفي الفصل الثامن والسبعين تكلّم في الموارنة مثبتاً انهم لا ينتسبون الى مارون المبتدع بل الى مارون القديس وانهم اتحدوا مع الكنيسة الرومانية في زمان اوجان البابا

وعن ذلك نجيب : ان البابا اوجان الرابع كان بندقيّ الاصل . تولى تدبير الكرسي الروماني في سنة الف واربعمائة واحدى وثلاثين وعقد في رئاسته مجمعين احدهما في مدينة فلورنسة سنة الف واربعمائة وتسع وثلاثين. والثاني برومية في كنيسة مار يوحنا لاتران سنة الف واربعمائة واثنتين واربعين. وبواسطة هذين المجمعين دخل في طاعة الكنيسة اكثر الطوائف الشرقية. واما الملة المارونية فلم تكن زائغة عن محجة الصواب لا في ايام المجمع الاول ولا في الثاني. اما كونهم كانوا في المجمع الاول متحدين مع الكنيسة ومطيعين لها فدونك البرهان عليهِ: اعلم ان البطرك يوحنا الجاجي كان تولى رئاسة الكرسي الانطاكي من قبل ان يصير التئام الآباء في فلورنسة وما استطاع ان يستمدّ التثبيت من رومية بسبب ما كان من المخاوف في ركوب البحر وعدم وجود من يعرف اللغة الافرنجية. فقدم اليهِ اذ ذاك الاب جوان رئيس رهبان القدس في بيروت واعلمهُ بانتهاء مدة رئاسته وبعزمه على العودة الى بلاد النصارى. فاوفدهُ البطرك حينئذٍ رسولًا من قبلهِ الى صاحب

الكرسي الرسولي وامره ان يبادر في طلب التثبيت لهُ وان يأتيه بدرع الرئاسة من قبل البابا اوجان فسافر الاب جوان بنفسه الى فلورنسة ليحضر المجمع ويخبر البابا بالامر . وكان البطريرك الجديد مع سائر روؤساء الطائفة واعيانها ارسلوا معهُ كتاباتهم الناطقة بطلب التثبيت على جاري العادة الموضحة انهم مطيعون وقابلون بجميع ما يسنهُ الآباء . ولم تزل رسائلهم محفوظةً برومية الى ايام الاسقف جبرائيل القلاعي كما يشهد في الرسالة التي كتبها في سنة الف واربعمائة واربعٍ وتسعين الى البطرك شمعون الحدثي قائلاً : «من مائتين واثنتين وثمانين سنة وصاعدًا حتى ايامنا هذه يمينكم وخطوط ايديكم موجودة على يد فرا غريفون وفرا اسكندر وفرا سيون في رومية وقبلهم على يد فرا جوان رئيس بيروت ووكيل وقاصد بطرككم يوحنا الجاجي الى مجمع فلورنسة» . وعند ما تحقق اوجان هذه الامور ثبت يوحنا الجاجي في الرئاسة على كرسي انطاكية . وارسل مع فرا جوان قاصده تاجًا ودرعًا كما يخبر بذلك ابن القلاعي المذكور في مديح كسروان قائلاً :

يوحنا الجاجي كان بطرك اقتبل من البابا تاج وتبارك
بعث للمجمع ولم يتحرك وثبته لمارون في رعيان

وكذلك في كتابه المدعو ثبات الصدق يقول : ان فرا جوان رئيس بيروت كان رسول البطرك في ذلك المجمع . وانه في عودتهِ جاءهُ بمكتوب وبطرشيل من البابا اوجان . ولما قدم الى مدينة طرابلس انحدر الشعب الى لقائهِ في فرح ومسرة متزايدة حتى توهم نائب طرابلس انه جاسوس ولذلك انفذ اعوانه فقبض على الرسول ورفقته وامر بهم فالقوهم في السجن . واعتقد المسلمون ان النصارى لم يجتمعوا الَّا ليتعاضدوا على استخلاص بلاد الشام . وحين انتهى ذلك الى مسامع البطريرك الذي كان يومئذٍ قاطنًا في دير سيدة ميفوق بارض ايليج من اعمال البترون ارسل قومًا من اعيان الطائفة لاجل ان يوقفوه على الحقيقة ويقلعوا من ذهنهِ ما كان قد توهمهُ مع مبلغ من المال . فاخرجوهم من السجن بكفالة احضار . فصعد فرا جوان مع رفقائهِ الى

دير الكرسي واطلع البطرك على مكاتيب البابا والبسهُ درع الرئاسة ثم سار الى بيروت فطلبـهُ النائب فلم يجدهُ ولاجل ذلك حنق حنقاً عظيماً وارسل عسكراً في طلب البطريرك والكفلاء . ولما لم يظفروا بهم سلبوا ارزاقهم واحرقوا بيوتهم وقتلوا خلقاً كثيراً من ابناء الطائفـة والروساء . ونكبوا دير البطرك وقتلوا بعضاً من الرهبان وأسروا آخرين وساقوهم مقيّـدين الى طرابلس . ومن ذلك الحين هجر البطريرك دير ميفوق وانتقل الى جبة بشراي واقام تحت حماية المقدم يعقوب البشراوي . ثم ارسل فاحضر اليهِ الراهب بطرس من فراره من الاخوة الصغار . وبعثه الى البابا في شهر آب سنة ١٤٤٠ وحمله رسائل حمد وشكـر يُثني بها على قداسته واقسم لهُ في ضمنها بانهُ لابثٌ على طاعتهِ هو ومن يخلفهُ واعلمهُ انهُ هو وشعبه يقبلون جميع ما يسنّه الآباء في مجمع فلورنسة من غـير خلاف ومضادَّة ولاسيما ما يتعلق بانبثاق الروح القدس وعواقب الانسان والخضوع لصاحب الكرسي الروماني . فان ذلك تسلموه من الزمان القديم ولديهم عليهِ ادلة وشواهد . ثم اخبرهُ عمَّا حلَّ بطائفتـه من القتل والاهانة يوم ورود التثبيت وانهم مع ذلك هم مستعدون جميعاً ان يبذلوا نفوسهم ودماءهم في طاعتهِ ولاجل انتصار البيعـة المقدسة . اخيرًا يسألهُ ان لا يخرجهم من دائرة عنايتـهِ بل يبعث لهم اناساً علماء يُرشدونهم الى استقامة الديانة والامانة . ولما بلّغ الراهب بطرس كتابة البطريرك الى البابا ارسل لهُ البابا هذا الجواب :

« اوجان الاسقف عبد عبيد الله الى الاخ المكرم يوحنا بطريرك الموارنة السلام والبركة الرسولية . نتأمل في كل حين اننا اذا كتبنا اليك ايهـا الاخ بعد هذا الآن يُقبـل عليك من مكاتيبنا فرح جزيل انت والشعب الذي تحت تدبيرك . والذي قصدتهُ بشوق قد كمـل على يد الولد العزيز الراهب بطرس من الاخوة الصغار . واطلعنا على ما كتبتموه لنا في شهر آب الفائت . ونظرنا فاذا نعمة الهنا وسيدنا يسوع المسيح معكم . لانـكم قبلتم علوم ديانته بكل رضى واختيار . ولكم امل ثابت في الكرسي الرسولي وفي كل من يتولى رئاسته . ثم انـكم وصفتم لنا ان لـكم تعاليم

خصوصية . فالاله الضابط الكل يفيض نعمه عليك وعلى الشعب الذي تحت طاعتك وكما ان الخضوع والطاعة كانا سبباً لانتظام سائر الفضائل التي تمدحون عليها فلتكن هكذا ايضاً تعاليم الكرسي الرسولي التي نرسلها الآن ولا نزال يوماً بعد يوم نكتبها ونبعثها لكم لتمتلئوا حكمة ونعمة . ولا يكفي ان تسلكوا بها انتم وحدكم في طريق الرب وحفظ وصاياه . بل ان تقودوا ايضاً الشعوب والامم الغريبة في تلك البلدان والمعاملات الى الحياة الدائمة بامثلة افعالكم . ولما كان ممتنعاً علينا ان نوضح لكم كل شيء في كتابنا هذا ارسلنا اليكم الولد المحبوب الراهب انطونيوس من طورية من قانون الاخوة الصغار وهو رجل فاضل ممتلىء من المواهب الالهية وبارع في العلوم العقلية وجعلناه رفيقاً لولدنا بطرس من فراره وهما يخبرانكم عن جميع معتقدات الكنيسة الكاثوليكية . ولا يكفي ان تقبلوهما بمحبة وان تتمسكوا في كلام الله وان تتحدوا بتعليم الكرسي الرسولي بل ان تشدوا ايضاً انفسكم على الثبات والمحاربة لاجل الايمان لتنالوا الاكليل . ونعلم ان كثيرين من اعداء المسيح يناصبونكم عند الابتداء لكنهم اذا رأوا منكم ثباتاً في ميدان الجهاد رجعوا عنكم منهزمين . لان امانتنا هكذا انتشرت في البداية والذين نادوا بها اولاً قاسوا مشقات وما كان نصيبهم الا العذاب الفادح واخيراً اطاعهم الشعوب والملوك والسلاطين وصاروا قواد الانفس وكانوا يتلقون كل تلك المكاره بالفرح والغبطة ثم تبعهم من كانوا يدعونهم اولاً مجانين . ولم نقل ذلك لاننا متريبون في ثباتك وثبات طائفتك . بل لاننا علمنا انكم عند ما استقبلتم قصادنا اظهرتم بهجة زائدة ومسرة حتى اغضبتم المسلمين عليكم فقبضوا على البعض من روءسائكم وقتلوا البعض وصبرتم على ذلك بشهامة جزيلة وصحّ فيكم قول الرسول انكم صبرتم على نهب اموالكم بفرح عظيم . ويتحتم علينا في مخاطبتنا اياك ان ننبهك الى الامور التي تستحق عليها الثناء والثواب الابدي . واذا فعلت ما ذكرناه واعددت نفسك لعمله استشعرت في قلبك بفرح جزيل لاجل الهبات العظيمة المنحدرة عليك من عند الله . — كُتب في فلورنسة في سنة الف واربعمائة

واحدى واربعين من تجسد الرب في اليوم الثاني عشر من كانون الاول في السنة الحادية عشرة من رئاستنا»

ومما مرَّ يتبين ان المكاتيب والمراسيل وردت من قبل البابا اوجان الى البطرك يوحنا وان البابا المذكور امتلأ فرحاً وسروراً بحسن اخباره واخبار طائفته وانه توسل في شأنهم الى الله ان يُفيض عليهم نعمته الغزيرة لاجل قبولهم علوم ديانته بكل رضًى ولما لهم من وثيق الامل بكرسي رومية وكل من يتولى رئاسته. ثم اثنى على شهامتهم واحتمالهم صنوف المشقات والقتل ونهب مقتنياتهم بسبب قصاد الكرسي الرسولي. ويأمرهم ليس فقط ان يحسنوا السلوك في طريق الرب بل ان يكونوا مثالاً حسناً في وجه من يجاورهم من الامم الغريبة. وفي هذا كفاية لردّ قول من قال ان الامة المارونية اتحدت مع الكنيسة الرومانية في مجمع فلورنسة

الفصل الثاني عشر

في ابطال دعوى هوراس يوستنيان الزاعم ان الموارنة اهتدوا الى الطاعة في مجمع لاتران الذي عقد في سنة ١٤٤٣

اعلم ان اعمال مجمع فلورنسة ولاتران قد جمعها هوراس المذكور في مجلد واحد. ومن جملة ما قال في فاتحة كتابه: ان البابا اوجان نقل هذا المجمع من فلورنسة الى رومية في لاتران. وفيهِ حضر رُسل ملك الحبشة وردَّ الى طاعة الكرسي الرسولي السريان والكلدان والموارنة. وسلّمهم قواعد الايمان الكاثوليكي على ما ثبت المجمع. وشايعهُ على ذلك فيلبوس مازيريوس في اخباره عن القديس توما. ورينلدوس في تاريخه وكلاهما قال ان الموارنة بقبرس كانوا متشبثين بضلالة المشيئة الواحدة وانهم اهتدوا الى الايمان القويم على يد الاسقفِ اندراوس. وعن ذلك نجيب:

قد تبيَّن من الفصل العاشر ان الموارنة وبطركهم كانوا متحدين مع الكنيسة الرومانية وان الرسائل بين بطركهم وبين اوجان البابا لم تكن لتنقطع كما يُستدلُّ على

ذلك من رسالتهِ التي اثبتناها آنفاً والتي اثنى فيها بما لا مزيد عليهِ على امانة الموارنة وطاعتهم وثباتهم وغيرتهم ومحبتهم وشجاعتهم ولم يخصّ بهذا الثناء سكان لبنان وحدهم بل سائر الموارنة الذين كانوا تحت طاعة البطرك يوحنا. لان الرعية تتصل براعيها. وتصديقاً لذلك آثرنا ان ندوّن هنا الرسالة التي بعث بها البابا المذكور الى الموارنة ورؤسائهم الذين في جميع بلاد الشام مع الراهب البرتوس الذي كان وكيل الموارنة المجاورين بيت المقدس وسفيرهم الى مجمع فلورنسة وهي:

«من اوجان الاسقف عبد عبيد الله الى الاولاد المحبوبين الموارنة والى مجاوريهم في اورشليم وسائر بلاد الشرق السلام والبركة الرسولية

المجد لله في العلا وعلى الارض السلام والمسرة لبني البشر ذوي الارادة الصالحة يحسن بنا ايها الابناء الاعزاء ان نهتف هتاف الفرح بنفس مبتهجة يختلط ابتهاجها بابتهاج الملائكة اذ نبشركم بالفرح الذي لا يُلفظ به لحادث لجميع المسيحيين. وكما ان عقلنا قد تبلل بندى التعزية الالهية كذلك قد تهلل فؤادنا. وعندما نُرانا قاصرين عن وصف ما نشعر به يطمئن خاطرنا ونلجأ الى ترديد اصوات التسبيح والحمد لا غير لان ما كنا نبتغيه ونطلبه بجد واجتهاد من قبل أن نرقى ذروة هذه الرئاسة قد وصلنا اليهِ برحمة الله ألا وهو زوال ذلك الانشقاق المديد والمبيد الذي وقع منذ اربعمائة وخمسين سنة بين الكنيستين الغربية والشرقية. ونحن مع اننا بذلنا كل ما في وسعنا لاصلاح هذه الشؤون على ما أُعطينا من نعمته ينبغي ان ننسب ذلك كله الى جودته غير المتناهية وكل شيء يجري بغير امداده ومعونته باطل. واما نحن فاننا منذ بدء رئاستنا لم نزل نجدُّ وندأب حتى تيسر اتحاد الكنيسة الشرقية مع الغربية وبعد ان وجّهنا رسائل عديدة الى جهات مختلفة قدم علينا في العام المنصرم ولدنا المحبوب بالمسيح يوحنا باليولوغ الجليل ملك الروم واخونا ذو الذكر الصالح يوسف بطريرك قسطنطينية ونوّاب بطاركة الاسكندرية وانطاكية وبيت المقدس ورُسل ملك طرابزون وايبور والروس والبولك مع رؤساء كهنة واكليروس واراكنة وخلق كثير

وهم مقيمون على نفقتنا الى هذا اليوم . وبسبب اشتياقهم الى هذا الاتحاد المقدس عرَّضوا نفوسهم للمشاق الكبيرة واخطار البحر وحضروا هذا المجمع المقدس المسكوني وسألونا ان يكون التئام المجمع في بلاد ايطالية ليتسهل لنا الحضور بذاتنا واقبلوا على البحث والجدال من غير خصومة ولا عناد . ولاجل ذلك سعينا في ان نجمع من كل صقع علماء مهذبين في الشريعة الالهية والبشرية لكي يوضحوا الحق لطالبه . ولما تجلَّى الصدق بمعونة الله من نصوص الكتب الالهية ومن كلام الآباء الاطهار المقبولين عند اللاتين والروم قبلوا ما ظهر من الحقيقة بتمام رضاهم واختيارهم واقرُّوا بان روح القدس ينبثق من الآب والابن معاً . وبطيبة خاطر اذعنوا ان سلطان الكنيسة الرومانية والكرسي المقدس الذي حقَّرهُ بعض الناس بالافتراء هو الاجل الاعظم . واقرّوا ايضاً ببقية الاسرار كما هو واضح من الرسوم المختوم المرسل اليكم مع الولد العزيز وكيلكم فرا البرتوس من الاخوة الصغار وهو يخبركم عن كل الامور مفصلاً . ويحق لنا ان نفتخر بالرب ونقول بملء الفم انهُ قد جرى في عصرنا امر لم ترَ البيعة الكاثوليكية اعظم منهُ ولا افضل منذ تبشير الرسل . ولم تقف عجائب الله عند هذا الحد ولكنهُ برحمتهِ العزيزة اطلع لنا سماء اخرى واسعة لكي يتمكَّن شمس البرارة الذي قد وُلد في الشرق من ان يمد نوره اشعة الى ظلمة الكفر لينتشر خلاص الرب الى نهاية الارض ويمجد الجميع بفم واحد وروح واحدة الهنا وابا ربنا يسوع المسيح . وها نحن اولاء متوقعون يوماً بعد يوم قدوم الذين وجهنا اليهم رسُلنا وبلغت الينا البشائر ان طائفةً من الارمن كبيرة اشرق عليها ضياء الحق وانهم مستعدون لطاعة الكنيسة الرومانية والكرسي الرسولي بكل شيء وقابلون لسننهِ وتعاليمه من غير مضادة . فالآن ايها الاولاد الاعزّاء ينبغي لنا ان نقدم لله سيد الكل قربان التسبحة والابتهاج على هذه النعم العزيزة التي نلناها من كرمهِ ونحن نرجو غيرها . وكما اشتركتم معنا في الفرح كذلك تشتركون معنا باداء الشكر لجودة الله وتنادوا بهذا امام كل مسيحي وتحمدوه على ما خولكم من الخيور وتسألوه ان يتمم عمله الذي جعل بدءهُ على يدنا

كتب في مدينة فلورنسة سنة الف واربعمائة وتسع وثلاثين في السابع من شهر حزيران في السنة التاسعة من رئاستنا »

فمن يا ترى يمعن النظر في هذا الكلام ويجسر بعد ذلك ان يدَّعي بان الموارنة خرجوا عن طاعة الكنيسة الرومانية . الا ترى ان اوجان البابا مثلما ارسل البشائر الى جميع ملوك النصرانية ارسل ايضاً اليهم يخبرهم بكل ما جرى ولم يدعُهم بذلك الى تأدية الطاعة ولا ان يثبتوا على ما هم عليهِ وانما سألهم ان يرفعوا واجب الشكر والحمد لله ويذيعوا هذه الامور بين المسيحيين قاطبةً . وللمعترض ان يقول ان هذه الرسالة تُثبت لا غير ان موارنة لبنان والقدس ونواحي بلاد الشام كانوا معتصمين اعتصاماً كليًّا بالبيعة المقدسة . ولا دليل فيها على صدق امانة الموارنة الذين بقبرس فان البابا نفسه يشهد في براءته التي كتبها سنة ١٤٤٥ والتي بدوُّها : « تبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح ابو الرحمة واله كل تعزية » ان اندراوس مطران رودس كان رسول الكرسي الرسولي الى قبرس ونواحي الشرق ليردَّ طوائف الروم والارمن واليعاقبة الى الاتحاد الذي تمَّ في مدينة فلورنسة وانهُ كان حكيماً عاقلًا فاضلًا وكان يجادل اتباع نسطور ومقاريوس . وانهُ بعد التعب العنيف ردَّ الى الهدى تيموتاوس مطران طرسوس الذي كان يقول مع جماعته ببدعة نسطور ويزعم ان السيد المسيح انسان ساذج وان والدتهُ لا تُدعى ام الله بل ام المسيح لا غير . وانهُ استرجع كذلك الياس اسقف الموارنة الذي كان متلطخًا مع طائفته باوساخ تعاليم مقاريوس الذي زعم ان في الرب مشيئة واحدةً ليس غير . وهداه بمعونة الله مع جميع الشعب والكهنة الخاضعين لهُ في جزيرة قبرس وانهُ اسلم للرؤساء المذكورين والجميع الذين تحت طاعتهم الايمان والتعليم الذي تمسكت بهِ ولم تزل مستمرة عليه الكنيسة المقدسة . فاقرّوا بهِ جهاراً امام سائر الطوائف في كنيسة القديسة صوفيا كرسي تلك الجزيرة . ثم ان اندراوس المذكور بعث الى رومية تيموتاوس المطران المذكور والقس اسحق تلميذ الياس اسقف الموارنة . وانهُ في كنيسة ماري يوحنا لاتران جحد تيموتاوس نسطور

وبدعته . وكذلك اسحق القسيس جحد مقاريوس ومقالته واقرّ كلاهما بجميع الاسرار التي تتمسك بها الكنيسة المقدسة . وهذه الامور لو لم تكن صادقة ومطهرة من كل كذب لما كان كتبها البابا ونشرها باسمهِ في بيعة الله

لا ننكر ان الاسقف الياس جحد تعاليم مقاريوس واقرّ بالاعتقاد القويم في كنيسة القديسة صوفيا . وكذلك فعل ايضاً تلميذه القس اسحق برومية في كنيسة ماري يوحنا لاتران . ولكننا نقول ان البابا اوجان كتب ما كتب وفقاً لما اخبره بهِ رسولهُ اندراوس . ومن الاكيد ان الموارنة في قبرس لم يكونوا يقولون بمقالة المشيئة الواحدة . كما ان الرسول لم يخبر البابا عنهم الخبر الصادق . اولاً : لان الاسقف الياس وسائر الموارنة بقبرس كانوا تحت ولاية امير البندقية فيما يتعلق بالامور الدنيوية وكانوا فيما يتعلق بالروحيات تحت تدبير البطريرك يوحنا الجاجي الكثير الغبطة والمستقيم الديانة . ومن المحال ان يكون المذكوران قد صبرا على دخول بدعة القائلين بمشيئة واحدة فيما بين رعاياهما مع انها منذ نشأتها انقرضت في بلاد الشرق ولا نعلم انهُ بعد المجمع السادس انتصر لها احد كما انهُ ليس من مؤرخ كتب انها أُتبعت في قبرس بل ان موارنة تلك الجزيرة انما كانوا طائعين بطريرك جبل لبنان وخاضعين لرسومه في كل شيء . فهو يرفع اساقفتهم ويقدّس ميرونهم ويدبر سائر امورهم على يد رسله الذين كان يرسله اليهم في كل عام لاجل جمع العشور وزيارة الرعية

ثانياً : ان موارنة قبرس كانوا يخالطون الافرنج في اسرار البيعة على شبه الذين كانوا قاطنين في بيت المقدس وسائر بلاد الشام منذ الزمان القديم كما يشهد بذلك الاب غريفون في رسالة انفذها من رومية في سنة الف واربع مائة وتسع وستين الى امة الموارنة قال : ان الموارنة الذين في بلاد الافرنج وفي رودس وقبرس وطرابلس وبيروت والقدس الشريف ما زالوا منذ الزمان القديم الى هذا اليوم يدخلون كنائس الافرنج ويقيمون القداس على مذابحهم ويلبسون حللهم ويستعملون قرابينهم ويرفعون الجسد والدم مثلهم . ويرسمون الصليب على وجوههم كرسمهم ويعترفون

عندهم ويتقربون منهم ويقبلون هديتهم كالتاج وغيره. وبمثل ذلك قال فرنسيس سوريان رئيس ديارات القدس وغيرهما. ثالثًا: ان البابا اوجان أَمر وهو حيٌّ ان يُنقش ما جرى في ايامهِ من الامور المهمة على باب كنيسة القديس بطرس وذلك في صحائف من نحاس كتب عليها ايضًا اسماء جميع الطوائف الذين دخلوا في طاعة الكنيسة على يدهِ كما يذكر هوارس يستنيان في الجزء الثالث من كتابهِ في مجمع فلورنسة قال:

« هذه لذكر اوجان الحبر الشريف. وتذكار نفسه السامية وعلمه المنيف. ان الروم والارمن والحبش واليعاقبة. آمنوا كما ترى امانة رومية المهذبة »

وكذلك كتبوا ايضًا على قبره الذي في كنيسة مار بطرس المشار اليها ما يلي:

« بعنايتهِ تبع الروم والحبش والارمن. آثار الكنيسة الرومانية في سرّ الايمان. ثم السريان والعرب الى حدود الارض الهندية. وهذه العظائم صغيرة بالنسبة الى نفسهِ السامية ». اما الموارنة فلا ترى لهم ذكرًا لا في ما كتبه في حياتهِ ولا في ما كتب عقيب وفاتهِ

رابعًا: ان جميع الطوائف التي دخلت في طاعة الكنيسة في ايام اوجان البابا وعاهدت الله واقسمت في مجمع فلورنسة وفي مجمع لاتران بانها تثبت مستمرة على طاعة الكرسي الرسولي لم تلبث ان نقضت العهد بعد مدة يسيرة من الزمان كما يظهر من مخالفة الروم والارمن والحبش واليعاقبة والنساطرة الى يومنا هذا. واما الموارنة فما زالوا ثابتين ومعتصمين بعرى الكنيسة رايًا ومحبةً وطاعةً مقيمين على ما اتصل اليهم منذ الزمان القديم. كما اخبر بذلك الاب الفاضل الاسقف جبرائيل بن القلاعي في الميمر الذي بدأ بتأليفهِ في مدينة بيروت في سنة الف وخمس مائة واربع ومات قبل اكمالهِ قائلًا:

نعم الكنيسة تعبت حتى تلم وتثبت
اعداها معها كذبت قباط وروم مع ارمن
البابا اوجانيوس سعى بذاك السينودوس

ومن بعده البـابا بيوس كـتب وثبت وأمّن
خمسمائة دوكات في كل يوم انفق عليهم من غير لوم
ثلاث سنين ثبت القوم بمجـادلة خـط وقسم
في الاول الروم جادلوا مع الافرنج وانغلبوا
الاقبـاط واطي حطـوا ومن بعدهم ايضاً الارمن
البطرك يوحنـا الجـاجي كـتب وقـال انا فرنجي
استحـق العصـا والتـاج وثبت امـين ومؤمن
كـذبوا عليـهِ الاعداء ان مارون ايمـانه فسـدا
جا اليـه رسل وقصـدا واستحـق يلبس الخـاتم
وقعت عليـهِ الحسده وتطارد لليـوم وغدى
ثبت على ما ابتـدا اقتبل اكـليل لا يثمن
انتصر على اعداه الله سبحـانه اهداه
بحجر الكـنيسة افداه من جاء ضده تمـكن
شعب مارون وحده ثبت على ايمـان جده
ونسلـه ثبت من بعده كـما حلف وتكـلّم

فالناتج من كل هذا ان الاسقف الياس وتلميذه القس اسحق وسائر الموارنة القاطنين في قبرس كانوا مستقيمي الايمان وسليمي النية وسالكين في طاعة بطركهم الانطاكي ومتحدين مع الكنيسة الرومانية. وانهُ لما كلّفهم رسول البابا بايضاح معتقدهم وتوثيقه باليمين سارعوا بالفرح واقروا بإسرار البيعة كما ذكرنا سابقًا عن موارنة القدس انهم فعلوا مثل ذلك على يد ايماريكو بطريرك انطاكية والطرابلسية على يد غليلمو الكردينال واهل جبل لبنان على يد بطرس الكردينال وغيرهم. وعند ما امرهم القاصد اندراوس بان يرذلوا مقاريوس وتعليمه رذلوه وكفروا بهِ من غير ان يكونوا قد تمسكوا بهِ. واما طعن القاصد فيهم انهم تبعوا مقالة مقاريوس فانما هو وهم منهُ وانما

ضلَّ بقراءتهِ لتواريخ غليلمو اسقف صور ومن شايعه. لو صحَّ فيهم ذلك لوجب ان يكفرَّهم اولًا عارون ويرفع عنهم تسميته كما كفَّر طيموثاوس مطران طرسوس بنسطور وعبد الله مطران الرها بيعقوب وكفهما عن الانتساب اليهما وامر بان يُدعى تبَّاع نسطور كلدانيين لا نساطرة واتباع يعقوب سريانًا لا يعقوبية ولم يرسل الاسقف الياس الى رومية ام غيره من اساقفة الموارنة الذين كانوا في قبرس لان حسن امانتهم كان غير خافٍ عن البابا وغيره (١)

الفصل الثالث عشر

في رد قول مرقص الاشبوني الزاعم ان الراهب غريفون اعاد الموارنة الى طاعة الكنيسة في سنة ١٤٥٠

بعد ان دفعنا التهم التي وجهها اصحاب التواريخ على الامة المارونية وجب ان نأتي بتكذيب اقوال الزاعمين بانهم هم الذين ردوها الى سُبل الهداية مبتدئين مما ادعاه مرقص من اشبونة اسقف برتو. اعلم ان هذا المؤلف كتب تاريخ رهبانية القديس فرنسيس وقال في المجلد الثالث من تآليفهِ ما يأتي: قد نبغ فيما بين الرهبان المتحفظين الذين تساموا علمًا وقداسةً الاب غريفون الملفان الفلمنكي الذي ترجم العلوم الالهية في مدرسة باريس. ولما حسب الاب المشار اليهِ انهُ يمتنع حفظ القوانين بين ذوي الديارات المنخرط في شركة المتحفظين وسلك بينهم في غاية الاتضاع كالراهب الساذج والأمي. ولعظيم ما كان ملتهبًا بهِ من نار الغيرة شخص الى الارض المقدسة واقام في دير رهبان جبل صهيون ولما رأى كثيرًا من الطوائف يترددون الى ذلك الموضع وكلهم نصارى متدنسون بادناس البدع شملهُ الحزن وخصوصًا على هلاك نفوسهم فهمَّ حينئذٍ ان يرشد اصحاب البدع الشرقية الى الايمان القويم الكاثوليكي

(١) ان علماء الموارنة قد نقضوا قول كل معترض في هذه المسالة ولم يتركوا لاحد فيها مقالاً وان شئت مزيدبيان فراجع الدر المنظوم وروح الردود والمكتبة الشرقية

ولاجل ان يمكنهُ التوصل الى مقصده شرع يدرس اللغتين العربية والرومية مدة سبع سنين الى ان اتقنهما حق الاتقان واخذ بعد ذلك يعظ الملحدين واهل الانشقاق في تلك الامصار حتى انهُ تمكن في سنة الف واربعمائة وخمسين من اعادة الموارنة الى صحيح الايمان وادخالهم في طاعة الكنيسة الرومانية. اما الموارنة المذكورون فيقطنون مع بطريركهم في جبل لبنان في بلاد فينيقية. وهم ينتسبون الى رجل مبتدع اسمهُ مارون. وكان بمعية الراهب غريفون في ذلك الصقع الاب فرنسيس من برشلونة وكان رجلًا ماهرًا في اللغة وخبيرًا باحوال البلاد فاخذ كلاهما يجدّان في الكرازة اناء الليل واطراف النهار حتى تلمذا الموارنة وعمداهم مع عدد من غير المؤمنين. وكان من حديث غريفون انهُ لما شرع في الكرازة جاءهُ واحد من وجهاء قومهِ في تلك النواحي واعيانهم يهزأ بهِ ويزدري بكلامهِ. فاضطرم حينئذٍ غيرةً على خلاص النفوس وسأل الله مسئلةً وجيزة مملوّة من الحرارة. وقال لذلك الرجل بشجاعة عظيمة: ما بالك لا تُذعن لكلام الحق الذي اعظك بهِ. فان اريتك امرًا غريبًا عجيبًا يفوق قوى الطبيعة بان اجعل الشمس التي في المغرب ترتد الى المشرق افتعود الى يسوع المسيح والى امانة الكنيسة الرومانية. فاجابهُ المقدم المشار اليه مع جميع السامعين بالايجاب. وعند ذلك جثا الراهب البار على الارض وسأل الله بحرارة وتضرع اليهِ ان يشفق على الحاضرين بشفاعة سيدة الملائكة. لان ذلك النهار كان عيد انتقالها وصعودها الى السماء. وان يبين لهم مقدرته وينير عقولهم حتى يفهموا ويصدقوا امانتهُ الكاثوليكية. فاستجاب الله تعالى طلبته واذا بالشمس التي كانت على وشك الغروب عادت الى المشرق ثم الى المغرب فحنى المقدم عنق كبريائهِ لتلك الآية الباهرة واصطبغ بالصبغة المقدسة ودخل في طاعة الكنيسة الرومانية. ونصارى لبنان يقيمون في كل عام عيدًا مجيدًا تذكارًا للآية المشار اليها. وقد اقام عندهم الراهب غريفون خمسًا وعشرين سنة حتى تلمذهم جيدًا في امانة المسيح ونقل الى لغاتهم شيئًا من اسفار التوراة وسار بعد ذلك الى رومية فجعلهُ البابا قاليسطوس

اسقفاً و بطريركاً عليهم فعاد اليهم ونهض بتدبيرهم بكل قداسة وكان ممدوح السيرة قنوعاً شديد التضييق على نفسه واما على غيره فكان صاحب شفقةٍ وبرٍّ جزيل ولما كان مضطرم الشوق الى خلاص النفوس سار بعد ان طعن في السن وشاخ الى بلاد اخرى ليجذب غير المؤمنين الى عذوبة طاعة المسيح. الّا انهُ مرض في الطريق وانتهت اعماله الطاهرة بالموت . وكانت وفاته في سنة الف واربع مائة وخمس وسبعين (١) فعرج الملائكة بنفسهِ السعيدة الى دار الابرار ليقبل هنالك جزاء اشتغاله بكرم الرب »

ومن مطالعة هذه القصة تستخرج امور متباينة اولها . ان مارون كان مخالفاً للراي القويم وان الموارنة تبعوه في البدعة والتسمية . الثاني ان فرا غريفون في سنة ١٤٥٠ تلمذهم وعمدهم . الثالث ان دخولهم في الطاعة كان على يد المذكور بآية باهرة . وهي ان الشمس عادت من المغرب الى المشرق ومنهُ الى المغرب . والقصة تثبت صدق هذه الآية من جملة ابواب احدها ان الموارنة في كل عام يصنعون لها ذكراً جميلًا في عيد انتقال السيدة . ثانيها انها تمت على يد غريفون الذي كان رسول البابا بولس الثاني . ثم اقامهُ البابا قاليسطوس بطريركاً على بلاد الموارنة . وكان في اصله من عداد الاخوة الصغار الموكولة اليهم زيارة الموارنة وقضاء مصالحهم . وخبره مدوّن في تاريخ رهبانيتهم

غير ان هذه القصة تحمل على العجب كل من خالط الموارنة ولو يسيراً او سمع بهم . والمطالع اللبيب يعلم مما قدمناه في الفصلين العاشر والحادي عشر انها خبر محالي يمتنع صدقهُ . فان البطريرك يوحنا الجاجي انما ولّي رئاسة الموارنة بواسطة رسول البابا اوجان وكان علماء الطائفة واكابرها وروساؤها قد ارسلوا الى البابا المشار اليهِ في الشأن المذكور الاب جوان رئيس الاخوة الصغار في بيروت فثبتهُ البابا بطركاً . وارسل لهُ تاجاً ودرع كمال الرئاسة . وكان ذلك في سنة ١٤٣٩ للمسيح

(١) وفي نسخة : تسعين

وفي تلك السنة نفسها ارسل موارنة بيت المقدس الاب البرتوس من الرهبان الصغار وكيلًا عنهم الى مجمع فلورنسة فرجع حاملًا الجواب الشريف الذي تقدم ذكره. وجميع هذه الامور جرت قبل قصة فرا غريفون باحدى عشرة سنة. وفي سنة الف واربعمائة واربعين قبض اهل طرابلس على الاب جوان عند عودته من فلورنسة لسبب ما ابدى الموارنة يومئذٍ من شدة البهجة بوصول مرسوم التثبيت لبطركهم ولشدة ايمانهم ووثيق اتحادهم مع الكنيسة الرومانية صبروا على نهب اموالهم وحريق ضياعهم وقتل رؤسائهم كما كتب البطرك يوحنا الى اوجان البابا مع الاب بطرس من فرّاره. وفي السنة الحادية والاربعين التي سبقت قصة فرا غريفون بتسع سنين لا غير بعث اليهم البابا المذكور مع رسولهم بطرس ومع فرا انطونيوس من طورية كتابات يثني فيها على امانتهم وغيرتهم وشجاعتهم. وفي السنة الخامسة والاربعين كان ما كان من امر الياس اسقف قبرس وسفر تلميذه اسحق الى رومية. اما البابا فانعم عليهما بكتابات امر فيها ان لا ينسبهما احدٌ للبدعة وان يُخالطا الافرنج في الامور الدينيـة والزواج ودفن الموتى الى غير ذلك. وكان هذا قبل الآية التي استنبطها فرا غريفون بخمس سنين. ومن يا ترى يصدّق هذه الحكاية عن طائفة ببطريركها وروسائها وعلمائها وحكامها. وفي تلك المدة توفي البطرك يوحنا الحاجي مجملًا بالفضائل والكمالات فاجتمع اذ ذاك اعيان الطائفة وروساؤها واقاموا على كرسيه الاسقف يعقوب بن عيد الحدثي وكان من صغره قد الف الحياة النسكية. فسيَّر كتابات الطاعة مع شهادة عظماء الرعيـة الى اوجان البابا فبعث اليهِ المذكور بالتثبيت ودرع الرئاسة ولما انتقل البابا المذكور الى رحمة الباري في سنة الف واربع مائة وسبع واربعين قام مكانه البابا نقولا ولم يكن اقل غيرةً وقداسةً من سالفهِ. وقد بذل غاية ما في الامكان ليتخلص من تحمل اثقال ذلك المقام المقدس فلم يقبل لهُ المنتخبون عذرًا ولما رأى ان لا مناص لهُ بعث بالكتب الى رؤساء الكنائس يسألهم فيها الصلاة من اجلهِ. وكان ما كتبهُ للبطرك يعقوب على هذه الصفة:

«نقولا الاسقف عبد عبيد الله

الى الاخ المكرم بطرس بطريرك الموارنة السلام والبركة الرسولة

قد شاء الله ضابط الكل ان يقبض اليهِ سالفنا البابا اوجان الرابع ذا الذكر الصالح بعد مدة مستطيلة من ولايتهِ على هذه المدينة المقدسة فقمنا نحن مقامه في الرئاسة على كرسي ماري بطرس الرسول على غير استحقاق منـا. وفي الحق انهُ القى على منكبنا حملًا ثقيلًا يفوق قوانا ولكننا احنينا اعناقنا مطيعين ومتكلين ليس على ضعفنا بل على قوة الرب العظيم الذي لا يغادر كل من يتكل عليهِ. ولنا رجاء بالذي اختار الضعفاء ليخزي بهم الاعزاء ان يقبل نذورنا ويؤيدها بعضدتهِ ونسألهُ ان يقوينا على النهوض بهذا العبء الثقيل بدعائك ودعاء سائر المسيحيين. ولاجل ذلك نطلب اليك ان تنادي بهذا الامر في الشعوب الذين اؤتمنت على تدبيرهم وتدعوهم الى طاعتنا وتأمرهم ان يبتهلوا الى الله ليلحظنا بناظر رضاه وامداده لنكون كفوءًا لخدمتـهِ وتدبير كنيستهِ المقدسة. ثم نسألك ايضًا ايها الاخ ونطلب اليك بربنا يسوع المسيح ان تجدَّ جهد المستطيع في ان تسير على آثار من سلفك محتفظًا على الاتحاد الذي أُبرم في عصر سالفنا المذكور. ومحترسًا على رعاية ما انعقد بينك وبين جماعتك معنا ومع الكنيسة الرومانية. فاننا نحن تابعون آثار سالفنا المذكور ونرغب بكل جهد واشتياق ان نستمر على ذلك الاتحاد واذا حفظته انت فاننا نعدك ايها الاخ بجميع ما نقدر عليـهِ نحن وهذه الكنيسة من الصلات والنعم. لكن لما كنا نحن وهذه المدينة التي هي محل الكرسي الرسولي بعيدين عنكم برًّا وبحرًا بعدًا شاسعًا قد وكلنا اخانا المكرم اندراوس مطران الاقفسية لانه رجل فاضل تقي ماهر في العلوم الالهية المقدسة وجعلناه رسولنـا ورسول هذا الكرسي في مملكة قبرس وبعض نواحي الشرق لكي تلتجئوا اليهِ عند الحاجة وعلى يدهِ تقضون مصالحكم عندنا وعند هذا الكرسي. كتب برومية بالقرب من هيكل مار بطرس في سنة الف واربعمائة وسبع واربعين من تجسد الرب في السنة الاولى من رئاستنا»

وهذه الرسالة التي سطرت قبل حدوث قصة فرا غريفون المزعومة بثلاث سنين تبيّن ان الموارنة وبطركهم كانوا ثابتين على الاتحاد بالكنيسة . وان البابا نقولا لم يرسلها اليهم ليخرجهم من ظلمة الضلالة الى ضياء الحق وانما طلب اليهم الدعاء لنفسهِ وان ينادوا ويكرزوا باسمهِ وان يبقوا مستمرين على الاتحاد الذي ابرمهُ البطرك يوحنا وطائفته مع البابا اوجان والكنيسة الرومانية ووعدهم اخيرًا بقضاء جميع مصالحهم التي يقصدونه بها على يد اندراوس اسقف الاقسية . فاذًا كيف يسوغ لمرقس الاشبوني ان يقول ان فرا غريفون وفرا فرنسيس من برشلونة تلمذا الملة المارونية بالانذار والتبشير ليلًا ونهارًا فاي ضرورة دعتهما حتى ردًا الشمس من المغرب الى المشرق ثم اعاداها الى مغربها وذلك امر معجز خطير لم يُذكر عن احد من قبلهما ولا عن يشوع بن نون نفسه الذي كتب عنهُ انهُ اوقفها عن المسير لا غير . فكيف يصدق عن الذين لم تنقطع رسائلهم ورسلهم عن الكرسي الروماني ولا رسل الكرسي عنهم ان يكونوا بعيدين عن الحق مناصبين لهُ

وحتى نقطع كل حجة يحتج بها المؤرخ نقول ان البابا كاليستوس الثالث (١) الذي خلف نقولا الخامس يثني على امانتهم ويمدح طاعتهم الثابتة للكرسي الرسولي وغيرتهم على توسيع الكنيسة ونشر لوائها في سائر الافاق ولم يمدحهم بتلك الثلاث سنين التي سلفت قبل آية الشمس المزعومة بل ايضًا بخمس سنين بعدها وهذا هو كلامه :

«من كاليستوس الاسقف عبد عبيد الله

الى الاخ المكرم بطرس بطريرك الموارنة السلام والبركة الرسولية

قد انتهى الينا ما كتبته ايها الاخ عن قريب وما قدمهُ لنا باسمك ولدنا العزيز رسولك ابراهيم من جبل لبنان . فاصغينا لهُ بكل فرح وقبول وشكرنا كثيرًا حسن نيتك الموجهة الى نمو الديانة المسيحية وحفظها ورأينا انك مفتكر باجتهاد في ما يتعلق بمجد الله تعالى وخلاص الانفس . فنحمد عبادتك ونحثك من كل خاطرنا وقلبنا ان تستمر

(١) وفي نسخة : الثاني

قويم النية وتبادر الى تحريض الآخرين على الثبات متكلاً على الرب الذي ينجح الافعال الصالحة ولا يهمل المتكلين عليه. وجميع ما طلبتــه منا ايها الاخ نتممهُ بسرة في اوانهِ وسنخبرك بهِ. كُتب في سنة الف واربعمائة وخمس وخمسين من التجسد الالهي في الرابع عشر من شهر حزيران في السنة الاولى من رئاستنا »

فقد تجلّى من هذا ان فرا غريفون لم يرجع الموارنة عن بدعة ولا انشقاق الى طاعة الكنيسة. لانهُ في كل هذه المدة اي من حين دخل المومى اليهِ الى بلاد الشام حتى حدود السنة التي ادعى مرقص المؤرخ انهُ فيها حدث امر رجوع الموارنة الى الاتحــاد بالكنيسة ما ترأس عليهم الا البطريرك يوحنا الجاجي والبطريرك يعقوب الحدثي . وكان كلاهما مستقيمي الامانة مطيعين لكرسي رومية

ويتحقق ذلك مما كتب داود الحدشيتي اسقف زاوية رشعين في سنــة الف واربعمائة واثنتين وخمسين قال: من حين سافر البطريرك ارميا الى رومية لم يقدس احد من رؤساء كهنة الموارنة الّا ذكر الاب بابا رومية. والقديس انطونيوس الذي عاش الى سنة الف واربع مائة وتسع وخمسين يشهد ان الموارنة من ايام ايماريكو بطريرك انطاكية الى الآن هم مستمرّون على الامانة الكاثوليكية ومتمسكون بتسليمات الكنيسة الرومانية بغاية الحرص. وكذلك بارونيوس الذي قضى اجله برومية سنة ١٦٠٧ يقول في تاريخ سنــة الف ومائة واثنتين وثمانين انهُ بعد اتحادهم مع الكنيسة على يد ايماريكو ثبتوا غير متزعزعين في الامانة المقدسة الكاثوليكية. وعلى شبه هؤلاء كتب الاسقف جبرائيل بن القلاعي وفرنسيس سوريانوس رئيس اديرة القدس . وبيصوين اليسوعي وتوما الكرملي وغيرهم كثيرون اثبتوا ان الموارنة من زمان ايماريكو بطريرك انطاكية اي من عصر البابا زخيا الثالث لم يزالوا معتصمين بطاعة البيعة الجامعة. حتى ان فرا غريفون نفسه اقرَّ بذلك وكتبه في ميمــر لهُ عن الغضب الذي حلَّ بقسطنطينية. ولما ذكــر مجمع فلورنسة قال: ومن هناك بعث الآباء بصورة الاتفاق مكتوبةً للانبا يوحنا الجاجي بطريرك الموارنة فتلقّاها بالقبول

والى اليوم لم يزل بطركهم ماري بطرس مع طائفته الموارنة معتقدين باعتقاد بابا رومية . والشهادات المتقدم ذكرها كافية للاقناع بان البطرك يوحنا الجاجي والبطريرك بطرس يعقوب رضيا بالاتفاق الذي تمّ في فلورنسة واستمرّا عليهِ . ومع هذا فاننا نورد لك برهانًا آخر اشدّ تثبيتًا لما نحن في صدده وهو انهُ لما توفي البطرك يعقوب اجمع رؤساء الطائفة على انتخاب اخيهِ بطرس لرئاسة الكرسي . وفي سنة ١٤٦٩ التمسوا من الراهب فرا غريفون ان يكون رسولهم الى الحبر الاعظم وارسلوا معهُ رسائل يرفعون فيها واجب الطاعة ويطلبون تثبيت البطريرك الجديد على ما جرت بهِ عادتهم من قبل . ولما عرض هذا الامر على البابا بولس الثاني امر بالتنقيب عن سيرة البطرك المنتخب وعن علمه وديانته ورضى الشعب به وصحة اعتقادهم على مثال مألوف الباباوات في هذا الشان حتى لا يجروا امرًا الّا ان يكونوا منهُ على بصيرة . ولاجل ذلك اضطرّ القاصد المذكور ان يرسل الى الطائفة كتابة اخرى يحرضهم بها على ان يكونوا ثابتين على امانتهم القديمة التي اقرّ بها البطرك ارميا وتسلموها من ابائهم واجدادهم لئلا يكون كاذبًا امام راس البيعة بعد ان مدح امامهُ امانتهم وثباتهم وصبرهم على النكبات في سبيل الايمان . وهذه صورة رسالته :

« يا اخوتي الروحانيين مكتوب في الانجيل الطاهر ان سيدنا يسوع المسيح قال لبطرس . يا بطرس سألت من اجلك ان لا تنقص امانتك . فارجع وثبّت اخوتك . ولاجل هذا سيدنا بولس بابا رومية نائب المسيح وخليفة ماري بطرس بعثني اليكم لاعلمكم امانته البطرسية واخبرهُ عن امانتكم ان كانت متفقة مع امانته ام لا . ان كنتم معتقدين ان امانته مباركة ام لا . فانا اخبرته انكم متفقون معهُ ومعتقدون اعتقاده وطائعون لكرسيه . وهذا ظاهر من ثمان شهادات . الشهادة الاولى ان بطرككم مع المطارنة والخوارنة والقسوس والعلمانيين لما سألتهم بنفسي عن ذلك اجابوني الجواب المذكور وفي يقيني انهم لا يتكلمون بلسانين ولا يجعلوني كاذبًا عند بابا رومية . الشهادة الثانية ان في الدنيا فِرَقًا كثيرة

من مؤمنين وغير مؤمنين . ونعرف ان الموارنة ليسوا متفقين ومعتقدين مع الغير المؤمنين . ولا مع النساطرة ولا مع اليعاقبة ولا مع الروم . بل يعتقدون ان مذهب هؤلاء ما هو مستقيم . وان كانوا يقولون هكذا عن اعتقــاد الافرنج فلا يكون رجل عاقل ولا فهيم ولا قديس ولا كتب ولا شهادات صحيحة الّا عند الموارنة . وهذا محال من قبيل انهم فرع صغــير ولكنهم اذا كانوا متفقين مع الافرنج فانهم يكونون متفقين مع جماعة كثيرة نشأ منها في كل حين قديسون وعلماء وملوك الخ . الشهادة الثالثة ان بطريركم ارميا على معرفة من جميعكم سافر الى رومية ودخل على البابا واتفق معهُ في المجمع واعتقد اعتقاده واخذ منهُ التاج والخاتم اشارةً دائمة على الاتفاق المذكور معكم دون غيره . الشهادة الرابعة ان جميع النصارى في المعمودية يقولون يُعمَّد فلان وانتم تقولون مع الافرنج . يا فلان انا اعمدك باسم الآب والابن والروح القدس . الشهادة الخامسة ان جميع الموارنة من الزمان القديم يكرزون لبابا رومية الثابت بالله ولم يكرزوا لغيرهِ من اهل المذاهب الاخرى . والقدماء منكم ما كتبوا هذا الّا لانهم كانوا متفقين مع بابا رومية ومعتقدين اعتقاده . الشهادة السادسة ان البطرك ماري ارميا المذكور ويوسف مطران مار اسيــا وتاودورس اسقف كفرفو وكثيرين من الكهنة وشعب الموارنة ووكلاء جميع شعبكم نزلوا الى طرابلس امام قاصد بابا رومية وامام اناس كثيرين وهناك اعترفوا ان في السيد المسيح ارادتين وهما متحدتان ومتفقتان لا مختلطتان وممتزجتان ولا متفرقتان ولا منفصلتان بل متحدتان الخ . الشهادة السابعة ان الموارنة في بلاد الافرنج وردس وقبرس وطرابلس وبيروت والقدس الشريف من الزمان القديم الى اليوم يدخلون كنائس الافرنج ويقدسون على مذابحهم في حللهم وقرابينهم . ويرفعون الجسد والدم مثلهم . ويرسمون الصليب على وجوههم مثلهم . ويعترفون ويتقربون عندهم ويقبلون هديتهم مثل التاج وغيره الخ . الشهادة الثامنة مذكور في كتاب اقليميس ان السيد المسيح قال لبطرس . يا بطرس اذا رأيت العلم صادرًا من قاعدة رومية فاعلم ان الخلاص قرب من شعبك . ومن

قبل اليوم تمّ وكمل هذا الكلام. لانهُ يوجد في بــلاد الافرنج تحت طاعة بابا رومية الوف وربوات من المعلمين وكثير من القديسين الذين انفقوا اعمارهم في العمل والمطالعة وامور الدين والاعتقاد الخ. ولاجل هذا البطريرك ارميا وكهنتـه وشعبه الموارنة من قبل هذا الوقت بمائتين وخمسين سنة اتفقوا واعتقدوا مع الافرنج وبطاركة كثيرون بعده كما في زماننا البطريرك يوحنا الجاجي وبعده الى اليوم السيد البطرك بطرس الساكن في دير قنوبين. ونسأل الله ان تكونوا متفقين ومعتقدين هكذا ويصدق ما قلتهُ فيكم لسيدنا بابا رومية»

فمن هذه الرسالة التي كتبها فرا غريفون في نفس رومية وارسلها الى الموارنة ونسختها موجودة في مواضع شتى خاصة عندنا بدير قنوبين بخط الاسقف جبرائيل ابن القلاعي وغيره يتبين ان البطريرك بطرس ومطارنة الموارنة وخوارنتهم وقسسهم وعلماءهم الذين ارسلوه الى رومية بسبب طلب التثبيت ودرع الرئاسة كانوا متحدين مع الكنيسة الرومانية وانهُ منذ الزمان القديم ما زال اباؤهم واجدادهم مقرين بذلك في داخل بلاد الافرنج ورودس وقبرس وطرابلس وبيروت والقدس الشريف وانهم كانوا مدمنين على دخول كنائسهم وتقديس الاسرار على مذابحهم في حللهم وقرابينهم. وان المجمع الذي التأم في فلورنسة قبلَـه بلا شك البطرك يوحنا الجاجي ثم البطرك يعقوب الذي عقبه ثم اخوه البطرك بطرس الذي ارسلهُ الى روميـة لاجل التثبيت

وذلك امر مقرّر اولًا من رسالة البابا بولس الثاني التي بعث بها في شهر آب من شهور سنة ١٤٦٩ الى البطرك بطرس يثبتــهُ على كرسي انطاكية وسنثبتها في الفصل الآتي ان شاء الله. ومع هذه الرسالة كان ارسال كتابة فرا غريفون. ثانيًا انهُ في سنة ١٤٧٠ كان دخول جبرائيل بن القلاعي الى بيت المقدس ومن هناك ذهب الى رومية. فلبس اسكيم ماري فرنسيس مع معلمه يوحنا في دير صلبوت ماري بطرس وجرت مذاكرة عن امانة الموارنة. فدافع الراهب يوحنا عنهم وردّ اقوال من زعموا انهم

هراطقة كقول جبرائيل المذكور في المرثية التي الفها في ميتة معلمهِ في البحر قائلًا :

قالوا بين المدارس تجادل مع فراجوان ومع رفيقه زاوس
والحق معنا يبان ننقي جميع الكنايس بشبه القمح من الزوان
نقلع بدار التعايس الهراطقة والتتر
ارادوا يقولوا عنَّا في سرّ مخفي عظيم ان هراطقة قد كنَّا
منذ الزمان القديم جاوب الراهب حنا عاد كل عالم بكيم
العقل منهم تحير غاب الصواب والبصر

ثالثًا : من التزوير الذي ادخلهُ مرقس المؤرخ في القصة التي اوردناها في بدء هذا الفصل . قال اولًا ان الموارنة يُعزَون الى مارون رئيسهم في البدعة وزعيمهم . ولكن المؤرخ المشار اليهِ اخذ هذا مما دوّنهُ غليلمو اسقف صور وسعيد بن بطريق وغيرهما في كتبهم . اما الكنيسة الرومانية التي هي اساس الايمان والحق فقد بحثت عن هذا الامر بحثًا شديدًا في المجمع الذي عُقد في رومية في ايام البابا زخيا الثالث وحضره ارميا البطريرك ولم تجد ذكرًا لمارون مبتدع في جميع الكتب البيعية فرذلت اقوال الزاعمين بذلك وصدّقت رأي الطائفة واثبتت ان مارون كان قديسًا . ولذلك امرت ان تكتب ترجمته في بدء كتاب القداس الذي طبع في رومية سنة الف وستمائة وثمانٍ . وان يذكر ذكرًا مجيدًا في صلوات البيعة وان يقام لهُ في بلاد الشرق عيد في كل عام في التاسع من شهر شباط (١) . كما ان البابا اقليميس العاشر في سنة ١٦٧٠ منح

---

(١) وفي نسخة دير اللويزة هذه الزيادة : ولذلك كتب البابا زخيا المذكور في رسالة الى ارميا البطريرك وشعبه الماروني قائلًا : من زخيا الاسقف عبد عبيد الله الى الاخوة المكرمين ارميا البطريرك والمطارنة والاساقفة والى الابناء الاعزاء رؤساء الاديرة والاكليرس والشعب الماروني السلام الدائم . وفي خاتمة الرسالة المذكورة يقول : ان من اجترأ على مضادة ما حرّرناه فليكن متروماً من كل درجة وسلطان . .

غفراناً كاملاً كل من يزور بتقوى كنيسة الكرسي في يوم عيده لمدة خمس عشرة سنة (١) وعند ما عقد البابا اوجان المجمع برومية قرَّر الآباء ان الذين يتركون النسطورية ينبغي ان يجحدوا نسطور و بدعته وان لا يُدعوا نساطرة بل كلدانيين . وكذلك ينبغي على اليعاقبة ان يكفروا بيعقوب وبدعته وان لا يسموا يعاقبة بل سرياناً . واما الياس اسقف الموارنة وتلميذه اسحق فلم يطلبوا منهما ان يرذلا ماارون ولا تعليمهُ بل اوجبوا عليهما ان يستمرَّا على الانتساب اليهِ . لانهم كانوا متأكدين قداسته وامر البابا المذكور ان كل من يسمي الموارنة هراطقة يؤدَّب من اسقفه بالحرم او بغير ذلك . وانما كان هذا قبل قصة الاب غريفون بخمس سنين لا غير وكذلك البابا نقولا الخامس وكاليسطوس الثالث وبولس الثاني في الرسائل التي انفذوها الى البطرك يعقوب الحدثي والى البطرك بطرس فانهم سموهما دائماً بطاركة الموارنة

ثانياً : يقول مرقس المؤرخ ان فرا غريفون عند ما ارجع الموارنة عن ضلالتهم عمدهم وعمد مقدمهم . وفعله هذا مخالف لكل ما جاء عن الرسول القائل ان الرب واحد والايمان واحد والمعمودية واحدة . كما انهُ مناقض ايضاً لقانون البيعة لاننا نعلم ان الذين يتعمَّدون عند الهراطقة باسم الثالوث اذا عادوا الى امهم الكنيسة المقدسة يُقبلون فيها اما بمسحة الميرون واما بوضع اليد واما باقرار الايمان لا غير . والذين هم من حزب اريوس يدخلهم اهل الغرب في الكنيسة المقدسة الكاثوليكية بوضع اليد واهل الشرق بمسحة الميرون . واما القائلون بمشيئة واحدة ونظرائهم فنقبلهم عند اقرارهم بالايمان الصادق لا غير

ثالثاً : يقول مرقس المؤرخ ان فرا غريفون ردَّ الشمس من المغرب الى المشرق ومن المشرق الى المغرب . وهذا اشبه باحاديث العجائز ولم نرَ لهُ ذكراً في كلام احد من المؤرخين ولا في كتاب من الكتب الكنائسية ولم يكن لذلك من ضرورة

---

(١) راجع صورة الغفران المذكور المنقولة عن النسخة اللاتينية والعربية في رومية . الدر المنظوم ص ١٣٢

وجة لان الموارنة ما انقطعت عنهم مراسلات البابوات ولا سفراؤهم حتى ان البابا وجان في الرسالة التي انفذها الى يوحنا الحاجي في سنة ١٤٤١ في شأن الموارنة الذين قُتلوا غيرة على الدين ودفاعاً عن قصاد رومية قال: الزموا الثبات على تعاليم الكرسي الرسولي التي نرسلها الان ولم نزل يوماً بعد يوم نكتبها ونبعث بها لكم لتمتلئوا حكمةً وقوة

رابعاً: ان مرقس المؤرخ يصف عتوّ المقدم وامتهانهُ لكلام الله. وهذا امر يمتنع تصديقه عن احد من اعيان ملة الموارنة. ولاسيا لان جبل لبنان كان في ذلك الزمان تحت ولاية المقدم بدر والمقدم زين المعروف بسيفا ولدي المقدم يعقوب البشرّاوي. وكان كلاهما صحيحي الديانة حتى ان ابن القلاعي لما وبّخ المقدّم عبد المنعم على مخالفتهِ لاعتقاد والديه وتمسكه باليعقوبية قال مخاطباً بشرّاي دار حكمه هكذا :

المقدم بدر والمقدم زين ما كانوا اولادك الاثنين
متى اعطوا يعقوب حجرين او خلوه يقدم قربان

خامساً: اما زعم المؤرخ ان نصارى جبل لبنان يقيمون في كل عام عيدًا حافلًا لتذكار الآية المزعومة فهو وهم لا حقيقة لهُ ولا علم لاحد من الموارنة بهِ. نعم يعيدون في يوم انتقال السيدة والدة المخلص عيدًا بهيجًا لكونه عيد سيدة قنوبين مقرّ الكرسي الانطاكي الذي بناه تاودوسيوس ملك الروم قبل قصة غريفون بالف سنة. وكذلك قوله انهُ اقام خمساً وعشرين سنة يتلمذهم في امانة المسيح وانه ترجم الى لغتهم بعض الاسفار الالهية وان البابا قاليسطوس جعله بطركاً على بلادهم لاصحة لهُ. لانهُ انما جعل بطركاً على بيت المقدس. وفي ما ذكرناه دلالة كافية على ان غريفون ولو كان رجلًا عالمًا يتّقي الله وغيورًا على انتشار الايمان غير انهُ لم يرجع الموارنة من كفر ولا من بدعة ولا فعل الآية التي كتبها عنهُ مرقس المؤرخ ولا جعل عليهم بطريركاً بل كان رسولهم في طلب التثبيت من البابا بولس الى بطرس البطريرك الحدثي

الفصل الرابع عشر

في رد قول الزاعمين ان الاسقف جبرائيل بن القلاعي هدى الموارنة الى طاعة الكنيسة في سنة ١٤٩٤

كان جبرائيل بن بطرس اللحفدي ماروني الاصل. ولد في قرية تدعى لحفد من اعمال جبيل وهي قرية قديمة طيبة الهواء كثيرة الاديار والكنائس ظهر منها كثير من الرجال الفضلاء. واما جبرائيل فيكنى بابن القلاعي وابن غورية لانهُ كان لوالدهِ بيت مبني بين القلاع في مزرعة تدعى غورية من ارض لحفد ومنذ صباهُ سلمهُ والداه الى الخوري ابرهيم بن دريع وهو رجل فاضل عارف بالامور الدينية ليدرس عليه اصول اللغة السريانية والعربية. فاخذ جبرائيل يجتهد ويجد وكان رزين العقل مشغوفاً بنظم الزجليات ثم خطب لهُ والداه ابنة حسنة من ذوات قرباهُ فاعتراه استرخاء في عينيه فكرهتهُ الخطيبة ولاجل ذلك زهد في العالم وقادهُ الله بحسن عنايتهِ الى القدس الشريف وهناك انخرط في سلك رهبان القدس وسافر معهم الى رومية امّ المدن في سنة الف واربعمائة وسبعين حيث لبس اسكيم مار فرنسيس المعظم مع رفيقهِ يوحنا الماروني فدرس كلاهما اصول اللغة اللاتينية ومهرا في العلوم الالهية والطبيعية. ولما قدم جبرائيل الى بيت المقدس قدم اليها ايضاً نوح البقوفاوي وكان اللبنانيون في ذلك الوقت على غاية من الراحة في ظلال حكم المقدمين وكان الموارنة دائبين في اجتناء العلوم وبناء الكنائس. ولما كان نوح شاباً جاهلاً ساعياً وراء العظمة اكبّ من حين ما دخل بيت المقدس على ملازمة ديوسقورس المعروف بابن ضوّ اسقف اليعاقبة. فالبسهُ ديوسقورس اسكيم الرهبانية ورقّاه الى درجة قسيس كما يخبر في كتاب الانجيل الذي خطهُ بيدهِ في سنة الف وسبعمائة وتسعين لليونان. والكتاب موجود للآن في قبرس في كنيسة كلييني

واما اعتقاد الموارنة وصحته فقد برهنّا في الفصل الذي تقدم هذا انهُ لم يُمازَج ببدعة لا في ما تقدم سنة ١٤٥٠ وهي السنة التي بها كان رجوع الموارنة الى الايمان

كما زعم مرقس الاشبوني ولا في ما تلا سنة اربعمائة واربع وخمسين بعد الالف ايضاً لان البطريرك يعقوب ارسل الرسائل المؤذنة بالطاعة مع القس ابرهيم الماروني الى قاليسطوس البابا. وبعث لهُ البابا بالجواب عليها في سنة خمس وخمسين مثنياً غاية الثناء على صحة امانته. ولما استأثرت رحمة المولى بالبطريرك يعقوب وخلفهُ على كرسيه اخوه بطرس بعث اليهِ البابا بولس الثاني مع فرا غريفون رسالةً يبين لهُ فيها اعتقاد البيعة في شأن التوحيد والتثليث وسرّ الطبيعتين باقنوم واحد في السيد المسيح. وذلك انهُ في سنة الف واربعمائة وتسع وستين جمع البطريرك بطرس عامة الرؤساء واعيان الشعب واتفق معهم على انفاذ رسائل الطاعة وطلب التثبيت فكتبوها بخطوط ايديهم واختامهم وارسلوها مع فرا غريفون المذكور وكان بمعيتهِ فرا سيمون وفرا اسكندر وجميعهم من الاخوة الصغار. فاجلّ البابا بولس استقبالهم وفرح فرحاً جزيلًا وانفذ لهُ جواباً معهم يثبتهُ بطريركاً على كرسي انطاكية وحضهُ على الثبات في امانة الكنيسة اقتداءً بالبطرك ارميا مع البابا زخيا ويوحنا الحاجي مع البابا اوجان واوعز اليهِ ان يصبر على النكبات التي تلمّ بهِ من غير المؤمنين وان يقبل تعاليم الكرسي الرسولي من فم الراهب غريفا ورفقائهِ. وارسل اليهِ مع المشار اليهم درع التثبيت وحلةً كاملة لخدمة الاسرار. وفي سنة ١٤٧١ انتقل الى رحمة ربهِ البابا بولس المذكور فخلفهُ في رئاسة الكرسي البابا كسوسطوس الرابع الذي كان قد ربي بين رهبان مار فرنسيس. فلما انتهى الامر الى البطريرك بطرس انفذ اليهِ رسائل الطاعة والتهنئة بمقامه المقدّس الرفيع الشان وسألهُ ان لا يتغافل عن الموارنة بل ان يتعهدهم بعنايتهِ الابوية لكونهم خاضعين لهُ وطائعين لسنن الكنيسة الرومانية بل مشتَّتين في بلاد بعيدة بين غير المؤمنين. فالبابا ارسل لهُ الجواب مع لودبيكوس من ريباري. لكنهُ ما وصل المذكور الى البندقية حتى اصابتهُ وعكة وعجز عن التوجه الى جبل لبنان. ولما انتهى ذلك الى الحبر الاعظم كتب الى بطرس من نابولي رئيس رهبان مار فرنسيس العام بتاريخ الخامس من شهر شباط سنة

١٤٧٥ يأمرهُ ان ينتخب كاهناً من رهبانهِ بارعاً في العلوم الالهية والحياة الروحية ويرسلهُ الى شعب الموارنة القاطن في جبل لبنان مصحوباً براهب او اثنين من اهل التقوى والكمال لكي يزورهم ويرشدهم اذا دعت الضرورة الى قواعد الايمان الارثوذكسي وتقريرًا لذلك ارسل اليهِ كتابة مآلها انهُ مع جميع الروساء الذين يخلفونهُ على تدبير رهبانية مار فرنسيس يجب ان لا ينقطعوا عن زيارة الرعية الانطاكية وان يرسلوا اليهما واحدًا من رهبانيتهم. وانعم على من يرسلونهُ بان يكون صاحب كرامة وسلطان كما لو كان مرسلًا من البابا بنفسهِ فلهُ ان يعرّف التائبين ويحلّهم من اوثاق الحرم ومن الخطايا المحفوظة لصاحب الكرسي الروماني وان يبدل النذور بافعال اخرى صالحة ويحلل الوجه الثامن والسابع من وجوه الزواج. ومن حيث ان البابا كان قد منح غفرانًا كاملًا لكل من يزور الكنائس المعيَّنة في رومية فوّضهُ ايضًا ان يمنح ذلك الغفران للموارنة وان يرتّب لهم كنائس معلومة ليزوروها ويحظوا بهِ كما لو حجّوا الى رومية. ومع هذه المكاتيب ارسل ايضًا مكاتيب الى البطريرك بطرس يخبرهُ عن جميع هذه الامور ويثني على امانتهِ وعنايتهِ بتثقيف الشعب الذي أوتمن على سياستهِ. ولما تُوفي يعقوب مطران بشرّاي وخلفهُ حزقيال رئيس دير حوقا ارسل فطلب التثبيت من البابا كسوسطوس الرابع فبعث اليهِ بكتابة بتاريخ سنة الف واربعمائة واربع وسبعين للمسيح. ومن هذه الرسائل المصونة بالحرص الى هذا الان بدير قنوبين يتبين ان امانة مارون ما تغيرت اصلًا في جبل لبنان. ومن حيث ان عدوّ الخير لم يزل ليلًا ونهارًا يطلب هلاك جنس البشر هيّج قلب عبد المنعم مقدّم بشرّاي ليجحد امانة والديه ويتمسك بالديانة اليعقوبية فالقى الاسجاس في بلاده واثار الاضطهاد على روساء الكهنة والمتنسكين في جبل لبنان. اما نشوّ الهرطقة فكان على هذه الصفة: ان جمال الدين بن سيفا ابن المقدم يعقوب ولد ولدين عسافًا ورزق الله. فعساف ولد عبد المنعم ايوب ومات فانتهى حكم البلاد الى اخيه المقدم رزق الله. وكان رزق الله المذكور عالمًا مكرّمًا بين قومه

ساعياً في عمران البلاد وإيراد مال السلطان فقدم اليــهِ بعض رهبان يعاقبة من نواحي الشرق بتحف وهدايا مع مكاتبات من موسى بن عطشه اليعقوبي الذي كان قدم سابقًا الى ايالة طرابلس بزي تاجر. اما المقــدم رزق الله فرحّب بالرهبان وانزلهم بالقرب من داره. وكان عبد المنعم ابن اخيهِ شابًا جاهلًا محبًا العلم فوجد مع الرهبان كتابًا جميل الخط في السرياني والكرشوني يتضمن قواعد اليعقوبية . فطلبهُ منهم واخذ يدرس فيهِ وهم يفسّرون لهُ معانيه. فمال اليهم ولما تزوّج حضروا عرسه وجادوا في النقوط ووعدوه بكرامات كثيرة . وحين مات عمه المقدم رزق الله عاد اليهِ حكم البلاد لان عساقًا وجبرائيل ولدي رزق الله كانا قاصرين فلم يحجباه عن المــيراث وكان ذلك بعد الالف والاربعمائة والسبعين من سني المسيح. حينئذٍ عبد المنعم اكرم على الرهبان بمواضع لسكنهم وبنى لهم كنيسة باسم برصوما بالقرب من داره

وعندما شاع خبره قدم اليهِ موسى بن عطشه بجملة رهبان. واخذ البعض منهم يسكنون في الفراديس في ارض بان والبعض في ارض عين تورين . وكذلك القس نوح البقوفاوي جعل اسقفًا على بلاد فينيقي على يد فيلكسينوس بن قرمان اسقف حماة وحردين ودُعي قورلوس فلما سمع بصيت المقدم المخالف عاد الى قريته بقوفة . وكان شديد الطعن في مجمع خلقيدونية ولاون البار بابا رومية واعتقــاد آبائه واجداده . فخدع قلوب كثيرين من السذج مثــل القس عيسى الحرديني والقس موسى والقس يوحنا ابني ابرهيم ابن الحاج موسى البقوفاوي والقس سيما واخيهِ من لحفد والقس موسى من قرية موسى وغيرهم كما هو مشروح في الانجيل الذي نسخه نوح المذكور. واناس كثيرون مشارقة ونابلسية قصدوا السكنى في جبل لبنان حتى قوم من بلاد الاحباش كالقس يعقوب الحبشي مع غيره من الرهبــان واستوطنوا بدير مار يعقوب اهدن ولذلك دُعي دير الاحباش وكان بثّ البدعة بجبــل لبنان امرًا في غاية السهولة . اولاً لان اللغــة واحدة وترتب اسرار البيعة عندنا وعند اليعاقبة ليست بمختلفة الا اختلافًا يسيرًا. ثانيًا لان الناحية طيبة الهواء والعيش متسع فيها لاهل الدنيا ومتسهل

للمتفرغين لخدمة الله والمتنسكين في الاودية والجبال . ثالثًا لان المقدم المتولي حكمها كان يكرم المتمسكين بطبيعة واحدة ويأذن لهم في السكنى حيث شاؤا . فلما انكشف ذلك وتبين عند العلماء ورؤساء الكهنة كثر السجس والانشقاق في البلاد وصار البعض يحتجون لرأي الطبيعة الواحدة . وآخرون ينتصرون لرأي الطبيعتين . وكل واحد يرصد الآخر . ولم يجسر ابناء الكنيسة ان ينتقموا من المخالفين خوفًا من المقدم العاصي . وكان الرؤساء يعظونه لكي يرتشد فلم يسمع لقول احد . واستمرّ الامر في التباس الى ان قام يعقوب مطران اهدن وكشف الستائر عن امر القس يعقوب ورفقائه الاحباش وبين انهم في الظاهر مستترون بثياب الحملان . واما في الباطن فهم كالذئاب الخاطفة يفترسون الانفس السايمة بتعاليمهم الفاسدة . فوعظهم دفوعًا شتى لكي يتجنبوا التعاليم المهلكة ولما لم يعتبروا ولم تكن لهُ قدرة على معاقبتهم ولا على نفيهم خوفًا من المقدم الذي كان يعضدهم اقام عليهم القس ابرهيم اسقفًا في سنة الف واربع مائة وثمان وثمانين . وكان الاسقف المذكور حسن السيرة والسريرة غزير العلم حسن التدبير كما ذكر عنه ابن القلاعي في مِدْحة الايمان قائلًا :

الاب المطران ابرهيم عالم ماهر في التعليم لا يأخذه مني توهيم انا تلميذه حقاني

ولما كان الاحباش لا يستطيعون مقاومته رحلوا الى دير مار جرجس المعروف بدير الاحباش بارض حدشيت لتستتبّ لهم الراحة تحت حماية الشيخ جرجس بن حسن الصوفي الذي كان يعقوبيًا نابلسي الاصل وكان المقدم يحبّه محبة جزيلة ويصدر عن مشورته في غالب تصرفاته . فحنق المقدم عبد المنعم حنقًا شديدًا على اهالي اهدن بسبب طردهم الاحباش وكذلك على البطريرك والرؤساء بسبب تحذيرهم الناس من اليعاقبة . فنشر امرًا ينبّه فيه العصاة ان يرحلوا من البلاد قبل ان يبيدهم قتلًا ويسلب مقتنياتهم . ولما لم يمكنهُ ان يقتصّ من اهالي اهدن ويشفي منهم غليله حرك عليهم مقدمي بلاد الضنية لينكبوا مواطنهم ويسلبوا نعمتهم . فلما بلغ ذلك مسامع المطران يعقوب والاسقف ابرهيم واعيان القرية اخذوا يعظون جماعتهم وجيرتهم

ويحرضونهم على مقاومة المقدمين لاجل خلاص بنيهم وحماية الدين . وكانوا يلجأون ليلًا ونهارًا الى شفاعة والدة الخلاص الواقع هيكلها على رأس الجبل في طريق الاعداء وتدعى سيدة الحصن . فلما زحف عليهم المقدمون بالعسكر وانحدروا من الجبل الى مرجة تولا وثب عليهم اهالي اهدن وثبة الاسود وبشفاعة السيدة اهلكوهم ولم يخلص منهم الا الشريد . فلما نظر ذلك القس يعقوب فرَّ مع الاحباش الى دير مار موسى في البرية من كثرة السجس الذي صار في الجبة . وهرب ايضًا نوح وجماعته . فالبعض منهم جعلوا سكنهم في السواحل والبعض فرُّوا الى قبرس . وآخرون امرهم المقدم ان ينتقلوا الى حردين من اعمال البترون . وعندما استراح جبل لبنان من اليعاقبة الغرباء انتقل البطريرك بطرس الى راحة الصالحين في سنة الف واربعمائة واثنتين وتسعين في الثاني عشر من شهر تشرين الاول . وفي اليوم التاسع اجتمع الاعيان والرؤساء وجعلوا المطران شمعون بن داود اخي المرحوم بطريركًا موضع عمهِ . وفي حال اقامته اقام المطران يوحنا على العاقورة التي كانت كرسيه . وفي تلك السنة كانت عودة القس جبرائيل ابن القلاعي من بلاد النصارى . فذهب الى تقبيل ايدي البطريرك الجديد وتأدية مراسيم الطاعة لهُ . ثم سار الى القدس الشريف بمعية الاب فرنسيس سوريان رئيس اديار القدس . وكان رجلًا فاضلًا غزير الحكمة ورعًا غيورًا على خلاص الانفس . وكان قد امره البابا اسكندر السادس ان يرسل في كل برهة من الزمان قومًا علماء من رهبانه يزورون بطريرك الموارنة وان يخبروه عن احواله واحوال جماعته . فلما علم ابن القلاعي بالبدعة التي كانت قد انبثَّت بين امته اخذ يكتب في قداسة مار يوحنا مارون البطريرك وفي طاعته وطاعة الذي خلفوه لصاحب الكرسي الروماني . وصنف كتابًا دعاه مارون الطوباوي . قسمه الى ثلاثة اجزاء . دعا الجزء الاول هادي الاخلاق . وجمع فيهِ الاربعة عشر كتابًا التي ارسلها باباوات رومية من البابا زخيا الثالث الى البابا لاون العاشر الى بطاركة الموارنة . الجزء الثاني يدعى ثبات الصدق . يشرح فيهِ عن اخبار الباباوات والملوك المسيحيين ويذكر اسماء الذين جادوا على

الموارنة بمكاتبات او بانعامات . والجزء الثالث دعاه جهاد الايمان يشرح فيه عن ملل الشرق وبدعهم ويبرهن عن معرفة الاقانيم والطبائع ويبين ان الموارنة استمروا دائماً على الاتحاد مع الكنيسة . وبعث الكتاب الى البطريرك شمعون وعلماء الطائفة ليُعلمهم ان شعبهم منذ الزمان القديم طائع وخاضع للايمان وانه اثبت ذلك بخطوط ايديه لكرسي رومية وارسل مع الكتاب ميمراً يخبر به عما تقدم من الامور وهو:

لما وصلت لجبل لبنان لاقي به مزارع زوان من قول عالم في السريان
ملفان اصل الطغيان

ابن عطشه بايع اشنان اصله من بلاد السريان ارسل على يد الرهبان
كتاب فيه عربي وسرياني

بعتــه قصداً يتسلّم ليد السيد عبد المنعم ومن كان ضده يتكلم
يخرجه من الاوطان

ويأخذ من فوقه وتحته وينزع منه ابنه وابنته وان جاوب رمى رقبته
في حكم ظالم دنياني

ثبت الخوف بالجبــه من النفي مع قطع الرقبه دخل يعقوب تحت العتبه
بدا يكرز في اطمان

والكتاب هو كان درسه وجابوله عنا لقرسه عمل محفل حضروا عرسه
واجهروا به الطغيان

واعترف معهم بالطغيان وانكر قرمة الايمان وصار الدين في حكم انسان
في ضرب دبوس باردغاني

تملك يعقوب بالدياره وافسد امانة النصارى وصار له كلمه ومشوره
بجاه الحاكم الدنياني

وصار مارون عنده مبغوض وايمانه منه مرفوض ويعقوب في قلبه محفوظ
بغرض مغرض حقاني

وامر بابطال التذكار لجمع الآباء الاخيار وغيّر مقالات الابرار
بغير دستور الاركان

سمعت انا في ذا العارض بليت اكتب رسائل تعرض جاني منه جواب يعرض
بخطر الموت هو باداني

وجدّ في الرسالة التي انفذها في سنة الف واربعمائة وثلاث وتسعين مع يعقوب ابن البطرماني الى اهل قريته ان يثبّتهم في ايمان آبائهم واجدادهم القديم . ومن جملة ذلك يقول : اقويهم بقوة الرب يسوع وفي وقار الامة المقدسة اثبتهم على الصبر والاجتهاد واحتمال العبودية لاجل دينهم وقبول الشهادة في وقت الحاجة لاجل امانة آبائهم واجدادهم واتحادها ثابتةً في عزها . حرّة في ملكها عادلة في حكمها منصورة في حربها مشرّقة في ملوكها . وعندما يوصيهم ليتجنبوا سميا ورفيقه اللذين تبعا اليعقوبية يأمرهم ان لا يلتفتوا اليهما ولا يصدقوهما قائلًا : ان قداستهما هي من الشيطان . وانه خارجًا عن طاعة كنيسة الله التي هي كنيسة رومية الجامعة لا توجد قداسة . وهذه هي امانتنا وامانة آبائنا وبلادنا من عهد بطرس وفيلبوس اللذين اسّسا كنيسة السيدة التي في لحفد

وافاد ابن القلاعي طائفته في جملة امور منها اثباته انهم اتباع القديس مارون . ولذلك صنف جملة مدائح وكتب ومواعظ لكي يفترقوا عن اليعاقبة ويتجنبوا تعاليمهم ويتمسكوا بسنّة معلمهم الاب المختار الانبا مارون كقوله في مِدْحة كسروان مخاطبًا جبة بشرّاي :

بشرّاي اصغي لاقوالي لان الله عالم بحالي وراجي اسمه العالي
ان يردك للايمان

وانتِ من شار عليكِ حتى دخل يعقوب فيكِ ومن تجديفه حلّ عليكِ
غضب الله في ذاك الآن

ثم يعقوب ما هو حلسك ولا ابدًا دار على ضرسك ولا حلّة لبس بعرسك
ولا قام لك منهُ مطران

اذًا توبي ياحرَّه واطردي الغرب لـبرَّه يعقوب بـدنه يتهرًا
مارون اقبليه في الاحضان
اوَّلًا تروجكِ مارون واسَّسكِ في القانون وكان حارسكِ من الطاعون
وتروجتيـه في ايقان
هو اسَّسكِ وبنـاكِ هو رفعـكِ وعلاَّكِ ولا ابدًا راح وخلاَّكِ
لماذا عشقتي بايع اشنان
حتى رشّه على راسك وجاء العدو وبرجليه داسك غير جمالك وحواسك
وصرتي سودا كالدخان

ومنها انه كان يحرضهم على الخضوع لكرسي روميـة ولاجل ذلك ارسل في سنة الف واربعمائة واربع وتسعين كتابة للبطريرك شمعون اوعز اليهِ بها ان يتعجل طلب التثبيت كما فعل من تقدمه من روساء الطائفة منذ مائتين واثنتين وثمانين سنة اعني منذ عصر البطريرك ارميا الى تاريخ تلك الكتابة. ولما كنا ذكرناها في ما مرَّ من الفصول نعدل الآن عن ذكرها ونذكر الرسالة التي انفذها رئيس اديار القدس الى البطريرك المذكور في اثبات ان بطاركة الموارنة كانوا في كل وقتٍ يطلبون التثبيت من الكنيسة الرومانية وهذا نصها على موجب نقل ابن القلاعي:

« الى قدس الاب الموقر بالمسيح بطرس الحدثي الرابع المستحق ان يدعى بطريرك ومدبّر الكرسي الانطاكي من الخادم الحقير بالمسيح فرا فرنسيس سوريانوس رئيس اديرة الافرنج ومدبر الاخوة الصغار في القدس الشريف ووكيل سيدنا الاب اسكندر بابا رومية في جميع الاراضي المقدسة. ايها السيد الموقر:

منذ الزمان القديم جرت عادة الذين سلفوا من امة مارون انه كلما انتقل واحد من بطاركتهم الى رحمة الله وفاز بما يستحقه من العدل الالهي اجتمع الشعب ليصنع لهُ رحمة ويختاروا لهم بطريركًا يكون خاليًا من كل عار وعيب خالصًا من الفحشاء على قدر احتمال ضعف الطبيعة البشرية عابدًا زاهدًا طائعًا للكرسي الرسولي خاضعًا لسنن

مدبره سيدنا بابا رومية الذي جعلنا من فائض نعمته مستحقين ان نرعى خرافه ونفتقدها في وقت الحاجة . ونحن نتكلم مع محبتكم في اقنوم قدسه . فاذا كان يجب ان يكون مجملاً بهذه الصفات قبل ان يختاروه وان يكون انتخابه بكلام ظاهر وبرضى كل الحاضرين ويتعهد بحفظ طريقتهم للمدوحة وعادتهم القديمة التي لا تكون مضادة الكنيسة الرومانية واوامر مدبرها بابا رومية ثم يقبل التاج والعصا والخاتم من الذين انتخبوه . ويُرسم بطريركاً على يد ثلاثة اساقفة او مطارنة . حينئذٍ يجب عليهِ ان يتناول عصا الرعاية ويأخذ في تدبير الشعب ويعتني بامر خلاصهم . فيلتزم بطاعته كل احد كبطريرك حقيقي فيقطع ويحلّ ويربط ويمنع كل مخالف اوامره وبموجب نواميس الله ورتبة الكنيسة الجامعة وطريقتكم القديمة لا يُدعى بطريركاً حقيقيًّا حتى يحضر باقنومه او يرسل خط يده الى الكرسي الرسولي اذ يخبره بانتخابه من الشعب على الرضا والقبول وان شعبه مقيم على طاعة الكرسي الرسولي ومدبره بابا رومية وانهم ثابتون في الامانة البطرسية التي تسلّمها آباؤهم من كرسيه المحفوظ من الله . ويضعون خطوط ايديهم بيمين انهم يحفظونها بلا عيب . وان الشعب المذكور تابع الذين سلفوا قبله بحفظ الامانة . وانه طائع لكرسيك الانطاكي والخليفة بطرس . وانه راضٍ بك وبامانتك وطالب باتضاع من قداسة الحبر الاعظم ليثبتك عليهِ بطريركًا ومدبرًا . ويعطيك براءة لتثبيتك وبركة لشعبك الطائع وحرومًا قاطعة على من يعصى اوامرك . فهذه الامور وامثالها انكشفت على حقارتنا وموجودة عندنا بخطوط ايديكم شهادة على اتفاقكم مع الافرنج واتحادكم مع الكرسي الرسولي وليست هي خافية عن شريف علمكم . لان غريغون حينما طلب التثبيت من قداسة سيدنا البابا بولس للبطرك الذي سلف قبلك ونال رضاه كان امره في زمانك وربما كان خط يدك في المكتوب . ولاجل هذا وامثاله نحبكم ونبعث لكم رهبانًا منا يزورونكم ويقدسون على مذابحكم ولا ننفر منها كما ننفر من كنائس سائر الطوائف غير الطائعين اوامرِ رأسنا وسيدنا بابا رومية . وانتم كذلك شهادة لطاعتكم واتحادكم

تدخلون كنائسنا وتحضرون قداسنا وتعترفون وتتقربون معنا وتتقدسون في حللنا وقربانا ههنا وفي الجزائر. حتى على مذبح مار بطرس برومية تقدس اساقفتكم وقصادكم الآتون الى رومية. فاذا كان هذا السابق من فعلكم وطاعتكم فلماذا انت غافل عن جلب ثباتك واشهار امانتك واتحادك مع كنيسة الله ضدّ اعدائك الخ. كتب في صهيون في سنة ١٤٩٤ للميلاد في الخامس والعشرين من تشرين الثاني »

ومن شهادة هذا الرئيس ينكشف علناً كذب الذين قالوا ان الموارنة رجعوا الى الطاعة في مجمع فلورنسة او في مجمع قونسطنسة او في مجمع لاتران او على يد فرا غريفون او غيره. والبطريرك شمعون بطرس الحدثي يدعى الرابع لانه كان رابع من سكن قنوبين بعد يوحنا الجاجي وبعد يعقوب واخيه بطرس الحدثي. ويُسمى بطرس ولا يُدعى باسمه الخاص

وافاد ابن القلاعي طائفته في مناصبته للذين قصدوا التمسك بقول اليعاقبة. وليفهم القارئ شدة سعيه وحرارته وغيرته على صحة الايمان نضع ههنا رسالة واحدة ارسلها الى القس جرجس الرامي منها يستدل على فضله وهذا نصها:

« اكرّم الاخ واعزه بالرب وادعوك باسم يشكّ فيهِ القلب لانك لا معي ثبّت في الايمان ولا مع سيدك دخلت للميدان. ولاجل ذلك انكرك كما نكرتني وقدام سيدي اجحدك كما جحدتني. لانه هناك ليس اب يخلّص ابنه ولا اخ يخلص اخاه بل يكون كل واحد راضياً بحكم العدل وقضاء ارادة الخالق. وهناك ليس محبة جسدية ولا اخذ بالوجوه. اذاً لماذا يا عديم لاجل كرامة وجه انسان تميل عن اكرام الخالق. ايّ آية اراك او اي غنًى اعطاك. لاجل ذلك قالت حكمة الله بعتني بغير ثمن اعذبك بلا منتهى. جحدتني اكراماً لانسان فاجعلك طعاماً للنيران. من اين لك يا ضال ان تتكلم مع علماء ام تفسر كتب الملافنة: متى قام قدامك مجمع او مجادلة حتى تتجاسر فتقول حضرنا ونظرنا. انت كفاك خزيك الاول في نزع معموديتك وكهنوتك وانكار دينك وامانتك. وان قلت لا اجبتك انك اعتمدت في

امانة آبائك الموارنة وبها صرت نصرانيًّا مسيحيًا وعليها بنيت وأُقمت شماسًا وكاهنًا. فان العماد هو اساس دين النصارى. جحدت ديانة آبائك التي بها اعتمدت وبطل عمادك ودينك ورسامتك وكهنوتك وصرت انت واليهود بمنزلة واحدة. بل انهم افضل منك في الختان لانهم يحفظون اوامر دينهم وانت تنكر فرائض دينك. وان قلت انا ماروني قلت لك تكذب بقولك. بل انت جاسوس بين الموارنة مثل النصراني الذي ينكر دينه ويعود الى جماعته حتى يعلم سرَّهم ويقدر على مضرّتهم. ومثل الوحش الذي دجن ثم عاد بريًّا. وفي كل حين يضرّ صاحبه ويخطف ماشيته لاجل ذلك يحل السخط على البيت الذي تدخلونه. لانكم كنتم منا وانكرتمونا ويحل في ناموسنا رجمكم واحراقكم وتقولون انكم موارنة وليس انتم كذلك بل لاجلكم اشتعل غضب الله في بلادنا واحرق الاخضر واليابس. فان كنتم موارنة يلزمكم ان تعتقدوا اعتقادهم لان الموارنة يؤمنون بطبيعتين وبالمجامع الاربعة ويحتفلون بعيد القديس لاون العجائبي ويكرزون لرقيان الملك الحليم الذي قسّى قلبه على الهراطقة وتحنن على اولاد كنيسة الله. وان انكرتم واحدة من هذه فقد صرتم اعداء الموارنة وملعونين من افواههم ومنقطعين عن صلواتهم وتحرمت عليكم صدقاتهم ويلتزمون ان يلعنوكم في الصباح والمساء كما تأمرهم كنيسة الله. لانكم القيتم السجس في بلادهم واقلقتم القلوب الصافية. كيف تقول انك ماروني وانت لص. اسمع قول يعقوب الرسول من يضادّ واحدة من وصايا الناموس فكأنه ضادّ الناموس كله. انت انكرت الجوهر الخاص في اعتقاد الموارنة. اذًا كيف تقول انك ماروني. يا ثعالب أما تخرجون من اوكاركم وتجاهرون قدامي باعتقادكم الاعوج. ها قد مضى لي بينكم خمسة اشهر ما احد منكم تجاسر ان يخرج من وكره. واول من هو المنفي تابعكم ثلث مرات اردت ان اجتمع به وهو يهرب مني الى طرابلس. أقصدكم ان اجيء فاخرجكم من الاوكار حتى اجادلكم ويبقى النساء والصغار يجاوبونني عنكم قائلين تكذب كما عملتم مع ابن دريم. ليس يكون ذلك بل اخرجوا للفلا.

انا وحدي وانتم كثيرون وقوة الله لا تغلب بالكثرة بل الصدق ونور الايمان يثبتان الى الابد. ام تتوقعون حتى تأتيكم نجدة وتجادلوني بالجاه والسيف كما هي عادتكم لكن لا اهابكم اذ يقول الروح القدس: الوف وربوات يسقطون عن يمينك واليك لا يقتربون. بل اخشى ان يأتيني كتاب الطاعة ولا اقدر ان اخالفه لان الطاعة هي حياتي . وبعد ان اسافر تأخذون في الهرب كجاري عادتكم وتقولون كذباً ماذا عمل. كما انك بعثت تقول لي اني انكرت جبل الخليقة. وانا ما قلت ذلك وخط يدي يشهد عليّ. ان لي بين الموارنة اربعمائة وستًّا وخمسين رسالة وما وصل جواب واحدة منها. والرسائل التي ارسلتها وصلت اليكم فاخفيتموها لخزيكم. وانتم بعثتم واحدة رددت جوابها ست مرات واخفيتموه. وان تماديت في العناد فهوذا مقرَّبك واحدة منها عند قدس الاب المطران ابرهيم ولم تستحقوا ان تنظروها لان الغشاوة منشورة على اعين قلوبكم وتريدون ان تفسروا كلام روح القدس كما فسر الانجيل يوليان والبيديو. تبصر بخطي يا اعمى القلب وافهم ان كنت انا ناكرًا جبلة الخليقة حتى تبعث تقول لي ܕܚܘܐ ܒܨܠܡܗ ܠܐܕܡ فكان ينبغي ان تأتي اليَّ وتبيّن لي شكك فادفع عنك الغواية فما انا بسبع حتى آكل الناس وعندك الخوري سمعان فهو يخزمك وحده ولكن ابليس وضع في رقبتك حبلًا ولم يدعك تجيء. واعلم انك اذا لم تجئني بعد هذه الكتابة نهضت لمضادتك ولا يكون لي خصم سواك. وكما كانت سابقًا الاخوة بيني وبينك هكذا تلك الاخوة تنقلب عداوة أعلمتك ذلك ولا يكون جوابك غيرك. ولو اني اقدر ان امشي لكنت قصدتك بنفسي. كتب في دير قنوبين في الخامس من شهر آب سنة ١٤٩٥ للمسيح»

ذكرنا هذه الرسالة بيانًا لشدة غيرة ابن القلاعي وحرارته في الايمان. واذا كان بمدة ثلاث سنين كتب اربعمائة وخمسًا وستين رسالة فمن يحصي بقية الرسائل والمدائح والكتب التي الفها ونقلها للعربي في مدة حياته. ولموضع شدة غيرته صعد من قنوبين الى دار المقدم عبد المنعم الذي كان قد نوى قتله بسبب كثرة الرسائل التي

كان يخاصمهُ بها · غير ان المقـدم احسن قبوله واتاه بكتاب ابن عطشه · ثم قدم لهُ الاكل واخذ الكتاب واخفاه في الدار لئلا يطلبه منهُ · فلما رأى ابن القـلاعي ان المقدم شديد التمسك بالكتاب المذكور اخذ يعظـه ويحذره من غضب الله بسبب عصيانه وانكاره امانته الاولى وانتصاره لذوي البدع والشكوك التي القاها في بيعة الله · فلم يعتبر كلامه كما انه لم يعتبر حرم البطريرك فقصَّر الله عمره وهلك في تلك السنة نفسها وهو مدمن على الطغيان · وقبل ان يموت اوصى ابنهُ المقدم يوسف ان يحسن معاملة اليعاقبة غير انه لم يعمل بوصية ابيـه بل اطاع الكنيسة وتمسك بالامانة المقدسة مقرًّا بالطبيعتين والمشيئتـين بسرّ تجسد السيد المخلص · وكذلك اتباع ابيه رجعوا عن بدعتهم واحسنوا سيرتهم

وفي ما ذكرناه كفاية ليستدل الطالع على ان ابن القلاعي ما ردّ الموارنة عن بدعة ولكنه لما حدث الانشقاق بسبب عصيان المقدم انتصب الرؤساء واهل التقوى لمقاومته بكل شجـاعة وبدَّدوا الذين كانوا يُطغونه · وعندما هدأت الخواطر قدم ابن القلاعي وصار يحتجّ عن قداسة الاب الفاضل مار يوحنا مارون ويبرهن عن امانة جماعته وطائفته لكرسي رومية وحسن ايمانهم باسرار تجسد السيد المخلص

الفصل الخامس عشر

في ابطال دعوى ارنلدوس البرتينوس الزاعم ان الموارنة تبعوا البدعة في عصره اي في سنة ١٥٢٥

في هذا الفصل نبحث عن قولين احدهما قول فرا فرنسيس بردين من رهبان مار فرنسيس الزاعم ان عودة الموارنة الى الكنيسة جرت في ايام البابا لاون العـاشر سنة الف وخمسمائة وخمس عشرة عند انعقاد مجمع لاتران برومـيـة الّا ان كذب اصحاب هذا الزعم يظهر لك مما برهنا في الفصل المتقدم عن ثبات الموارنة ومقاومتهم لرأي المقدم عبد المنعم الذي جاهر بالعصيان ولاسيما ابن القلاعي فانه كما ذكرنا جاهد

جهاداً عظيماً وصرف همه الى مكاتبة ووعظ الذين تركوا ديانتهم وتبعوا مقالة اليعاقبة. ولموضع قداسته وسعيه في انتشار الدين انتُخب اسقفاً على كرسي الافقسية واستمر الى سنة الف وخمسمائة وخمس عشرة. وكما ان الامة المارونية جملته بدرجة رئاسة الكهنوت كذلك جدَّ هو في افادتها واتقد غيرةً وحرارة على حفظها بريئة الى آخر نفس من حياته كما هو واضح من مصنفاته. فاذاً كيف يتجاسر فرنسيس بردين ان يثبت بلن الموارنة غادروا الكنيسة في سنة الف وخمسمائة وخمس عشرة مع انه في سنة الف وخمسمائة واثنتي عشرة قدم الى زيارة البطريرك شمعون الحدثي الاب اسكندر والاب ارسان من بلاد اسبانية من الاخوة الصغار والبطريرك المذكور في الرسالة التي انفذها سنة الف وخمسمائة واربع عشرة في الثامن من شهر آذار الى البابا لاون العاشر يثني عليهما قائلاً: «من زمن قريب قدم الينا اثنان من رهبان مار فرنسيس احدهما اسباني الاصل يدعى ارسان والآخر يدعى اسكندر وهما عابدان ورعان فارشدانا في امانتنا وعلّمانا»

والرأي الثاني هو قول ارنلدوس البرتينوس الذي كما ذكرنا في الفصل العاشر زعم ان الموارنة اطاعوا الكنيسة في مجمع لاتران الذي عقده البابا زخيا الثالث ثم يقول انهم فيما بعد انفصلوا عن الكنيسة الرومانيـــة وعادوا الى رأيهم الخاص وهم مستمرون عليه الى هذا الزمان. والكتاب الذي الفهُ أُشهر في سنة الف وخمسمائة وست وعشرين. ويظهر لك بطلان هذا الرأي مما اسلفناه في الفصل العاشر الى ههنا. ومما اوردناه لك من نصوص المؤرخين الاثبات. اما الآن فنقتصر على شهادة الاب فرنسيس سوريان الذي كان رئيس اديار القدس ووكيـــل اصحاب الكرسي الروماني اسكندر السادس وبيوس الثالث ويوليوس الثاني ولاون العاشر. وفي الرسالة التي بعث بها في سنة الف وخمسمائة واربع عشرة مع القس بطرس الماروني الى البابا لاون المذكور شهد وكتب قائلاً «ان الموارنة باجمعهم هم حافظون ومتمسكون على التأكيد بالامانة الارثوذكسية وانهم كالابناء الصالحين والمتعبدين يكرمون كنيسة رومية المقدسة

غاية الاكرام . ولم يختلفوا عنها بشيء مما يتعلق بخلاص الانفس ما عدا بعض عوائد تعم كهنة الشرق وقد اثبتها لهم الكرسي الرسولي على يد فرا غريفون . واما من جهة الايمان والصيامات والرتب والصبر والسيرة الحسنة فهم مدمنون عليها في غاية الشجاعة» .

وفي هذه الشهادة غنًى عن غيرها بسبب ان كاتبها كان ذا علم وقداسة جزيلة قاطناً في بلاد الشرق مفوضاً بامرٍ خاص منذ زمان البابا اسكندر السادس بان لا ينقطع عن زيارة بطريرك الموارنة وتفقُّد جماعته . وقد دوَّن البابا لاون شهادته في الرسالة التي سنأتي بذكرها عن قريب . واما البطريرك شمعون فانهُ منذ قدم اليهِ ابن القلاعي بمكتوب فرا فرنسيس سوريان سنة الف واربعمائة واربع وتسعين لكي يبتدر طلب التثبيت لم يزل يبعث بالرسائل على يد المذكورين وعلى يد فرا ارسان وفرا اسكندر وغيرهم . الا انه بسبب ما كان من اخطار السفر في البحر وبداعي الحروب التي كانت ثائرة في بلاد الشام ولعلة تغيُّر الباباوات الذين بعدة يسيرة من الزمان كانوا يتعاقبون بعضهم بعضاً لم يأته الجواب المرضي

وفي سنة الف وخمسمائة وثلاث عشرة بعث البطريرك المذكور القس بطرس الماروني الى البادري مرقس رئيس رهبان بيروت يستعلمهُ عن عودة السفن الراسية في مرفإ بيروت الى بلاد النصارى لكي يرسل معها المكاتيب في طلب التثبيت . وعند وصوله وجد المراكب قد رفعت اناجرها وتجهزت للسفر . وضاق الوقت عن مراجعة البطريرك لبُعد محله . اما الرئيس فاجبر القس بطرس حينئذٍ ان يسافر بنفسه الى رومية من غير ان يكون مصحوباً بكتابات من البطريرك وسلم اليهِ كتابة باسمه الى البابا لاون العاشر الذي كان قد رقي المقام البابوي حديثاً اخبره فيها ان الامة المارونية منذ الزمان القديم تكرّم الكنيسة الرومانية مطيعة الحبر الاعظم في جميع اوامره وزواجره وانها انفذت عدة مرات تطلب التثبيت لبطريركها فلم يتيسر لها نيل ذلك لسبب مخاطر الطريق وسرعة تغير الباباوات . ثم اخبره عن وصول قاصد البطريرك وعن سفره بغتة مع المراكب وطلب الى قداسته ان ينعم عليه بالتثبيت وبدرع

الرئاسة . فلما رُفع مكتوب الرئيس المذكور الى ديوان لاون العاشر جمع آل مشورته واستخبرهم والرسولَ ايضاً عن ديانة الموارنة وعوائدهم وصفة بطريركهم . ولما لم يتمكن الرسول ان يقنعهم بصحة مطاليبهم عاد الى بلاد الشام صفر اليدين مصحوباً بكتابتين احداهما للبطريرك والثانية لرئيس رهبان بيروت ليخبرا الاب الاقدس عن اعتقاد الامة المارونية وعوائدها وصلواتها وكيفية تقديس الميرون وانتخاب البطريرك الجديد وهل عندهم مكاتبات من البابوات الذين سلفوا . وفي افتتاح سنة الف وخمسمائة واربع عشرة عاد الرسول الى جبل لبنان وبعث البطرك مكاتيب الى رئيس بيت المقدس والى رئيس بيروت يخبرهما بما جرى . عند ذلك سافر الاب فرنسيس سوريان الى دير قنوبين واستصحب معهُ ترجماناً فترجم كتابة البابا فرد لهُ البطرك الجواب عليها برسالة طويلة ونسختها في اللغة اللاتينية لم تزل مصونة عندنا الى هذا الآن . وهي تتضمن اولاً الاقرار بتوحيد الطبع الالهي وتثليث اقانيمه . وتجسد الكلمة وموته وقيامته في الجسد الذي اخذه منا . ثانياً كيفية اجتماع رؤساء الكهنة والشعب لانتخاب البطريرك الجديد . ثالثاً كيفية تقديس الميرون على الطريقة القديمة . رابعاً كيفية الرتب البيعية والحلل الكهنوتية التي تُلبس في القداس والى اي شيء يُشار بها . خامساً طلب التثبيت لنفسه مع حلة كاملة . سادساً طلب اليه ان لا يغفل عن ارسال قوم فضلاء علماء من قبله لاجل زيارة الطائفة وتوثيق اتحادها بالكنيسة . سابعاً ان يمنع اسقف الافرنج عن التعدي على اوقاف الموارنة في الافقسية . ثامناً ان ينهى امير البندقية عن مظلمة الموارنة في جزيرة قبرس . تاسعاً ان يرسل الى المقدم الياس المدعو عساف بن سيفا الماروني كتابة وصلاة فيهِ وفي اكليروسه . عاشراً ان يرسل منشوراً يمنح فيهِ الشعب الماروني غفراناً كاملاً تنشيطاً لهم وانهاضاً لهمتهم في بناء الكنائس

اما من حيث امانته وامانة شعبه فقد اخبره انهم ما زالوا من الزمان القديم الى الآن متمسكين على الدوام بالديانة المسيحية . وانهم في الحاضر والى الابد لا يزالون

مستمرين عليها طائعين وخاضعين لكنيسة رومية المقدسة امّهم ولجميع شرائع السيد البابا واثباتاً لكلامه قال: ان جميع البلاد التي حولنا وعامة الطوائف التي في جيرتنا تعرف اننا متمسكون بالكنيسة الرومانية المقدسة فعلاً وقلباً. وانكم انتم ونحن مقترون جميعاً بامانة واحدة. وكانت كتابة الجواب في الثامن من شهر آذار سنة الف وخمسمائة واربع عشرة فارسله مع القس بطرس المذكور. وارسل معهُ ايضاً ست كتابات من كتابات الباباوات التي ارسلوها للبطاركة الذين سلفوا قبله بالرحمة. واصحاب تلك الكتابات هم زخيا الثالث واسكندر الرابع واوجان الرابع ونقولا الخامس وكاليسطوس الثالث وبولس الثاني. وبعث ايضاً فرنسيس سوريان برسالة اخرى للبابا لاون المذكور. يشهد فيها على صحة ما قيل في رسالة البطريرك. فلما انتهت الكتابة الى البابا ارسل الجواب قائلاً: اننا فرحنا وسررنا بقراءة كتبك وسماعها. وامتلأت افئدتنا ابتهاجاً وطرباً لا يوصف. ولذلك يجب ان نمجد الله تعالى ونشكره بجميع قوانا على ما اولانا من نعمه لانه اصطفاكم من بين كنائس الشرق لتعبدوه بايمان وتكونوا مصونين في وسط الكفر والبدع كما صين الورد بين الشوك لكي يتمجد اسمه بين غير المؤمنين لانكم متمسكون بعوائد الكنيسة الجامعة الرومانية وبرتبتها بطهارة لا ريب فيها. وانكم لم تزيغوا عن الايمان بالمسيح بسبب الضيم والضنك والاضطهاد الذي يُلم بكم من غير المؤمنين الذين يبغضون اسم المخلص. ومن الهراطقة المخالفين على ما علمناه من مكاتباتكم ورسالة الاب فرنسيس المقدم ذكرها بل انكم بحب الرب تزدادون كل يوم قوة وشجاعة في الصبر على المشقة والاهانة ثم يوصيهم بحفظ الامور التي اتصلت اليهم من اجدادهم اعني الاعتراف قلما يكون مرة واحدة في السنة. والاقرار بانبثاق روح القدس من الآب والابن انبثاقه من علة واحدة وتقديس الميرون كل سنة في صباح خميس الاسرار. وان يكون من زيت الزيتون ودهن البلسم على ما تسلمت الكنيسة الرومانية من الرسل كما وعد البطريرك ارميا في زمان زخيا الثالث ثم يثبته بطركاً وراعياً على الكنيسة المارونية في جميع ما

يخصها بالروح والجسد وارسل اليهِ البطرشيل الكبير الحاوي كمال السلطة ليستعمله في الاحتفالات الكبيرة . وبعث اليـهِ ايضاً بالثياب الحبرية اي التاج المرصع بالحجارة الكريمة مع غفارتين واحدة قرمزية والاخرى مخمليـة حمراء وبطرشيلين وغطاء للمذبح من مخمل احمر مزركش وكذلك ستار للكرسي وزنار من حرير وقميص وبعث ايضاً لشمامسته مدرعتين مرعزتين . ومدرعتين حمراوين مزركشتين . وفي اخر الرسالة يأمر الشعب وسائر الرؤساء ان يطيعوا مراسيمه ويخضعوا لهُ خضوعهم للاب والراعي المهتم بخلاصهم . وكانت كتابة الرسالة في رومية بالقرب من كنيسة مار بطرس في اول آب من اشهر سنة الف وخمسمائة وخمس عشرة وهي الثالثة من حبريته

ثم ارسل كتابات أُخرى البعض منها الى الاب فرنسيس سوريان والى الاب فرنسيس من القوة يأمرهما ان يتفقـدا الموارنة ويعلماهم ما يجب تعليمه وينهياهم عما يجب النهي عنه . ومنها الى اسقف الافقسية ينهاه فيها بامر الطاعة عن التعدي على املاك دير مار يوحنا وعن الاوقاف التي تخص الموارنة وبعث ايضاً برسالة خاصة للبطريرك ورسالة عامة للشعب ينهى فيها كل احد عن التعدي على اوقاف الطائفة في جزيرة قبرس خصوصاً اوقاف كنيسة مار يوحنا بارض الافقسية وامر اسقف الافرنج الذي وضع يده عليها عدواناً ان يرجعهـا اليهم وتوعد من خالف مرسومه بالحرم ان كان عالمياً وبالمنع ان كان اسقفاً . وارسل كتابة الى ليونردوس لاوردان امير البندقية يوصيه بها ان يعامل الموارنة الذين تحت ولايتـه في قبرس معاملة حسنة . ورسالة أُخرى الى الياس مقدم بشرّاي يأمره فيها ان يكون غيوراً على صوالح البيعة وسياسة طائفته . وارسل ايضاً كتابتين مطولتين احداهما لطائفة الارمن والاخرى لطائفـة السريان كانتا قد كتبتا سابقاً بامر البابا اوجان في مجمع فلورنسة واوصى البطريرك ان ينفذهما الى المذكورين فاخذ القس بطرس هذه الرسائل بشكر وعاد الى جبل لبنان .

وفي تلك السنة قبل ان يعود الرسول انتهت مدة رئاسة الاب يوحنا فرنسيس من القوة على اديار بيروت وهمَّ بالعودة الى رومية فتوجه الى منزل البطريرك مع الاب

فرنسيس رياتين ترجمانه ولبثا في دَير قنوبين بضعة ايام وتكلما عن تقديس الميرون وعن بعض امور كتبوها في العربي لاجل بنيان الرعايا. ولما عزم الاب يوحنا فرنسيس على السفر اوصاه البطرك ان يعرض على البابا وعلى مجمع الكردينالية احوال الطائفة واقامه وكيلًا عنهُ في جميع اموره. وبعث معهُ الخوري يوسف ليرجع بالجواب. وارسل ايضًا معهُ راهبين شابين كل منهما يسمى الياس لكي يدرسا اللغة اللاتينيـة والعلوم الالهية في رومية. وانفذ ايضًا كتابة لقداسة البابا يُثني فيها على يوحنا المذكور وبيّن لهُ انه وطائفته مقيمون على الطاعة لقداسته وانهم عبيد امناء للكرسي الرسولي المقدس وكان ذلك سنة الف وخمسمائة وخمس عشرة للميلاد في الرابع عشر من شهر شباط فاتفق انهم وصلوا الى رومية في حين انعقاد مجمع لاتران فقبلوا اقدام الحبر الاعظم وأدّوا لهُ مواجب الطاعة مع كتـابة البطريرك الانطاكي. فقُرئت امام جميع الآباء في العربي ثم في اللاتيني ثم دوّنت في المجمع المذكور في الجلسة الحادية عشرة. ثم امر البابا بان ينزل الرسُل في قصر الكردينال سنتا كروس عند كنيسة مار اوغسطين وعندما طلب الخوري يوسف ان يُرخَّص لهُ باقامة القداس امر الكردينال بان يفحص الكتاب الذي يتضمن النوافير فما وجد في رومية احد يفهم اللغة السريانية الّا رجل يقال لهُ تاسيوس امبروسيوس كان يعرف هذه اللغة من مخالطته للعبرانيين وبعد ان فحص كتاب القداس سمح للخوري يوسف ان يقـدس في السرياني. ومن ايام تاسيوس المذكور دخلت القراءة السريانية في بلاد ايطالية كما يخبر المذكور في الكتاب الذي سماه مدخل اللغة السريانية. وعندما عاد الرسول ارسل معه البابا لاون للبطرك شمعون كتابة جميلة مع حلة كاملة وتاج وخاتم من ذهب وصليب مذهب لاجل استعمال الاسقف الذي يرافقه. ومدرعتين لشمامسته. واظهارًا لمزيد انعطافه ومودته انعم بغفران كامل على كنيسة الكرسي بحيث ان كل من يزورها في عيد انتقال السيدة او في ميلاد يوحنا او في عيد الرسولين بطرس وبولس وفي عيد الصليب ينال غفرانًا كاملًا عن خطاياه اذا اعترف وتقرب وأدى صدقة للكنيسة المذكورة

واذن للكهنة ان يحلوا الزوار من جميع اوثاق الخطايا والنذور ما خلا نذر الرهبانية والعفة . وفي سنة الف وخمسمائة وست عشرة في نصف شهر شباط قدم بامر البابا لاون الى زيارة البطريرك الاب فرنسيس سوريان مع الاب فرنسيس من القوة . ولما استأثرت رحمة الله بالبابا لاون في اواخر سنة الف وخمسمائة واحدى وعشرين تقلد رئاسة الكرسي الروماني ادريان السادس فارسل لهُ البطريرك شمعون كتابة يرفع لهُ فيها واجب الطاعة والتهنئة مع القس موسى العكاري احد رهبان دير حوقة وراهب آخر يُدعى الياس زرزور الحدثي وكان وكيل املاك دير قنوبين . فسافرا الى رومية وكان وصولهما اليها في شهر ايار من سنة الف وخمسمائة واثنتين وعشرين . فقابلهما البابا بالاكرام وامرهما بالنزول عند وكيل الطائفة الكردينال برزدين سنتا كروس اسقف اسطية ولبثا برومية نصف سنة وعندما عزما على الرجوع ارسل معهما للبطريرك شمعون كاسين وصينيتين من فضة وعصاً من فضة بخمس قطع ورمانة من فضة وبلور . وحلتين وبطرشيلين وزندين مزركشين ومدرعتين للشمامسة مزركشتين حمراوين محبوكتين بالذهب مع غفارتين مزركشتين احداهما مخملية والاخرى قرمزية وتاج مرصع باللؤلؤ وقميص بيضاء وزنار بشماريخ وخف وبشتيك وصوابع وخاتم وصليب من فضة . ومقعد من مخمل ووجه مزركش للمذبح بتصاوير وستر للايقونة وغطاء للكاس مجدول بالذهب وقالب جديد للبرشان وكتاب ناموس افرنجي . واخبره ايضاً فيه انه تحقق حسن امانته وامانة طائفته من كتاباته ومن الرسل الذين ارسلهم اليه سالفه البابا لاون لانهم بعد عودتهم شهدوا له ان الامة المارونية هي كاثوليكية على شبه كنيسة رومية . ولذلك يؤدي واجب الشكر لله الذي بلغ بطريركهم الى تلك الدرجة العظيمة حتى يحكم بموجب ناموس الله وجعل عبير قداسته فائحاً بين غير المؤمنين كعرف الورد بين الشوك . وبعد ان منح البركة لهُ ولمطارنته واساقفته والكهنة والشمامسة والرهبان وسائر الشعب الكاثوليكي وعده انه عما قريب ينجز لهُ الامور التي التمسها منهُ بلسان رسوله وكان ذلك في الثاني والعشرين من تشرين الاول

سنة الف وخمسمائة واثنتين وعشرين وهي الاولى من رئاسته. فقبّل القس موسى ورفيقه اقدام البابا ادريان ودعوا لهُ بطول العمر وانتشار الامانة المقدسة في ايام رئاسته

وفي اول سنة الف وخمسمائة وثلاث وعشرين قدما الى تقبيل ايدي البطريرك شمعون فجعل القس موسى اسقفًا والشماس الياس الراهب قسيسًا . وفي السابع والعشرين من تشرين الثاني سنة الف وخمسمائة واربع وعشرين رقد البطريرك شمعون بسلام . وفي التاسع لوفاته اختير على الكرسي الانطاكي الاسقف موسى العكاري وارسل الى رومية انطون مطران دمشق برسائل يرفع فيها الطاعة والتهنئة للبابا اقليميس السابع الذي افضت اليهِ البابوية بعد ادريان المذكور . وقبل ان يصل الى رومية كان البابا الجديد قد انفذ الاب برزدين ادمون من قانون الاخوة الصغار بكتابة الى جرجس ملك الارمن وطائفته والى بطرس بطريرك الموارنة وملته في شأن الاتحاد الذي تمّ امره في مجمع فلورنسة واعطاه سلطانًا مطلقًا في ان يعقد المجامع في بلادهم ويعطي الغفارين ويحلل موانع الزواج ويبدل النذور ويحل من جميع الخطايا المحفوظة لبابا رومية . وكانت كتابة تلك الرسالة في العشرين من شهر تموز سنة الف وخمسمائة وست وعشرين . وهي الى الآن محفوظة عندنا في دير سيدة قنوبين . اما المطران انطون فوقع في ايدي اللصوص البحرية وسُلب جميع ما كان معه . ثم انه في سنة الف وخمسمائة وثمان وعشرين فكّ نفسه من الاسر ودخل رومية فقابله البابا بكل حنو وبشاشة وانعم عليهِ بانعامات كثيرة . ولما كانت رسائل البطرك قد سُلبت مع الامتعة التي سُلبها رسوله لم يتمكن البابا من ان يردّ لهُ جوابًا ولكنهُ لاجل ان يبيّن لهُ ولسائر المؤمنين مودته لطائفته وغيرته على نموّ كنيسة الكرسي الانطاكي بعث منشورًا عامًا الى الموارنة وسائر المؤمنين مآلهُ تثبيت الغفران الكامل الذي تفضل به سالفه وابن عمه البابا لاون العاشر على كنيسة انطاكية ومنح ايضًا غفرانًا لكل من يرسل مع المطران انطون اسعافًا للكرسي . وكان ذلك في الرابع من شهر ايلول سنة الف وخمسمائة وثمان وعشرين وهي الخامسة من رئاسته

ومما ذكرناه في هذا الفصل من مراسلات باباوات رومية لاون العاشر وادريان السادس واقليميس السابع ومن الغفارين والحلل التي انعموا بها على الملة المارونية ورؤسائها. ثم من رسائل البطريرك شمعون الحدثي وموسى العكاري ومن اقرارهما على ايدي رؤساء كهنتها ثم من مكاتبات فرنسيس سوريان رئيس اديار القدس وفرنسيس من القوة رئيس اديار بيروت وفرنسيس رياتين وبرزدين ارطون وغيرهم الذين كانوا وكلاء وقصاد الكرسي الرسولي يتبيّن ان الذين كتبوا في الموارنة انهم كانوا تابعين للبدعة في ايام البابا لاون العاشر والبابا اقليميس السابع لم يبنوا كلامهم على اساس من الحقيقة

الفصل السادس عشر

في ابطال دعوى القائلين ان جوان باطيشتا اليان اليسوعي هدى الموارنة الى الطاعة في سنة ١٥٨٠

في الحواشي المعلقة على تواريخ القديس انطونيوس اسقف فلورنسة مذكور ان الموارنة كانوا متلطخين ببعض اغلاط ومعتقدين ان الروح القدس ينبثق من الآب وحده وانه يجوز طلاق الزوجة الخ حتى ان البابا غريغوريوس الثالث عشر انفذ اليهم الاب جوان باطيشتا اليان مع الاب يوحنا برون من الشركة اليسوعية في سنة الف وخمسمائة وتسع وسبعين والف وخمسمائة وثمانين فاخرجاهم من ظلمات الاغلاط وهدياهم الى نور الكنيسة الرومانية.. وهكذا مؤرخ الشركة اليسوعية في صدرها الاول اثبت في الكتاب الثاني من تاريخه انهم كانوا ساقطين في سقطات كثيرة قال: ان الموارنة القاطنين في جبل لبنان هم قوم اجاويد لكنهم منفسدون من تعاليم الروم. فيعتقدون ان روح القدس ينبثق من الآب وحده. وان انفس البشر بعد ان تفارق اجسادها تلبث مسجونة الى يوم الحشر وان الطلاق محلل وان عماد الاطفال لا يسوغ الّا عقيب اربعين يوماً من ميلاد الطفل الذي يناولونه القربان المقدس بعد تعميده وقد تعلقوا بهذه التعاليم

شيئًا فشيئًا وحادوا عن الكنيسة جهلًا لا اختيارًا وهم مستمرون بثبات على طاعة الحبر الروماني ومحبته . وكذلك فلابيوس كاروبين يثبت انهم كانوا زائغين عن وحدة الكنيسة وعادوا الى طاعتها في سنة الف وخمسمائة واثنتين وثمانين للميلاد الالهي

جواب ذلك : ان هذه التهمات على ضربين الاول انهم كانوا مرتكبين بعض غلطات من دون ابتعاد عن الكنيسة . والثاني انهم كانوا خارجين عن الكنيسة كما زعم فلابيوس كاروبين . اما الاغلاط فاننا سنبحث عنها في كتاب آخر ان شاء الله . واما انقسامهم عن الكنيسة فلا اصل لهُ . وقد ذكرنا سابقًا ان البطرك موسى من حين جلس على الكرسي الانطاكي في سنة الف وخمسمائة واربع وعشرين انفذ انطون مطران الشام الى رومية بمكاتبات رؤساء الطائفة وشهادة علمائها . فوقع في ايدي اللصوص البحرية وسُلِب جميع ما كان معهُ من المكاتبات وعاد بعد مدة الى بلاده وما لبث ان انتقل الى رحمة الله في سنة الف وخمسمائة وتسع وعشرين ولذلك رجفت قلوب الناس من ركوب البحر ولاسيما من لم يكونوا معتادين السفر ولم يعد احدٌ يتجرأ على الذهاب في طلب التثبيت . لكن البطريرك الجديد لموضع عبادته وشدة امانته وغيرته جمع اعيان الطائفة وجدَّد المراسلة وبعث ببعض الرسائل مع الخواجا شلسيوس الروماني سنة الف وخمسمائة وثلاثين وبعضها مع اسكندر من لابلَّة من مدينة بونونية في سنة الف وخمسمائة واحدى وثلاثين . ولما وصلت الى البابا اقليميس تلاها بالفرح وارسل كتابة يثني فيها على غيرة البطريرك وحرارته في الايمان وثبت الغفران الذي كان قد انعم به البابا لاون سابقًا وجعل الكردينال برنزدين سنتا كروس وكيلًا للطائفة برومية امر المدائن على موجب ما سألهُ البطريرك ولكنهُ لم يرسل اليـــهِ براءة التثبيت لانه لم يذهب احد من ابناء الطائفة بطلبه . ولما توفي اقليميس عقبه بولس الثالث وفي سنة الف وخمسمائة واثنتين واربعـــين ارسل اليهِ البطرك رسالة مع سعيد البندقي وكيل رئيس رهبان القدس والتمس منهُ ان يأذن لرئيس الاخوة الصغار في ان يقيم مدرسة بجبل لبنان لتعليم اولاد الطائفة اللغة الافرنجية لكي يتمكنوا بدون ترجمان ولا

وسيط من ان يقرأوا رسائل البابوات ويفهموا شرائعهم المقدسة ويحصل اتحاد تام في الفم والقلب بين الكنيستين. وان يتكرم برسالة الى المقدم يوحنا عبد المنعم والى روساء الكهنة يحرضهم فيها على ذلك. فالبابا اجابةً لرغبته الصالحة وغيرته المقدسة ارسل اليه كتابة على هذه الصفة:

من بولس الاسقف عبد عبيد الله الى الاخ المكرم بطرس بطريرك الموارنة السلام والبركة الرسولية

لقد نالنا فرح جزيل في الرب من كتابة اخوتك التي ارسلتها لنا على يد الولد العزيز فرا سعيد من البندقية وكيل رئيس جبل صهيون. ومن رسالتك ومن كلام سعيد فهمنا ان أخوتك مع الاكليروس والشعب الماروني ولو كنتم بعيدين تحت نير غير المؤمنين لا تزالون في الحاضر والمستقبل مدمنين على ثبات الاعتقاد المسيحي مع الطاعة والخضوع لكنيسة رومية المقدسة وللكرسي الرسولي وعلى التمسك بالسنن التي تسلمتموها من اسلافنا خاصة من البابا زخيا الثالث واوجان الرابع ولاون العاشر ذوي الذكر السعيد. وبسبب انه من زمان لاون العاشر لم يذهب احد من قبلنا لزيارتكم تسألنا بخضوع في رسالتك ان نعين لكم قاصدًا من قبل هذا الكرسي لكي يزوركم ويتحقق امانتكم الكاثوليكية ثم يخبرنا عن سائر احوالكم. وطلبت منا ايضًا ان نوصي الجنرال رئيس الرهبان الصغار المتحفظين لكي يبعث لكم بستة رجال من رهبانه عارفين بالكتب المقدسة وانتم تقدمون لهم جميع ما يحتاجون اليه وذلك لكي يعلموكم اللغة اللاتينية ويثبتوكم في الايمان الحق. فلما بلغنا ذلك شملنا الفرح العظيم وشكرنا الله تعالى الذي بفيضان نعمته ألفكم مع هذا الكرسي المقدس برباط الطاعة والود الذي لا ينحل ولو كنتم مبتعدين عنا ابتعادًا عظيمًا الخ. ثم يخبره انه كتب الى رئيس القدس في ان لا ينقطع عن زيارتهم واوعز الى رئيس الرهبانية لكي يرسل لهم رهبانًا ينشئون عندهم مدرسة بحسب طلبه. ثم يوصيه ان يقتفي آثار البطاركة المتقدمين في طاعة الكنيسة ويحفظ ما كتب لهم في مكاتيب البابوات

اسلافهِ. وان يسعى هو وشعبه في التشبه بكنيسة رومية بما يخص الاقرار بالايمان وسبعة اسرار الكنيسة والامساك عن اكل اللحم في الايام المحرمة. وان يقرّوا بانبثاق روح القدس من الآب والابن ويتمسكوا بمجمع خلقيدونيــة وسائر المجامع ولا يقلدوا خدمة الاسرار من كان امياً مرتكباً الانشقاق والبدع. وينهى العالميين والكهنة عن السكر خصوصاً في الاديرة. وكان ذلك سنة الف وخمسمائة واثنتين واربعين في الثاني والعشرين من تشرين الآخر. وارسل ايضاً كتابات ليوحنا عبد المنعم مقدم بشرّاي ولرؤساء الكهنة والكهنة والشعب الماروني ليظهر لهم غزير محبته. ومنح ايضاً غفراناً لكل الطائفة ليرزقوا الثبات على الايمان والصبر على المظالم

وبعد وفاته خلفه البابا مرقلوس الثاني وهو برزدين سنتا كروس وكيل الطائفة. ولكنه لسوء حظ الطائفة لم يلبث عشرين يوماً في الرئاسة حتى توفي وخلفــهُ في الكرسي بولس الرابع. فلما اتصل الخبر بالبطريرك موسى سيّر اليهِ كتابة التهنئة والطاعة مع الخواجا غالاطوس من بونونية ففرح قداسته بدلائل طاعته وامانته المهذبة وارسل لهُ حلة كاملة عربون المحبة. اعني غفارة كبيرة بلؤلؤ وبدلة خمرية وبطرشيلاً وزنداً بشماريخ مزركشين وتاجاً ومصفنــة بلون ابيض ساذج وقميصاً ابيض مدروز الفتحة. وخفاً احمر ومداساً احمر ووجهاً للمذبح ساذجاً خمرياً وكتونتــين للشمامسة. وكذلك كتابة بركة يعلمه بها انه حسبما طلب اقام الكردينال ردولفوس كربو اسقف اسطية والقسيس برزدين كردينال طرونة على وكالة الطائفة. وكان ذلك في رومية بقرب مار بطرس بختم الصياد في ١٢ تشرين الثاني سنــة الف وخمسمائة وست وخمسين في السنة الثانية من رئاسته

ولما افضت البابوية الى البابا بيوس الرابع وامر بعقد المجمع في مدينة ترنتو من بلاد النمسة ضد بدع الغرب انفذ اليهِ البطرك رسالة مع جرجي القبرسي يطلب من كرمه درع الرئاسة وان يتعهد الطائفة بعنايته الابوية ويأمر بارجاع الكنيسة والاوقاف التي وضع يده عليها اسقف قبرس الافرنجي طمعاً وعدواناً. فارسل لــهُ البابا مع

المذكور درع التثبيت مع سائر الامور التي انعم بها اسلافه على بطاركة انطاكية واثنى على امانته وامانة طائفته قائلًا: اننا عرفنا من رسالتك مقدار اكرامك وخضوعك لكرسي مار بطرس هامة الرسل وتحققنا ثباتك وثبات ملتك في حفظ الايمان الذي تتمسك به وتعلمه الكنيسة الرومانية المقدسة. فمن كل قلبنا نفرح بكم وبطائفتكم ونشكر رحمة الله الذي ابقى لذاته في تلك الاصقاع النائيــة الوفًا من الناس لم تجثُ ركبهم لباعال ولا امكن ان يصرفهم عن الديانة المسيحية ثقل نير غير المؤمنين. ولا ان تفسدهم جيرة المبتدعين ولا ان تفصلهم معاشرة المنشقين عن اتحاد البيعة ثم يحرّضه على ان يجتهد في ان تـكون امانة رعيته كاملة منزهة عن كل عيب. ولتسهيل ذلك بعث مع القاصد كتابتين كان الفهما البابا اوجان الرابع. ثم امر بنسخهما لاون العاشر وهما تشتملان على التعليم عن الطبيعتين والمشيئتين اللتين في السيد المسيح وعن انبثاق الروح القدس وعن مكان المطهر وسائر اسرار البيعــة واحدًا فواحدًا ليتأدب بها من كان محتاجًا لمعرفتها بين رعيته وامره بان يفرض على الذين يعقبونه في الرئاسة ان يدونوا هذه الامور عند طلب التثبيت. اما الكنيسة التي استولى عليها مطران قبرس فاخبره ان امرها مقضي على حسب رغبته. ولئلا يرجع القاصد فارغًا بعث معهُ بكتابة ناطقة بتخويل الغفران الكامل لكل الطائفة وارسل للبطريرك المذكور عدّة كاملة. وكان ذلك سنة الف وخمسمائة واثنتين وستين في اول شهر ايلول. وفي اواخر سنة الف وخمسمائة واربع وستين ذهب البطرك المذكور الى زيارة القدس الشريف وفي اول تشرين الاول بعث برسائل الثنــاء والشكر للبابا المذكور مع فرا بونيفاس عندما فرغت ايام رئاسته من القدس وهمَّ بالعودة الى رومية

ثم ان البطريرك ابن سعادة العكاري اكمل سعيه في التاسع عشر من آذار سنة الف وخمسمائة وسبع وستين. وفي النهار التاسع لوفاته اجتمع رؤساء الكهنة واعيان الشعب والزموا الحبيس ميخائيل بن الرز بان يتقلد الرئاسة عوضه. وفي الرابع والعشرين من شهر تموز برضى الجميع وبخط ايديهم انفذ القس لوقا القبرسي من الاسكبية حاملًا رسائل

الطاعة الى البابا بيوس الخامس. ولما لم يصل الرسول الى رومية الّا في نصف حزيران سنة الف وخمسمائة وثمان وستين وكانت اختام المكاتيب مغيّرة عما كانت عليهِ لم يُستقبل بما كان يستقبل به رسل البطاركة من قبل. ولما اتمّ جيرونيموس فوستاوس ايام رئاسته وقدم الى زيارة البطرك اضطرّ البطريرك ان يجدد الرسائل المؤذنة بالطاعة وطلب التثبيت ويسلمها الى المذكور. وكان جيرونيموس صاحب فطنة وغيرة وافرة قادرًا على النهوض بما عهد اليهِ وفي حال وصوله كتب عريضة وقدمها بيده للكردينال انطون كارفا وكيل الطائفة اخبره فيها ان كنيسة انطاكية التي اوتمن على وكالتها في سوء الحال من الظالمين وانها تستغيث به ليزيل عنها ما تجد من الضيق. ثم طلب اليهِ ان يخاطب الحبر الاعظم اولاً لكي يرسل لهم كتبًا تتضمن قواعد الديانة المسيحية في لغتهم. ثانيًا ان ينعم عليهم بدارٍ في رومية تُجعل مدرسة لاولادهم حتى اذا رجعوا متعلمين الى اوطانهم قدروا ان ينفعوا بني امتهم. ثالثًا ان يسعفهم بما تفيض نعمة الله بين يديه لاجل ان يرمموا كنائسهم واديرتهم. رابعًا ان يتفضل على البطريرك الجديد بالتثبيت. وكانت هذه الامور مذكورة ايضًا في رسالة البطرك. فلما وقف عليها البابا بيوس مع اهل ديوانه شملهم فرح عظيم خصوصًا لانهم طلبوا تعليم ابنائهم وطبع الكتب في لغاتهم. ولما همَّ البابا بانجاز تلك الامور وصلت اليهِ كتابات من قبرس مضمونها ان البطرك الجديد كان في اصله يعقوبيًّا بخلاف ما اخبر عنهُ الاب جيرونيموس. فتشوشت خواطرهم من تلك الاخبار الرديئة والزموا الكردينال كارفًا المتوكل على الطائفة ان يبادر الى اصلاح امورها. وفي العجل انفذت الكتُب من قبل البابا والكردينال والاب جيرونيموس الى فرنسيس بنجنتين رئيس القدس لكي يسافر عاجلًا الى جبل لبنان ويفحص جيدًا عن البطرك الجديد وعن عمره واصله وسيرته ومعتقده وهل كانت رسامته برضى الرؤساء وعلى جاري العادة. وارسل لهُ البابا عشرين كتابًا في تعليم المسيح مطبوعة بالعربية لكي يوزعها على الرعية. وامره ان يدور البلاد ويستخبر بيقظة عن امانتهم وعوائدهم وسلوكهم ويخاطبهم في شأن

ارسال الشبان ليتعلموا برومية. وان يخبره عن جميع هذه الامور على وجه التفصيل وكان ذلك في الثامن من شهر حزيران سنة الف وخمسمائة وتسع وستين

فحالما انتهت تلك الكتب الى رئيس القدس سار الى جبل لبنان وعرض المكاتيب على البطرك ميخائيل وفي اواخر شهر تشرين الثاني امر البطرك بالتئام رؤساء الكهنة وعلماء الطائفة لديه واخبرهم بامر التهمة التي قذفوه بها في قبرس فهتف الجميع هتاف رجل واحد مصرحين بان بطركهم كثير الصلاح حسن الديانة جزيل التقوى والقداسة. وعند ذلك قام رئيس القدس والاسقف داود الحدثي وكيل الطائفة وسركيس الدويهي اسقف اهدن وجرجس بن حرواص اسقف بشرّاي وسركيس الرزي اسقف عرقة وغيرهم فكتبوا تقريرات بخطوط ايديهم ان البطرك الجديد مهذب الرأي مستقيم الديانة وانهم برضاهم ومن غير اختياره اجبروهُ بقبول الرئاسة عليهم وانه ما حاد عن اعتقاد آبائهم ولا تمسك بديانة غريبة. وكتب البطرك ايضاً عن نفسه قائلًا: ان كنت غيّرت عادة من عوائد الكرسي الانطاكي اكون ملوماً قدام الله تعالى والكرسي الرسولي. ثم تعهد انه عن قريب يرسل قاصده الى رومية في تأدية مواجب الطاعة. وفي اثناء ذلك وقعت الفتنة بين اولاد جلوان السمارنة وبين رهبان دير قزحيا وكذلك وقعت البغضاء بين المقدم رزق الله وبين اخيه عاشينا فقُتلا جميعاً وسيرت الدولة العثمانية عساكرها ايضاً على قبرس ومشت لنجدتهم العساكر الشامية فملكوا الجزيرة وتوزع القشلق على البلدان فكان ما اصاب منهُ جبة بشرّاي واحداً وعشرين الف سلطاني. ونُهبت السائقة وجميع ما وُجد في الاديرة وبذل البطرك ميخائيل الفي سلطاني عن املاك دير قنوبين ولاجل هذه الاحوال تأخر قاصد البطرك عن السفر الى سنة الف وخمسمائة وسبع وسبعين

اما سبب التهمة التي قُذف بها البطرك ميخائيل فهو ان اصل بيت الرزي من قرية بقوفا واهل هذه القرية القاطنون في الحارة السفلى مالوا كما ذكرنا في الفصل الرابع عشر الى اليعقوبية بسبب تعاليم ديوسقوروس بن ضو. فوثب عليهم اهالي اهدن

وهزموهم ودكوا منازلهم مع دير القوبة كرسي مفرياتهم الى الارض واوجبوا الحرم على كل من يرجع فيبنيها . واما بيت الرز الساكنون في الحارة العليا فقد صانوا نفوسهم من التعاليم الغريبة ولكنهم اضطروا الى مهاجرة القرية المذكورة ورحلوا الى قرية كفر صورة لسبب ما كان يدهمهم من الحوادث . وما زالوا مستمرين على ديانة آبائهم المهذبة الى يومنا هذا وقد دبروا الكرسي الانطاكي نحو احدى واربعين سنة واعقابهم الى اليوم لا يزالون حكاماً على زاوية رشعين ويقومون بمعاضدة الكرسي بكل قواهم كما يفعل الى هذا الآن الشيخ ابو شديد ضاهر خليفة الشدياق انطانيوس بن الرز بكل ثناء ومديح وكنائسهم في بقوفة ودير الصليب الذي كان ملكاً لهم ولو انها الآن خالية من السكان الّا ان الكهنة لا ينقطعون عن تفقدها واقامة الاسرار فيها

وعندما انتقل الى رحمة ربه البابا بيوس الخامس وخلفهُ غريغوريوس الثالث عشر فلغيرته على انتشار الديانة المسيحية اقام مدارس مختلفة في مدينة رومية لتعليم اولاد الطوائف فانفذ اليهِ البطرك ميخائيل الاسقف جرجس البسلوقيتي والخوري اقليميس الاهدني مع رسائل منهُ ومن رؤساء الطائفة يؤدون فيها مواجب الطاعة ويطلبون من قداسته ان يجود بالتثبيت على بطريركهم وكان خروجهما من جبل لبنان في العاشر من شهر نيسان سنة الف وخمسمائة وسبع وسبعين . فلما اطلع البابا على الرسائل انفذ اليهم كتابات التعزية واحتضنهم تحت حماية الكرسي الرسولي ووعدهم انه على شبه الذين سلفوا قبله لا يتأخر عن العناية بهم على قدر الامكان ثم يوصيهم بالسلوك في شريعة الله . وان لا يزيدوا « يا من صلبت لاجلنا » على التقديسات الثلاثة المنسوبة الى الثالوث ولا ان يحللوا الزواج بين الاقارب بانقص من الدرجة الخامسة . وان يقدسوا في كل عام الميرون الجديد من الزيت والبلسم وان لا يقرّبوا الاطفال الى ان تكمل اسنانهم . وان يلازموا الاعتراف والتقرب المقدس في العيد الكبير وفي سائر الاعياد البهيجة وكان ذلك في اوخر سنة الف وخمسمائة وسبع وسبعين

وحين عزم القاصدان على العودة ارسل البابا معهما القس جوان باطيشتا اليان

والقس توما راديوس من شركة اليسوعية وامرهما بفحص ديانة الموارنة والبحث عن صدق طاعتهم وكتبهم ومشاهدة رتبهم وعوائدهم وكهنوتهم وعبادتهم. وكان الاعتماد على القس جوان باطيشتا لانهُ كان رجلًا ذا مكارم وفضل وحكمة خبيرًا بالعلوم الالهية والطبيعية ماهرًا في اللغة الرومية واليونانية عارفًا بالعربية والكرشونية. وبعث معهما بعدة كاملة للبطرك مع رسالة يوصيه فيها بحسن معاملة الابوين المذكورين وكانت كتابتها سنة الف وخمسمائة وسبع وسبعين في اليوم الثاني عشر من شهر كانون الاول.

وعندما وصل قاصدا البابا مع قاصدي الكرسي الانطاكي الى دير قنوبين قابلهم البطرك بكل فرح وكرامة وبعد ان استراحوا من مشقة الطريق امر البطرك بالتئام رؤساء الكهنة ورؤساء الاديرة واعيان الشعب فاقرَّ امامهم انه ماروني ابن ماروني طائع لصاحب الكرسي الروماني خاضع لسننهِ. وحلف انه يقبل بجميع ما تقبله كنيسة رومية ويرذل كل ما ترذلهُ. ثم كتب ذلك في صحيفة وطواها قائلًا: هذا هو اقراري عليهِ احيا وعليهِ اموت. وصرَّح بعد ذلك بخضوعهِ لجميع ما امره البابا بحفظه وعندها سلم اليهِ جوان باطيشتا الرسائل والحلل المبعوثة معهُ. وفي شهر تموز انفذ البطريرك رسائله مع التجار يشكر فيها لقداسة البابا عما تفضل بهِ عليهِ وعلى طائفته. وكتب ايضًا جوان باطيشتا ويوحنا اسقف اهدن وداود اسقف العاقورة وجرجس البسلوقيتي وسركيس اسقف عرقة واقليميس الخوري الاهدني وغيرهم للبابا غريغوريوس الثالث عشر وللكردينال كارفًا يخبرونهما بما جرى من الامور

وعقيب انفاذ تلك الكتب استأذن جوان باطيشتا غبطة البطرك في ان يطوف بلاد الموارنة ويفحص كتبهم وعوائدهم فسرَّ بذلك البطرك ميخائيل وبعث معهُ رسالة بخط يده الى الاساقفة ورؤساء الاديرة وسائر الشعب لكي يقابلوه بما يليق به من الاكرام ويقدموا لهُ كل ما يطلبه من الكتب وامر اخاه الاسقف سركيس والقس جرجس بن يونان من ايليج ان يسيرا في صحبته واستمرَّ نحو سنة يطوف الاديرة والكنائس ويطّلع على الرتب والكتب وكان قد صنع لهُ ثلاثة دفاتر يقيد في الاول ما يراه من الاغلاط

ويرقم في الثاني ما ينبغي استشارة البابا فيهِ . وفي الثالث يكتب ما يلتزم الكهنة والعوام بحفظهِ . وبينما كان الناس يتوقعون انعقاد مجمع بلدي عام في ميقات عيد الفصح وفد الامر من رئيس اليسوعية في طلب جوان باطيشتا الى رومية وقد كان في فكره ان يؤجل عودته الى ورود امر صاحب الكرسي الروماني ولكنهُ لم يستطع ذلك بسبب انتشار الطاعون في جميع الاقطار المصرية والشامية . وكان البطرك ميخائيل واخوه يحبان جوان باطيشتا محبة شديدة لاجل غيرته وطول اناته . وفي الخامس والعشرين من شهر شباط سنة الف وخمسمائة وتسع وسبعين ودّعهما وسافر . اما هما فارسلا الكتُب يخبران الحبر الاعظم والكردينال كارفا بكل ما صار وانه قد صح فيهما مثَل ذلك الذي بدأ ببناء البرج ولم يتممهُ وانهما يتأملان من شفقته الابوية ان يردّه مرة ثانية وبعث مع المذكور شابين فطنين وهما جبرائيل الادنيتي وكسبر القبرسي ليتلقيا العلوم في رومية . وكان الموكل بهما الشدياق عازر القبرسي

فلما وصل جوان باطيشتا الى رومية ومثل بحضرة الحبر الاعظم[1] قدم لهُ رسالة البطريرك واخبره عن احواله واحوال طائفتهِ واثنى على عبادتهم وطاعتهم لكرسي رومية واعتبارهم لرؤسائه واكرامهم لقصاده وقبولهم تعليم الايمان بكل فرح . ثم قال : انه بسبب اختلاطهم باهل البدع واشتداد الظلم عليهم اندسّ بينهم بعض اغلاط سرت اليهم من كتب غريبة وسلكوا بعض عوائد غير ممدوحة وانهم يقيمون القداس بكاسات وحلل غير لائقة وفي آخر الامر طلب من قداسته ان يقيم لهم مدرسة برومية تتعلم فيها اولادهم حتى اذا رجعوا يعلمون بني جنسهم وان يطبع في لغتهم كتباً تتضمن قواعد الايمان ويتفضل عليهم ببعض حلل وكاسات لاقامة القداس . فابتهج الحبر الاعظم وحمد الله سبحانه وتعالى على احكامه الغامضة وحسن عنايته لانه شاء ان تبقى امانته المقدسة مصونة في بلاد بعيدة عنهم بعداً عظيماً برًّا وبحرًا وبين قوم لا يفهمون لغاتهم ولا يعرفون عوائدهم . ثم امر باحضار الولدين فباركهما وسُرَّ بهما كثيرًا وطلب من الله ان يجعلهما غرسة مباركة وافتتاحاً مقدساً لتمجيد اسمهِ وانتشار

امانته في اصقاع المشرق · وامر بان يقيما اولاً في مدرسة الاحداث الى ان يتمّ بناء مدرسة خصوصية للموارنة

وفي اول سنة الف وخمسمائة وثمانين امر بعودة جوان باطيشتا اليان الى جبل لبنان مع القس جوان برون من الشركة اليسوعية وارسل معهما بعض كاسات من فضة وحللًا لخدمة القداس واواني للميرون وقوالب للبرشان وبعض صور ومسابح مع رسالتين احداهما للبطرك يخوله فيها لبس الدرع الحاوي تمام الرئاسة · والثانية للاسقف داود والاسقف سركيس لكي يتوليا تلبيسه الدرع المذكور· وكان ذلك بتاريخ ١٢ من شهر آذار فلما وصلا الى الشام ودنوا من دير الكرسي كان البطرك مريضاً طريح الفراش فامر اخاه الاسقف سركيس بجمع الاكليروس والرهبان ليخرجوا الى لقائهما بالتهاليل والتسابيح والمباخر والمصابيح اكراماً لمقام من ارسلهما· وفي عيد انتقال السيدة وهو عيد كنيسة الكرسي نهض فلبس الدرع وحلف الطاعة على موجب الصورة التي رتبها الآباء في مجمع ترنتو· وكان ذلك بحضور رؤساء الكهنة واعيان الشعب

وفي سنة الف وخمسمائة وثمانين انتقل البطرك ميخائيل الى راحة الصالحين في الواحد والعشرين من شهر ايلول وفي التاسع لوفاته اجتمع المطارنة والاساقفة والاكليروس ومشايخ الطائفة مع شعب كثير وبرضى الجميع انتُدب اخوه سركيس لرئاسة الشعب وكان ذلك بحضور قاصدي البابا· وحينئذٍ كلفوا جوان برون ان يذهب من قبلهم الى رومية ليؤدي عن بطريركهم واجب الطاعة ويطلب لهُ درع التثبيت وانفذوا معهُ كتابات الى غريغوريوس الثالث عشر والى وكيل الطائفة الكردينال كارفا· فاخذ جوان برون معه اربعة اولاد وهم يوحنا دايس بن يعقوب الحصروني الذي بعد ان عاد في سنة الف وخمسمائة وتسعين لبس اسكيم مار عبد الاحد وصار اسقفاً· والثاني مرقس بن اسطفان الطوشي · والثالث يعقوب بن سمعان الحصروني · والرابع انطونيوس الحصروني مات برومية · ولما انتهى جوان برون الى رومية سلم رسائل البطريرك الجديد واعيان الطائفة الى قداسة البابا· وفي الخامس من شهر آذار في سنة

الف وخمسمائة واثنتين وثمانين ارسل البابا للبطرك سركيس كتابة التثبيت على كرسي انطاكية وكتابة أُخرى لاسقف طرابلس ليلبسه الدرع ويقبل منهُ يمين الطاعة

وعليهِ فمن البحث الشديد الذي اجراه جيرونيموس فوساتوس وفرنسيس بنجنتين رئيسا الاخوة الصغار في المدينة المقدسة . ومن تدقيق جوان باطيشتا اليان وتوما راديوس وجوان برون من الشركة اليسوعية في فحص الكتب والعوائد مع شهادات رؤساء الطائفة التي قدمت للبابا بيوس الخامس وغريغوريوس الثالث عشر يتبين ان قول فلابيوس كاروبين هو مخالف للصواب



الفصل السابع عشر

في رد قول كاملوس فانوسيوس الزاعم ان الموارنة كانوا على الضلال سنة ١٦٠٠

ان كاملوس هذا في سنة الف وستمائة وواحدةٍ ألَّف كتابًا تكلم فيهِ على الدور الكبيرة برومية فلما انتهى الى المدرسة المارونية قال: ان غريغوريوس الثالث عشر لما دنت وفاته بنى برومية مدرسة للموارنة وهم نصارى خارجون عن الطاعة

الَّا اننا لسنا بمضطرين الى رد هذا الزعم الفاسد لان غريغوريوس الثالث عشر قد بحث بحثًا مدققًا على ايدي رهبان القدس والشركة اليسوعية عن الموارنة وتحقق انهم صحيحو الاعتقاد مهذبو الامانة كما كتب ذلك في رسائله وفي الكلام الذي قاله سنة الف وخمسمائة واربع وثمانين عند بناء المدرسة وهو: «ان الموارنة القاطنين في جبل لبنان هم مستمرون منذ اعصار كثيرة على الامانة الكاثوليكية بالخضوع والطاعة للكنيسة الرومانية المقدسة دون سائر الطوائف غير المؤمنة وغير المتحدة . ومن عادتهم انهم في كل مدة من الزمان يبعثون اناسًا منهم الى زيارة اعتاب الكرسي الرسولي» . ولنقطع كل حجة يمكن ان يحتج بها كاملوس نثبت لهُ ان الموارنة كانوا متحدين بالكنيسة من سنة الف وخمسمائة وثمانين الى سنة الف وستمائة وبيانه ان البطرك

سركيس الرزي من حين اتاه التثبيت على رئاسة الكرسي الانطاكي بعث برسائل تعرب عن شكره وخضوعه مع القس يوحنا ايوب الحصروني ومع القس يعقوب الراهب الدويهي ومع الشماس ابرهيم بن سمعان الادنيتي . فسافر المذكورون مع عشرة شبان طلبة علم وهم جرجس بن عميرة الاهدني الذي بعد عودته جمل كرسي اهدن ثم الكرسي الانطاكي برئاسته . والثاني سركيس بن موسى اخي البطريرك سركيس الذي بعد عودته جُعل على كرسي الشام . والثالث موسى العنيسي من العاقورة الذي تقلّد مطرنية الاقسية . والرابع بطرس بن جبرائيل المطوشي الذي دخل في شركة اليسوعية وستة آخرين فوصلوا الى رومية في اول سنة الف وخمسمائة وثلاث وثمانين . وبعد ان تشرفوا بلثم مواطئ الحبر الاعظم طلبوا من غزير كرمه بيتاً لاجل مأوى الغرباء وان ينعم عليهم بطبع بعض كتب للصلاة فرحب بهم قداسته وامر بان ينزل الطلبة مع رفقائهم في مدرسة الاحداث . واما غرباء الطائفة فاقام لهم منزلاً عند كنيسة مار يوحنا المعروف بالتينة . وفي السنة الثانية بعث البطرك اربعة شبان غيرهم من موارنة حلب لاجل طلب العلم ولما رأى قداسته ان عدد الطلبة اخذ في الازدياد حتى بلغوا نحو العشرين امر بنقلهم من بيت الاحداث في الدين الى منزل غرباء الطائفة . وكان ذلك في الثاني عشر من آذار سنة الف وخمسمائة واربع وثمانين

وفي سنة الف وخمسمائة وخمس وثمانين في شهر ايار بعث قداسته الى البطرك برسالة يستفهم بها عن احواله مع منشور يتضمن منح الغفران لكنيسة الكرسي ويجيز لغبطة البطريرك ان يخص الغفران باي مذبح شاءه الّا المذبح الكبير . اما المذبح الكبير فمنح عليه غفراناً آخر ابديّاً في يوم عيد انتقال السيدة بحيث ان كل من اعترف وتقرّب وزار الكنيسة المذكورة يحظى به بشرط ان يصلي لاجل اصطلاح البيعة وحفظ الايمان بين ملوكها . ثم ان غريغوريوس الثالث عشر اكمل سعيه وانتقل الى راحة الصالحين في السنة المذكورة . وفي ٢٤ نيسان خلفه كسوسطوس الخامس وكان محبّاً للطائفة المارونية . ولما علم ان سالفه المرحوم ادركه الموت قبل ان ينهي المدرسة رتب لها دخلًا سنويًا

في فرا سينور. وفي السنة الثانيــة من رئاسته عيَّن لها وقفاً في العامودية وكذلك الكردينال انطون كارفا اوصى لها بجميع ما كان يملك برومية. وفي الثالث عشر من كانون الثاني سنة الف وخمسمائة وواحدة وتسعين رقد بالمسيح. فهؤلاء الرؤساء لو لم يتحققوا جيداً صحة امانة الموارنة وطاعتهم واتحادهم مع الكنيسة لما انعموا عليهم بالغفارين التي اتينا بذكرها ولا بذلوا لهم مثل هذه الاموال. ثم انه لمـا ولي رئاسة الكرسي الرسولي اقليميس الثامن وانتهى خبره الى البطرك سركيس رسم ابن اخيه سركيس اسقفاً في آخر سنة الف وخمسمائة وخمس وتسعين وارسله سفيراً الى رومية لاجل تأدية الطاعة وقضاء مصالح الطائفــة. وعندما همّ بالرجوع ارسل معهُ البابا قسيسين من شركة اليسوعية وهما جيرونيموس دنديني وفابيوس برون ليفحصا باجتهاد عن امور الطائفة ويمعنا التأمل في النفع الصادر من تعليم التلامذة برومية حذراً من ان تذهب عليهم المصاريف سدًى وارسل معهما ايضاً عدة كاملة لغبطة البطريرك مع كاسات فضة وقوالب للبرشان وعدداً لخدمة الكهنة. وارسل ايضاً كتب قداس مع بعض كتب عربية طبعت في رومية لاجل افادة الطائفــة. وكان وصولهما في شهر آب سنة الف وخمسمائة وست وتسعــين ولدى وصولهما بلغ البطرك سركيس ان الخبر شائع في بلاد النصارى ان الموارنة كانوا متلطخين سابقاً باوساخ البدع وان الاب جوان باطيشتا بغاية المشقة وبواسطة المجمع الذي عقده في ايام البطريرك ميخائيل حملهم على الكفر بالهرطقة وردهم الى وحدة الكنيسة. ولما علم ذلك من قاصديه ومن مكاتبات التلاميذ اقبل عليه غيظ شديد. وفي الثامن عشر من شهر ايــلول ارسل كتبه الى رؤساء الكهنة واعيان البلاد فعقــد مجمعاً وقرأ عليهم مكتوب البابا قدام الاب دنديني واخذ يحتج عن طائفتــه بحكمة عظيمة ويبرهن اولاً ان اخاه البطرك ميخائيل ما عقد مجمعاً ثانياً انه هو الذي كان يقدم الكتب لجوان باطيشتا عند تطوافه في جبل لبنان وهو الذي كان يترجمها لــهُ. وان الكتب لم تزل مصونة موجودة عند اصحابها وموسومة بخطه اللاتيني فأُحضرت حينئذٍ ووجد ان الاغلاط

التي اشار اليها جوان باطيشتا لم تكن في كتب الموارنة بل في نسخ اليعاقبة ثم بيّن له البطريرك اقرار الموارنة وحسن ديانتهم كما تنطق بذلك كتبهم حتى تعجب الاب دنديني كل العجب وأقرّ بان البدع التي اتهم بها الموارنة قصاد البابا زخيا الثالث ولاون العاشر وغريغوريوس الثالث عشر هي محض تجنٍ عليهم كما هو مدون في المجمع الذي التأم بحضرة الاب دنديني وبعد ان عاد المذكور الى بلاده صنف كتاباً تكلم فيه على سفره الى جبل لبنان وفي الفصل الثاني والعشرين منهُ قال: ان مكاتيب اصحاب الكرسي الروماني تسطرت على ذلك المنوال بسبب الشهادات المزورة التي وصلت اليهم. وقد تحققت انا ان الامر ليس هو هكذا لاني وجدت كتبهم الخاصة لا تضاد في شيء تعاليم الكنيسة الكاثوليكية ولكن القصاد لما كانوا لم يجتهدوا في النظر الى كتبهم الخاصة والتفريق بينها وبين كتب اليعاقبة نسبوا اليهم من البدع ما هم براء منهُ وعلى هذا فلا اتعجب مما جاء مسطرًا في مناشير الباباوات من هذا القبيل

وهكذا ايضاً الاب انطون بوصوين اليسوعي في كتاب الاستعداد يشهد انه تكلم مع الاب دنديني على ديانة الموارنة وعلى ما تحقق منهُ ومن غيره كتب قائلاً: ان الموارنة القاطنين في جبل لبنان تحت طاعة بطركهم قد استمروا بين جميع طوائف الشرق على الايمان المستقيم وعلى الطاعة الكاملة للحبر الروماني وللكرسي الرسولي منذ عصر البابا زخيا الثالث والاحبار الذين خلفوه وكانوا ينفذون اليهم تارة كردينال القديس مرقلوس وتارةً غيره. ولما كان الباباوات الذين سلفوا منذ الزمان القديم يحذرون الموارنة من ضلالات الروم توهم البعض انهم لا يعتقدون ان روح القدس ينبثق من الآب والابن وحده ولا يؤمنون بصحة وجود المطهر وغير ذلك من التعاليم قد دافع الموارنة عن انفسهم دفاعاً صوابياً واثبتوا انهم بعيدون بمراحل من تلك الضلالات واظهروا شهادات شتى من كتبهم ومن نوافيرهم يحتجون بها عن تعاليم الكنيسة. وشهادة هذين العالمين تنفي وتكذب كل من طعن في الموارنة وزعم انهم يعتقدون انبثاق الروح القدس من الآب وحده وان نفس البشر بعد فراقها من

الجسد تحبس في موضع معلوم الى وقت الحشر وان الطلاق حلال وان عماد الاطفال لا يسوغ قبل الاربعين يوماً من ولادتهم وسوف نتكلم عن هذه المسائل ايضاً في كتاب آخر

الفصل الثامن عشر

في ابطال دعوى ويلامو الفرنساوي القائل ان الموارنة عادوا الى الكنيسة على يد جرجس عميرة الذي ولي تدبير الكرسي الانطاكي في سنة ١٦٣٣

قد تقدم لنا ذكر هذا المؤرخ في الفصل الثامن والعاشر لانه زعم ان الموارنة خرجوا عن طاعة الكنيسة ثم عادوا اليها ثلاث دفعات وان عودتهم الاولى كانت في زمن البابا زخيا الثالث. فثبتوا مدة يسيرة ورجعوا الى ضلالهم الاول وحرموا في مجمع قونسطنسة. ثم عادوا مرة ثانية الى طاعة الكنيسة الرومانية فلبثوا ايضاً مدة قليلة وآبوا الى ما كانوا عليه اولاً واستمرّوا على البدعة مدة طويلة حتى عصرنا ثم جحدوا مرة ثالثة بدعتهم على ايدي بطركهم المكنى بابن عميرة. ويقال انهم الآن كاثوليكيون رومانيون

وكما اننا اثبتنا ان كلًّا من التهمتين زور وكذب نقول ايضاً هنا بان زعمه ان البطرك جرجس بن عميرة عدل بجماعته عن البدعة هو ايضاً زور ومخالف لكل تاريخ حق لان البطرك المذكور كان من انسبائنا وذهب به خاله القس يعقوب الدويهي الى رومية في سنة الف وخمسمائة واربع وثمانين كما ذكرنا. وبعد ان تلقى العلوم الطبيعية والالهية نشر كتاباً في نحو اللغة السريانية واقدميتها على سائر لغات الدنيا. ولما عاد الى جبل لبنان رسمه البطرك يوسف الرزي اسقفاً على اهدن. ولما رقد بسلام البطرك يوحنا بن مخلوف جلس على الكرسي الانطاكي ودبر طائفته تدبير الابرار من سنة الف وستمائة وثلاث وثلاثين الى سنة الف وستمائة واربع واربعين. لانه كان ذا عقل فائق كثير العبادة جزيل الغيرة على نموّ الايمان المقدس وارشاد

قومــه بتقوى الله · الا ان القول بانه ارجعهم عن بدعة وصالحهم مع الكنيسة فذلك افتراء لان البطرك سركيس كما ذكرنا في الفصل السادس عشر عقد مجمعاً في الثامن من شهر ايلول سنة الف وخمسمائة وست وتسعين واثبت امام الاب دنديني قاصد الكرسي الرسولي وروْساء الكهنة واعيان البلاد ان الطائفة بريئة من كل تهمة قرّفها بها بعضهم بسبب السمات التي وسم بها كتبهم الاب جوان باطيشتا اليان · وفي اليوم السابع من ذلك المجمع انتقل الى الحياة الدائمـــة · وفي اليوم التاسع برضى الروْساء وسائر الشعب جُعل مكانه يوسف بن موسى اخي البطرك المتوفى · وفي سنـــة الف وخمسمائة وتسعين بعث برسائل الطائفة وشهادات روْساء الكهنة لاجل تأدية فروض الطاعة وطلب التثبيت مع القس جرجس بن يونان والشماس يوسف بن اليان من تلاميذ مدرسة رومية · فرحب بهما البابا اقليميس وفي السابع والعشرين من شهر ايار سنة الف وخمسمائة وتسع وتسعين ارسل لهُ مع المذكورين كتابة البركة والتثبيت مع كتابة اخرى الى قاصده الاب دنديني لكي يلبسه الدرع · وفي السابع عشر من شهر آب من السنة المذكورة ارسل اليهِ كتابة أُخرى يبيّن فيهـــا وجوه الزواج المحرمة في القرابة الدموية وقرابة العماد والتثبيت

وفي سنة الف وستمائة وثلاث رسم القس يوحنا الحصروني من تلامذة رومية اسقفاً وانفذه سفيرًا الى رومية في مصالح الكرسي ولدى وصوله انتقل البابا اقليميس الى رحمة الله فخلفهُ البابا لاون على الرئاسة وقبل ان يتمّ الشهر تنزل عنها لبولس الخامس وكان بولس المذكور يحب طائفة الموارنة اكثر من غيره · فقبل يوحنا الاسقف بكل بشاشة وفي جوابه على كتابة البطرك يثني على عبادته وحكمة روْساء الكهنة وسعيهم في خلاص الرعية ويؤدي الحمد والشكر لمن لم يخيب الفعلة العاملين في كرمه الروحاني من المكافأة · بل يمنحهم فيضان البركة من السما لاجل حسن سيرتهم الفائحة روائحها بشبه الورد بين شوك الكفر وبدع الشرق · ويبين لهم انه يودهم ودًّا جزيلًا وانهم مع بعدهم عنه لا يزال مهتماً بخلاصهم · وارسل معه للبطرك جميع الاثواب الحبرية

مع قوالب حديد للبرشان بتاريخ سنة الف وستمائة وست في الثاني عشر من شهر كانون الثاني

اما البطرك يوسف فلمزيد توقيره ومودته للكنيسة الرومانية ابتدر تغيير ثلاثة اشياء فامر طائفته اولاً ان يتركوا الحساب القديم الجارية عليه جميع ملل النصارى في نواحي الشرق ويعملوا بموجب الحساب الجديد الذي تقرّر برومية في عصر البابا غريغوريوس الثالث عشر وقد خسرت الطائفة في هذه المسألة خسائر جمة مالية. ثانياً دفع ليوسف باشا ابن سيفا حافظ طرابلس الوفاً من الدراهم لراحة البياضية سكان العرقوب الذين كانوا يعتقدون النصرانية باطناً ويتظاهرون في الخارج بالاسلام ويلبسون العمائم البيضاء كعادة المسلمين وحينئذٍ كتب الباشا منشوراً اباح لهم فيهِ ان يتظاهروا بالديانة التي يشاؤنها فجاهروا بالنصرانية من غير خوف. ثالثاً غيّر بعض عوائد فيما يتعلق بالصوم والاعياد ورتب البيعة الشرقية وقصد بذلك مزيد التقرّب باطناً وظاهراً من الكنيسة الرومانية

وفي سنة الف وستمائة وسبع ارسل اخاه الاسقف سركيس سفيراً الى البابا بولس الخامس وبعث معهُ القس الياس ابن الحاج يوحنا والقس جرجس بن مارون من اهدن والشماس يوسف فرحّب قداسته بهم واجل استقبالهم الا ان البطرك يوسف قضى اجله بعد مدة قصيرة. فلما انتهى منعاه الى رومية حزنوا عليه حزناً شديداً. وتعزيةً للطائفة ارسل البابا بولس كتابة اليهم على هذه الصفة

بولس الاسقف عبد عبيد الله

الى الاخوة المطارنة والاساقفة المكرمين والاولاد الاعزاء والاكليروس والشعب الماروني السلام والبركة الرسولية

تبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح الذي صانكم بكثرة رحمته الجزيلة اذ انتم في طوفان الميـاه الغزيرة اعني بين انواع الانشقاق القائم في بهرة كفر البدع الفاسدة التي منذ زمان طويل طمى فغمر بـلاد الشرق ولم يزل ظلامه الى هذا الآن

باسطاً سدوله على اكثر المسكونة ومنع ان يلفحكم شرار شره وحفظكم منهُ بكل كرامة خاصة وثبتكم على صدق الامانة الكاثوليكية مدة قرون كثيرة حتى ان ايمانكم يُبشّر به في العالم باسره ويُمدح في الكنيسة الرومانية كنيسة بطرس الرسول ام جميع الكنائس ومعلمتها التي تقدست بصوت الرب وانتم قد علمتم ان سلطانها على سائر الكنائس من الرب هو. ولذلك تؤدون لها الوقار الواجب للمسيح الذي انتخب من بين البشر بطرس وحده صفياً لهُ وولّاه على دعوة جميع الامم وعلى جميع الرسل لا على خراف قطيعه باسره بل وعلى تدبير رعاته. افرحوا اذاً بالرب بل افرحوا دائماً ولنفرح جميعاً على عزيز عطيته ونحمده ونشكره وفي الحقيقة ان هذا الفرح قد تجدد في قلوبنا بقدوم اخينا العزيز سركيس مطران موارنة دمشق المكرم مستصحباً معهُ اولادنا الاعزاء القس الياس والقس جرجس من رهبانية مار انطونيوس والشماس يوسف المرسلين الينا لاجل تأدية الطاعة لحقارتنا ولكرسي بطرس الطوباوي ولاجل قضاء اكبر مصالح كنيستكم. ولئلا يكون فرحنا كاملاً آثر الله بمسرته ان يرد علينا ذلك الخبر المشؤوم الذي لم يخطر لنا على بال اعني وفاة المرحوم بطرس البطرك الانطاكي على ملتكم المارونية الذي لوافر غيرته على الديانة الكاثوليكية ومحبته الصادقة للكرسي الرسولي ارسل لنا اخاه المطران سركيس وقد تحقق عندنا انكم توجعتم بالصواب لفقدكم مثل هذا الراعي الصالح لحزنا نحن لحزنكم ايضاً الخ. واخذ اخيراً يعظهم ان يقدموا القرابين والزكاة عن نفسه ليصفح الرب عن هفواته البشرية ويوعز اليهم ان ينتخبوا عوضه رجلاً تقياً مؤمناً غيوراً ليرمم ثغرة بيت اسرائيل ويرعى الخراف التي اؤتمن على رعايتها واخيراً منحهم جزيل البركات مع الغفران الكامل الذي نُودي بهِ في رومية لاجل احتياجات البيعة. وكان ذلك بتاريخ سنة الف وستمائة وثمان في الثامن والعشرين من تشرين الثاني. وارسلت تلك الكتابة الى جبل لبنان مع القس الياس والقس جرجس. واما الاسقف سركيس فامره البابا بولس ان يبقى في رومية للعناية بطبع الكتب وامور الطائفة. وكانت تلك السنة شديدة على الناس في بلاد الشام.

لان علي باشا ابن جان بولاد حافظ دمشق مرد وجاهر بالمعصية فاضطر احمد باشا ان يزحف عليهِ بالعساكر فتضيق الناس وتعالت الاسعار وكثر الظلم على دير الكرسي وتأخرت رسامة البطرك يوسف المرحوم ثم وقع الانتخاب على الاسقف يوحنا بن مخلوف الاهدني . فامر بالمناداة بالغفران الذي منحه الحبر الاعظم وارسل القس جرجس ابن مارون الى رومية بطلب التثبيت فاخذ معهُ ثلاثة عشر شاباً ليدرسوا العلوم وسار بهم الى قبرس واستصحب معهُ ايضاً القس كسبر . وكان القس كسبر رجلاً عالماً مشهوداً لهُ بالقداسة والغيرة على الدين بين جميع طوائف جزيرة قبرس وكان اقدم جميع التلاميذ الذين اخذوا العلم عن مدرسة رومية ولما وصلوا الى الاسقف سركيس اخذوه معهم الى رومية فاكرم البابا بولس قبولهم واظهر لهم كل محبة واستخبرهم عن احوال بلاد الشام وانعم بتثبيت البطريرك الجديد على الكرسي الانطاكي وسلم درع الرئاسة للقس كسبر ليوشح به البطريرك ويتلقى منه اليمين . واما كتابة التثبيت فسلمها الى القس جرجس القاصد وسلم اليهِ ايضاً كتابة اخرى مؤرخة في سنة الف وستمائة وعشر في الثامن من آذار يأمره بها ان يبطل العوائد الجديدة التي ادخلها سالفه ويواظب على التمسك بعوائد الكنيسة المقبولة ثم اوصاه ان يسعى في تخفيف الاثقال الناتجة للاكليروس عن توزيع الاموال الاميرية وجبايتها

وفي سنة الف وستمائة واثنتي عشرة وجه اليهم البابا بولس برسالة بركة وغفران كامل لجميع الشعب وامر الاب كلوديوس اكواويوا رئيس شركة اليسوعية ان يُخرج جسد القديس اميريطن من بيت الشهداء ويرسله مع قوم امناء الى البطرك يوحنا على موجب طلبه ورأس هذا القديس هو الى هذا اليوم مصون بكل كرامة داخل مذبح كنيسة الكرسي . وفي سنة الف وستمائة وخمس عشرة في السادس والعشرين من آب وردت ايضاً كتابة مانحة الغفران على شبه المذكورة الى موارنة قبرس حسبما طلب من قداسته جرجس مارون الذي قبل ذلك بسنة جعل اسقفاً على الاقفسية

وعندما افضت البابوية الى البابا غريغوريوس الرابع عشر بعث لهُ البطرك يوحنا بالكتب مع القس ليونردوس يهنئه بالدرجة المكرمة ويطلب منهُ البركة وان ينعم على الطائفة بطبع الشحيم كما كان قد امر سالفه . وفي سنة الف وستمائة واثنتين وعشرين في اول تموز ارسل لهُ الجواب مع القاصد وثبت بهِ الغفران الذي كان انعم به سابقاً بولس الخامس وان الذي يزور كنيسة الكرسي في عيد بشارة السيدة وفي يوم انتقالها وفي اعياد الرسل ينال غفراناً كاملاً كما لو كان قد زار الكنائس في رومية . وفي السنة المذكورة كان الفراغ من طبع الشحيم . وكان جبل لبنان في امان واطمئنان لان حكم البلاد كان في يد الامير فخر الدين بن معن الذي ولى ابا نادر الخازن وابا صافي على بلاد جبيل والبترون وجبة بشرّاي . ولاجل ذلك عمد الناس الى خدمة الله والحياة النسكية وبناء الكنائس والمدارس . وقدم من بلاد الافرنج اناس كثيرون من الاخوة الصغار ومن الكبوشية واتخذوا السكنى في جبة بشرّاي

وفي سنة الف وستمائة واربع وعشرين اقام البطرك يوحنا مدرسة لتعليم الاولاد في دير سيدة حوقة وفيها ارسل الخوري يوحنا بن قورياقوس الحصروني الى البابا اوربان الذي قام جديداً ليؤدي لهُ واجب الطاعة والتهنئة . وكان بمعيته الاب عبد الاحد مغروس اليسوعي ومعهما اثنا عشر ولداً لاجل ان يتلقوا العلوم في المدرسة ففرح البابا بكتابة البطريرك وبتقدم النصرانية وجعل مرتباً سنوياً لمدرسة حوقة ودوّن لها قوانين وبعث بكتابة للبطريرك مع تاج جميل وغفارات وكتب وحلل وكان ذلك سنة الف وستمائة وخمس وعشرين في آخر شهر تموز . اما كتابته فهذا تعريبها :

الى الاخ المكرم بطرس البطرك الانطاكي من اوربان الثامن السلام والبركة الرسولية

لم يذبل البتة جمال الكرمل ومجد لبنان ولو مدّ العدو الكافر يده الخاطفة فسلب اطايبهُ . وانتم ايها البطريرك الانطاكي وسائر اساقفة هذه الرعية المتسعة وكهنتها الذين تكرمون سلطان بطرس الطوباوي في الكرسي الرسولي والحبر الروماني

فهي الحقيقة يجب على من يريد ان يصف ظفركم وجهادكم واستحقاق ايمانكم يجب عليه ان يستمد الاكليل من السماء . فان الجحيم قد فتحت فاها في تلك البلاد ونفثت في كرم الرب النابت في نواحي الشرق نفثات من التعاليم سامة وبدلت فراديس الملائكة وجعلتها منازل للتنانين فترى غير المؤمنين يسلون سيوف الكفر ومن جهة اخرى ذوي البدع والانشقاق يكيدون لها المكايد الشيطانية ويضيقون على انفسكم النازلة في وسط المكر . غير انكم على مثال جبل صهيون الذي يزدري بشدة العواصف ويعد انه لا يتزعزع الى الابد . ولاجل هذا عندما نراكم تؤدون لنا جزية الطاعة اللائقة نقبل اخوتكم مع سائر رؤساء الكهنة والاكليروس في احضان المحبة الرسولية . وبالبركة الرسولية نؤيدكم فان الكنيسة الرومانية التي ترأس عليها هامة الرسل والتي هي بمنزلة الام لكل الطوائف لم تحبس اموال الكنيسة اعني ميراث الفضائل في تخوم ايطالية وحدها بل تشاء ان توزعها على بلاد الامم الغريبة لتربح الارواح للمسيح . ولهذه الغاية فتحت في نفس رومية مدارس للطوائف المختلفة لكي لا يحرم احد من ورود ينابيع الطهارة ومناهل الخلاص ونرجو ان تطمئن افكاركم على الابناء الذين ترسلونهم الى مدارس رومية لاننا اتخذناهم تحت كنف حمايتنا آملين ان يبرعوا في العلوم التي هي سلاح بني النور لكي يقدروا ان يزحزوا شيطان الظلمة عن القلوب . واعلموا اننا نهتم بمصالحكم اخص الاهتمام لانكم في ارض تقدست بآثار المخلص جلت قدرته والرسل القديسين ومنها اشرقت شمس البشارة على الناس القاطنين في ظلال الموت . اما ولدنا العزيز يوحنا الحصروني خوري الكنيسة الانطاكية فقد اكرمنا قبوله لاننا وجدناه ممتلئاً من الطهارة والحكمة . ولا نأذن لهُ ان يعود اليكم الّا بعد ان نزوّده زاداً وافرًا من المحبة الابوية ونتأمل ان ما نهديه اليكم بواسطته من آلات الخدمة المقدسة يكون مقبولًا عندكم نظير عربون لمحبتنا الحبرية . اما المدرسة التي بدأتم بانشائها في جبل لبنان فنسأل الله ان تكون بتأييد الروح القدس مغرس الفضائل ومدرسة الايمان . فنثبتها بسلطان رئاستنا بحسب الهام الله وحبنا

الابوي ونعدكم بالاثمار الوافرة ولا يشق علينا ذلك لاسيما ونحن في مقام يجب ان يأتي اهلَ الارض . بالاسعاف وكثرة العطايا لايمكنها ان تضعف شدة محبتنا للاولاد الذين تحت الخطر والاحتياج . والخوري في عودته من ههنا يخبركم اننا لا نزال ابدًا معتنين بصيانتكم وقضاء مصالح اخوّتكم ومصالح الكنيسة الانطاكية وبطلبات متواترة نسأَل على الدوام ان تكونوا موءهلين للمعونة السماوية . كتب بالقرب من مار بطرس بختم الصياد في الثلاثين من شهر آب سنة الف وستمائة وخمس وعشرين في السنة الثانية من رئاستنا

فاذا كان صاحب الكرسي الروماني يقرّ بان مجد اهالي لبنان لم يذبل البتة مع كونهم مكتنفين بغير الموءمنين ذوي البدع والانشقاق ويشهد انهم على مثال جبل صهيون يزدرون بالعواصف التي تهب عليهم من الاعداء بل يوءدون الخضوع والطاعة لبطرس الرسول ولكرسيه برومية اذ يعدون انهم يدومون غير منفصلين عن الكنيسة الجامعة . فكيف يفتري ويلامو قائلًا انهم كانوا منفصلين عن الكنيسة الجامعة فبطل اذًا قوله في ذلك بما مرّ

ولم تزل الاحوال في جبل لبنان على غاية السكينة الى سنة الف وستمائة وثلاث وثلاثين وفيها قاد كجك احمد الحافظ العساكر العثمانية الى مقاتلة الامير فخر الدين . فقتل اولًا ولده الامير عليًا عند الخان الجديد تحت حاصبيًا . ثم حضر اليهِ اخوه الامير يونس بمكاتيب الامان فقتله واخيرًا شدَّد الحصار على الامير فخر الدين فقبض عليهِ التقابون في مغارة جزين وامسكوا اولاده ولم يفلت منهم الَّا الامير ملحم ابن الامير يونس . واخذوا الامير فخر الدين واولاده الى قسطنطينية . ومن جرَّاء ذلك تعددت المظالم في البلاد وهرب رهبان الافرنج الى الجبة ومشايخ بيت الخازن عادوا الى كسروان وفي نصف كانون الاول من السنة المذكورة كانت وفاة البطرك يوحنا الى رحمة الله فخلفه في السابع والعشرين من الشهر المذكور البطرك جرجس بن عميرة فارسل القس ميخائيل بن سعادة

الحصروني الى رومية لتأدية مراسيم الطاعة وطلب التثبيت. وكان اوربان يعرفه جيدًا ويحبه محبة جزيلة لانه ربي معه في مدرسة واحدة فارسل لهُ كتابة التثبيت مع القاصد ودرع الرئاسة وذلك في سنة الف وستمائة وخمس وثلاثين في الثالث من شهر آذار واستمرّ في تدبير الكرسي الانطاكي الى سنة الف وستمائة واربع واربعين بكل تقوى. اذًا كذب من قال ان ابن عميرة ردَّ جماعته الى طاعة الكرسي الروماني. نعم ان امته كانت في الاعصار السالفة شبيهة باليتيم الذي لا امّ له تطلب ان تغتذي ولو بحليب الغرباء الذين لا تعرفهم ولا تفهم لغاتهم ولا تُعطى الّا القليل ولكنهُ لما قام ابن عميرة وتلاميذ المدرسة التي هي من فضل البابا غريغوريوس الثالث عشر والذين خلفوه على الكرسي الرسولي ثبت الله قواعده الى نهاية الدهر اخذت تتناول الطعام الكامل والارتشاد الفاضل الذي يكفيهم ويفيض على من في جوارهم

النتيجة

مما مرّ لنا في هذا الكتاب الثاني يتبيَّن ان التهمات التي قُذف الموارنة بها هي كلها محض تزوير فنسبت اليهم اما بغضة لهم واما عن نقص علمٍ في زاعميها. اما ما قالهُ فيهم سعيد بن بطريق فقد بيَّنَّا بيانًا شافيًا انه عمد بذلك الى ان يَضلّ ويُضلّ الآخرين لكون مارون الراهب الذي بنى اهالي حماة الدير على ذكره تقدم موريق بمائتي سنة. ولم يكن خارجًا عن الديانة بل محمود السيرة والسريرة طيب الاثر معروفًا بالقداسة عند جميع الكنائس شرقًا وغربًا. وكذلك الذين انشأوا مقالة المشيئة الواحدة لم يقل عنهم انهم موارنة احد من جميع من تقدموه بثلاثمائة سنة كما ان اهل لبنان ما سموا تلك التسمية الا بعد موريق بمائة سنة. واما المؤرخون الذين جاؤوا بعد سعيد وكتبوا عن الموارنة ما يخالف الحقيقة فما ذلك منهم الّا لنقص في معارفهم ولتعمدهم النقل عن سعيد المذكور. ولكنهُ قام الكردينال بارونيوس المثلث الرحمة وطالع كتب البيعة حتى مطالعتها وغربل اخبار الامم وعانى تأليف التواريخ باشد ما يكون من الفصاحة فلم يجد لمارون المبتدع ذكرًا اصلًا فزيف الكلام الذي نقله

غليلمو اسقف صور عن سعيد الاسكندري واثبت في كتاب سنكسار الشهداء ان اهل جبل لبنان سموا موارنة اما نسبةً الى مارون القديس واما الى مارون المدينة التي بقرب انطاكية . ثم ان الخلف بعده بحثوا عن هذه المسألـة وحققوا انهم لا ينتسبون الا لمارون النبيل في القديسين واقرّوا انه منذ عصر المذكور ما زالوا مستمرين على الديانة المهذبة الى يومنـا هذا كقول يوسف بوصوين اليسوعي الذي اقام عدة سنين ببلاد الشرق وفحص عن ذلك جيدًا . ومن ثم دوّن في كتابـه عن سورية المقدسة ان الموارنة منذ اثني عشر قرنًا هم متمسكون بطهارة بالايمـان والاعتقاد الكاثوليكي . يريد بذلك منذ ايام مار مارون الذي يُعزَوْن اليهِ . والكتاب الذي في سنة ستمائة وخمس وثمانين امر بطبعـه الكردينال السامي الحسب والنامي النسب نزلي المكرم صاحب الفضـل والاحسان ذكرًا للفضلاء الذين تلقوا العلوم بمدرسة رومية واحتفالاً بتتمة المائة الاولى من نشأتها يقول في فاتحـة الكلام : ان البابا غريغوريوس الثالث عشر لشدة غـيرته على نموّ الديانة والعلوم انشأ في كل مكان مدارس كثـيرة منها مدرسة الموارنة برومية الا ان التي انشأها لسائر الطوائف كانت ليجذبهم ويردّهم الى طاعة رومية . واما التى اقامها للموارنة فقد اقامها مكافأة لايمانهم وطاعتهم التي استمروا عليها دائمًا لجهة الكرسي الروماني لان الامة المارونيـة نشأت منذ بدء الكثلكة والديانة المسيحية التي تشربتها اولاً منذ نشأتها ما زالت متمسكة بها ومحافظة عليها بغير دنس الى وقتنـا هذا . وهذا الامر الذي كان متحجبًا في القرون الماضية عن معرفة كثيرين من الناس قد تبيّن واضحًا لكل واقف عليهِ من الشهادات المسطرة في هذا الكتاب قرنًا بعد قرن . وعلى ذلك فاننا نختم كتابنا بما ختم به ابرهيم الحاقلاني كتابه في النحو السرياني قائلًا : رفي هذه الامور كفاية لبيان مجد الله وكرامة صفيه مار مارون البطرك رأس امتنا المارونية واساسها . ذلك الذي دافع عن الامانة المستقيمة الجد . ذلك الذي غرس على رأس جبل لبنان ذلك الارز المخـلّد الذي لا تعمل فيهِ الأَرَضَة ولا تقوى عليـهِ العواصف والارياح الشديدة الهابّة من

جهات اعداء الايمان ولا الكلام الزوري الذي يصدر عن المتلبسين بثياب الوداعة وهم ممتلئون مكرًا اذ يحبون مجد العالم الزائل اكثر من حب الله الدائم. فان هؤلاء اذا كان قوم من الناس اذعنوا لكلامهم بوقت من الاوقات فالآن عندما اشرق الصدق اشراق الشمس وكشف العبوس الذي غشّى قلوبهم فقد تقوّض الكذب وتمكن الصدق وفرّ محالفوا الاثم من ضياء الحق فرار الخفّاش من نور النهار وانجرّ خيط السكوت على شفاههم الى الابد

الفصل التاسع عشر

في الكلام على الذين سعوا في اخراج الموارنة سكان اورشليم عن طاعة بطريركهم سنة ١٦٨٧

قد استوفينا الكلام في آخر الفصل التاسع من هذا الجزء على رهبان مار فرنسيس الصغار وبينّا كيف استولوا على حراسة بعض الاماكن في بيت المقدس وما يليهِ غير انهم لتغاضيهم عن حفظ اللغة العربية المستعملة يومئذٍ في ديار المشرق هبّ الرهبان الكبوشية لمعارضتهم وطمعوا ان يتولوا معهم امور المؤمنين الكاثوليكيين المترددين الى تلك النواحي المقدسة ويقوموا بما يخص الامور الخلاصية. ولما عُرضت المسألة في رومية على سادات مجمع انتشار الايمان اخذوا بيد الرهبان الصغار وامروهم ان يجتهدوا في حفظ اللغة العربية ليداوموا بذلك على حراسة الاماكن المقدسة وخدمة الذين يأتون اليها زائرين. ولما عانى بعضهم درس اللغة المذكورة ورأوا ان تعلّمها شاقٌ وانه لا يجديهم نفعًا بما ان نصارى المشرق مقيمون تحت ولاية بطاركتهم اضطرهم الامر الواقع الى استعطاف قاضي المدينة المقدسة وذلك في السادس من شهر نيسان سنة الف وستمائة وسبع وثمانين فبعث اليهم بمنشور يبيح لنصارى المشرق ان ينتقل كل منهم الى الطقس الكاثوليكي الذي يختاره. فلما ادرك الرهبان اربهم امتلأوا فرحًا وسرورًا وتعهدوا لنصارى بيتِ لحم وغيرهم من المسيحيين انهم يقومون

بجميع الخدم الدينية مجاناً ووعدوهم بان يجعلوا منهم تراجمين ويستخدموا بعضهم في مصالح ينتفعون بها . فانحاز اليهم كثير من الروم والارمن وغيرهم فالزموا كل من انحاز اليهم ان يترك تسميته وعوائده القديمة ويسمى افرنجيًا و يلتزم بالطاعة لرئيسهم بالقدس . وجميع هذه الامور جرت في غياب الوكيل وعلى غير رضى الرئيس انجاليكو المديولاني الذي فارق اورشليم وقتئذٍ قاصداً بلاده . وهكذا الوكيل عبد الاحد كان قد انطلق الى قسطنطينية قبل ذلك الوقت بسنتين . ولكن جميع هذه الامور كانت بسعي ثلاثة لا غير . فلما لم يوافقهم على ذلك بطرس ميلونيكا الذي كان متقدماً ونائباً عن الرئيس حطّوه عن رتبته وجعلوا في موضعه آخر غيره فكتب لوحاً وعلّقه في الكنيسة وحرم به كل من يدخلها من غير ان يتمسك بعوائد الكنيسة الرومانية . ولم يقض بهذا الالزام فقط على الطوائف بل اوجبه على الامة المارونية وكل من يصوم صيام الرسل يحكم عليه بالحرم ومن يعترف للكاهن بانه انقطع عن الزفر يوم الاربعاء يحكم عليه بالقانون فكثر حينئذٍ القلق والسجس . ولما انتهت الينا هذه الاخبار كتبنا اليهم بالّا يتعرّضوا لطائفة الموارنة في وجه من الوجوه من قبيل انهم لم ينقذوهم من ايدي البربر ولا ردّوهم عن بدعة فلم ينتصحوا بقولنا فراسلناهم ثانيةً ووجهنا اليهم اخانا المطران يوسف الحصروني وهو رجل تقي ورع درس العلم في رومية وبرع في المباحث اللاهوتية فلبث هناك ثلاثة اشهر ينذرهم ان لا يفعلوا وهم يجيبون ان الكنيسة كنيستهم وان بطريرك الامة المارونية لهُ السلطة على بطريركيته الانطاكية لا غير . وخوفاً من ان نتقدم في رفع الشكوى عليهم الى رومية انفذوا رسلهم ورسائلهم الى هناك على ما يريدون

اما رؤسا المجمع المقدس فبعد البحث والتدقيق امروهم بان لا يعارضوا الموارنة لا في عوائدهم ولا في طاعتهم لرؤسائهم والزموا وكيلهم رافائيل ان يأتي بنفسه ويؤدّي لنا الطاعة وجرى ذلك فعلاً في شهر تموز سنة ١٦٨٩ بينما كنا في مدينة بيروت وكان قد اتى بكتابة من رئيسهم غريغوريوس البرغالي يعدنا فيها انهم لا يعودون مطلقاً

الى معارضة الامة المارونية بوجه من الوجوه فهدأَت الخواطر برهــة من الزمان. وفي السنة السادسة والتسعين تقلد الرئاسة بلتزار الكلداري وعند وصوله الى مدينة عكاء بارك بطرس الماروني الذي كان قــد حرمه مطرانهم ورشا الموارنـة سكان عكا ان يكتبوا على انفسهم وثيقة في المحكمة تنطق انهم راضون باختيارهم ان يدخلوا في الطقس اللاتيني ويكونوا تحت طاعة رهبان القدس ورئيسهم لا تحت طاعة بطريرك الموارنة وكهنته

وفيما هم كذلك قدم عليهم مطرانهم ولم يتمكن من ردهم عما هم به الا لما هددهم بالحرم. وفي اثناء ذلك اتفق ان رئيس رهبان قبرس في اللّاحة حوّل ابنة مارونية عن خطيبها بواسطة الرشوة والقهر وزوجها لترجمان القنصل بعد ان كان خطيبها خسر عليها مبلغاً من الدراهم وتهدد ايضاً خوري الرعية بالقتل. فلاجل هذه المنكرات وغيرها اضطررنا ان نرفع الدعوى الى مدينة رومية. ولما كان اليوم الثامن عشر من تشرين الاول سنة الف وستمائة وسبع وتسعين ابرزوا امرًا ثانياً مآلهُ ان رهبــان القدس لا خلطة لهم مع الموارنة لا في ما يتعلق بالعوائــد والزيجات ولا في ما يخص الطاعة لروَسائهم وتهدّدوا من يخالف الرسوم بالعقاب والانتقام وكان من جملة الواقفين على هذا الامر فرنسيس الزهري الذي تقلد بعــد ذلك رئاسة القدس وبدلاً من ان ينقاد لمرسوم سادات المجمع السامي شرفهم زاد عنتاً وتجنياً على الامة المارونية اكثر ممن تقدمه. فارسلنا اليهم سنة الف وستمائة وتسع وتسعين اخانا المطران يوسف الشامي وكاتبنا الخوري الياس الحصروني وبينّا للرئيس المذكور ان اعماله مخالفة للعدل الرياضي والالهي حسب ما يقول بولس الرسول: كل امرء يؤدي لصاحبه حقه فمن لهُ العشور عشوره ومن لهُ الكرامة كرامتهُ وان جميع طوائف نصارى الشرق مطيعــة لروَسائها وبطاركتهــا فالروم للرومي والارمن للارمني والقبط للقبطي والنساطرة للنسطوري واليعقوبية لليعقوبي وعلى هذا تجري ايضاً الامة المارونية التي نشأَت في الدنيا قبل ان يولد مار فرنسيس رئيسهم بخمسمائة سنة وهي خاضعة لبطريركها الذي في الابرشية

الانطاكية وغيرها وهي تتدبر بسُنته واوامره وترتشد على ايدي الكهنــة والاساقفة الذين يرسلهم من قبله كما هو مثبَّت في سجلات الباباوات المرسلة اليهم وقد تقدمنا بذكر ذلك آنفاً. والبابا اقليميس العاشر ذو الذكر الصالح لمــا ارسل الينا كتاب التثبيت في الثامن من آب سنة الف وستمائة واثنتين وسبعــين قال: ان اخوتنا المطارين المكرمين واولادنا الاعزاء اكليروس الامة المارونيــة قد اختاروك برضاهم وبموجب عادتهم وانتدبوك بطريركاً عليهم وعلى جميع الامة المارونية. وكل ذلك يتبيَّن ايضاً اجلى بيان من اقرار رهبانهم نعني بهم الاب غريفون وفرنسيس سوريان وجبرائيل القلاعي وغيرهم. وهكذا الاب بونيفاس يخبر في كتابه عن دوام الارض المقدسة قائلاً ان جميع الموارنة حيث وجدوا يؤدون الطاعة الكاملة لبطريركهم. فان كان بطريرك الموارنة مثبتاً على الكرسي الانطاكي فمن يمكنه ان يمنعه دون تعدٍّ عن ان يُنفذ امره في سائر الموارنة المتفرقين بجهات قبرس واورشليم. اما كنائس القدس فلما وضعتها الملكة سنصــة في يد رهبان مار فرنسيس الصغار لم تأمرهم ان يخرجوا منها مستقيمي الايمان لان الرب يقول على لسان النبي لتنفتح ابوابك ابداً ولا تغلق لا ليــلاً ولا نهاراً لتنقاد اليك قوات الامم وتساق ملوكهم. وقال الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر ان الكنيسة مجمع القديسين. وهكذا ايضاً لمــا ادّى واجب الطاعة تيموتاوس مطران الكلدان والياس اسقف الموارنة في قبرس سنــة الف واربعمائة وخمس واربعين امر البابا اوجان الرابع بان يباح للرئيسين المذكورين ولكهنتهما وشمامستهما ان يخدموا الاسرار الالهية في كنائس الكاثوليكيين وكذلك الكاثوليكيون في كنائس المذكورين من غير مانع. وبمثل ذلك حكم سادات مجمع انتشار الايمان سنة الف وستمائة وثلاث وسبعين وحكموا ايضاً في السنــة الثامنة والثمانين بان يستمرّ الارمن والروم الكاثوليكيون على عوائدهم ويقيموا القداس في كنائس الكاثوليك من غير مانع. ثانياً ان الملكة سنصة كما سلمت الكنائس المقدم ذكرها الى رهبان القدس سلمت ايضاً الى الموارنة مغارة الصليب مع اربعــة مذابح في

اربع كنائس الافرنج وكما ان البابا اقليميس الخامس امر بان الساكنين في العلية الصهيونية يجب ان يكونوا اثني عشر راهباً امر كذلك ان يكون عندهم خمسة رجال من الموارنة للترجمة لان هؤلاء كانوا مشتركين معهم في الايمان والمذابح وحفظ السرّ. ثالثاً لما استولى السلطان سليم وولدهُ السلطان سليمان على الديار الشامية المصرية ونزعها من ايدي الجراكسة كما نزع جزيرة رودس وبلاد اونغارية الجبلية والساحلية من ايدي الافرنج برز الامر بطرد رهبانهم من العلية الصهيونية سنة الف وخمسمائة وتسع وخمسين. ولما لم يكن للرهبان موضع ينزلون به اسكنهم يوحنا كسّار الاهدني الذي كان ترجمانهم في دار كنيسة مار جرجس التي للموارنة وما زالوا مقيمين بها الى ان اخذوا دار المخلص من يد القبط وانتقلوا اليها في السنة الثالثة. ويقال انهم لما تركوها سقط رجل متخبط من الشيطان في بئر بجذائها ففرّ رهبان الموارنة حينئذٍ من هناك لئلاَّ يشتهر الامر ويعظم الخطب فدفع القبط دية المقتول واستولوا على الكنيسة ودارها. ولما انتهى الخبر الى البطريرك موسى العكاري سار بنفسه الى دمشق واخذ من مصطفى العامل امرًا الى قاضي القدس مضمونه وجوب ارجاع الكنيسة الى الموارنة اصحابها الاولين. ثم شخص البطريرك الى القدس في الدعوى المذكورة مستصحباً معهُ الدراهم اللازمة وارسل بذلك كتابة الى البابا بيوس الرابع سنة الف وخمسمائة واربع وستين في شهر تشرين الاول. اما كيف خمدت حرارته عن استرجاع الكنيسة من القبط مع ان الدعوى كانت قريبة العهد والدراهم مجهزة وامر الوزير حاضر وهو صاحب الحق وبراءة امته من القتل ظاهرة فلا نعرف له سبباً. غير ان بونيفاس الرئيس ويوحنا الترجمان اعترضاه واقنعاه ان يرتضي بان يكون للموارنة مذبح في كنيسة المخلص بدل المذبح الذي كان لهم في الغرفة الصهيونية وان كهنته مع الرهبان تكفيهم كنيسة واحدة من قبيل ان عدد الفريقين قليل ولكنه اشترط عليهم انه اذا جرى على الافرنج من جهة المسلمين ما يوجب رحيلهم عن البلاد تبقى الكنيسة في يد الموارنة

والظاهر من هذه الامور وغـيرها ان بطريرك الموارنة ولو كان انطاكيًا وان رهبان القدس ولو كانوا مستولين على الكنائس هناك لا يجوز لهم يختاسوا سلطـة بطركهم ولا ان يصدوا الموارنة عن الانتساب اليـه ولا ان يكفوهم عن الجري بموجب عوائدهم الاصلية

اما الرئيس الزهري فلما لم يقتنع بهذه الامور ولم ينقد لرسوم سادات المجمع انزل بهِ الله محنة عظيمة لم تخطر له على بال وهي ان بطرك الروم في القدس ابرز امرًا سلطانيًا من السلطان مصطفى مآله ان جماعة الروم ينبغي ان يكونوا تحت طاعته. ولما لم يمكن لرهبان الافرنج ان يحموا سكان بيت لحم وغيرهم بلقب افرنج وما امكنهم ايضًا ان يغالطوا الناس بجحود اصلهم الرومي ويشتبهوا عليهم المسئـلة اضطرهم الامر قسرًا ان يلقبوا كل كاثوليكي اقبـل اليهم بلقب ماروني لان الامة المارونية من جمـلة رعايا سلطان المسلمـين فاخذ القاضي اذ ذاك بيدهم وقيّد في السجـل انهم موارنة حتمًا

وهنا لنتأمل كيف ان الافرنج لما ارادوا ان ينزعوا هذه التسمية عن اهلها أُجبروا ان يُدخلوا تحتها من ليس منها واعترفوا بان امة الموارنة هي لهم سند عظيم ولجميع الكثلكة في جهات القدس وغيرها من بلاد الشرق. ولما عزل فرنسيس الزهري عن الرئاسة اقيم نائبًا عنـه البريزيدنت اسطفان من نابولي وكان رجلًا تقيًا فطنًا فجمع حينئذٍ المحدين (كذا) رهبان القدس في بلاد الشرق واتفق رأيهم على ان يقبلوا بجميع الشروط التي طلبناها منهم. وتأييدًا لذلك وضعوا خطوط ايديهم هكذا: البريزيدنت اسطفان من نابولي والمحدون رافائيل وتاتايال الوكيـل وفرنسيس المالطي وانطونيوس جيندر. ثم ختموا السجل بخاتم الدير وذلك سنة الف وسبعمائة في الحادي والثلاثين من آذار

اما الشروط فهي ان كهنة الموارنة يقيمون القداس بالبخور في جميع كنائس رهبان مار فرنسيس وان جميع الموارنة المقيمين باورشليم وغيرها من الامكنة ايًا كان

هم تحت طاعة صاحب الكرسي الانطاكي ويؤدون لهُ العشور وان يحفظوا عوائدهم وجميع ما يخصهم من الاصوام والاعياد وان يكون لرعيـة القدس كاهنان يقومان بخدمتها. وتعهد الرهبان المذكورون بانهم يقبلون كل ماروني يزور الاماكن المقدسة بغاية الاكرام. وسمحنا لرئيس الرهبان المشار اليهم ان يفسح في القدس لا غـير من وجوه الزواج المختلفة بشرط ان لا يكون ذلك في ما فوق الوجه الخامس طبقاً للعادة الجارية في الطائفة كلها. وانهُ مهما وجب من قانون حلها ينبغي ان يدفعهُ الى وكيل الكرسي الانطاكي. وكانت كتابة ذلك في الخامس عشر من نيسان بغاية الفرح من الفريقين واستمرَّ الموارنة على عوائدهم القديمـة تحت طاعة بطريركهم صاحب الكرسي الانطاكي

فيتخلّص مما اوردناه في هذا الجزء الثاني ان مارون الذي بُني على اسمه دير حماة ونسب اليهِ اولًا رهبان هذا الدير واخيرًا جميـع الامة المارونية لم يكن مبتدعاً ولا مشاقًا كما تجنى عليهِ ابن بطريق ومن قلّده وانقاد لهذيانهِ وانمـا هو بارٌّ مبجل غربًا وشرقًا عند جميع الكنائس كقول يوسف بوصوين اليسوعي الذي بحث عن هـذا الامر مدققًا ودوّن في الكتاب الذي الفـهُ في عهدنا على سورية المقـدسة هذا الكلام: ان الامة المارونية هي مسيحية كاثوليكية منـذ اثني عشر قرنًا يريد بذلك انها لبثت على الايمان المستقيم من ايام الاب الجليل البار مارون القورشي الى زمن ظهور كتابهِ فمنها قرنان ونصف قرن كانت هذه التسمية مقصورة فيها على رهبـان الاب مارون المجد. ثم انتقلت منهم بواسطة البار مار يوحنا مارون الى سكان جبل لبنان حتى هذا الزمان وهي مدّة عشرة قرون ما زالوا منعوتين فيهـا بهذا اللقب وحافظين امانتـه بكل احترام وحرارة الى ان صحت فيهم الآية النبوية القائـلة: كالارز ارتفعت في لبنـان فما اجدر كرسي جبل لبنان بكل مجدٍ وثناء لانهُ في مدّة العشرة القرون المذكورة لم يدخلهُ شيء من سوس البدع بـل نفى جميع التعاليم المميتـة

وكما ان الكتاب يشهد ان جميع اسباط اسرائيل كانوا خاضعين لسليمان وجميع الامم كانت منقادة اليهِ من الفرات الى عريش مصر هكذا الامة المارونيــة فهي خاضعــة حيثما وجدت لصاحب الكرسي الانطاكي كما ان الامم الكاثوليكية في البلاد الشرقية كانت منقادة الى هيبتهِ ووقارهِ ٠ انتهى



فهرست الكتاب

صفحة

الجزء الثاني

في رد التهم ودفع الشُبه



تصحيحات

ذكر المؤلف في الصفحة ١٠٤ ان وفاة القس عبـد الله ابي الفرج المعروف بابن الطيب كانت في سنة ٥٣٥ للهجرة. والصواب انها كانت في السنة ٤٣٥ للهجرة وبه قال ابو الفرج المعروف بابن العبري. راجع الصفحة ٣٣٠ من تاريخ مختصر الدول الذي نشره حضرة العالم المدقق الاب انطون صالحاني اليسوعي سنة ١٨٩٠ مطبوعاً في المطبعة الكاثوليكية ببيروت

وقوله في الصفحة نفسها (وقال عنـه قاضي الدين) صوابه (القاضي جمال الدين) وهو سهو من الناسخ

وقال المؤلف في الصفحة نفسها "ان ابا الطيب كان مارونياً من اهل جبـل لبنان الّا انه مال الى القائلين بالمشيئة الواحدة في ربنا »

وهذا الكلام يشعر ان ابا الطيب تمذهب بمذهب اليعقوبية ولكني عثرت في المكتبة الشرقية بكلية القديس يوسف لمرسلي اليسوعية الفضـلاء على كتاب خطي يدل انه كان متمذهباً بمذهب النسطورية لا اليعقوبيـة والكتاب المذكور يشتمل على رسالة انشأها ايليا مطران نصيبين واعمالها النسطوري ووجهها الى ابي العلا صاعد ابن سهل في ذكر المجالس التي جرت بينـه وبين الوزير ابن علي المغربي ويقول في تتمتها هكذا:

«وبعد اتمامي هذه الرسالة ايها الاخ الجليل ادام الله حراستك رأيت انفاذها قبل وقوفك وغيرك عليها الى الشيخ الجليـل القسيس الملفان ابي الفرج عبدا لله ابن الطيب كاتب قلاية الجثلقة ادام الله تأييده . . . » فلو ان ابا الفرج هذا كان على مذهب اليعقوبية لما كان المطران النسطوري في ارجح الظن يرسل اليهِ كتابتـه لكي يوقفه عليها

بعد ذكر ما تقدم يسّر لي الحظ الوقوف على كتاب للاب اوغسطين

شياسكا نقل فيهِ الى اللاتينية كتاب ذياطاسارون الذي جمعه طيطيانوس اليوناني للاناجيل الاربعة وترجمه الى العربية ابو الفرج ابن الطيب . فقرأت في مقدمته ما يثبت ان ابا الفرج المذكور كان نسطوريًا لا يعقوبيًا وان ما ذهب اليهِ العلامة الدويهي ليس بالمذهب اللاقي الواقع (راجع الكتاب المذكور في الصفحة ١٢ من المقدمة)

هذا وعند ذكر اسماء الرؤساء العامين الذين دبروا رهبانيتنا المارونية فاتني ان اذكر تاريخ الرؤساء العامين الذين ساسوا الرهبانية الحلبية اللبنانية بعد القسمة فعلى ذلك لا ارى بدًا من ذكر اسمائهم هنا كما يلي :

١ القس لويس السمعاني الحلبي ترأس سنة ١٧٦٦ وقد صارت قسمة الرهبانية في مدة رئاسته
٢ القس توما العاقوري الحلبي سنة ١٧٧٠
٣ القس برزدوس راجي الحلبي سنة ١٧٧٩
٤ القس توما العاقل الحلبي سنة ١٧٨٢
٥ القس فرنسيس موسى الحلبي سنة ١٧٩٣
٦ القس يوسف السمعاني سنة ١٨٠٨
٧ القس اغناطيوس سركيس سنة ١٨١٤
٨ القس ارسانيوس القرداحي سنة ١٨٣١ وهذا كان نائبًا عامًا
٩ رافائيل الخراط سنة ١٨٣٢
١٠ القس جناديوس الزوقي سنة ١٨٣٥
١١ القس جبرائيل الحجلتوني ١٨٥٩
١٢ القس جرجس الشبابي سنة ١٨٦٢
١٣ القس سرابيون الشبابي سنة ١٨٧١

١٤ القس جناديوس الزوقي سنة ١٨٧١

١٥ القس سابا دريان العشقوتي سنة ١٨١٧ وهو الرئيس العام الحالي المعروف بجدّه ونشاطه في ترقية الرهبانية والمعتني الآن ببناء مدرسة لابنائها في قرية فيترون على اسم القديس دوميط

